العربي

الواجهة البحرية.. خضرة تغسل قدميها في مياه الخليج !

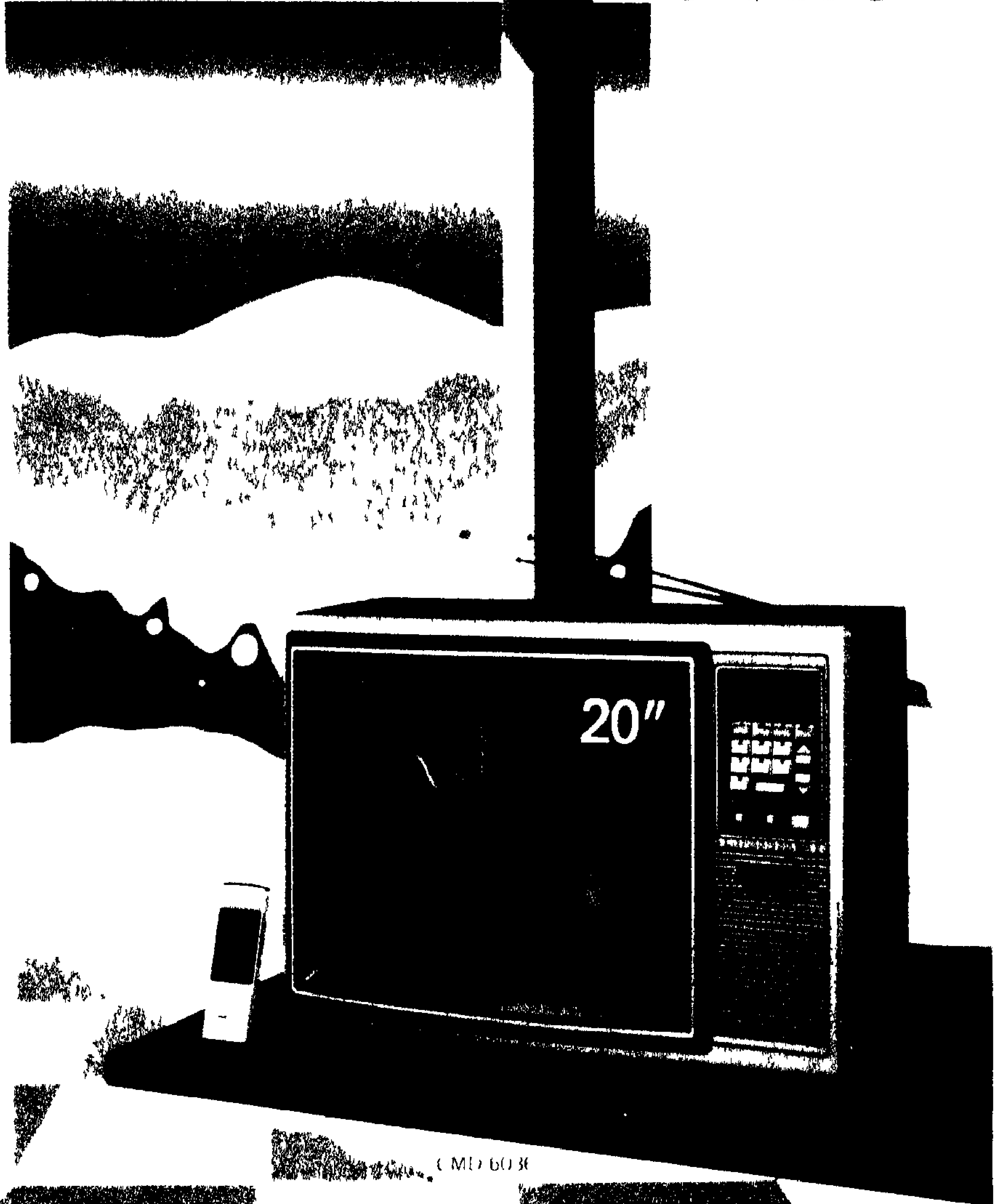
أضواء على

معهد العالم العربي في باريس

جزائر ١٢٨ عربي

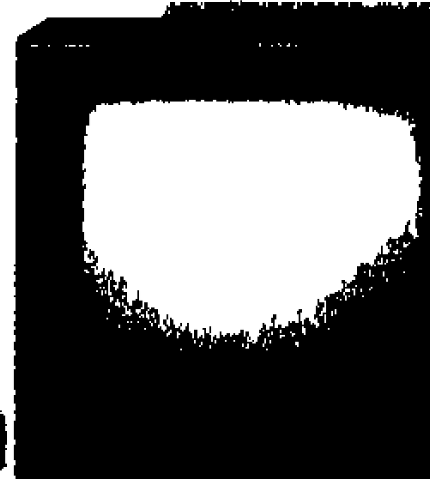
سانيو

SANYO



بريق في عالم





ANYO Electr Trading C Ltd

العـدد ٣٥١ السنة الحادية والثلاثون فبراير ١٩٨٨

العربي

مجلة ثقافية مصورة تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

ص.ب : ٧٤٨ ـ الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون : ٢٤٣٩٧٢٨ ـ ٢٤٦٨٢٤٢ ـ ٢٤٢٧١٤١
برقيًا: "العربي" ـ الكويت ـ تلكس MIIR.44041KT
تلفون فكسملي : ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL - ARABI

Issue No. 350-Jan. 1988 - P. O. Box : 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information - State Of
Kuwait.

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة ـ قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات الى : قسم الاشتراكات ـ المكتب الفني
وزارة الإعلام ـ ص.ب : ١٩٣ ـ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك. باقي دول العالم ٦ د.ك.

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	سوريا ١٠ ليرات
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	الإمارات ٥ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	المغرب ٣ دراهم
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا بدولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشًا	سلطنة عمان ربع ريال	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	لبنان ١٥ ليرة	أميركا دولاران



محتويات العدد

قضايا عامة :

عروبة وإسلام :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :



أدب وفنون :

■ جمال العربية :

منتدى العروبي :







المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تلقاها للنشر

تاريخ وتراث وأشخاص :

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :



صـــورة الغـــلاف

هذه الحسناء من «النمور الصغيرة» التي هزت عرش الأسد الياباني، وطغيان الغول الأمريكي، واستغلال الذئب الانجليزي..

(طالع التفاصيل ص ٣٦)

البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

الكويت وطن الأمل

ما أن يقارب هذا الشهر على الانتهاء ، حتى توقد الكويت شيبا وشبانا ، نساء ورجالا ، شمعة جديدة في مسيرة استقلالها ، محتفلة بالعيد السابع والعشرين لهذا الاستقلال الذي دخلت معه بكل ثقة واقتدار الساحة الدولية .

والناظر الى مسيرة الخير خلال السنوات السبع والعشرين الماضية ، يستطيع أن يلخص هذه المسيرة بعبارة واحدة ، هي أن الكويت بلاد الأمل والمستقبل .

فخبرة الكويت في التنمية والتحديث والعمران المادي والمعنوي أصبحت نموذجا يحتذى ، بذل فيه الأهل قادة وشعبا ، مواطنين ومقيمين ، الكثير من العمل والوقت والتضحيات .

لقد تم تفاعل ناجح بين الأصالة والتحديث ، قاده رجال توارثوا الحكمة كابرا عن كابر ، فعندما تذكر الكويت الحديثة يذكر رجال انتقلوا الى رحمة الباري عز وجل ، وبقيت أعمالهم شاهدة عليهم ، رجال مثل المرحوم الشيخ أحمد الجابر الذي ولدت على يديه الكويت الحديثة ، وكانت حكمته ، وبعد نظره في التعامل مع المتغيرات ، مدرسة سياسية . ويذكر المرحوم الشيخ عبد الله السالم الذي جاء الاستقلال على يديه فرعاه وأنماه ، ثم يذكر المرحوم الشيخ صباح السالم الصباح الذي سار على الدرب فوفى وأوفى .

لكن عندما نذكر المستقبل نذكر الأمل الذي يتطلع اليه أهل الكويت بل العرب أجمعون ، فنشاهد بين أيدينا الرجل الصابر الدءوب الشيخ جابر الاحمد الصباح أمير الكويت ، وهو يعمل ليل نهار في ظروف إقليمية ودولية صعبة ، نراه يتابع من مكتبه في قصر السيف العامر كل صغيرة وكبيرة وأمام ناظريه قرآن كريم هو ديدنه في الحكم والتوجيه ، ليجنب سفينة الكويت المخاطر ، ومن أجل أن تظهر كل صباح بسمة على شفاه أطفال الكويت

وعندما نذكر المستقبل نذكر الشيخ سعد العبد الله الصباح ولي العهد رئيس مجلس الوزراء ، كنز الحكمة والتسامح والصلابة

عندما نذكر مثل هؤلاء الرجال فإننا نذكر نماذج القدوة في الوطنية والاصلاح ، نذكر حكم العدل الذى بني على مبدأ الحوار تحت مظلة المحبة ، وعلى تأكيد مواطن الوفاق ، وتقديم العفو عند المقدرة على العقوبة ، نماذج أبت الا أن تتقاسم الرغيف مع إخوة لها في العروبة والاسلام . عندما نذكر ذلك تتمثل لنا الكويت الصامدة في وجه الأخطار ، يتكاتف شعبها كي تصبح وطن الامل ، وطن المستقبل .

وفي عيد الكويت السابع والعشرين . . عيد الامل والوطن . . نزف للكويت وأهلها وإخواننا من أبناء العروبة والاسلام كل تحية وتقدير .

المحرر



الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

الذخائر والتحف



كان الحديث بيننا عن التراث العربي والاسلامي . وتشعب بعد ذلك ليشمل السؤال الأعم .

هل التراث - كما يعتقد البعض - محدد ومحصور فيما يتصل بالعقيدة والشرع ، ام هو - كما يعتقد آخرون - شامل متنوع ، شمول السلوك الانساني وتنوعه ؟

وكان رأيي يتفق مع المعنى الأخير .

قال محدثي : اضرب لي مثلا . .

قلت : هل سمعت بكتاب « الذخائر والتحف » للقاضي الرشيد بن الزبير ؟

قال : ردني .

قلت : هذا الكتاب جزء من التراث ، بل لقد نشر في الكويت كأول كتاب تنشره وزارة الاعلام في سلسلة التراث العربي ، وكان ذلك قبل ما يقارب ثلاثين سنة خلت (١٩٥٩) . وكان فاتحة سلسلة رائعة في تحقيق التراث ونشره ، وقد حققه العلامة محمد حميدالله ، وهو من كبار العلماء الذين وقفوا



حياتهم لاظهار محاسن تراث العرب والمسلمين ، ووراءه متخصص كبير هو المرحوم الدكتور صلاح الدين المنجد ، وكان التحقيق على مخطوطة نادرة

الكتاب مؤلف في منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) اي قبل حوالي تسعة قرون تقريبا (٤٦٣هـ - ١٠٧٠م) ، اما المؤلف فقد كان موظفا - كما يعتقد المحقق - في دائرة استقبال السفراء في الدولة الفاطمية ، وعن له ان يطرق موضوعا طريفا ، بل موضوعا خاصا لم يعرف - كما اعتقد - الا القلائل في الحضارة العربية الاسلامية ، كما لم يكن هناك حتى ذلك الوقت من اعتنى به في حضارات اخرى بهذا الشمول

وموضوع الكتاب هو « الذخائر والتحف » التي وجدت في قصور الخلفاء والملوك والقادة ، والهدايا التي كانوا يتبادلونها فيما بينهم والعلاقات الدبلوماسية بين ملوك العرب المسلمين بعضهم وبعض ، وكذلك بينهم وبين ملوك اوروبا والهند ، والرسائل التي تراسلوا بها ، والتحف النادرة التي تهادوها ، فهو يحدد سكان تلك التحف وطريقة صنعها وتواريخ توارثها ، كما يحدد اللغة الرفيعة التي تخاطب بها الحكام والولاة بهذا الخصوص ، فترك لنا بذلك كثيرا من المعرفة في باب لم تطرقه - بشكل سافر - الا قليلون ، كما ان اعتناءه بهذا الموضوع يدل على الاهتمام الكبير الذي اظهره معاصرو الكتاب لمعرفة اشكال الهدايا وانواع التحف وما دفع فيها من اثمان

الكتاب مكون من ثمانية ابواب هي

١ - هدايا الملوك والامراء (وهو اكبر الابواب)

٢ - الولائم المشهورة والدعوات المذكورة

٣ - الاعذارات* المشهورة والحذاقات المعروفة

٤ - الايام المشهودة والاجتماعات في الاوقات المعهودة والمحافل المحشودة

٥ - الغرائب الموجودات والذخائر المصونات

٦ - الترك الموروثات (اي التركات)

٧ - المغانم في الفتوحات والمقاسم في الغزوات

٨ - باب النفقات

والكتاب - بمنهج اليوم - يشكل فهما اقتصاديا سياسيا ودبلوماسيا للزمان الذي وقع فيه الحدث ، يستطيع الباحث من خلاله ان يتعرف على الاوضاع

* الاعذارات تعني الاحتفالات التي يقيمها الوالد لمولوده عند ختانه او احتفالا بانتهائه من تحصيله مرحلة من التعليم

الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، بجانب طرافته ، كما أن لغته سهلة مقروءة - إلا فيما ندر - يتيسر معه للقارىء بعد بذل جهد يسير فهم ما يرمي إليه المؤلف .

الثراء صورة العصر :

قلت لصاحبي : دون إبطاء دعني أنقل لك بعض ما لفت نظري .

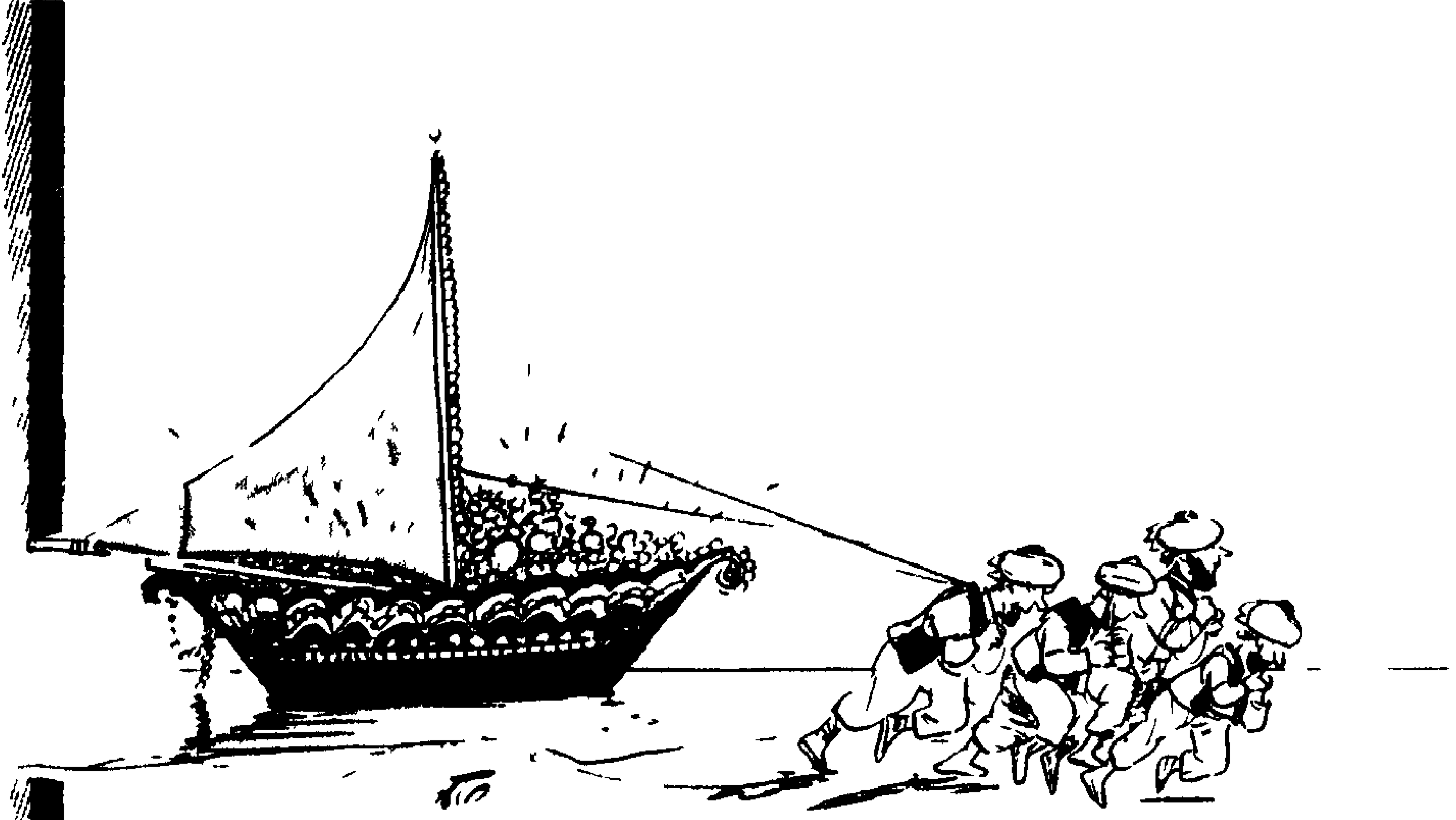
ففي باب الهدايا ، بعد أن يستعرض المؤلف الهدايا التي قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قبل من هدايا من آخرين ، يصف ما تهادى به المسلمون الأوائل ، ثم يعرج على خلفاء بني أمية وبني العباس ، ويذكر نوادر ما أهدى لهم وما أهدوا ، وكيف تصرف بعضهم بتلك الهدايا . ومن ضمن ما يعرضه الكتاب قوله مثلا :

(ذكر المدائني أن ملك الهند أهدى الى الجنيد بن عبدالرحمن أيام ولايته السند في خلافة هشام بن عبدالملك ناقة مرصعة بالجواهر قد ملئت أخلافها « وهي ضروعها » لؤلؤا ، ونحرها ياقوتا أحمر ، على عجل من فضة ، إذا تركت على الأرض تحركت العجل فمشت الناقة ، فبعث بها الجنيد إلى هشام فاستحسنها ، ثم إن الذي جاء بها بزل أحلافها « أي حلبها » ، فانتثر اللؤلؤ في علبة ذهب كانت معه ، وفك عنقها فسال الياقوت منه كأنه الدم ، فأعجب بها هشام ولم تزل في خزائن بني أمية حتى صارت إلى بني العباس) .

وذكر في موضع آخر أنه (كان في جملة ما قدم به عبيدة بن عبدالرحمن القيسي والي افريقية وسائر المغرب الى هشام بن عبدالملك من هداياه في سنة أربع عشرة ومئة هجرية « ٧٣٢ ميلادية » ، عشرون ألف عبد وأمة ، ومن صفايا الجواري المتخيرة سبع مئة جارية ، ومثل ذلك من الخصيان ، ومن الخيل والدواب والذهب والفضة والآنية ما لا يحصى كثرة)

■ لماذا اهتم العرب بوصف الهدايا والتحف قبل تسعة قرون ؟

وحكى أن العلايي ذكر في كتاب « الأجواد » أن صبيحا الكاتب قال : (بعث عمر بن يوسف الثقفي الى هشام بن عبدالملك بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفه ، وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب ، فدخل الرسول اليه فلم ير وجه هشام من طول السرير وكثرة الفرش ، فتناول الحجر والحبة منه وقال : أكَتَبَ معك بوزنها ؟ فقال : ومن أين يوجد مثلها ؟ وكانت الياقوتة للرائقة جارية خالد بن عبدالله القسري اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار) .



من هذه الأوصاف للهدايا واللؤلؤ النادر ، والمبالغ التي قدرت بها ، نستطيع أن نتبين مقدار الثراء الذي شهدته الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت .

الكتب أول الهدايا :

وحكاية أخرى يرويها الكتاب فيقول :

(كتب دهمي ملك الهند الى عبدالله المأمون بالله مع هدية أهداها اليه ، كتابا حمد فيه الله وعدد نعمه عليه وأسرف في ذكر ما يملكه من ثراء ومافي خزائنه من ذهب وجوهر ثم قال :

« . . . أما بعد فقد افتتحنا استهداءك بأن وجهنا اليك كتابا ترجمته « صفوة الأذهان » والتصفح له يشهد على صواب التسمية ، وبعثنا اليك لطفا بقدر ما وقع منا موضع الاستحسان له ، وان كان دون قدرك . ونحن نسألك أيها الأخ أن تنعم في ذلك بالقبول وتوسع عذرا في التقصير ان شاء الله » ، وكانت الهدية جام ياقوت أحمر فتحه « أي فتحته » شبر في غلظ الأصبع ، مملوء درا ، وزن كل درة مثقال ، والعدة مئة درة ، وفرشا في جلد حية تكون في وادي المهراج تبتلع الفيل ، ووشي جيدها دارات سود على قدر الدرهم ، وفي وسطها نقط بيض ، مغروزة بالدر ، لا يتخوف من جلس عليها السل ، ومن كان به السل وجلس عليها سبعة أيام ذهب عنه ، ومُصَلِّيات ثلاثة بوسائدها من ريش طائر يقال له السمندل « وهو طائر خرافي » إذا طرحت في النار لم تحترق ، وفراوزها « أي حواشيها » در وياقوت أحمر ، ووزن مئة ألف مثقال

جلد الحيّة الذي يبتلع الفيل.. كيفَ يمكن أن يشفي العليل؟

عودا رطبا إذا ختم عليه قَبِلَ الصورة ، وثلاثة وثلاثين مَنّاً كافورا محببا ، كل حبة منه مثل الفستقة ، وأكبر من اللوزة ، مع جارية سِنْدِيَّة طولها سبع أذرع تسحب شعرها ، حسنة البشرة لها أربع ضفائر تعقد ضفيرتين على رأسها تاجا ، وضفيرتان تبلغان الأرض من خلفها ، وطول كل شفر من أشفار عينيها أصبع ، يبلغ إذا أطرقت الى نصف خدها ، وكأن بين شفتيها لمعان البرق من بياض أسنانها) .

وتروي الحكاية بعد ذلك عن رد عبدالله المأمون على ملك الهند في كتاب شكر له فيه قوله وهداياه ثم قال :

(وقد أهدينا اليك مودتنا لك وهي أوفر حظ المتواصلين ، وأهدينا اليك كتابا ترجمته « ديوان الألباب وبستان نوادر العقول » ومطالعتك ترجمته تحقق عندك فضيلة النعمة ، ومشاهدتك له تحقق عندك ما أسميناه به ، وجعلنا لذلك عنوانا من الهدية ، وهو لطف استقللنا قدرها لك ، ولو كانت الملوك تتهادى على أقدارها لما اتسعت لذلك خزائنها ، وإنما يجري ذلك بينها على قدر ما يدل على حسن النية وجميل الطوية وبالله التوفيق) .

تلاحظ في الرسالتين بين دهمي وعبدالله المأمون أن أهم هدية تبادلاها كانت « كتابا » فالأول أهدى الثاني كتاب (صفوة الأذهان) والثاني أهدى الأول كتاب « ديوان الألباب وبستان نوادر العقول » .

ورغم أن الكاتب يشير الى عظيم ما صاحب تلك الهدية من الطرفين من خيل ، وعقيق وأصناف من الكسوة والديباج ، إلا أن الأولوية كانت للكتاب ، « بنت الحكمة » ، ولعل تفاصيل الهدايا السابقة ملفتة للنظر ، فهناك فرش من جلد حية حجمها يبتلع الفيل تشفي المريض بالسل ! أما الجارية فهي لا شك رائعة الجمال الى درجة المبالغة ، فهي سندية طولها سبع اذرع وشعرها طويل إلى درجة أنه ينسحب وراءها ، أما رموش عينيها فهي من الطول ان أغمضت وصلت الى منتصف خديها !

ومما يستلفت النظر قصة يرويها الكتاب عن هدية اهدتها « برتا » بنت الاوتاري ، ملكة الأفرنجة الى المكتفي بالله تكرمة له واستجلابا لمودته . الهدية كما ذكرت في كتابها اليه : (خمسون سيفا وخمسون ترسا وخمسون رمحا فرنجية ، وعشرون ثوبا منسوجة بالذهب وعشرون خادما ، وعشرون جارية ، وعشرة أكلب « كلاب » كبار لا تطيقها السباع ، وسبعة بُزاة وسبعة صقورة ، ومضرب حرير بجميع الاته ، وعشرون ثوبا معمولة من صوف يخرج من قعر البحر يتلون لونا في كل ساعة من ساعات النهار ، وثلاثة أطيار تكون ببلاد فرنجة إذا نظرت الى الطعام أو الشراب المسموم صاحت صياحا

منكرا وصفقت بأجنحتها حتى يعلم ذلك) .

وقد يكون لبعض تفاصيل هذه القصة ظاهر الخرافة كأن تصيح بعض الطير وتصفق عند رؤيتها للطعام المسموم ، ولكن في هذه الاشارة مقابلة تستحق منا النظر ، وهي المكان المتقدم من الصناعة والتدريب - بالمعنى الحالي - الذي اعتقد البعض وقتها أنه موجود في أوروبا .

النفقات في الولائم :

عندما ينتقل الكاتب للحديث عن النفقات في الولائم المشهورة ، ويعني بها ما أنفق من مال على الولائم والزيجات ، يشير إلى ما ذكره ابن عفير فيقول (خرج عبدالعزيز بن مروان الى الاسكندرية في سنة أربع وسبعين ، فاعترضه في طريقه صاحب « بلهيب »* فطلب اليه أن ينزل عنده ، فقال له عبدالعزيز : ويحك ان معي جماعة وتلحقك في هذا مؤونة . فقال : أن هذا الأمر لا يعظم عندي ، ولولا احتمالي لك ولجميع من معك ما طلبت اليك في هذا ، فلم يزل حتى نزل به ، وكان عبدالعزيز في ألف رجل من خواصه ، مع كل رجل منهم اثنان وثلاثه ، فأقاموا عنده ثلاثة أيام ، يقدم اليهم الأطعمة والطرائف في كل يوم ثلاث مرات ، ثم أذن عبدالعزيز لأصحابه في المسير ، فما راعهم إلا أربعة من القبط يحملون قفة عظيمة تسع ثلاثة أرادب ، في أذنيها خشبة عظيمه ، يحملها اثنان أمامها واثنان خلفها وعليها منديل .

وجاء صاحب « بلهيب » فقال . « ياسيدي مر بهذا فليقسم بين أصحابك » ثم كشف عنها فاذا هي مملوءة دنانير . فأبى عبدالعزيز ان يقبلها وقال : اجعل هذا فيما ينوبك من خراجك . وبلغ ذلك « أم البلهيبي » فأقبلت على عبدالعزيز وقالت : أيها الأمير . . لم ترد هديتنا علينا ؟ قال : إنا كرهنا أن نحملكم مؤونة ، قالت : والله ما يضرنا هذا ان اخذته ولا ينفعنا ان تركته . وان عندنا لما يغنينا عنه ، فعزمت عليك إلا ما أمرت به ، فيقسم بين أصحابك . فأمر به فقسم بينهم حفنا « حفنة حفنة » فعمهم أجمعين) .

■ الجارية السندية التي تسحب شعرها وراءها ، وتصل أهدابها الى نصف خديها .. من أهداها لمن ؟

وثمة قصة أخرى يرويها الكتاب تحكي عن كثرة الانفاق في الولائم ومناسبات الأعراس . والمناسبة هي دخول عبدالله المأمون ببوران « خديجة »

* بلهيب احدى قرى مصر في منطقة الحيرة فتحها عمرو بن العاص حين فتح مصر ويعتقد أنها قريبة من تمثال أبي الهول الآن وكان متوليها من أغنياء البلاد



بنت الحسن بن سهل . . وعلى لسان ابن عبدوس يقول المؤلف (بلغت النفقة ثمانية وثلاثين ألف ألف درهم . وكان يجري في كل يوم في جملة الجرايات على ستة وثلاثين ألف ملاح ، ووصل المأمون أباها بعشرة آلاف ألف درهم - وقيل ألف ألف دينار - ففرقها في قواد المأمون وحشمه ، ووهب لأخيها ألف ألف درهم وأقطعه « فم الصلح » وكانت قيمته ثمانين ألف دينار ، وكانت نفقة الحسن بن سهل اليها في هذه الوليمة أربعين ألف ألف درهم وقيل أربعة آلاف ألف دينار) . ومن قبيل ذلك الانفاق المبالغ فيه في الولائم ، ما ذكر من أن عبدالله المأمون لما أراد أن يزوج ابنته أم الفضل بأبي جعفر محمد بن علي الرضا أولم وليمة عظيمة جاء عنها في الرواية على لسان الريان ابن خال المعتصم : (وإني لكذلك إذ سمعت كلاما كأنه من كلام الملاحين في مجاوباتهم ، فاذا بالخدم يجرون سفينة من فضة فيها قلوس من ابريسم مملوءة غالية ، فخضبوا لحى أهل الخاصة بها ، ثم مدوا الزورق الى أهل العامة فطيبوهم) .

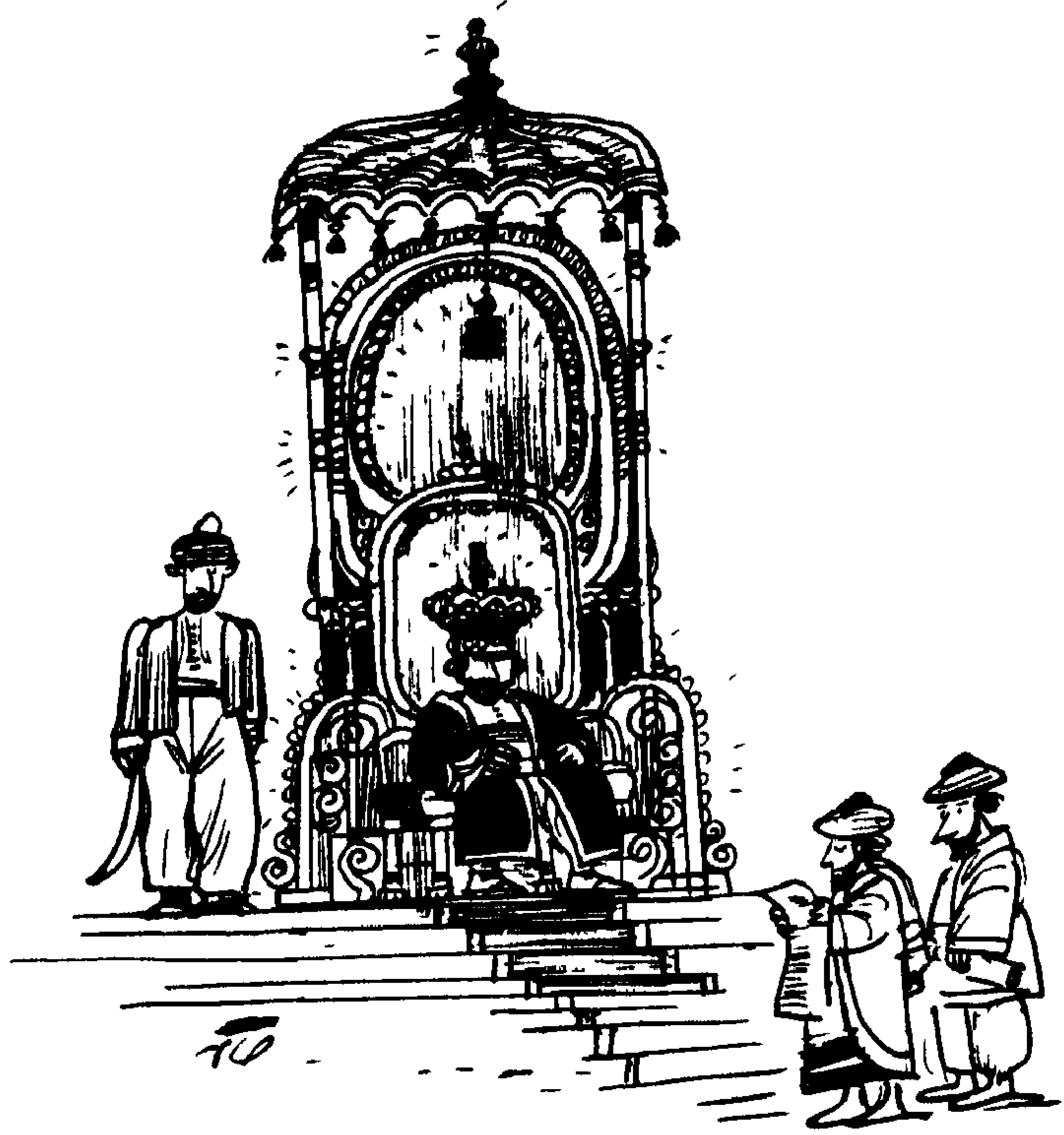
والقصة التي يرويها الكاتب تشير الى قدر الاسراف والمبالغة في الانفاق حين يرسل صاحب الوليمة لضيوفه سفينة « مصنوعة » من فضة يجرها الخدم بحبال القلوس مصنوعة من ابريسم (وهو نوع من الحرير) وقد ملئت بنوع مميز من طيب مركب يسمى غالية يكفي لتطييب لحى الخاصة والعامة جميعا . . !

إذا انتقلنا الى باب الاعذارات - وهي التي ذكرنا ما تعنيه من قبل - نجد مثل هذه القصص التي تتحدث أيضا عن الاحتفال بمناسبة الإجادة والحذق في حفظ القرآن ، وتقول احداها :

(لما حذق المعتز بالله القرآن دعا المتوكل على الله « شفيعا » خادمه فقال : قد عزمت على تحذيق أبي عبدالله في يوم كذا وتكون خطبته وحذقته ، فأخرج من خزانة الجوهر جوهرا بقيمة مئة ألف دينار في عشر صواني فضة للنثار على من يقرب مني من القواد الأكابر ، وأخرج مئة ألف دينار للنثار على القواد الذين هم دون هؤلاء ، وأخرج ألف ألف درهم صحاحا بيضا للنثار على من بالصحن من خلفاء القواد والنقباء وبقية وجوه الناس) .

باب الأيام المشهودة :

كيف يؤثر المظهر الخارجي على نفسية الموفد من الخارج ؟ عندما قرأت هذا الباب وعنوانه « الأيام المشهودة والاجتماعات في الأوقات المعهودة والمحافل المحشودة » فطنت الى أصول استقبال السفراء الجدد بحرس وموسيقا . فقد جاء في كتاب « الذخائر والتحف » ما يمهد لذلك .



فكاتبنا يصف كيف يستقبل ملوك العجم سفراء ملوك العرب فيقول :

(كانت الأكاسرة إذا ورد عليها رسل ملوك العرب والروم أمرت بتعبئة الجيش في عشر كتائب ، كل كتيبة عشرة آلاف فارس ، بالجواشن المذهبة « وهي الدروع » والحراب اللامعة والدروع المفرغة والأعلام المذهبة من ساباط المدائن « وهي الشوارع المسقوفة » الى الايوان . ثم يمر بالرسل على كتيبة كتيبة . حتى إذا أشرفوا على باب الايوان رفع لهم عنه . وكانا ايوانين متقابلين بينهما فسيح من الأرض ، وفي وسط ذلك قبة من الأرجوان ارتفاعها عشرون ذراعا مغشاة بأجلة الديباج المنسوج بالذهب الأحمر ، وفيها جامات من البلور الأحمر والأبيض وأنواع الأصباغ ، وفي وسطها سلسلة من الذهب معلق في طرفها القنقل والياقوت الأحمر ، وكان الملك يجلس تحت تلك القبة والتاج معلق على جبينه . .

وكان الملك يقيم عن يمينه مئة غلام من أولاد الملوك قد ألبسهم الديباج الملون من الثياب والقراطق « نوع من الملابس » . وفي أوساطهم مناطق « أي أحزمة » الذهب الأحمر مرصعة بأنواع الجواهر وعن شماله أولاد المرازبة عليهم القراطق وفي أوساطهم المناطق ، بأيديهم أعمدة الحديد المذهبة . وكان الملك يقعد أربعين جارية مختارات ، عشرين عن يمينه وعشرين عن شماله . والتراجمة بين يدي الملك . فاذا وقفت الرسل بين يدي الملك أمرت

بالجلوس ، فتبادرت اليهم الحجاب بكراسي الذهب والفضة فيجلسون عليها ويؤدون الرسالة وينصرفون .

عن الموجودات بعد الوفيات من (الترك الموروثات) يحكي الكتاب عن المؤرخين أنه (كان في الجاهلية أربعة نفر من قريش يملك كل واحد منهم قنطارين من الذهب وهم أبو لهب وأمية بن خلف وأبو أحيحة وعبدالله بن جدعان .

والقنطار أربعة آلاف ومائتا أوقية ، والأوقية أربعون درهما وهي ثمانية وعشرون مثقالا ، ولذلك قال الله تعالى : « تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب » وقال تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ») .

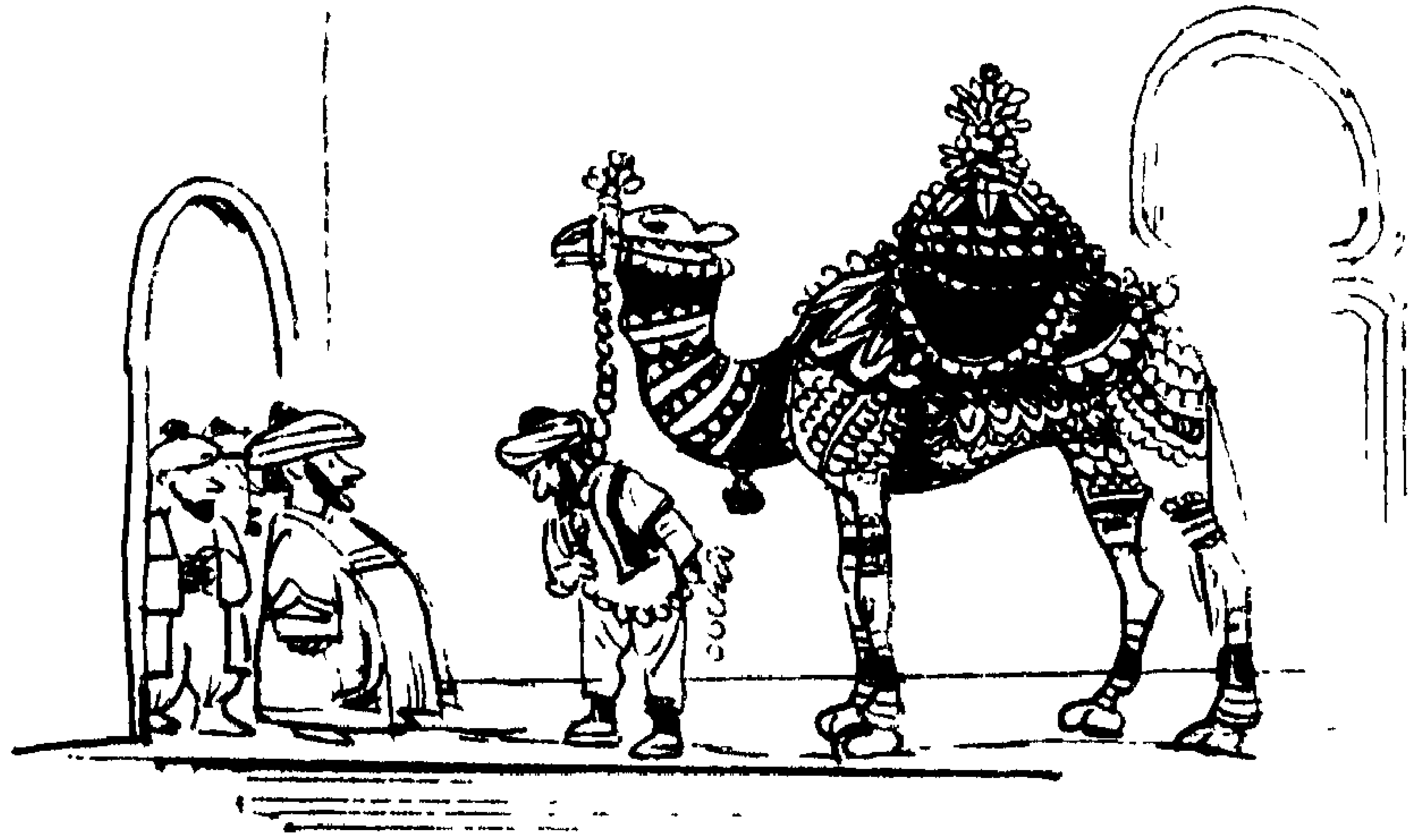
■ كم هي المبالغ التي صُرفت عندما أنهى المعتز بالله ختام "القرآن" ؟

قبل أن يختم الكاتب مؤلفه يقدم أمثلة مما خلفته أمهات الخلفاء وذووهن ، فنعرف أن العباسة بنت المهدي بالله خلفت ضياعا تبلغ غلتها في كل سنة أربعة آلاف ألف دينار . وكانت غلة الخيزران أم الهادي والرشيد في كل سنة مائتي ألف ألف وستين ألف ألف درهم . وخلفت شجاع أم المتوكل خمسة آلاف ألف دينار عينا وورقا ، وجواهر قيمتها ألف ألف دينار ، ومن الفرش والرقيق والدواب بقيمة ألف ألف دينار ، بالاضافة الى أربع عشرة ضيعة بلغت غلتها في السنة أربع مئة ألف دينار . كما وجد في بيت مال أم المستعين بالله بعد خلعه احدى وخمسون ومائتي ألف ألف دينار ، وفي بيت مال ابن العباس ست مئة ألف دينار .

الكتاب وطبيعة العصر :

لا شك أن كتاب الذخائر والتحف الذي يعبر عن سلوك الانسان في مختلف مواقعه قد أملته طبيعة العصر وطبيعة المؤلف ، فلقد كان العصر الذي جرت فيه حكاياته وقصصه عصر ثراء وافراط وبذخ يشارك فيه الخلفاء ويشارك فيه علية الناس . . والناس في ذلك فريقان : فريق يطلب الكسب ويتقرب الى أصحاب الأمر للحصول على النعم ويطلب حياة الترف وينالها من خلال إغداق الخلفاء والملوك بالأموال والتحف . . أما الفريق الآخر فتستهويهم

أول كتاب صدر عن سلسلة التراث في الكويت كان شاهدًا على عصره



الحياة العلمية والفكرية ، يبحثون عن المعرفة من مختلف الطبقات والثقافات والأجناس . .

وكان بعيدا عن رجل مثل القاضي الرشيد بن الزبير ان يعيش غير متأثر بالعصر الذي أظله ، بما فيه من قصص الترف والبذخ والنوادر الغريبة التي تجري في القصور . . من اجل ذلك املت عليه طبيعته بعدما املى عليه عصره أن يكون هذا المؤلف الجامع المتقصي .

ويجمع هذا القصص الذي يتناول الكثير من الموضوعات غير المطروقة في ذلك العصر يعد الأول من نوعه الذي التزم اسلوبا جديدا من حيث الاختيار والتبويب والترتيب . وفي تصورنا أن القاضي الرشيد لم يقصد الى رواية حكايات ونوادر واحداث من ذلك النوع دون أن يكون له هدفه من ابراز بعض أنواع السفه والاسراف ، وذلك تبصرة لأهل العلم وتذكرة لسائر الناس وكشفا بأقرب أسلوب الى أذهان القراء عما يجري في القصور ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها وعلى الناقد استيعابها بما في ذلك ابراز بعض جوانب الحضارة العربية الاسلامية الاقتصادية والفنية والخلقية .

ومع كل ذلك فالقارىء لمثل هذا الكتاب التراثي يخرج بحصيلة جيدة من النادرة الطريفة ، والفطنة اللطيفة ، والقصة المثيرة ، والحكاية المضحكة ، كما يروح عنه كد الجد وتعب الذهن . . وهو كتاب مثله مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الأطعمة باختلاف شهوات الآكلين .

هذا عن كتاب « الذخائر والتحف » أول كتاب تنشره وزارة الاعلام في الكويت في سلسلة التراث العربي . . . ولكن ليس معنى أن نتناوله الآن هو أن هذا الجهد أول ما تبذله الكويت في مجال نشر التراث العربي . فقد التفتت



الكويت الى تراثنا العربي وعملت على جمعه واحيائه . فإن الكتب هي بيوت الحكمة . ولهذا استضافت الكويت معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية ، كما أنشأت « قسم التراث العربي » الذي يشرف على اخراج سلسلتين . . أولاهما سلسلة كتب التراث العربي والثانية : سلسلة دراسات في التراث العربي . ومن السلسلة الأولى أصدرت ستة وعشرين كتابا كان أولها « الذخائر والتحف » الذي تناولناه بالحديث هنا . . وبعض هذه الكتب صدر في مجلد واحد مثل كتاب « الأضداد » لابن الانباري ، و « المصون في الأدب » لأبي أحمد العسكري ، و « مجالس العلماء » للزجاجي ـ وبعضها لضخامته صدر في أكثر من مجلد ، ومن ذلك كتاب « الأنوار في محاسن الأشعار » للشمشاطي في جزأين ، و « ماثر الأنافة في معالم الخلافة » للقلقشندي في ثلاثة أجزاء ، وكتاب « العبر في خبر من غبر » للذهبي ، في خمسة أجزاء ، وأضخمها كتاب « تاج العروس من جواهر القاموس » ويبلغ أربعين جزءا كل جزء منها يقارب خمس مئة صفحة وصدر منه حتى الآن خمسة وعشرون جزءا . .

وكل هذه الكتب التراثية متنوعة . . بعضها في اللغة ، وبعضها في الأدب ، وبعضها في التاريخ ، وبعضها في النسب ، وبعضها في الشعر .

والسلسلة الثانية (دراسات في التراث العربي) أصدرت منها الكويت عشرة كتب كل منها في مجلد ، وهي متنوعة أيضا . . بعضها في الأمثال العربية ، وبعضها في القصص والقُصَّاص ، وبعضها في اللغة ، وبعضها في ترجمة شاعر (عبدالله بن قيس الرقيات) أو لغوي (ابن دريد) أو عالم (ابن النفيس) .

ولا شك أنه من دواعي الرضا عن هذا النشاط في ميدان التراث العربي أن الجهد فيه لا يتجاوز ثلاثة عقود . . والمستقبل أمامه ما يزال ممتدا . وفي الوقت الذي تحتفل فيه الكويت بعيدها السابع والعشرين هذا الشهر ، نشير الى ميزة علمية واحدة هي إحياء التراث العربي والاسلامي ، من ضمن عمل أعمق وأكثر ثراء في مجال الثقافة ومجالات أخرى عديدة في الاجتماع والاقتصاد والتنمية . . ولكن البدء بإنارة العقول هو الخطوة الصحيحة في الاتجاه الصحيح .

محمد الرميحي

المراهقة الثقافية !

بقلم الدكتور : فؤاد زكريا

الرائد لا يكذب أهله . . والكاتب يقول . .

إن أمنية الأمنيات عنده هي أن تتمكن أجيالنا الجديـدة من أن تفهم نفسها ، وتفهم العالم ، من خلال أعمال ثقافية ناضجة تصنعها بنفسها .

ولكن كيف ؟ هذا ما يشرحه الكاتب في هذا المقال الخلافي .

شغلتني كثيرا ، في السنوات الأخيرة ، سمة من سمات حياتنا الثقافية الراهنة ، تشكل منعطفا حادا وغير متوقع في موقفنا تجاه الثقافة العربية فمي هذه السنوات الأخيرة حدث التقاء غريب ، لم يكن له نظير في أية مرحلة سابقة من مراحل نهضتنا الفكرية الحديثة ، بين أنصار العودة إلى الأصول الاسلامية وبين شرائح لايستهان بها من المثقفين العرب الذين تشبعوا بالثقافة الغربية

وأساس هذا الالتقاء هو الرفض الحاد لحضارة الغرب ، والدعوة إلى شكل من أشكال « الأصالة » - وهو تعبير شديد الغموض والالتباس ، ولكنه يزداد في استخداماته الراهنة اقترابا من المعنى الذى يشاركه في الاشتقاق اللغوى ، معنى « الأصولية » ، والعودة إلى جذورنا المتأصلة والضاربة في أعماق التاريخ .

جمع بين خصمين

فلقد كان الوضع المألوف منذ بداية اتصالنا بالغرب في أوائل القرن التاسع عشر ، هو التضاد بين أنصار التراث الذين يرفضون كل فكر دخيل ويتخذون من عراقة الماضى درعا يحميهم من كل إعراءات الحداثة والعصرية ، وبين أنصار التجديد الدائم والتغير المستمر ، ممن يسايرون التيارات المستحدثة أولا بأول ، ويؤكدون أن المقومات الأساسية للنهضة لن تتوافر لنا إلا إذا لحقنا بأسرع وأحدث العربات في قطار الحضارة . وقد أصبح هذا التضاد محورا لجميع الكتابات التى تعالج حياتنا الثقافية الحديثة ، وربما أضاف البعض إليه طرفاً ثالثاً يسعى إلى التوفيق بين طرفيه الأصليين ويقف في منتصف المسافة بينهما ولكن الاطار العام يظل كما هو ،

ويبدو كما لو كان يعبر عن تضاد طبيعي لاسبيل إلى الاختلاف عليه . ولكن ما حدث في هذه السنوات الأخيرة قد خرج عن هذا الاطار التقليدى خروجا تاما ، وجمع بين الخصمين التاريخيين على أرض واحدة ، هى أرض الرفض الحاد « للتغريب » .

ففي الماضي ، كان مجرد الاحتكاك بحضارة الغرب لفترة ما كافيا لأن يحول شخصية نشأت نشأة تقليدية تراثية خالصة ، مثل رفاعة الطهطاوى ، في اتجاه الانبهار الشديد بالغرب . أما اليوم ، فإن مجموعة كبيرة من المثقفين العرب البارزين الذين عاشوا في الغرب حياة طويلة ، واختار بعضهم الاستيطان فيه أو الهجرة الدائمة إليه ، يقودون الحملة ضد الثقافة الغربية ، ويتفق موقفهم في هذه الناحية اتفاقا موضوعيا مع موقف التراثيين الذين رفضوا الغرب منذ البدء ، والذين لم يعرف معظمهم عن الثقافة الغربية إلا قشورا سطحية

وبالطبع فإن ما يلفت النظر في هذه الظاهرة ليس موقف التراثيين ، لأن هؤلاء ظلوا على الدوام متمسكين بعدائهم للثقافة الغربية ، ولم تخرج منهم عن هذه القاعدة سوى فئة ضئيلة أتيحت لها فرص استثنائية للاحتكاك بالغرب . وإنما اللافت للنظر بحق هو هذا التحول الحاد الذى جعل أشد المفكرين العرب تشبعا بالثقافة الغربية يرى أن من علامات نضجه مهاجمة تلك الثقافة التى تشربها واستمد محتوى تفكيره منها وعاش بين ظهرانيها ردحا طويلا من الزمان . فهؤلاء في تكوينهم الثقافى ، هم ورثة المنبهرين بالغرب ، وهم امتداد سلامة موسى وشبلى شميل ولطفى السيد ومظهر سعيد ، ومع ذلك فقد دار بهم الزمن دورة كاملة ، وأصبحوا يقفون في الطرف المضاد بقوة لأسلافهم الروحيين . وحين يطّلع المرء على أبحاثهم الناقدة والرافضة للغرب ، ويرى إلى أى حد سيطرت المناهج الغربية الحديثة على طرق تفكيرهم ، ومدى شيوع المفاهيم والمصطلحات والتعبيرات التى لم تستمد إلا من ثقافة الغرب في كتاباتهم ، ويدرك أن المنطق الذي يتحدثون به ، والحجج التي يقدمونها ، والأمثلة التي يضربونها ، ليست إلا حصيلة احتكاكهم الطويل بالثقافة الغربية ، لايملك إلا أن يتساءل : هل نحن هنا إزاء حالة صارخة من حالات التناقض الذاتى ، أم أن الغرب في الواقع هو الذي ينقد نفسه على لسان هؤلاء ؟

في تصورى ان أفضل تشخيص لهذه الظاهرة الفريدة هو وصفها بأنها ضرب من ضروب « المراهقة الثقافية » . وأنا على وعى تام بأن مثل هذه الأوصاف المجازية كثيرا ما تكون مضللة ، فضلا عن أن تطبيق مفهوم يعبر عن مرحلة من مراحل نمو الفرد ، - كمفهوم المراهقة على ظاهرة ثقافية عامة - ينطوي على مخاطر لايستهان بها . ومع ذلك فسوف احاول أن أثبت بعد ذلك ان وصف « المراهقة الثقافية » هو الأكثر انطباقا على الحالة التي نحن بصددها .

المثقفون والمراهقة الفكرية

إن أبرز سمات المراهقة ، من حيث هي مرحلة من مراحل نمو الفرد ، تعجل استقلال الشخصية قبل الأوان . فالمراهق ، حين يشعر بأنه وصل إلى المرحلة التى أصبح فيها يحمل بعض سمات الانسان الناضج ، يتصور نفسه ناضجا بالفعل ، ويتعجل فصم الروابط بينه وبين مرحلة الطفولة التى كان فيها معتمدا على غيره ، ويتطلع إلى عالم الكبار ويحاكيه ، ويتوقع ممن ينتمون إليه أن يعاملوه على أنه واحد منهم . بل إن المراهق يتصور نفسه انضج وأرشد من الكبار أنفسهم ، ولذلك يرفض كثيرا من الأفكار والقيم والتقاليد السائدة بين الأجيال السابقة عليه ، ونشتد المشاحنات بينه وبين كل من له سلطة عليه داخل البيت وخارجه

ويبدو لى أن المثقفين العرب المتشبعين بثقافة الغرب ، والذين اتخذوا في العقدين الأخيرين موقف النقد الحاد من هذه الثقافة ، يمثلون بوضوح مرحلة المراهقة في ميدانهم الخاص . فهم يشعرون بأن الأوان قد آن لكى يستقلوا عن ذلك الغرب الذى استمدوا منه كل زادهم الفكري ، وهم يبدون نحوه

خصومة حادة ، ويوجهون إليه اتهامات قاسية تبرر تلك القطيعة التي يسعون إلى إحداثها معه ومع ذلك فإن التفكير في البديل الذي يمكن أن يحل محل تلك الثقافة المرفوضة لايشغل من اهتمامهم الآ قدرا ضئيلا مما يشغله التفكير في عملية الرفض ذاتها

وعلى النقيض من التراثيين ، الذين يتوافر لديهم دائما بديل جاهز ، هو ثقافة السلف . فإن هؤلاء « المستغربين » يعلمون حق العلم أن البديل التراثي غير كاف . ويعرفون أن النهضة العصرية في مجتمعاتهم حديثة العهد من جهة ، وان ظروفا معاكسة كثيرة تحول دون وصولها إلى إي مستوى من مستويات النضج من جهة أخرى ، ومن ثم فإن البديل العصري بدوره لم يتشكل بعد . ومع ذلك فإنهم يصرون على رفض المنبع الذي استمدوا منه ثقافتهم ، دون أن تكون أمامهم أية صورة واضحة لما يرفضونه من أجله ، ودون ان يكون رفضهم في ذاته اسهاما ناجحا في تكوين البديل

رحلي العجوز !

وكما تؤمن المراهق بأن حين الكبر قد ساح ، ولم تعد صالحا لشيء (لاحظ ان العبارة المستخدمة لدى المراهقين الامريكيين عند الحديث عن الآباء هي رجلي العجوز !) فكذلك تشيع لدى هؤلاء المستغربين العرب المتمردين على أصولهم اتهامات للعرب بالتدهور والشيخوخة والانحلال وهم يقتبسون بشغف شديد من شبنجلر وتوينبي وجارودي وكل من يعرف بنغمة تدهور العرب بصورة متكررة في كتاباته ولم يخطر ببال احد منهم أن يسأل اليس شبنجلر وتوينبي والاخرون غربيين بدورهم ؟ فلماذا إذن لا يرفض احكامهم بدورها ، على اساس انها جزء من « التدهور » العام للحضارة التي ينتمون إليها ؟ والأهم من ذلك انه لم يخطر ببال أحدهم أن يقارن بين مظاهر « التدهور » في الغرب ومظاهره في مجتمعاتنا ، أو بين معدله هناك ومعدله هنا ، أو بين ما يتوقع أن يودي إليه التدهور عندهم وعندنا أما السبب في أن أيا من هذه الاسئلة الهامة لم يُطرح لدى هؤلاء المتمردين على جذورهم العربية . فلايفهم إلا في ضوء مايتصف به تمرد المراهق من عنف غير عقلاني وغير منطقي في معظم الحالات

ومن سمات المراهقة ، الخلط الانفعالي بين المجالات فالمراهق قد لايستمع إلى أي درس يلقيه المعلم اذا كان يشعر تجاهه بنفور مقصود ، مع أن الدروس ان مجال التعليم منفصل عن العواطف الشخصية وبالمثل فإن هؤلاء العرب المستغربين الكارهين للعرب ، حين يشنون على العرب حملة شعواء على المستوى الثقافي والعلمي لايصدرون في حملتهم هذه إلا عن دوافع سياسية في المحل الاول

فالهدف هو الانتقام من الاذلال السياسي الطويل الذي مارسه الغرب علينا وإذا لم يكن في استطاعتنا ان نسوي حساباتنا مع الغرب على المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي ، فلا أقل من ان نأخذ ثارنا منه على المستوى الثقافي (الذي هو متاح للجميع) بل لقد عرفت بعض الحالات لم يكن الهدف فيها أكثر من تسوية حسابات شخصية ، تراكمت نتيجة للوضع القلق او للصعوبات التي لابد ان يصادفها اي عربي يقيم في الغرب ، مهما حاول الاندماج فيه بحيث يكون الهجوم على « الحضارة الغربية » في هذه الحالات تسوية لاشعورية لثأر شخصي

نظم ومؤسسات محكمة

على ان هذا الهجوم الحاد على ثقافة الغرب ، بما يحمله من دوافع هي في حقيقتها سياسية . وقد تكون احيانا شخصية ، يرتكب خطأين أساسيين

اولهما هو الخلط بين الانسان الغربي والنظم الغربية فكثير من هؤلاء الرافضين يرتكزون في رفضهم على تجارب سلبية مع « أشخاص » ينتمون إلى الغرب ومن الممكن جدا أن تكون تجاربهم هذه محبطة حقا ، وأن تكون نسبة غير قليلة من العناصر البشرية في الغرب جديرة بالنقد ، أو حتى

بالازدراء ، سواء على المستوى الاجتماعي أو السياسي أو الاخلاقي . ولكن الميزة الكبرى التي تمكن الغرب من اكتسابها وتطويرها على مر الزمن ، هي وضع « النظم والمؤسسات » التي تتجاوز قدرات الافراد ، والتمسك بهذه النظم إلى الحد الذي يرغم الأفراد على الرضوخ لها . وهكذا فقد يكون « الفرد » الأوروبي أسوأ مخلوقات الله ، ومع ذلك فإن وجوده وسط نظم ومؤسسات محكمة ، تطورت بعد خبرة طويلة وفرضت نفسها بصورة قاطعة على الجميع ، يرغمه على أن يسلك في الأمور التي تمس علاقته بالآخرين سلوكاً سليما . وفي اعتقادى أن الحكم على أية حضارة ينبغى أن ينصب على ما وضعته لنفسها من نظم ومؤسسات ، وليس على المستوى الاخلاقي أو الاجتماعي لسلوك أفرادها ، أيا كان عددهم ووزنهم .

فكرة المؤامرة

أما الخطأ الثاني الذي يقع فيه هؤلاء الرافضون فهو مبالغتهم في الاستناد إلى فكرة « المؤامرة » التي يتصورون أن الغرب يحيكها للعالم . هذه المؤامرة يُفترض أنها بدأت منذ العهود الأولى للاستعمار الغربي ، حين تمكن الغرب من أن يكتسب لنفسه تفوقا في المجال الاقتصادي والعلمي وفي المستوى المعيشي بفضل نهبه لثروات الشعوب التي استعمرها . وهكذا تراكم لديه « فائض القيمة التاريخي » (على حد تعبير واحد من أشهر هؤلاء الرافضين) الذي جمعه من السلب والنهب الاستعماري ، واستطاع توظيف هذا الفائض في اكتساب مزيد من القوة في مختلف ميادين الحياة والفكر .

وفي تصوري أن أصحاب هذا الرأى يخلطون بين المراحل التاريخية التي مرت بها أوروبا في مطلع العصر الحديث : فالثورة العلمية الحديثة في أوروبا ، على أيدي علماء القرن السادس عشر والسابع عشر ، كانت سابقة زمنياً لعصر الاستعمار ، أي أن أوروبا تقدمت علمياً أولاً ، وترتب على هذا تقدم تقنى ، وبفضل هذا وذاك تمكنت من تطوير الأسلحة ووسائل النقل التي جعلت استعمارها لمعظم دول العالم في ذلك الحين أمرا ميسورا . ومعنى ذلك ان البدايات الأولى للتفوق الغربي قد سبقت ، زمنيا ، استغلال الغرب للشعوب الأخرى ولاشك أن هذا التفوق قد ساعد فيما بعد على توسع أوروبا في الاستعمار وفي السيطرة على شعوب العالم ، وخاصة في القرن التاسع عشر ، ولكن الخطوة الأولى نحو إحراز الأسبقية العلمية والتقنية قد تمت في أوروبا بفعل عوامل ذاتية ، وليس نتيجة استغلالها للآخرين .

حب الاتقان

إن القارىء لابد قد استخلص من الصفحات السابقة أن كاتب هذه السطور مدافع متحمس عن الثقافة الغربية ، حتى ضد أبناء وطنه الذين يسعون إلى الاستقلال عنها . وإذا كان ظاهر الكلام يوحى بهذا ، فحقيقة الأمر أن ما أود التنبيه إليه هو الحذر من الاستقلال السابق لأوانه . ذلك لأنني أشارك مثقفي العالم الثالث رغبتهم المخلصة في أن تكون لهم ثقافتهم الخاصة ، وفي أن تتحرر هذه الثقافة من وصاية الثقافة الغربية وهيمنتها . ومن أبشع الصور في نظرى صورة ذلك الشاب المنتمي إلى عالمنا الثالث ، الذي يعوجّ لسانه ويعجز عن التعبير عن نفسه بلغته القومية بعد أن يقضي عاما أو عامين في بلد غربي . وأمنية الأمنيات عندي هي أن تتمكن أجيالنا الجديدة من أن تفهم نفسها وتفهم العالم المحيط بها من خلال أعمال ثقافية ناضجة صنعناها نحن ، وأن نكف عن النظر إلى أنفسنا وإلى العالم بعيون الآخرين . ولكن هذه الأمنية تحتاج إلى وقت ، وجهد ، وقبل كل شيء إلى الاتقان .

والواقع أن الميزة الكبرى للحضارة الغربية هي أنها ربت في أبنائها حب الاتقان . يكفي أن تنظر إلى العالم الذي يسهر في معمله ليالى طويلة ، لسنوات عديدة ، ويحرم نفسه من كل متع الحياة ، لأن متعته الكبرى هي قهر التحدي الذي تشكله نقطة غامضة

معينة في ميدان عمله . يكفى أن تنظر إلى راقص الباليه أو العازف الذى يبلغ درجة من الاتقان يستحيل بلوغها ما لم يكن المرء قد نذر نفسه لفنه ، وقضى ساعات طويلة في كل يوم وفي جميع أيام السنة ، دون تخلف أو توقف ، في تدريب شاق ، كثيراً ما يكون مملاً ومرهقاً للاعصاب.يكفي أن نتأمل الرياضى الذي يركز كل حواسه والانتباه ويتحكم بطريقة مذهلة في أصغر عضلات جسمه ، ويحاول دائماً أن يتجاوز الزمان والمكان والجاذبية الأرضية ، ويصل في ذلك إلى مستويات لايحققها المرء إلا حين ينذر حياته كلها لهدف واحد . هذا ما ينقصنا ، وهذا ما ينبغى أن نتعلمه وأن نقتدي به .

توفير اسباب القوة الحقيقية

ومن هنا ، فإن من غير المجدي في رأيى أن نهاجم الغرب ونمدح أنفسنا دون أن تكون قد توافرت لنا الارادة التى تتيح لنا أن نبذل من الجهد بقدر ما بذل ، ونحقق من التفاني والاتقان بقدر ما حقق . صحيح ان الهجوم على الغير والرضا عن الذات أمر مريح نفسياً وعقلياً ، ولكنه ما لم يكن مصحوباً بالوسائل التى تجعل أهدافه داخلة في نطاق الممكن ، فإنه لن يزيد عن أن يكون ضرباً راقياً من ضروب خداع النفس .

إن المراهقة مرحلة خلاقة ، وهى تمثل بداية النضج وبداية تكوين الشخصية المستقلة . وحين وصفْت موقف فئة معينة من مثقفينا بأنه أشبه بالمراهقة الثقافية ، لم يكن هدفي على الاطلاق هو الهدم ، وإنما كنت أهدف إلى زيادة وعينا بحدود النقد الذي يمكننا أن نوجهه إلى حضارة متقدمة وإلى أن نعد لأنفسنا من أسباب القوة الحقيقية - لا الوهمية - مايتيح لنا أن نقف أنداداً أمام ثقافة الغرب ، لا أن نتعجل استقلالاً مبنياً على فراغ ، شأن المراهق الذي يتوق إلى حرق مراحل النمو للوصول ، قبل الأوان ، إلى عالم الناضجين □

أقوال

■ إننا نواجه الآن خطراً من إخوان لنا في العقيدة ، لا لسبب سوى الرغبة في التوسع والسيطرة وتصدير الأفكار الغريبة عن مجتمعنا ، وذلك بعد أن كنا نواجه الخطر الصهيوني .

الملك فهد بن عبد العزيز - ملك المملكة العربية السعودية

■ تؤمن الكويت بجدوى العمل العربي المشترك وحتمية المصير ، ودائما مع كل توجه يصب في مصلحة الأمة العربية .

الشيخ ناصر محمد الأحمد - وزير الاعلام الكويتي

■ إن الحقوق الإنسانية التي تستشهدون بها في الولايات المتحدة الامريكية مقصورة على حق الهجرة أو حق الخروج من الاتحاد السوفيتي وهي «بعبارة أصح» [illegible] لكننا لا نتناقش هنا أيضا حق آلاف المشردين الامريكيين في المأوى ، وحق العاطلين عن العمل ، وحق المرضى في العلاج ؟!

الرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف

خريفية

شعر: محمد ابراهيم ابو سنة



نمانا طواوس : الافق
هدى سم رير دمه
بالدموع التي سساقطه في حطات العروب
وهد سحب مرو
فوق مواسى الحار
عى همه الصار سعى

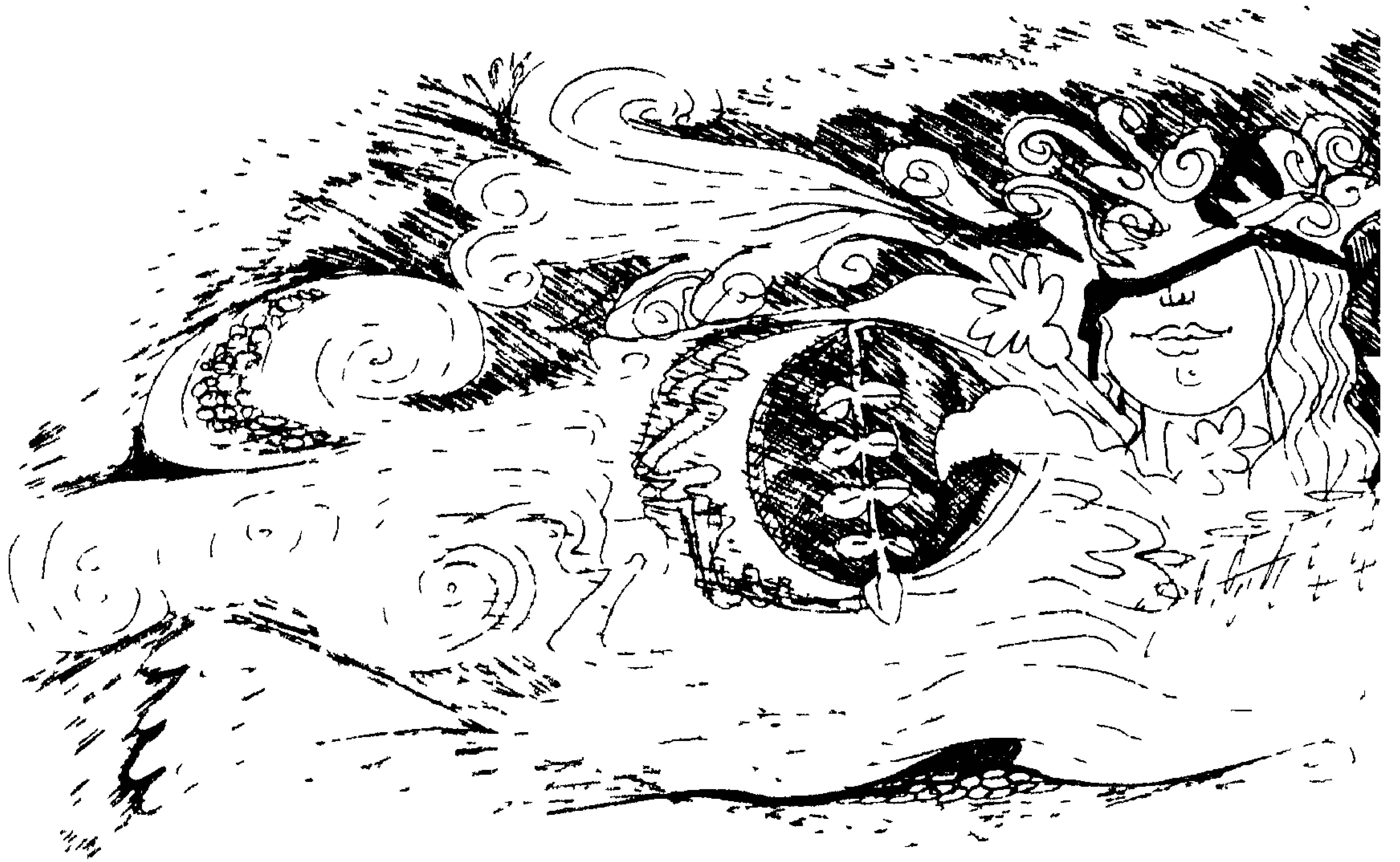
سحاب عى همه الكاسات سى سعار
فهد ـ ـ ـ دهر
و بعد ـ سس لر س مه
سر بصس مى سسال لعاء حرس

لماـ ذسى حرسـ معس
سعـ هدر العيون احسد
حلف اسسن ابي اكدبها الصحاب

حلف الليالي اسى
هرولب في احراح التي لانطب
ماذا الرسى في حرسف المعسب ؟
سلس وحه الاحبه بالماء
تم فات اسماء العهد

وسسان هد الدماء اسحس
فسلاس بوهم باوى
ـد ـسـب
ومحى صد بسـ ب محارج
حتى بحسـ سداء مبح
وبهدا هد ابوحسب

رو ـ ـ اطل
هد ـ مد عى حافة الافق



تهوى

وهذى نوافذ تفتح فوق الصحارى

وزهر ينوح بأحزانه للنساء

اللواتى تأملن اعضاءهن

فى المرايا وفارقن

ما خلفته الطيوب

مرايا عن ما تبقى من الجسد المضمحل

ساشدو همس للنبي القديمه

ساسير وألهث بين جبال الثلوج اللهيب

لماذا الاسى فى حريف المغيب ؟

سل صوت الاغانى لتدعه

بالاوجه العابرة

بئر العزلة تسقط من مخالب

هذى الفهود لبى سعارك

فوق السحاب الذى مزقته رياح

تسافر بين جيوب البكاء

وشرق المحب

لماذا الأسى فى حريف المغيب ؟

ساعت هذا النداء الاخير

من القلب للحب هذا

السؤال الاخير

من الورد للماء

هذا الوميض لذى

سرى تحلم حب

لماذا الأسى فى حريف المغيب ؟

تحجر فى كل شىء

سؤالا صمت ولكنه لاجيب

التنمية وقانون الجهد الأقل

بقلم : الدكتور مطانيوس حبيب

تعددت النظريات التي تفسر ظاهرة تخلف العالم الثالث ، فقد أرجعها بعض من مفكري الغرب الى الأصول العرقية ، وأرجعها آخرون الى الاختلافات المناخية ، أو الى سيطرة الدين - خاصة الدين الاسلامي - على تفكير الشعوب العربية والاسلامية . ولأن فروض هذه النظريات غير عملية تصدى لها الكاتب بالمناقشة ، وقدم تفسيرا مهما لظاهرة التخلف هذه من خلال عرضه لقانون الجهد الأقل .



ليست التنمية مجرد زيادة في بعض المتغيرات الاقتصادية ، بل إنها حالة تغير شامل ، يتناول كل جوانب المجتمع من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . ومع هذا فإن النمو الاقتصادي يشكل عاملا رئيسيا من عوامل التغير الاجتماعي والسياسي ، وبالتالي فإنه أساس في عملية التنمية الاقتصادية . ومن المعروف أن عوامل النمو الاقتصادي ثلاثة : العمل ،ورأس المال والطبيعة . ويتفق الاقتصاديون فيما بينهم ، على اختلاف مذاهبهم والمدارس التي ينتمون إليها ، على أن العمل هو عامل النمو الرئيسي ، بل يذهب بعضهم الى إعادة رأس المال الى العمل المتجسد في السلع والتجهيزات الرأسمالية ، ذلك أن كل المواد التي يستخدمها الانسان في عملية الانتاج تتكون من مجموعتين : مواد أولية مصدرها الطبيعة ، ومواد مصنوعة وهي عبارة عن نتاج عمل سابق ، سواء كانت آلات أم تجهيزات أم مواد نصف مصنوعة وغير ذلك . وهكذا يقصر هؤلاء الاقتصاديون عوامل الانتاج على عاملين : العمل والطبيعة . ويذهب فريق ثالث الى أبعد من هذا ، فيرى في العمل المصدر الوحيد لكل انتاج ، ذلك أن الطبيعة - برأي هؤلاء الاقتصاديين - مهما كانت غنية فإنها لا تقدم للانسان أموالا اقتصادية ، اذا لم يبادر هو للعمل من أجل الحصول على المنافع المتوفرة في الطبيعة ، فالأموال الاقتصادية التي تشكل الثروة - بمفهوم الاقتصادي الانكليزي آدم سميث - مقتصرة على تلك التي تشبع حاجة لدى الانسان . وبالطبع فإشباع الحاجة لن يكون ممكنا ، إلا إذا وضعت السلعة أو الخدمة بتصرف الانسان في زمان ومكان معينين ، أي إذا أصبحت متاحة له بفضل العمل البشري .

* وزير البترول والثروة المعدنية - سورية .

والخلاصة أن العمل والجهد البشري أساس النمو الاقتصادي ، وهذا الأخير عماد كل تنمية اقتصادية اجتماعية .

التنمية واقتصاد الكفاف

يحدد الاقتصادي بويك (Boeke) خصائص الاقتصاديات المتخلفة ـ ماقبل الرأسمالية ـ بالسمات التالية التي تجعل منها اقتصاديات متعارضة مع الاقتصاديات الرأسمالية الغربية أو الاقتصاديات الاشتراكية :

ـ منحنيات متناقصة لعرض العمل والمخاطرة . ـ غياب دافع الربح .

ـ عدم توفر خاصية الاستحداث والادارة . ـ عدم توافر فائض اقتصادي للتسويق ، تقانة (تقنية) راكدة ، واستخدام محدود لرأس المال .

وإذا أمعنا النظر في كل خصائص الاقتصاديات المتخلفة التي أوردها بويك يمكن أن نعيدها الى عامل واحد ، وهو نقص كمية العمل المبذول ، أي قانون الجهد الأقل ، فقد أشرنا أعلاه الى أن العمل هو العامل الرئيسي في كل نمو اقتصادي ، وبالتالي في كل تغيير اجتماعي وسياسي . وكل ما من شأنه أن ينقص من كمية العمل في أي مجتمع لابد أنه سيقود الى ظاهرة التخلف وعرقلة التنمية الاقتصادية وكل السمات التي يتسم بها الاقتصاد المتخلف تؤدي الى تقليص كمية الجهد المبذول ، على اختلاف أنواع هذا الجهد ، سواء كان عضليا أو ذهنيا ، فالمنحنيات المتناقصة لعرض العمل ترجع في الأساس الى خاصية الحاجات المحدودة لدى الانسان ، واكتفائه بتأمين معيشته الأساسية ، وعدم رغبته في المزيد من الاستهلاك ، وهذه الخاصية واضحة في تصرفات الانسان في المجتمعات المتخلفة . فالانسان في هذه المجتمعات ـ خلافا لنظيره في المجتمعات المتقدمة ـ يميل الى معيشة الكفاف ، فالفلاح يكتفي بزراعة محصول واحد ، أو قطعة محدودة من الأرض ، اذا كان ذلك يكفيه حاجته ، ولا يحاول أن يعمل كل وقته لزيادة دخله . وكذا الحال بالنسبة للعامل الذي إذا كانت أجرة أربعة أيام عمل في الأسبوع تكفيه ، فإنه لا يعمل خمسة أو ستة أيام كما هو الحال بالنسبة للعامل في المجتمعات المتقدمة ، وهكذا قس على جميع فئات المجتمع ، إلاّ القلة منهم ، يمثلون بذور مجتمع التقدم والتنمية في محيط التخلف الاقتصادي الاجتماعي ، حتى أن غالبية المجتمع تتهم هؤلاء بالطمع والركض وراء الثروة وعدم الشبع من جمع المال إلخ . . . وحتى رجال الأعمال في العالم المتخلف تنقصهم روح الاستحداث والمخاطرة . فغالبا ما يكتفون بجمع ثرواتهم بأيسر السبل ، دون السعي الى دخول مجالات مجهولة ، قد تعود عليهم بالربح الوفير . فروح بناء الامبراطوريات الاقتصادية التي كانت سائدة في العالم الرأسمالي المتقدم ، والتي دفعت كبار المستحدثين ورجال الأعمال الى ركوب المجهول وفتح عوالم جديدة ، غائبة أو تكاد تكون غائبة لدى رجال الأعمال في المجتمعات المتخلفة ، ولذا فإنهم ظلوا بعيدين عن روح المخاطرة ، وبناء المؤسسات الاقتصادية الطليعية ، القادرة على إرساء قواعد التنمية الاقتصادية في بلدانهم يضاف الى ذلك أن سلوك الكثيرين من رجال الأعمال محكوم بأسلوب معيشة الكفاف وهكذا ، فلمجرد أن يحصل أحدهم على مصدر دخل يكفيه العيش بالأسلوب الذي يراه كافيا نراه يميل الى الاكتفاء بما حصل عليه وعدم الرغبة في توسيع نشاطه ، وغالبا ما يميل الى حياة اللهو والانصراف الى انفاق الأموال . إن سلوكية الفلاح والعامل والرأسمالي وكل الفئات الأخرى في المجتمعات المتخلفة التي تؤدي في جوهرها الى قانون الجهد الأقل تقود بدورها الى عدم توفر الفائض الاقتصادي ـ الأساس الضروري لاستخدام طرائق إنتاج متقدمة (تقنية عصرية) ، وتوسيع الاعتماد على رأس المال العامل الرئيسي في تطوير انتاجية العمل ، وتسريع وتائر النمو الاقتصادي ـ أي تقود الى عرقلة عملية التنمية .

الايديولوجيا والجهد الأقل :

تحاول بعض النظريات تفسير التخلف بعوامل عرقية ، فيميز أصحابها بين العِرق الأبيض والعِرق الأصفر والأسود وهكذا ، مشيرين الى تفوق العِرق

الأبيض على سواه . وقد رفض العالم بأسره إلا قلة منه (الصهيونية وعنصريو جنوب افريقيا) النظرية العرقية ، وأوضحت التجربة التاريخية لشعوب متعددة خطل هذه النظرية ، فالتفوق الاقتصادي الياباني والتحدي الذي تواجهه الولايات المتحدة الأمريكية وأقطار اوروبا الغربية حياله يوضحان بجلاء عدم صحة التفسير العرقي للتخلف ، كما أن امتلاك شعوب بلدان العالم الثالث ناصية التقنية (التكنولوجيا) العصرية ، وارتقاءها الصاعد في معارج التقدم والتنمية ، بعد حصولها على الاستقلال ، يدعمان صحة هذه النتيجة . وكذلك هناك نظريات حاولت تفسير التخلف بالعوامل الطبيعية ، مثل المناخ الحار أو عدم توافر الثروات الطبيعية أو نقص الأمطار إلخ . وهذه النظريات أيضا ليست صحيحة ، فالتطور الاقتصادي الاجتماعي ، وتاريخ المجتمعات المتخلفة الآن يدحضان ادعاءات هذه النظرية ، فالحضارات البشرية القديمة المصرية والحبشية والبابلية والصينية والهندية وبخاصة الحضارة العربية الاسلامية قامت في البلدان التي تسمى الآن نامية ، والتي تعرف بالمجتمعات المتخلفة . وعندما كانت هذه الشعوب في قمة الحضارة العالمية كانت شعوب أوروبا آنذاك تعيش في ظلام دامس ، وأمريكا لم تكن قد اكتشفت بعد .

إننا نعتقد أن التنمية الاقتصادية الاجتماعية نتاج تفاعل عامل الايديولوجيا مع عوامل اقتصادية واجتماعية أخرى ، فالتطور هو نتيجة تفاعل عوامل متكاملة عديدة تمارس دورها بصورة مشتركة فيما بينها ، وليست نتيجة عامل بسيط بحد ذاته ، غير أن كون العمل هو العامل الرئيسي في النمو الاقتصادي ، فإن كل ما من شأنه أن يحفز على العمل سيقود بحكم الضرورة الى زيادة الثروة ، وبالتالي الى تحسين الوضع الاقتصادي الاجتماعي لمجتمع من المجتمعات . لقد لاحظ الاقتصاديون وعلماء الاجتماع أن إحدى صعوبات المبادرة الى التنمية الاقتصادية في عدد من الأقطار النامية تكمن في التغلب على المقاومة والمعارضة «المؤسساتية» ، حيث تقوم الأنظمة الاجتماعية غالبا على مفاهيم لها قيم موروثة أكثر صرامة من الغرب الاوروبي ، وهذه المفاهيم تعيق بشدة فرص التقدم الفردي . ومن الطبيعي أن الايديولوجيا ليست منعزلة عن حالة التقدم الاجتماعي في أي بلد من البلدان ، بل إنها تتفاعل معها ، فالكنيسة الكاثوليكية التي كانت تدعو أتباعها إلى الزهد والكفر بالحياة الدنيا بقيت فترة طويلة عاملا من عوامل التخلف في أوروبا ، حتى اضطرتها ظروف الحياة العصرية إلى التساهل في هذا الصدد ، وما الاصلاحات الدينية مثل الاصلاح الانغليكاني واللوثري إلا رد فعل على تشدد الكاثوليكية في اتجاهها اللاهوتي ، وعدم قدرتها على تحفيز الناس على العمل والانتاج ، وقصورها في حث البشر على التقدم والنمو بينما جاءت البروتستانتية (الحركة الاجتماعية) لجعل العمل نوعا من العبادة ، فحفزت شعوب اوروبا على التخلص من إسار النظرة اللاهوتية للدين ، ودفعتها إلى إدخال عامل الانتاج ووفرة السلع في الحسبان . يقول آلان مونتاجوي (Alan Mountjoy) في كتابه « التصنيع والبلدان النامية » إن أحد عوامل التقدم والتنمية في الغرب كان ذلك التحول الذي جرى منذ زمن طويل عن ارضاء القيم الثقافية الدينية (يقصد بذلك الزهد الروحاني الذي كانت تدعو له الكاثوليكية) إلى إرضاء قيم التملك والكسب ، لأن الغرب برأيه « أخذ ينظر إلى التنمية بلغة اقتصادية ، أي زيادة السلع والخدمات بالنسبة للفرد إلى الحد الأقصى » ، وبمعنى آخر ان تطور الأيديولوجيا في الغرب قد سار من قانون الجهد الأقل ، من الزهد بالدنيا إلى قانون الجهد الأكبر ، إلى الحصول على أكبر كمية ممكنة من السلع والخدمات ، وهذا لم يتحقق إلا بمزيد من العمل .

يرى الاقتصادي بول بايروك (Poul. Bairoch) في كتابه « مأزق العالم الثالث » أن أحد عوامل الانطلاق الاقتصادي في اليابان يرجع إلى العقلية اليابانية المرتبطة بالبوذية اليابانية والممارسة الشنتوية

(نسبة إلى فئة الشنتو) التي جعلت من اليابانيين أكثر توجها نحو العالم ونحو العمل من عالم ماوراء الطبيعة والتأملات . وتجري محاولات جادة في الصين لبعث الكونفوشيوسية (نسبة للفيلسوف كونفوشيوس) بحلة جديدة ، وكذلك تجري محاولات في كوريا - وبخاصة الشمالية - لبعث فكرة زوتشه ودمجها بالماركسية ، من أجل التحفيز على العمل وزيادة الانتاج إن حب العمل والزيادة منه هو العامل الرئيسي في أية تنمية .

نحن وقانون الجهد الأقل :

إنه لأمر يدعو الى التفكير أن يكون الوطن العربي من أقصاه الى أقصاه مشمولا بالمجتمعات المتخلفة ، وعلى الرغم من محاولات المفكرين تفسير ظاهرة التخلف في الوطن العربي والعالم الاسلامي بعوامل متعددة ، تأتي في مقدمتها ظاهرة الاستعمار ، وما فرضه على هذه الأقطار من أساليب الهيمنة الاقتصادية ، وطرق النهب غير الاقتصادي ، فإن الأمر الذي لا يجد تفسيرا له هو كيف استطاعت

الدول الاستعمارية أن تفرض سيطرتها على هذه الأقطار ، مع أن عدد سكان المستعمرات أكبر بكثير من عدد سكان الدول المستعمرة نفسها ؟ ! ولعل السؤال الأكثر تعقيدا هو كيف استطاعت اوروبا المدينة بحضارتها وتقدمها للحضارة العربية أن تسبق الوطن العربي ، وتفرض سيطرتها على أقطاره كلها ؟ ! صحيح أن الاستعمار كان سببا في عرقلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الأقطار المستعمرة منذ دخوله إليها ، لكن هذه المستعمرات عرفت نوعا من الركود ، بل والانحطاط قبل أن تطأها أقدام المستعمرين . ألا يعني هذا أن هناك عوامل ذاتية قادت الى ظاهرة التخلف ؟

لقد حاول اقتصاديون وعلماء اجتماع غربيون تفسير حالة التخلف التي كانت تعاني منها أقطار الوطن العربي والأقطار الاسلامية الأخرى بنظرية الأديان القدرية ، معتبرين أن الاسلام دين قدري ، حيث يميز أصحاب هذه النظرية بين دين يحفز على التطور - ويرون أن البلدان التي تقطنها شعوب بروتستانتية كانت سباقة الى التقدم والتنمية - وبين دين يلعب دور الكابح للتقدم ، حيث أن الأقطار التي تقطنها شعوب تدين بالكاثوليكية لم تعرف التقدم إلا بعد أن تم تحررها من سيطرة الكنيسة . وقد رأينا سابقا أن الكنيسة الكاثوليكية كانت تدعو أتباعها للزهد بالحياة الدنيا ، وعدم السعي وراء الكسب ، بينها تعتبر البروتستانتية العمل نوعا من العبادة ، وتحث أتباعها على العمل لزيادة كمية السلع والخدمات بالنسبة للفرد الواحد وفي الواقع تلعب الايديولوجيا دورا هاما في حياة المجتمعات وتطورها الاقتصادي ، دورا تقدميا أحيانا وسلبيا أحيانا أخرى ، لكن الايديولوجيا ليست مستقلة عن درجة التقدم الاقتصادي والاجتماعي والصحيح أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية بحكم كونها تتجه الى التقدم أو الجمود تقود الى تفسيرات مختلفة للأديان ، وإلا كيف يمكن أن نفسر الحضارة والمدنية العربية الاسلامية التي لم يعرف لها التاريخ مثيلا ؟ ألم تكن هذه الحضارة وليدة الاسلام ، ذلك الدين الذي يشيد بالنجاح ، ويشجع المبادرة في المجال الفكري والاقتصادي ؟ وما الذي تغير حتى دخل الوطن العربي في مرحلة الركود الاقتصادي والجمود الاجتماعي ؟

لقد كرم الاسلام العمل ، واعتبره واجبا ، حيث جاء في القرآن الكريم : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » . كما حث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على العمل ، وأنزله منزلة العبادة . فقد امتدح قوم رجلا الى رسول الله بالاجتهاد في العبادة والغنى عن العمل ، وقالوا صحبناه في سفرنا ، فما رأينا بعدك يارسول الله أعبد منه ، كان لا ينتقل من صلاة ولا يفطر من صيام ، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمن كان يمونه ويقوم به ؟ فقالوا : كلنا يارسول الله . قال . كلكم أعبد منه ولقد شدد الاسلام على العمل وإعمار الأرض ، فقد جاءت الآية الكريمة « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله

والمؤمنون » ، فحث المسلمين على العمل باعتباره قيمة عليا بذاتها . وقد حث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الاستمرار في الانتاج ، ومواصلته مهما كانت الظروف ، فقد قال : « إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها ، فليغرسها ، فله بذلك أجر » . ويذهب بعضهم الى أنه لا يجوز في الاسلام أن تنفصل الملكية عن العمل ، لأن العمل فريضة وواجب ، يمليه الشرف ، ويضيفون أنه إذا تحولت الملكية عن وظيفتها الاجتماعية الى اداة للترفع عن العمل أو استغلال عمل غيره وجبت مصادرتها ، أو على الأقل تحويلها الى ملكية عامة (عبد الغني سعيد : تقدمية الاسلام وعالمنا المتطور) . من كل ما سبق نخلص الى نتيجة أساسية : أن الاسلام دين المبادرة والنجاح ، دين الدعوة للعمل والابتكار ، دين الكسب الحلال المرتبط بالعمل ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « إن أشرف الكسب كسب الرجل من يده . وحرّم الاسلام الربا لأنه مصدر دخل دون عمل ، واعتبر الاحتكار خطأ ، لأنه مصدر لدخل غير مرتبط بالعمل ، فقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطيء » .

وقد يستغرب أحدنا أو لا يستغرب إذا عرف أن الاقتصاديين وعلماء الاجتماع الغربيين يفسرون حالة التخلف في الوطن العربي والعالم الاسلامي باعتبار الاسلام دينا قدريا يدعو للتواكل . وقد يكونون جاهلين بالاسلام ، ولهم من جهلهم به معذرة ، أو يكونون حاقدين على العروبة والاسلام ، فيريدون عمدا الاساءة إلينا ، أو قد يريدون الدفاع عن الاستعمار والامبريالية لتبرئتها من مسؤوليتها التاريخية والحالية حيال تعثر عملية التنمية في الوطن العربي والعالم الاسلامي اللذين عانيا من الاستعمار في الماضي ، ويعانيان من النهب الامبريالي في الوقت الراهن ، فنفهم بذلك دوافعهم ، ونحدد موقفنا منهم . لكن أحدا منا لا يمكن إلا أن يستغرب عندما يتجول في أقطار الوطن العربي وفي الخارج ، فيرى ملايين من أبناء أمتنا العربية من المترفعين عن العمل الذين يملأون المقاهي والملاهي ، ويعيشون على حساب هبات الطبيعة ، ويبددون الأموال دون حساب ، ولا يمكن لأحدنا إلا أن يستغرب ، بل ويستنكر وهو يرى ملايين الهكتارات من الأراضي العربية غير مستغلة ، وتضطر أقطارنا العربية لاستيراد المواد الغذائية من دول تستخدم هذا الغذاء سلاحا للضغط علينا ، في نفس الوقت الذي نرى فيه ملايين العمال العرب بغير عمل ، وهم راغبون أو غير راغبين فيه ، والأموال العربية معطلة أو مودعة في المصارف الأجنبية ، تغذي الاقتصاديات الغربية الداعمة لآلة العدوان الصهيوني .

إن قانون الجهد الأقل هو السبب الرئيسي في عرقلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في وطننا العربي ، وهو يتناقض مع تراثنا وحضارتنا وعقائدنا ، وإنه لأمر مستغرب أن نكون أمة لها تراثها وتنتمي الى هذه العقائد فتبقى متخلفة . لقد آن الأوان لندفن في ذواتنا قانون الجهد الأقل ، ونعمل على إعمار الأرض والارتقاء في معارج التقدم . وليعلم كل منا القول الحق ، قوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . إننا بغير هذا نستهلك ثرواتنا ، ونحكم على أنفسنا بالتخلف ، وعلى أجيالنا القادمة بالهلاك . ذلك أن العمل مصدر كل ثروة ، كما كان يقول ابن خلدون مشيرا الى أن أرض السودان غنية بالذهب ، لكن البلد يبقى فقيرا لأن رفاهية أي شعب لا تتعلق بوجود الذهب ، بل بحب السكان للعمل . □

● قيل لاعرابي : ما أعددت لحالي فقرك والغنى ؟
فأجاب : الذي أعددته لحفظ الغنى ، هو الذي أعددته لصرف الفقر .

الانفتاح العربي

على الحضارات الأخرى

بقلم : الدكتور محمد عمارة

لا توجد في التاريخ القديم أو الحديث حضارة نقية ، أنجزها أبناؤها دون أن تكون لها مع الحضارات الأخرى صلات وعلاقات وتأثر وتأثير .
وحضارة العرب في الماضي ، ومحاولات الانبعاث الحضاري في هذا العصر لا تخرج عن هذا الإطار الذي عرفته جميع الحضارات .
فما هو اجتهاد الكاتب في هذا الأمر ؟

في مختلف ميادين الفكر وقضاياه ، يستطيع العقل أن يرصد ويبصر « الشواهد » على وجود ما هو مشترك فكري عام بين الإنسانية جمعاء ، وماهو « خصوصية حضارية » تتميز بها بعض الحضارات ، وهناك شهادة التاريخ التي تدعم هذه الشهادة الفكرية ، عندما تؤكد على أن التلاقي والتفاعل اللذين عرفهما التاريخ بين الحضارات العريقة ، المالكة لما هو مشترك ، وما هو « خاص » قد تم وفق هذا القانون ، وحكمة هذا التمييز ، فتلاقي الحضارات ـ وهو معلم من معالم التاريخ الحضاري للإنسانية ـ وتفاعلها عندما تتلاقى قدر لا سبيل إلى مغالبته أو تجنبه ، لكنه يتم دائما وأبدا وفق هذا القانون الحاكم : التمييز بين ما هو مشترك إنساني عام ، تفتح له الأبواب والنوافذ ، بل ويطلبه العقلاء ، ويجدون في السعي لتحصيله ، وبين ما هو خصوصية حضارية ، يدققون ـ بحذر ـ قبل استلهامه وتمثله ، ويعرضونه على معايير حضارتهم لفرز ما يُقبل منه ويُتمثّل . من ذلك الذي يرفضونه لما فيه من تناقض مع هويتهم الحضارية وقيمهم الاعتقادية ، وأصولهم التي تكون ما يشبه « البصمة » للشخصية الحضارية والقومية التي هي مناط التميز ،

رغم التطور والتفاعل اللذين تمارسهما هذه الشخصية مع الآخرين .

مثالان شهيران

ونحن إذا شئنا أن نضرب بعض الأمثلة على تلاقي الحضارات وتفاعلها ، الذي عمل خلاله هذا القانون ، فإن لدينا مثالين شهيرين وثيقي الصلة بموضوع هذا الحديث

أولهما . التقاء حضارتنا العربية الاسلامية إبان نهضتها وازدهارها بالحضارات الفارسية ، والهندية ، واليونانية ، وثانيهما التقاء الحضارة الغربية إبان نهضتها بحضارتنا العربية الإسلامية .

على أي نحو وفي أي المجالات كان الاستلهام ؟ وعلى أي نحو وفي أي المجالات كان الحذر والرفض للغزو الفكري ؟

إنها « شهادة التاريخ » على عمل هذا القانون ، تدعم « شهادة الفكر » التي قدمناها فيما سبق

ليس هناك شك في أن الفتح العربي للامبراطورية الفارسية ، ودخول الفرس بمواريثهم الحضارية الغنية في إطار الدولة الإسلامية قد أتاح أوسع الفرص لتفاعل حضاري واسع وعميق وخلاق بين الحضارة الفارسية وبين الفكر الإسلامي الذي كان هو النواة التي تبلور حولها الحضارة العربية الإسلامية الجديدة . ولقد زاد من فرص هذا التفاعل ما بلغه العنصر الفارسي - حامل الميراث الحضاري - من مواقع مؤثرة في دوائر الفكر والسلطة ، في دولة الخلافة . وبخاصة العباسية منها ، وما بلغه العلماء من ذوي الأصول الفارسية ، ميدان الفكر من جودة في الإبداع ، وسوع في ميادين العطاء

لكن الراصد لهذا التفاعل بين الفكر الإسلامي ابان تبلور حضارته وبين الميراث الفارسي الوافد والطارىء بعد الفتوحات ، يستطيع أن يميز بين ما « قُبِل » وبين ما « رُفِضَ » أو وُوجه بالمعارضة والمقاومة من هذا الميراث

لقد فُتحت فارس في عهد الراشد الثاني عمر بن الخطاب . وكذلك فتحت الأودية الزراعية للأنهار الكبرى في الدولة الإسلامية ، النيل ، وبردى ، ودجلة ، والفرات ولم يتردد عمر بن الخطاب في تبني النظام الفارسي في ضريبة الأرض الزراعية الذي كان يسمى « وضائع كسرى » ، وظل سائدا ومعمولا به حتى عُدّل في ظل الدولة العباسية . وهنا تم استلهام تجربة حضارية ، وخبرة قومية ، في طرق تقدير الضريبة على الأرض الزراعية

حذر العرب

لكن العرب كانوا حذرين كل الحذر ، وشديدي الرفض والمقاومة ، لكل ما هو خصوصية حضارية فارسية ، تتعارض مع معايير الإسلام وجوهر معتقداته ، وخصائصه الحضارية المتميزة . لقد رفضت الخلافة الاسلامية - وهي نمط متميز في نظم الحكم - ما تميزت به مواريث الحضارة الفارسية في نظام الحكم وفلسفته السياسية ، التي كانت ترى رأس الدولة - كسرى - ابنا للإله « أهورا - مزدا » ، يحكم باسمه نيابة عنه ، زاعما أن لقانونه وتنفيذه قداسة الاله والدين . كذلك رفضت حضارتنا الاسلامية ميراث الفرس في « النظام الطبقي المغلق » ، لتعارضه الجذري مع فلسفة الإسلام في المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات . والذين يقرأون مصنفات علماء الإسلام في (الملل والنحل) وصراعهم الفكري مع الفرق والمذاهب غير الاسلامية يدركون المقاومة الباسلة التي ووجهت بها مذاهب الفرس وعقائدهم وفلسفاتهم من قبل حضارتنا العربية الاسلامية ، فالمجوسية والزرادشتية ومذاهب أخرى مثل المانوية (الثنوية) بفرقها المتعددة . تحتل معارضتها صفحات كثيرة في عشرات المجلدات التي تصدت للوافد الضار المرفوض . وكذلك صنع المتكلمون والفلاسفة المسلمون مع « الغنوصية » التي كانت ثمرة هيلينية في تربة التصوف والعرفان الشرقي ، اتجهت إلى تحصيل المعرفة بالذوق والحدس وليس بالعقل أو الحواس

فحين فتحت الأبواب للتجارب الإنسانية العملية ولعلوم التمدن العملي كان الحذر ، بل والمقاومة للفلسفات والمعتقدات المخالفة لمعاييرنا الحضارية ،

سـواء في السياسـة أو الاجتمـاع أو الـدين أو الفلسفات .

وكذلك كان حال حضارتنا عندما فتحت الشام ومصر وبلاد الشمال الإفريقي ، ذات الميراث البيزنطي . ففي الوقت الذي تبنى فيه عمر بن الخطاب « تدوين الدواوين » ، وهو خبرة إدارية بيزنطية . وسعت الدولة الأموية ممثلة في أميرها خالد بن يزيد (٩٠هـ - ٧٠٨م) إلى مدرسة « الاسكندرية » ، فبدأت حركة الترجمة للعلوم الطبيعية والتجريبية وفنون التمدن العملي ، التي سميت « علوم الصنعة » ، في نفس الوقت الذي تبنت فيه حضارتنا هذا اللون من المعارف والعلوم والتجارب الإنسانية ، كانت حربها ضد الغنوصية خاصة والهيلينية في الفلسفة والعقائد والتصورات بوجه عام ، وكذلك معارضتها لعقائد المسيحية ومذاهبها التي أخرجتها الروح الهيلينية عن نقاء عقيدة التوحيد . كان ذلك شهادة تاريخ التفاعل الحضاري على عمل قانون التمييز بين ما هو خصوصية حضارية وما هو « مشترك إنساني عام » ، فالباب مفتوح لعلوم الصنعة ، موصد أمام شريعة الرومان .

عندما التفت حضارتنا الاسلامية بمواريث الهندوس في الحضارة الهندية ، عمل هذا القانون فالبيروني (٣٦٢ - ٤٤٠هـ ٩٧٣ - ١٠٤٨م) الذي نهض بمهام البعثة العلمية وأعبائها ، عندما عاش في الهند أربعين عاما ، عقب الفتح الغزنوي لبعض أقاليمها ، وقام بدراسة تاريخ الهند وتراثها وحضاراتها دراسة العبقري المتفرد . البيروني هذا ، يعلمنا - دون أن يعرض مباشرة لقضيتنا هذه - كيف ميز أسلافنا في تراث الهند ، بين « الحساب الهندي » و « الفلك » ، فأخذوهما وطوروهما . وكذلك صنعوا مع غيرهما من علوم الطب والأعشاب الدوائية .. الخ . فكيف ميزوا بين هذه العلوم الطبيعية والعملية والتجريبية ، التي أخذوها وطوروها ، وبين ديانات الهند ومذاهبها وفلسفاتها ، التي رفضوها ، لتعارضها مع التوحيد الإسلامي ، ومع إلهية المصدر الديني في الإسلام كديانة سماوية ، نزل بها الوحي على الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

مدى جدّية الاعتراض

وإذا كان الخلاف غير وارد أو غير مبرر ، مع هذه الحقائق التي قدمناها عن عمل قانون التفاعل الحضاري ، في التقاء حضارتنا العربية الإسلامية بمواريث الفرس والروم والهنود ، فإن خلافا وجدلا لابد أن يثورا عندما نقول: إن أسلافنا قد أعملوا هذا القانون . على هذا النحو عندما انفتحوا وتفاعلوا - على النحو المعروف - مع تراث اليونان ، ذلك أن ترجمة العرب للفلسفة اليونانية واحتفاءهم بهذه الفلسفة ، والمنزلة التي بلغها فلاسفتها - وبخاصة « أرسطو » (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) ، وأفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م) - في التراث الفلسفي لحضارتنا ، كل ذلك لابد أن يثار كاعتراض على قولنا أن التبني والاستلهام قد وقف عند علوم الصنعة الطبيعية والعملية والتجريبية ، وأن الحذر والمعارضة والرفض قد جابهت الإنسانيات ، والفلسفة في مقدمتها ، ولذلك فلابد من وقفة متأنية ، نختبر فيها جدية هذا الاعتراض ، وصدق مضمونه ، لنرى وجه الحق في هذا الموضوع .

وليس هناك خلاف على أن العرب قد سعوا إلى ترجمة العلوم الطبيعية اليونانية ، آخذين إياها من مصادرها الشرقية - أساسا - في البلاد التي فتحوها . فترجموا تراث اليونان في الطب والكيمياء والهندسة والرياضيات والميكانيكا (الحيل) والزراعة والمناظر والحساب والمنطق ، وغيرها من العلوم الطبيعية والعملية والتجريبية ، ثم أضافوا إليها إبداعهم الذي شهد به المنصفون من علماء الغرب وأساتذة الاستشراق .

كذلك لا خلاف على أن هناك ميادين في المعتقدات والإنسانيات اليونانية قد نفر منها العرب ، فضربوا عنها صفحا ولم يترجموها ، ولا حتى للمتخصصين من العلماء ، وذلك مثل عقائد الوثنية اليونانية وأساطير آلهتها ، وآداب اليونان وفنونها .

إذن مبدأ التمييز قائم ، وبه وعليه يشهد تاريخ التفاعل بيننا وبين حضارة اليونان ، لكن علامة الاستفهام تظل خاصة بحقل الفلسفة . فلماذا أعطى

العرب هذا الوزن الكبير لفلسفة اليونان ، ترجمة وشرحا ، حتى تضخمت آثارها في تراثنا الحضاري ؟

وعن هذا السؤال المشروع نجيب الإجابة التي تؤكد صدق واطراد « قانون التفاعل الحضاري » الذي ميز دائما وأبدا بين ما هو خصوصية حضارية وبين ما هو مشترك إنساني عام .

لقد كانت المواجهة الأولى بين خصوصيتنا الحضارية وبين الخصوصية اليونانية عندما واجه الإسلام النمط الهيليني في النظر والتفكير الذي كانت « الغنوصية » أبرز مذاهبه في نظريات المعرفة . وكانت الهيلينية - كما وجدها العرب في البلاد التي فتحوها - هي « اليونانية الشرقية » التي امتزج فيها الفكر الفلسفي اليوناني بصوفية الشرق وروحانيته ، ومع هذه الهيلينية كانت أولى معارك الإسلام الفكرية

والحقيقة التي يجهلها كثيرون هي أن المسلمين الذين أبدعوا « عقلانيتهم الإسلامية » المتميزة ، وعلم الكلام الإسلامي ، الممثل لفلسفة الإسلام المتميزة ، منذ النصف الثاني من القرن الهجري الأول ، وقبل ترجمة اليونانيات ، هؤلاء المسلمون قد اتجهوا إلى ترجمة الفلسفة اليونانية وترجمة عقلانية أرسطو أولا وبالتحديد لا ليتخذوا منها فلسفة لهم وللإسلام ، وإنما ليردوا بها - كسلاح يوناني - على الهيلينية - وثمرتها الغنوصية - التي هي تأثيرات يونانية ، مزجت بصوفية الشرق ، وروحانية الشرقيين ، فأنصار الغنوصية كانوا - كمتغربي زماننا - أثرا يونانيا في الشرق ، وامتدادا شرقيا لفكرية اليونان ، فعمد علماؤنا وأعلامنا إلى ترجمة العقلانية اليونانية ، ليردوا بها على أنصار اليونان ، وكأنهم أرادوا أن يقولوا لهم : إذا كنتم لا تحترمون إلا ماهو وافد ومستورد يوناني الصنع ، فها نحن نجابهكم بأرسطو ، المعلم الأول عند اليونان ، وأبرز عقولهم الفلسفية على الاطلاق ، نجابهكم بالعقلانية اليونانية ، نقضاً لغنوصية الأفلاطونية المحدثة اليونانية ، استخداما للأسلحة التي تحترمونها وتعظمونها .

أدلة قاطعة

ولنا على هذا التحليل أكثر من دليل .

كانت الهيلينية و « الغنوصية - الباطنية » هي « تغريب » ذلك العصر ، والغزو الفكري الذي أصاب به الغرب اليوناني الشرق منذ انتصار الاسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) على الدولة الفارسية (٣٣٦ ق.م) ، وبنائه امبراطوريته الشرقية . ولقد غبشت هذه الهيلينية توحيد المسيحية الشرقية الأولى ، فلما ظهر الإسلام خاضت ضده المعارك ، في البلاد التي فتحها المسلمون ، لكن المسلمين بعد أن بلوروا عقلانيتهم المتميزة ، تقدموا فاستعانوا بالعقلانية الأرسطية في نضالهم ضد الهلينية والغنوص ، فكانت - كما أشرنا - ترجمة الفلسفة اليونانية استعانة بحقيقة الفكر اليوناني على هزيمة صورته الشرقية المهجنة بسلاح معترف به من الغنوصيين ؟!

وعلى هذه الحقيقة يشهد شاهد من أهلها ، هو المستشرق الألماني بكر (كارل هينرس) (١٨٧٦ - ١٩٣٩) عندما يقول : « إننا نرى كفاح المسيحية من أجل استقلالها ، وتوكيد ذاتها بإزاء الروح اليونانية المجسدة في « الغنوص » يتكرر من جديد في الإسلام في القرون الأولى تحت أسماء أخرى ، فكما كانت المسيحية الأولى معادية للروح الهيلينية كان الإسلام في الصدر الأول على العموم معاديا هو الآخر للروح الهيلينية . والميزة الرئيسية للقرآن هي أنه كان يؤثر تأثيرا مضادا للروح الهيلينية في عصر تغلغلت فيه الهيلينية وفي اللحظة التي تخطى فيها الإسلام حدود مهده الأول ، بدأ الصراع والتصادم . إن المانوية والزرادشتية كانتا بالنسبة للإسلام عدوتين خطيرتين كالمسيحية ، وإن « غنوص » المانوية والمذاهب الشبيهة بها كانت خطيرة على الإسلام خطرا مباشرا . لذلك نرى أن أول مدرسة كلامية في الإسلام - ونعني بها المعتزلة - قد استفادت بعضا من أصولها ومسائل بحثها عن طريق كفاحها ضد المانوية . وفي كل هذه الألوان من الكفاح تكونت جبهة كفاح فريدة في بابها ، فالدولة والمذهب الديني الرسمي يسيران

هنا ، كما يسيران في كل مكان جنبا إلى جنب في صف واحد ، لكنهما في كفاحهما ضد « الغنوص » الذي لا يعترف لأحد بسلطان يهبيان بالروح اليونانية الحقيقية - (الفلسفة اليونانية) كي تساعدهما . لقد كان الغنوص يحارب الإسلام دينيا وسياسيا ، وفي هذا النضال استعان المسلمون بالفلسفة اليونانية وعنوا بإيجاد عالم من العلوم الدينية العقلية ، فكأن الإسلام الرسمي قد تحالف إذن مع التفكير اليوناني والفلسفة اليونانية ضد « الغنوص » الذي كان خليطا من المذاهب القائمة على النظر والمنطق ، وعلى مذاهب الخلاص . ومن هنا نستطيع أن نفسر حماسة الخليفة المأمون للعمل على ترجمة أكبر عدد ممكن من مؤلفات الفلاسفة اليونانيين إلى العربية . وقد اعتاد الناس أن يفسروا هذا حتى الآن بإرجاعه إلى ميل المأمون إلى العلم وحبه له ، لكن إذا كانت الرغبة في ترجمة كتب الأطباء القدماء قد نشأت عما اشتهرت به المدارس الطبية الكبرى من حاجة عملية إلى هذه الكتب ، فلعل ترجمة كتب أرسطو أن تكون قد نشأت بالضرورة عن حاجة عملية كذلك ، وإلا فإنه إذا كانت المسألة مسألة حماسة للعلم ورغبة خالصة في تحصيله فحسب لكان هوميروس أو أصحاب المآسي من بين من ترجمت كتبهم أيضا ، لكن الواقع هو أن الناس لم يحفلوا بها ، ولم يشعروا بحاجة ما إليها .

تلك شهادة المستشرق الألماني « بكر » على أن ترجمة الفلسفة اليونانية والاهتمام بعقلانية أرسطو خاصة لم تكن عن رغبة في جعلها فلسفة الإسلام والمسلمين ، وإنما كانت استعانة بالعقلانية اليونانية الصريحة على هزيمة الغزو اليوناني ، كما تمثل في خليط الهيلينية والغنوص !

أصول الغنوصية

وبقدر الأهمية المحورية لهذه الحقيقة التاريخية فإنها تستحق وقفة متأنية تجلو حقيقتها كامل الجلاء .

إن الغنوصية - كمذهب باطني عرفاني - كانت قائمة على إنكار الخصوصية الحضارية ، مثلها في ذلك مثل « الغزو الفكري التغريبي » الحديث والمعاصر ، ذلك أنها قد جمعت بالتلفيق خليطا « يونانيا غربيا » ، و « اسرائيليا شرقيا » ، ثم مزجا شديدا محكما ، لكن دون أن تستطيع إخفاء ملامح أصولها الثلاثة :

أ - الأفكار القبالية : المتمثلة في الديانة الشعبية « الاسرائيلية » بما فيها من سرية التعاليم ، والرموز الخفية في التوراة ، والقول بإله تصدر عنه الأرواح المدبرة للكون ، ورمزية الأعداد والحروف ، والحديث عن الإنسان باعتباره « العالم الأصغر » الذي جاء على صورة العالم الأكبر .

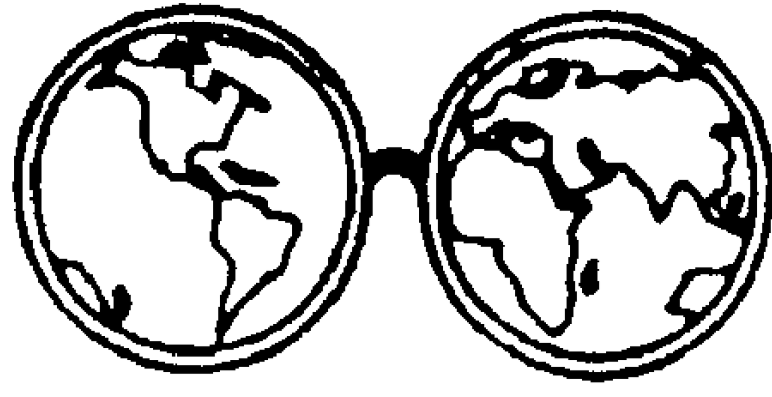
ب - الامبراطورية الحديثة : كما تمثلت في مذهب أفلوطين (٢٠٤ - ٢٧٠م) ، بما تمثله من نزعة توفيقية بين الآراء الفلسفية المختلفة ، وكما تمثلت وتبلورت في مدرسة الاسكندرية من القرن الثالث إلى القرن السادس الميلادي .

جـ - الديانات والمذاهب الفارسية : كما تمثلت في مانوية « ماني » (القرن الثالث الميلادي) . تلك التي حاولت التوفيق بين الزرادشتية ، وقالت بثنائية النور والظلمة ، إلهين للخير والشر ، وكما تمثلت في المزدكية (إحدى فرق المانوية) .

تلك هي أصول « الغنوصية » كمذهب تلفيقي ، يجعل عقيدته أسرارا يضن بها على غير أهلها ، ويسمو بها على عامة المؤمنين ، وعلى العقيدة « الرسمية » ، ويمزج الدين بالفلسفة ، بمعناها اليوناني المثالي ، ويعتمد في تصور الذات الإلهية على نظرية الفيض والصدور ، الأمر الذي جعله مأوى للمعتقدات السرية والخفية ، بل والملحدة أحيانا .

وكما يقول « ماسينيون » (١٨٨٣ - ١٩٦٢م) فإن أصول « الغنوصية » في المرحلة التي تصدت فيها لمحاربة المسيحية الأولى - حتى غبشت توحيدها - كانت « سامرية - يونانية » ، أي أن « الاسرائيليات » مع الوافد اليوناني قد مثلت أصول « الغنوصية » في مرحلتها المسيحية ، أما في مرحلتها الإسلامية ، التي تصدت فيها لمحاولة إفساد عقائد الإسلام ، وتجريد حضارته من خصوصيتها الإسلامية ، فإن أصولها قد كانت - إلى جانب الوافد اليوناني - مانوية ، (أعني آرامية وإيرانية) . □





وَهْمٌ أَمْ.. مُعجزة؟

استطلاع :
سليمـــــان مظهر
تصوير :
سليمـــــان حيدر





يسمونها في الغرب « النمور الصغيرة » ، لكن الواقع يؤكد أن هذه النمور التي تضم كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة وتايلند وهونج كونج ، هزت عرش الأسد الياباني ، وطغيان الغول الأمريكي ، واستغلال الذئب الانجليزي ، وعرفت كيف تسيطر على السوق العالمية بصناعات ومنتجات قد تكون أقل جودة ، لكنها أكثر كمًا ، وذات أسعار تنافسية ، تقبلها الشعوب التي تبحث عن شيء معقول بسعر زهيد ، يكون في متناول اليد ، بعدما اعتصرها الوحوش وامتصوا دماءها !

أكبر هذه النمور الصغيرة « كوريا الجنوبية » شبت عن الطوق ، ونمت أسرع من الآخرين ، واهتمت بالكيف والكم معا ، وسارت بخطى سريعة متطورة لمنافسة الوحوش الكاسرة في الغابة الواسعة المليئة بالمتناقضات.فهل استطاعت تحقيق المعجزة الاقتصادية التي يتحدثون عنها أم ماتزال على الطريق ؟ !

للإجابة عن هذا التساؤل كانت انطلاقة « العربي » الى كوريا ، لتشهد وترى وتسجل ..ما يجري هناك .

العيون الكورية في كل مكان ترحب بك وتحييك ، وتقيسك متأملة أعماقك ، من خلال نزعة اجتماعية راسخة في أرض « الصباح الهادىء » ، وتبعث فيك نشوة السرور بحرارة اللقاء .

وقد يثير استغرابك أن « المملكة المتنسكة » ـ كما يصفونها ـ قد استغرقت وقتا طويلا لتفتح موانيها ومدنها وحدودها للأغراب ، بعد عزلة طويلة أمتدت مئات السنين . لكن الصورة تبدو واضحة إذا تتبعت المآسي التي شهدها الكوريون خلال قرون من السيطرة الصينية ، والطغيان الياباني ، والتخريب الدامي طوال حربين رهيبتين ، إحداهما الحرب العظمى الثانية ، وأخراهما الحرب الأهلية الكورية .

لكن الفلسفة المتأصلة والنظرة الحالمة والهدوء الذي غرسته العقائد المتباينة التي مرت بكوريا ـ من الكونفوشيوسية والبوذية « والشامانية » وغيرها من الفلسفات الروحانية ـ هي التي جعلت كوريا « المتنسكة » تواصل الحياة ، رغم المآسي التي شهدتها . وقد استطعنا أن نلمح آثارها على ملامح الناس ، وفي نظرات العيون ، وأعماق النفوس .

ولكي نفهم الانسان الكوري الحديث ، ونفهم بلاده المعقدة ، ونعيش حياته الثقافية المتباينة ، ونساير المجتمع الكوري في هدوئه والتزامه وبساطته ، كان علينا أن نحصل على إجابات عن مجموعة من الأسئلة والمفاهيم ، حول : من يكون هؤلاء الناس ؟ وكيف يواصلون مسيرة الحياة ؟ ولماذا يتبعون الأسلوب الذي يسيرون عليه ؟ وكيف استطاعوا أن يحققوا ذلك النجاح الكبير وهم في ذلك الموقع البعيد من الشرق الأسيوي ؟

لعل الموقع الاستراتيجي لجمهورية كوريا الجنوبية ، وإحاطتها برا وبحرا بقوى كبيرة متصارعة ، قد حدد للكوريين دوافعهم ، ليثبتوا وجودهم ، ويؤكدوا ثقتهم بأنفسهم ، فإلى الشرق تقع اليابان التي تبعد حوالي ٢٠ كم في أقرب مسافة بينهما ، ومن الشمال تحدها كوريا الشمالية المتصلة برا بالاتحاد السوفيتي ، والى الغرب تقع الصين على مسافة ١٩٠ كم في أقرب نقطة إليها عند جزيرة شانتونج الصينية ، وهي تقترب من حدود منشوريا بانحناء طفيف في اتجاه الشرق ثم نحو الغرب .

وشبه الجزيرة الكورية تبلغ مساحتها ٢٢١ ألف كم٢ ، منها حوالي ٩٩ ألف كم٢ تسيطر عليه كوريا الجنوبية ، أي بنسبة ٤٥٪ من المساحة الكلية لشبه الجزيرة ، بينما تسيطر على الجزء الشمالي كوريا الشمالية .

أما سكان كوريا الجنوبية فعددهم حسب آخر إحصاء قد بلغ ٤١ مليون نسمة ، منهم حوالي عشرة ملايين في العاصمة سيول . ويغلب الشباب على سكان الجمهورية ، إذ أن حوالي ٥٥,٩٪ منهم دون الخامسة والعشرين ويمثل سكان الريف حوالي ٢٢,٢٪ من مجمل عدد السكان

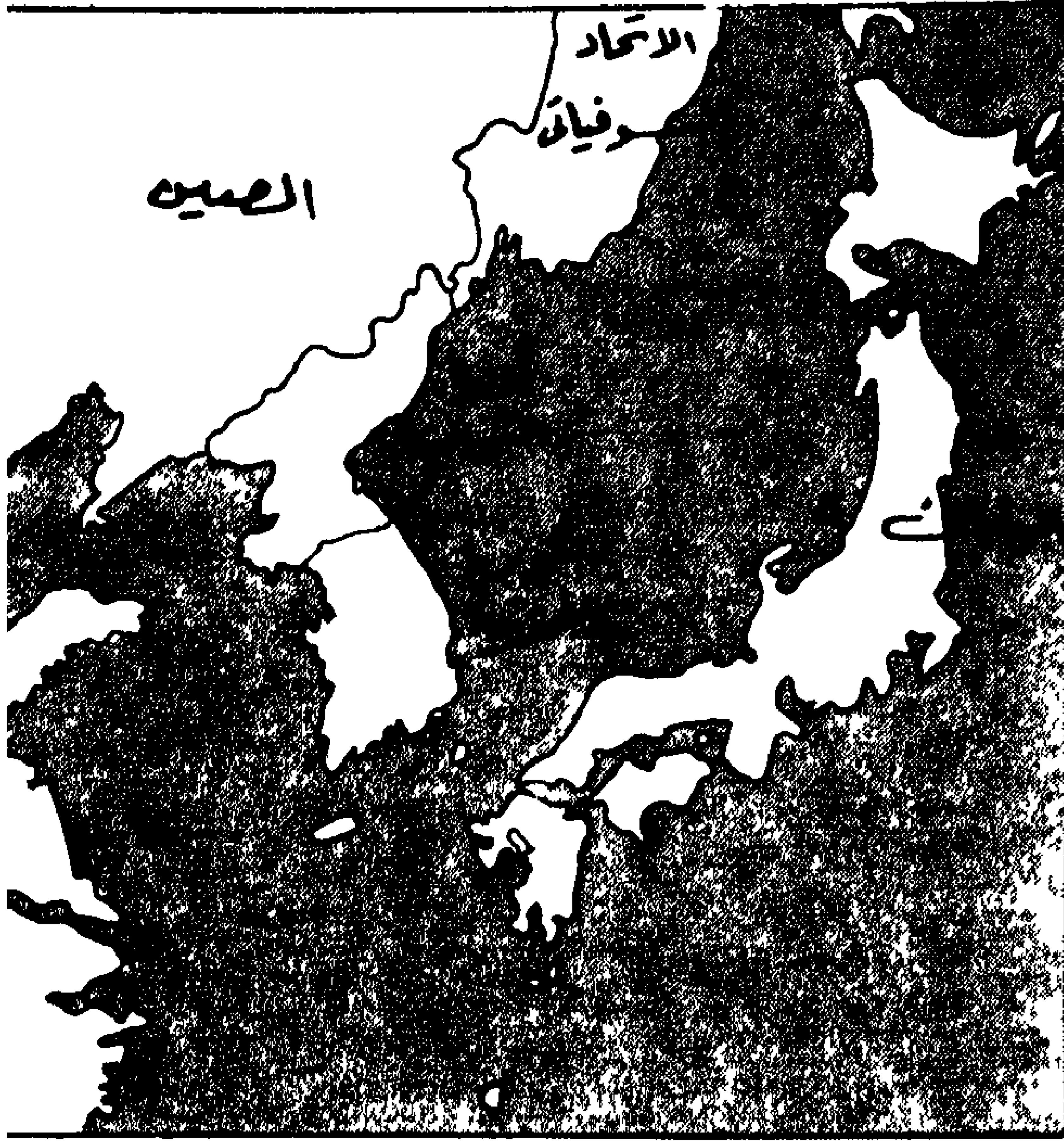
من القشور الى الجذور !

يقولون إنك كي تستطيع أن تدرك مكونات الانسان الكوري ، عليك أن تعمل وكأنك تقشر « بصلة » ، إذ عليك أولا أن تنتزع قشرتها الخارجية الجافة ذات التأثير والمذاق الأمريكى ، ثم تزيل الطبقة السميكة ذات المؤثرات اليابانية ، ثم تحرك بعناية طبقة بعد أخرى من الطبقات الصينية المتتابعة ، ثم تسبر غور اللب الداخلي للجنس البدائي القديم عندئذ ماذا يتبقى ؟ ستجد أن البصلة لم يبق منها إلا الجذور ، ولن تجد بين يديك سوى مجموعة من الكسرات والشظايا المتناثرة المفككة ، وإذا أعدت تجميعها ستظفر بثمرة ، هي خليط من كل نوع ، ثم لا شيء بعد !

هل هناك غير ذلك يرسم لنا شخصية الانسان الكوري ؟ لا شك أن هناك تلك الأصول والمؤثرات النابعة من الجذور التاريخية والجغرافية والاجتماعية والتقليدية

كتب أحد المؤرخين يقول « إن كوريا كانت دولة حدودية ، تحيط بها القوى الكاسرة من كل جانب عاشت قزما بين عمالقة ، وحملا وسط ذئاب ، وغزالا في عرين سباع فعلى مدى حوالي ألف سنة ظلت تلك الملامح واضحة على وجوه الكوريين ، ويفسر ذلك المعنى مثل شعبي كوري عندما تتعارك الحيتان ، تصاب صغار الروبيان » !

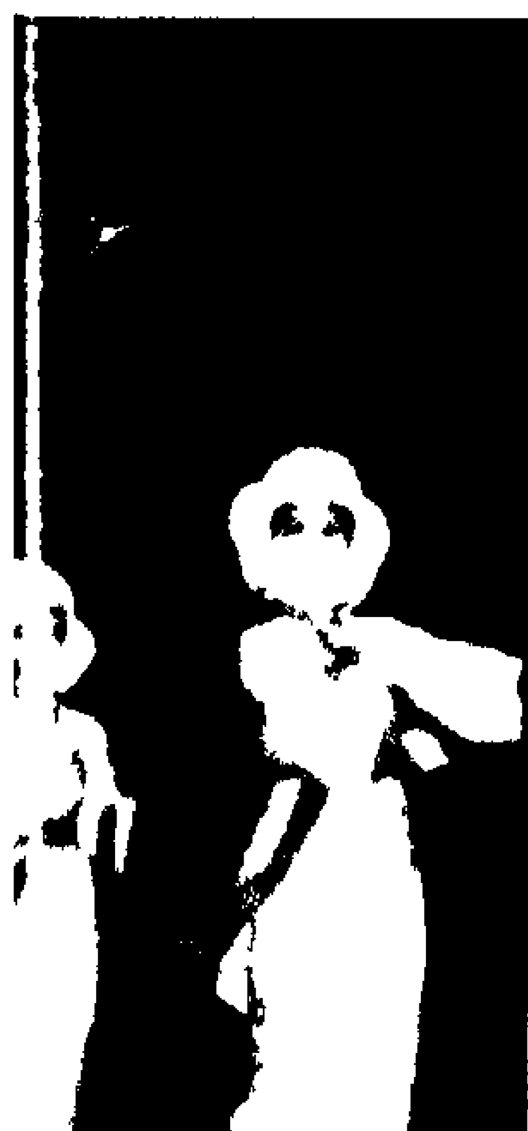
إن الخصائص التي مكنت الكوريين كشعب متباين الحدود من مواصلة العيش وبدت شديدة الوضوح في مواقفهم وتصرفاتهم وطباعهم ، تتلخص في ثلاث صفات أولها المرونة ، وثانيها العناد ، وثالثها القدرة على المزج بين السخرية والهجاء ، وبين الفكاهة والمرح !



● خريطة كوريا الجنوبية تحيط بها اليابان والصين والاتحاد السوفيتي

لكن ما لاحظناه هو أن صبر الكوري لا يعني سلبيته ، وأن مرونته لا تعني ضعف شخصيته ، بل إن عناده وتحمله يؤكدان في كثير من الأحيان دأبه ومثابرته وحديته ، وهي ميزة تفسر الميزتين السابقتين والحديث عن مؤثرات الصبر الصيني أو التكيف الياباني أو التذبذب الأمريكي ، قد يبدو أقل من ذلك عمقا ، فالخليط من المكونات الشعبية في أعماق الكوري ظهرت مبكرة قبل التأثيرات الخارجية ، لكنها تطورت مع تطور الأحداث وقد يبدو ذلك بصورة أوضح من خلال متابعة المظاهرات والمصادمات وحركات الاضراب التي تطالب بمزيد من دعم الديمقراطية والحرية للشعب ، فهذه الحركات تمثل تركيبة معادلة جديدة ، ستسفر في الغالب عن تغييرات هيكلية في البنيان السياسي والاقتصادي للمجتمع الكوري ، الذي أثبت أنه مجتمع حي ، ارتفعت لديه درجة الحس والوعي السياسي بقدر ما ارتفع مستواه المعيشي اقتصاديا . ولا شك أن الطفرات الكبيرة التي حققها الاقتصاد الكوري هى ما شجع العمال على المطالبة بحقهم في

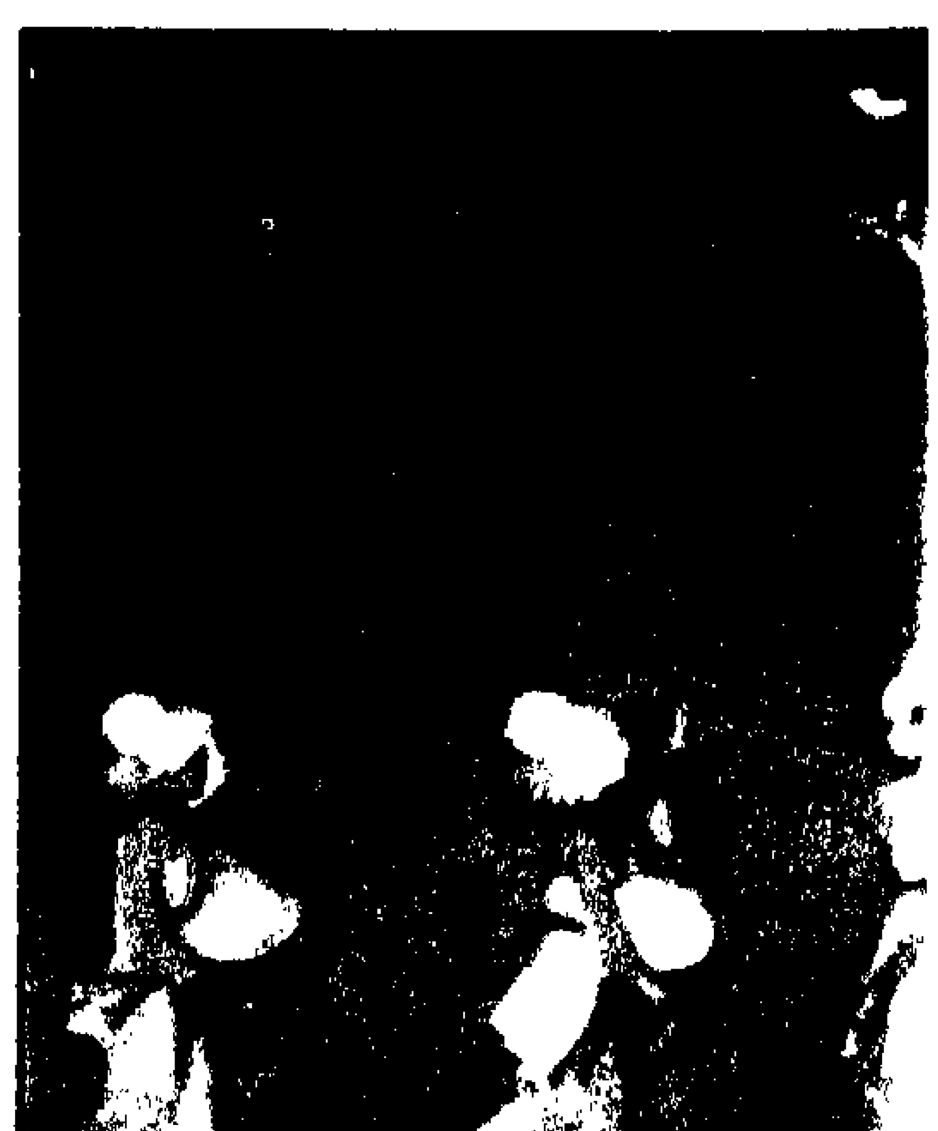












● شريحة من العرض الحي للفنون والموسيقا والرقص التقليدي كما يقدمها « البيت الكوري » وأغلبها مستوحى من الطقوس القديمة والمهرجانات الشعبية ومن أهمها رقصة المراوح الحية

أن يكون لهم نصيب من الثروة الجديدة ، وأن تكون لهم تنظيماتهم الخاصة التي تعبر عن آرائهم بوضوح ، وبحرية مطلقة ، دون تدخل من أي جانب آخر . وقد دعم الطلاب هذا الموقف بتأكيد مطالبهم بالرغبة في التعبير بحرية ، وضرورة حل المشكلة الديمقراطية ، والتوزيع العادل للدخل ، على ضوء الطفرة الاقتصادية ، وهي طفرة لم تتحقق إلا بإرادة الشعب ومثابرته على الجد والعمل ، وقدرته على صنع تطوره المطّرد من أجل حاضره ، وحفره الصخر بأظافر من حديد لبناء مستقبله .

النظرة الفلسفية للشعب

طوال جولاتنا ولقاءاتنا ومشاهداتنا أدركنا أن العمل عند الكوري عبادة ، وأن احترام الوقت أساس النجاح . فهذا الشعب يصنع الحياة بالصلابة والتصميم والصبر في آن معا ، وهو يواصل طريقه بالمثابرة والتحدي والحب ، وهو بالعمل والبذل يصنع المعجزات .

ويبدو أن ظاهرة التمدن الحضري وسرعة التنسيق في التنمية الاقتصادية التي صنعها الانسان الكوري قد أحدثتا تغييرا كبيرا في البناء الاجتماعي ، والنظرة الفلسفية للشعب ، فقد اكتسب ثقة متجددة ومشاعر متصاعدة من الاعتزاز والفخار . وأدى ذلك الى تقييم كل جديد على ضوء القيم التقليدية ، خاصة قيمتا البر بالوالدين وحب الوطن . وتضافرت العقائد المحلية لتمكين الشعب من اكتساب رؤية فريدة لنفسه وللعالم أجمع ، كما أكسبته تجارب التاريخ وقيود الحياة الحديثة روح المنافسة والانضباط وتقديس العمل .

فالكوريون شعب يعمل بلا كلل لتحسين ظروف حياته ، وإنجاح خطط التنمية في بلاده . وهم يستيقظون في الصباح الباكر مهرولين الى أعمالهم ، حيث أعلى معدل ساعات عمل في العالم ، يصل الى عشر ساعات في اليوم . وهم ينامون في المساء مبكرا حفاظا على صحتهم ، والتزاما باحترام وقت العمل من أجل سلامة الانتاج .

وهم بالاضافة الى المعدلات الصناعية التي بزُّوا بها كثيرا من الدول بارعون في التجارة ، فالتجارة عندهم هي فن التعامل مع الشعوب ، وهذا الفن مكنهم من الانطلاق الى العالم الثالث على الأخص ، وترويج بضائعهم ومصنوعاتهم حتى في العالم المتقدم نفسه . بالاضافة الى أن الكوري بطبعه بائع أكثر من جيد ، يعرف فن الابتسام وكيف يجتذب الزبون .

إن من يتتبع هذه الصورة في الشعب الكوري يجد أنه قد أصبح هناك طبقة متوسطة عريضة من المهنيين ومديري المصانع ذوى المستوى المتوسط ، وطبقة أخرى من صغار رجال الأعمال والعمال المهرة ، مع طبقتين عليا ودنيا محدودتين .

أعماق الصورة وحديث الأرقام

لابد قبل الخوض في أعماق الصورة أن نتأمل الصفحة المفتوحة للعيان ، وأن نسمع ما يقال ، ونتابع الاحصائيات والأرقام ، وأن نتجول بين معالم النمو والتطور الاقتصادي .

في البداية التقينا رئيس دائرة الإعلام الخارجي بوزارة الإعلام « بارك شينيل » ، دار الحديث حول القاعدة الثابتة التي تقوم عليها المعجزة الكورية ، وسمعنا منه الكثير . قال :

« نحن لا نسمي ما نحققه معجزة ، بل نجاحا على أعلى المستويات ، يتحقق بتضافر عناصر أربعة : تخطيط حكومي سليم ، وطاقة عمالية ماهرة ، وثقة عالية بالنفس ، مع تقديس كامل للحقوق والواجبات .

بهذه العناصر مجتمعة حققت كوريا خلال العقدين الأخيرين أسرع تقدم اقتصادي ، يؤهلها في مدى قصير للحاق بصفوف البلدان المتقدمة . وبعد أن كانت في عداد الدول منخفضة الدخل عام ١٩٦٢ ، بناتج قومي عام لا يتجاوز ٢٣٠٠ مليون دولار أمريكي بالأسعار الجارية ، وبمتوسط لدخل الفرد لا يزيد عن ٨٧ دولارا سنويا ، أصبحت في نهاية ١٩٨٦ ـ وبفضل تنفيذ سلسلة من الخطط الخمسية للتنمية ـ تحقق ناتجا قوميا يصل الى ٩٤٠٠٠ مليون دولار ، ومتوسط لدخل الفرد لا يقل عن ٢٢٦٨ دولارا . وفي نفس هذه الفترة ازداد حجم

تجارتها الخارجية من ٤٨٠ مليون دولار الى ٦٦٣٠٠ مليون دولار في العام الأخير ، بفضل تزايد مبيعات المنتجات الصناعية الى الخارج وقام التصدير بدور رئيسي في تقدم الاقتصاد الكوري ، ولعبت المبادرات الحكومية دورا مهما من خلال تبني تعديلات ضرورية للقيمة النقدية ، وعقود مالية تصديرية قصيرة المدى ، بالاضافة الى تسهيلات جمركية واسعة ، مع تمكين المصدرين من الحصول على المواد الخام الضرورية وتشجيع الاستثمارات الأجنبية .

وهكذا تطورت الصادرات من ٥٥ مليون دولار عام ١٩٦٢ الى أكثر من ٣٥٠٠٠ مليون دولار ، وأصبحت نسبة ٩٥٪ من الصادرات تتمثل في المنتجات الصناعية ، وأهمها الفولاذ والمعادن غير الحديدية والآلات الصناعية والمصانع والسفن والسيارات ، بالإضافة الى الالكترونيات والمنسوجات والأحذية والخشب الابلكاج والإطارات والبلاستيك .

وتبعا لسرعة التنمية الاقتصادية تضاعفت فرص العمل ، فزادت نسبة العمالة من ٧,٧ ملايين مواطن سنة ١٩٦٣ الى ما يزيد على ١٥ مليون مواطن بحلول عام ١٩٨٧ ، وتضاءلت نسبة البطالة من ٨,٢٪ الى ٣٪ فقط . »

التقدم التقني

فهمنا أيضا أن هذا التطور الاقتصادي قد واجه كثيرا من المشكلات ، إذ أن أحد الاتجاهات كان في الاعتماد بدرجة أساسية على القروض الأجنبية ، مما نتج عنه قروض خارجية ، بلغت ٤١ بليون دولار مع نهاية ١٩٨٤ . وكان لهذه القروض أعباؤها الضخمة ، فلم تساعد الاقتصاد بالتأكيد ، لكن مع نظام البنوك الدولي ، وتحت ضغط الديون الضخمة في أمريكا اللاتينية ، كان الوقت مناسبا لتقوم كوريا بترتيب بيتها وتنظيمه . ومن ثم ألغت الحكومة خطط الاقتراض ، وساعدها على ذلك ضخامة الأرباح المتوفرة من عملية تصدير الخدمات ، واستمرار الزيادة في الصادرات ، وبخاصة الصناعات الثقيلة والكيماوية سريعة التطور ، التي تمثل أكثر من نصف إجمالي المنتجات الصناعية .

ومن أجل مزيد من التطور الاقتصادي والانتاج القومي الذي يتزايد بنسبة تتراوح بين ٦٪ و ٨٪ سنويا ، كان العمل يجري على تطوير التقدم التقني في القطاعين العام والخاص ، وقد دعمت الصناعات الصغيرة والمتوسطة بمنحها مساعدات مالية ، وبتوسيع الحصانات الضريبية

وسيواصل القطاع المالي سياسة الانفتاح من أجل مزيد من الجذب الاستثماري ، مع توسيع برامج التدريب الصناعي العلمي لتطوير المستوى النوعي جنبا الى جنب مع المستوى الكمي . وقد وضعت الخطة السادسة للتنمية على أساس الاهتمام بتزويد قطاع الصناعات بالمعلومات الجديدة في مجال التقدم الصناعي والتقني ، لتمكين الصناعات من دخول مضمار المنافسة بشكل مثمر في السوق العالمية .

التصنيع النموذجي

وبدت لنا الصورة أكثر وضوحا ، خلال زيارتنا لأحد الأمثلة النموذجية ، وهي أحد أشهر المصانع المتخصصة في « الصناعات الالكترونية » وتلقى منتجاتها رواجا عالميا كبيرا . لقد تتبعنا كيف يجري خط الانتاج الكامل في قسم إنتاج التلفزيون ، ابتداء من القاعدة الكرتونية الصماء حتى خروج الجهاز بعد اختباره لتغليفه ، مرحلة إثر مرحلة ، دون أي خلل في التوقيت . وبهذا الحساب الدقيق يتم إنتاج ١٧٥٠ جهازا يوميا ، ويتوقعون الارتفاع بهذا العدد في خطة هذا العام الى مليون جهاز في السنة

صورة التطور في الصناعات الالكترونية تبدو مثيرة ، بعد أن بات واضحا أن هذا القطاع يعتبر مصدرا مهما للعملة الصعبة ، لأنه يعتمد على التصدير بصفة أساسية ، كما أن المستقبل مازال يحمل الكثير في هذا المجال . ومع تتبع هذا التطور نجد ـ على سبيل المثال ـ أنه في كل عام يفتتح في المصنع قسم جديد لأحد أنواع الأجهزة الالكترونية . كانت البداية في عام ١٩٧٢ ، حيث بدأ إنتاج أجهزة التلفزيون . وتلاه افتتاح وانتاج البرادات الكهربائية ، ثم جاء دور أجهزة التكييف



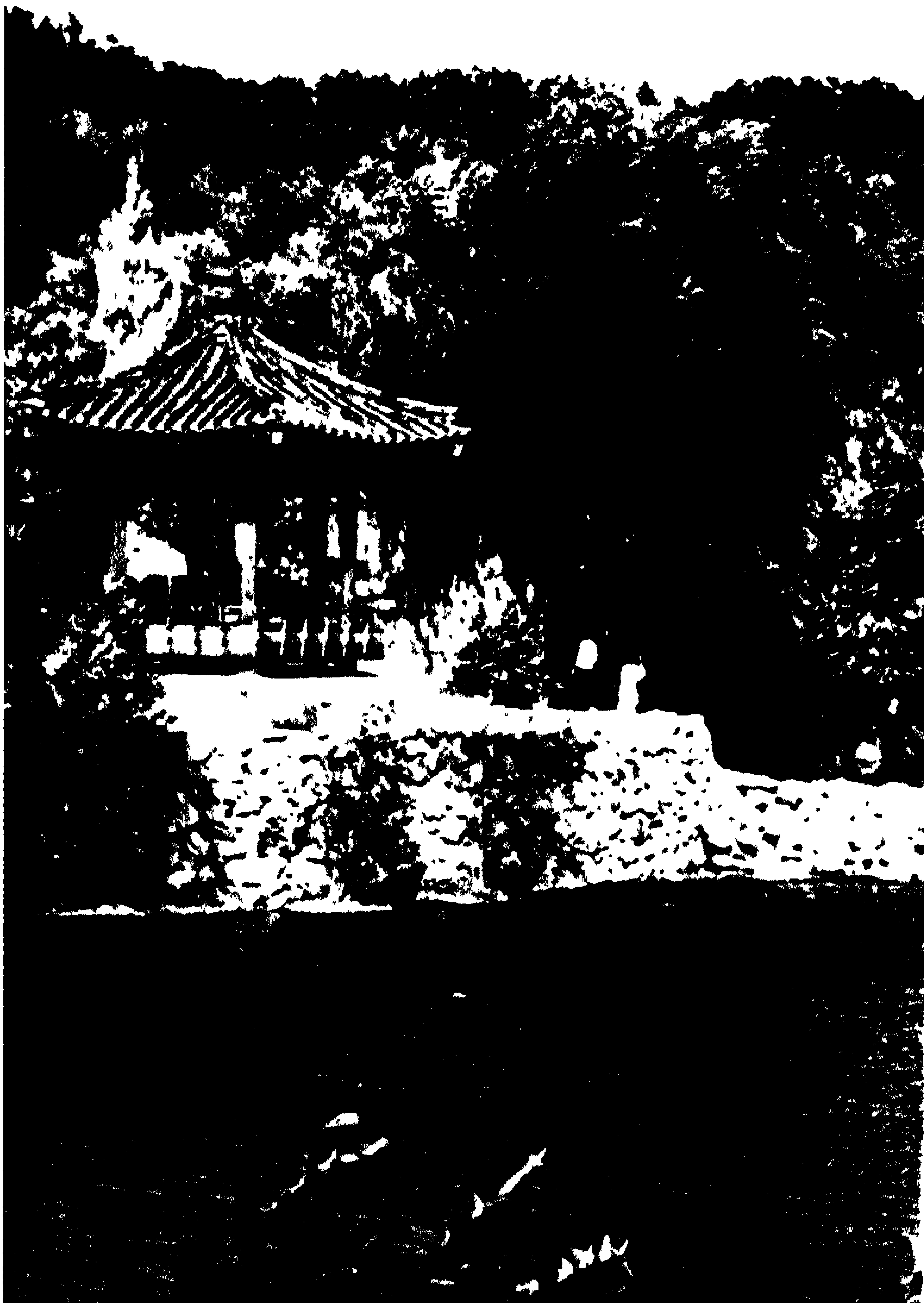






● المتحف الحي للحياة البلدية الساحرة والعادات الاصيلة والتقاليد العميقة والازياء الملونة والثقافة المتنوعة حيث تعرض نماذجها في القرية الفولكلورية (الصورة العليا) لاثنين من الحرفيين منهمكين في انجاز صناعتها التقليدية (والصورة الوسطى) للعبة "المرجيحة" بعد ان شاركت اللاعبات التقليديات لزائرات من الطالبات للاستمتاع باللعبة التي كانت تلعبها الامهات (اما الصورة اليسرى) فللفلاحات في الحقل يعملن تماما كما كانت أمهاتهن يعملن وسط خضرة الحقول والأرض المزهرة

● (الى اليسار) مشهد عام من قلب القرية الفولكلورية حيث البحيرة والبط السابح في مائها والكشك المقام على النمط التقليدي والمقام في نهاية الجسر الحجري الذي يربطه بشاطئ البحيرة



في السبعينات ، ومن بعد ذلك قسم انتاج الكمبيوتر والموتورات ، ثم ماكينات الطباعات والأجهزة الالكترونية ، وفي عام ١٩٧٨ بدأ انتاج الآلة الحاسبة ، ثم آلات التصوير الضوئي والتلفزيون ، وبعدها افران المكروويف ثم الكمبيوتر والآلات الحاسبة والفيديو والأجهزة الحديثة وآلات التسجيل والتسجيلات والمعدات المنزلية ، ومازالت الشركة تنتج كل عام الانتاج الجديد .

ولعل صناعة السيارات واحدة من ابرز الأمثلة الأخرى ، فقد مرت هذه الصناعة بصدمات كثيرة لكنها حققت بعد ذلك تقدما كبيرا ، واصبح هناك نوعان بارزان من سيارات الركوب تنافس السيارات اليابانية وتتفوق عليها في صلابة جسم السيارة وتحملها للصدمات ، وقد وجدت لها سوقا واسعة في أوروبا وأمريكا ، ودخلت سيارات النقل والحافلات ميدان التصدير والمنافسة بكميات كبيرة أيضا .

أما صناعة الحديد والصلب فهي العمود الفقري للصناعات الثقيلة ، وقد توسعت مصانع بوهانج للحديد والصلب التي امتلكت الحكومة غالبيتها وطاقتها الانتاجية قدرت بحوالي ٩ ملايين طن وبذلك فهي سابع شركة للحديد والصلب في العالم ثم افتتح مصنع جديد يصل الى قدرة ٣ ملايين طن ، ومع نهاية التسعينات ستكون كوريا خامس أو رابع دول منتجة للصلب في العالم .

وتعتبر صناعة السفن اول المستخدمين للصلب وتملك كوريا الآن واحدا من اكبر الاساطيل التجارية في العالم ، وتقوم بالتعامل مع كل أعمال الشحن والنقل بأسعار قليلة نسبيا ، بمعنى انها اقل تكلفة من السفن اليابانية والأوروبية ، وفي الوقت الحالي سبقت كوريا جميع منافسيها ، واصبحت ثاني منتج في العالم بعد اليابان ، ويبدو انها ستبقى في هذه المكانة عدة سنوات قادمة .

اما صناعة البناء والتشييد فقد خرجت الى ماوراء البحار ، واصبحت كوريا تساهم في اقامة مشروعات كثيرة في أوروبا وافريقيا والوطن العربي ، ويقدر عدد الصناعة حاليا الى ١٣ بليون دولار في المتوسط كل عام ، لكن لا أحد يدري اذا كان يمكن للعائد ان يبقى على ما هو عليه او انه سيتعرض مع معاناة بعض الدول من وضع سيئ ، بعد اضطراب أسعار النفط والحروب والصراعات التي تسيطر على المناطق التي كانت سوقها مفتوحة للانشاءات الكورية .

لقد أكد تاريخ بيستر الآمال في آفاق المستقبل كاملا .

لقد دخلت كوريا بالفعل حاليا في سباق مواجهة التحديات الصعبة خلال السنوات القادمة ، ومواصلة سياستها الاقتصادية ، خاصة بالمزيد من تطوير صادرات المنتجات عالية التطور ، حيث الصناعة التي تم انتاجها بكفاءة مرتفعة ، ومن خلال القدرة الكاملة على التطور في المستقبل . ومن المتوقع أن تحافظ كوريا مع بداية القرن القادم على معدل مرتفع للناتج القومي ، بحيث يصل الى اكثر من ٢٥٠ بليون دولار بحلول عام ٢٠٠٠ ، ويرتفع معه متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي الى ٥٠٠٠ دولار ، حتى سنوات ومن المتوقع أن تحتل كوريا على ضوء هذه النتائج المركز الخامس عشر بين دول العالم من حيث القوة الاقتصادية ، والمركز العاشر في مجال التجارة .

الاعتزاز بقيمة الوطن

ان المعجزة الاقتصادية الكورية حقيقة واقعة بالفعل ، واذا كان مدير الاعلام قد حدد مقوماتها الاربعة في التخطيط السليم ، والعمالة الماهرة ، والتوازن في الحقوق والواجبات ، والثقة في النفس فقد أضاف لها شين هون جونغ المدير العام للصحافة الخارجية دافعا آخر هو اعتزاز المواطن الكوري بوطنه وتاريخه الذي يدفعه الى صنع المعجزات .

ويبدو هذا الاعتزاز بالفعل في اكثر من مجال ، حتى في المظاهرات والحركات العمالية والطلابية التي اتسع نطاقها في العام الماضي ، انهم يطالبون بمزيد من الديمقراطية ومزيد من الحرية ، وهم يصطدمون بقوات الأمن والجيش ويتبادلون معهم التراشق

بمجزره لكن لا يكاد لمظاهره وحركه الاضرابات سهى حتى نجحه العمال والطلاب نفسهم لطهم مداخل مصانعهم ومعاهدهم والشوارع المحيطه بها من الاحجار وسطحها لتبدو في حسن صوره دون اي شوبه

حتى في حركه الاضرابات يحلف العاملون عددا منهم قبل الاضرابات مواصله العمل في الاقسام حتى لا يتوقف عمليه الانتاج و ن قلت كميتها

واحترام موعد العمل واستغلال كل الوقت للانتاج دون اي فقدان في ساعات العمل التي تمتد الى اكثر من ٥٤ ساعه اسبوعيا مظهر اخر من مظاهر الاعتزاز بقيمه الوطن والاصاله كذلك العمل على تطوير الانتاج وتنميته ونظافه الشوارع والامتناع عن القاء ما يشوه نظافتها وبالتها والمحافظة على قاعات المكاتب والمصانع والمدارس بخلع الاحذيه قبل الدخول ويعودون للاسد والابناء على زياره المتاحف ومعالم التاريخ القومي لغرس حب الوطن في نفوسهم وحين التقيت باحد نظار المدارس قال انا احد المجتمعات التي تؤمن بقيمه الحريه والديمقراطيه كاساس يستحيل بدونه التقدم والنماء المنشود

الجد الاسطوري الكوري

حول ما شهدناه من عمر الكوريين باصولهم العرقيه وتاريخهم القديم وبالتقاليد الاباء والاجداد دار حوارنا مع مدير الصحافه الخارجيه بوزاره الاعلام خلال مادبة العشاء التي اقامها لنا نادي الصحافه فقال

ان اصولنا تمتد في الخمسه من مغوليا وبعلكم لاحظتم ان المراه الكوريه وبخاصه في الريف مازالت تحمل صغيرها خلف ظهرها بالطريقة حول وسطها وهو نفس ما كانت تفعله المرأه المغوليه وقد لاحظتم بعد ذلك ان الشعار الذي وضع للدوره الالعاب الاولمبيه التي ستجرى في سيول هذا العام هو النمر الكوري

لكن في حاجه الى تفسيره ما يعنيه شعار النمر وكانت الاجابه

النمر الكوري عرفته سكان البلاد الاصليين للبلاد منذ اقدامي الاسويين وقد نزحت الى شبه الجزيره الكوريه قبل حوالي ٣٠ الف سنه قبائل شجويه جاءت من جبال الالطاي ومن مناطق منشوريا وسيبريا وكان هؤلاء الاقوام الرحل يتبعهم وقد اندمجوا مع السكان الاصليين وتكونت مجموعات من الاسر التي تجمعت بعد ذلك لتكون عشائر جديده

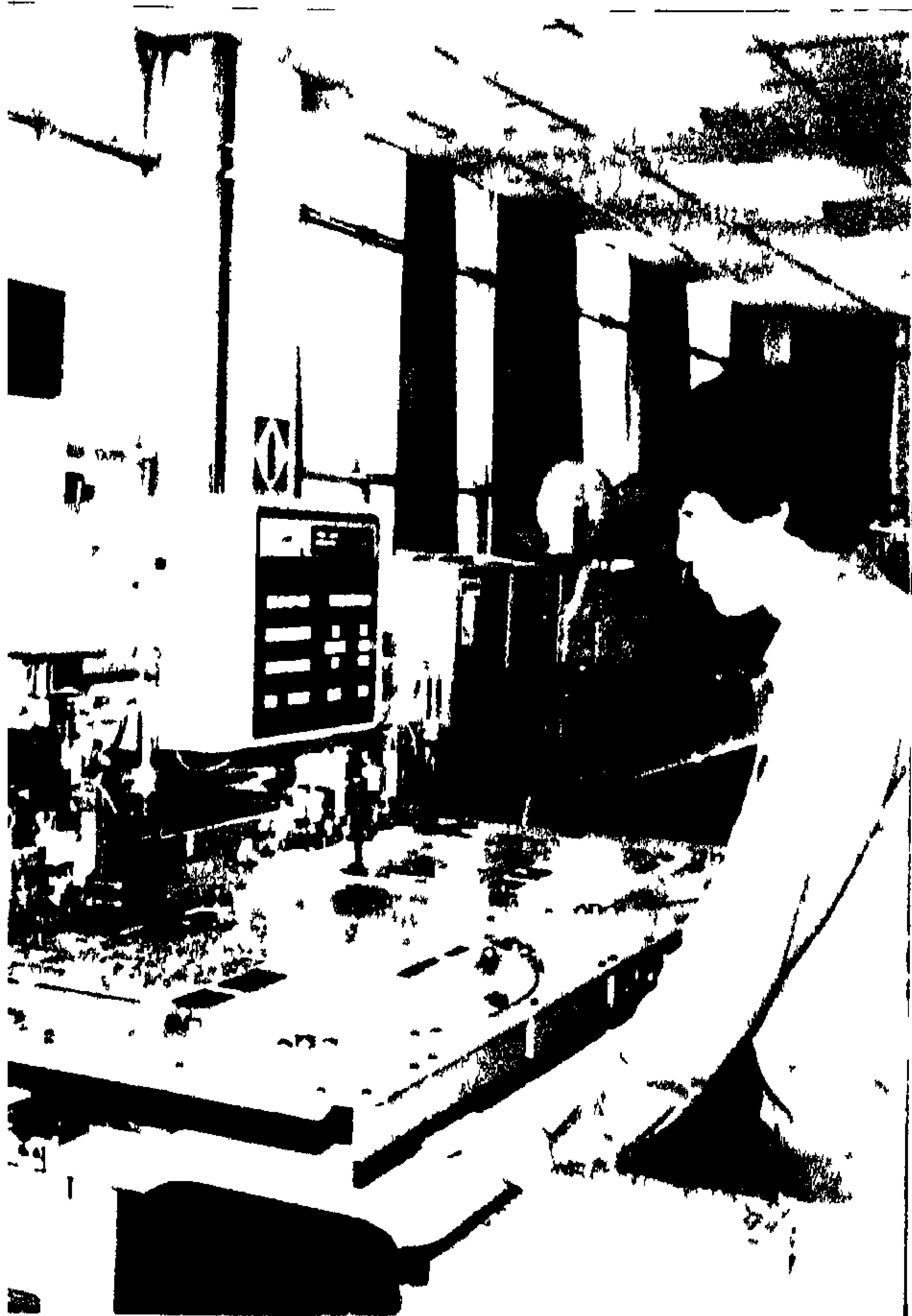
ثم ظهرت تدريجيا مجموعات قبليه كبيره خالفت فيما بينها ومن بين الاحداث السياسيه المخالفه ان الطبقات الحاكمة تريد وحده رؤساء التي سادت في الشمال وجنوب من الذين لم طواعم نفس الجديده للوحده جد الاسطوري الباحثون ان تاريخ تاسيسها هو القرن ٢٤ قبل الميلاد حيث مازال الكوريون يحتفلون حتى اليوم بعيد تاسيس الوطني في الثالث من شهر نوفمبر كل عام

لكن مبدا عن الذين ... و... الاسطوري وتروي الاسطوره ان ملكا سماويا يسمى هوانين اسحاب لرجاء ابنه هوانونج للهبوط الى الارض وان الملك بما اختار من بين ثلاث قمم على الارض قمه عالي جبل سوهاينج مجالا له ولولده ومعه ثلاثه الاف من الاتباع من اجل ان ينشر السعاده على الارض وخلال هذه الاثناء السماوي الابن ونزل ابو نائله عن رغبتها في التحول الى هيئه حيوانيه شبيهه بها فسار الملك السماوي الى احد الكهوف وطلب منها ان تدخلاه وتواصلا الصلاه مائه يوم بحثهن لها السماء اسمها لكن النمر لم يحتمل الاستمرار فعاد الكهف متمسكا بالارض التي عاش عندها بينما قضت الدب المده المحدده كامله لتتحول بعدها الى حسناء بعد الجمال

كانت امنيته الاولى للمرأه هي ان تنجب طفلا

وقد عجز هوانونج عما منعه من ان يتزوجها وجلست تحت شجره الصندل المقدسه تدعو وتبتهل وقد مضى فتره حتى انتفخ بطنها وظهر حملها وجاءها المخاض تحت جذع الشجره لتلد







● لانجاز الفضائي الحربي لابد ان يتميز بالدقة، ليست المهارة العالية، بالحب والالتزام معا. هذا الانجاز الذي يشبه معجزات، منع الكوريين من مواصلة العمل في ميدان الصناعات التقليدية والفنية التي تؤكد المهارة اليدوية التي تبدعها الانامل الكورية في مختلف الميادين



« تانجون » الذي أصبح أول ملك بشري على الأرض . !

ويقول الكوريون إن فترة حكم تانجون قد بدأت عام ٢٣٣٣ ق . م . حيث ظل يعلم الناس الزراعة والعلاقات الانسانية .

وأعد تانجون مجموعة من الطقوس لتقديم الصلوات والابتهالات الى السماء . وكانت هذه الطقوس منتشرة انتشارا كبيرا بين النبلاء وعامة الناس في آخر عهد الممالك الثلاث ، لكن ممارسة مذهب « التانجونية » أخذ يفتقر بمضي الأيام الى الإيمان الصادق ، حتى انقرض خلال القرن الخامس عشر . لكن بعودة الاتجاه القومي في أواخر القرن التاسع عشر ظهرت بعض الطوائف الدينية العديدة التي تنادي بإحياء هذه الديانة العريقة . والمهم أن حكم تانجون في كوريا استمر الى عام ١١٢٢م ، أي أنه حكم حوالي ١٢١١ سنة ، حتى ظهر وجه أسطوري جديد هو « كيجا » أحد أبناء مملكة شانج الصينية ، الذى وصل الى كوريا وأعلن نفسه ملكا . حينئذ استعاد تانجون هيئته السماوية واختفى . ومايزال تانجون هو النموذج والمثل للوطنية الكورية . ومايزال النمر المتمسك بأرضه وأصله (طوطما) دينيا قويا ، ورمزا يعتز به الكوريون ويتخذونه ـ كما ذكرت ـ شعارا لدورة الألعاب الأولمبية في العاصمة سيول .

القرية الفولكلورية

لا تستطيع أن تدرك كنه شعب من الشعوب إلا إذا تعمقت في عاداته وتقاليده وعقائده وثقافته المتوارثة . أتيحت لنا هذه الفرصة عندما زرنا القرية الفولكلورية التقليدية على بعد نصف ساعة من سيول ، بالقرب من بلدة « سوون » .

هنا متحف حي للحياة التقليدية الساحرة ، والعادات الأصيلة ، والتقاليد العميقة ، والأزياء المبهجة ، والحرف العتيقة ، والثقافة المتنوعة التي عاشت في أعماق الشعب الكوري منذ مئات السنين .

اجتزنا المدخل الرئيسي المقام على النمط التقليدي الكوري بفتحاته الثلاث وسقفه القرميدي المغطى بعريش جاف من قش الأرز ، فإذا بنا داخل القرية التي أقيمت على نمط القرية الكورية في القرن التاسع عشر ، وهي تضم ٢٥٠ بيتا ومبنى ، تمثل كل وسائل ومظاهر الحياة القديمة . وأول ما واجهنا الطاحونة الكبيرة التي يديرها ثور تحت عريش مستدير ، ثم ورشة السيراميك وأفرانه ، حيث يقوم الصناع في أزيائهم البيضاء التقليدية بتشكيل أواني الصيني والسيلادون ذات اللون السرى المائل إلى الخضرة ، وقد استخدمه الأقدمون في مملكةكوريو منذ مئات السنين ، وبقيت خلطته وطريقة صنعه سرا أمام الكثيرين حتى اختفت . وقبل سنوات عادت لتظهر من جديد بعد أن كشفت مناطق جديدة على الساحل الجنوبي الغربي ، أمكن الحصول منها على أصل الخلطة السحرية من المواد الطبيعية ، واستطاع أحد معلمي قرية « شاوانج » حل رموز لغز تشكيل وأسلوب حرق السيراميك . أما صناعة السيلادون فصعبة لأنها تستخدم مصادر الطاقة الطبيعية ، ونسبة النجاح في صناعتها ليست كبيرة . وحين يعدون الخلطة يعجنونها أكثر من مائة مرة لاخراج الهواء منهاباستخدام الأيدي والأقدام ، قبل أن تكون جاهزة للتشكيل ، ثم تحرق في الأفران بدرجة معينة ، ويجري النقش عليها ، ثم تدخل مرة أخرى في الفرن لتخرج آنية السيلادون اللامعة التي تعتبر أغلى مايباع من هذا النوع في الأسواق العالمية .

كل معالم الحياة

لانكاد نبتعد قليلا حتى نشهد حفل زفاف تقليدي ، يرتدي العريس الثياب الأنيقة التي يتم تأجيرها من أحد المحلات . الثوب عبارة عن سترة فضفاضة بكمين واسعين وسروال عريض يربط عند الكعبين برباط من القماش ، ويتقاطع جانبا السترة فوق الصدر ، ويربطان بعقدة . والعريس يرتدي لمزيد من الأناقة معطفا مزخرفا ، وقد وضع شبه قبعة سوداء معقودة فوق رأسه . أما زي العروس فهو مصنوع من الحرير ذي الألوان الزاهية ، ويتكون من بلوزة قصيرة جداو واسعة ، يتقاطع جانباها عند

الصدر ، ويربطان برباط طويل من القماش ، وسروال طويل حتى القدمين يوثق عاليا على الصدر . وبعد المراسم التي يحضرها الأبوان يشرب الجميع الأنخاب التقليدية ، وتعزف الموسيقا ، وتقدم الزهور ، وتلتف حولهما الجماهير . !

ومن بعيد يسير شيخ ممسكابيده غليونا طويلا من خشب الخيزران ، وقد غطى رأسه بقبعة عريضة الأطراف مصنوعة من شعر الخيل ، وهو يتهادى بين المنازل ذات السقوف المنخفضة المغطاة بالقش .

مداخل بيوت القرية ذات أرضية خشبية تجلس عليها النساء ، وكل واحدة منهن تؤدي عملا في بيتها . هنا امرأة تكوي ثيابا بضربها بمضربين خشبيين ، وتلك تغزل خيوطا من الحرير تستخرجه بنفسها من شرانق دود القز الموضوعة في إناء من الماء الساخن .

وفي الساحة المواجهة للبيوت نشاهد استعراضا للمشي على الحبال المشدودة ، ومسابقات الطائرات الورقية التي يحاول فيها كل لاعب أن يقطع خيط طائرة خصمه المحلقه عن طريق اعتراضها بخيط طائرته ، ونشهد عروضا ورقصات جميلة يؤديهاالفتيات والفتيان بالأزياء التقليدية . وأبرز الألعاب هي الأرجوحة الخاصة بالفتيات ، حيث يوضع لوح خشبي طويل يرتكز في منتصفه على كيس مليء بقش الأرز ، وتقف اللاعبتان ، كل واحدة على أحد الطرفين ، وتقفزان دوريا لتنزلا على طرف الخشبة ، وهنا تتنافس الطالبات الزائرات في أزيائهن الحديثة مع اللاعبات التقليديات ، بينما صو يحباتهن يصفقن في بهجة ومرح .

في القرية التقليدية أيضا شهدنا الحداد والنجار والفخارى وأصحاب سائر الحرف يعملون كل في ورشته . المهم أن كل شيء يتميز بالنظافة والترتيب ودون تشويه للمكان أو الطرقات . .

مثل هذه الصور من الحياة التقليدية شهدناها في صرح ضخم من النمط القديم مفتوح لعامة الشعب ، تعرض فيه نماذج من الفنون والتحف الفنية ، وتقام عروض يقدمها فنانون هم في الواقع كنوز ثقافية بشرية ، تقدم شريحة من الفنون في كوريا القديمة ، مع ألوان من الموسيقا التقليدية وما يصحبها من رقصات وآلات .

الفن في البيت الكوري

شهدنا هذا العرض الحي لأنواع الرقص والغناء والموسيقا التقليدية في « البيت الكوري » . أحد هذه العروض لموسيقا كلاسيكية مستوحاة من الطقوس الكونفوشيوسية ، تسمى « الآك » . وهناك غير هذا النوع موسيقا ذات أصل صيني كانت تقدم في حفلات القصر في حضرة الملك والحاشية ، تسمى « كانجاك » ، وهي غير الموسيقا ذات الأصل الكوري التي تسمى « هيانجاك » ، يضاف إلى كل ذلك أنواع من التراتيل البوذية والموسيقاالفولكلورية وفرق الفلاحين الموسيقية الشعبية .

الموسيقا المصاحبة لرقصة البلاط التقليدية تتميز بالوقار والبطء والهدوء والتعقيد ، تتداخل أنغامها الطويلة الغنية بالزخارف الجميلة والعواطف المقيدة والانفعالات المكتومة . أما الآلات الموسيقية التي يلعب عليها العازفون فعتيقة ، أكثرها من أصل صيني ثم طورت . من بين هذه الآلات القيثارة والناي ومزمار الغاب ذو الفرعين وأنواع من الآلات الترددية . وتصحب صوت المغني دقات الطبول الرتيبة لضبط الايقاع . وتتميز الرقصات المصاحبة بالجلال والوقار وحرفية الأداء .

على العكس من ذلك نجد أن الموسيقا الشعبية تتميز بالسرعة والحيوية والعاطفة المشبوبة ، تصحبها رقصات طبيعية مفعمة بالنشاط ولاتخلو من حركات رياضية ، تغلب عليها الايقاعات غير المنتظمة ذات التوقيت الثلاثي المركب ، وتستخدم فيها بعض الآلات التقليدية ، وإن كانت تعتمد أساسا على النواقيس المعدنية والطبول الشبيهة بالساعات الرملية المسماة « زانجفو » ، وآلات « الأبوا » التي تشبه النفير . ويصحب الرقص أصوات غناء تؤديه فرقة من وراء الستار تبدو كأنها « السلويت » ، وتعطي إيحاء بتعبيرات إنسانية مفعمة بالحياة .

تبدو هذه العناصر الموسيقية الغنائية مجتمعة في







● [illegible]



[illegible]

رقصة الفلاحين الفولكلورية التي يشترك فيها فتيات وفتيان يعزفون على آلات نحاسية وطبول كبيرة وآلات نفخ . ويبدأ العرض بمشهد فوق الجبل الذي يعيش فيه إله القرية لينتهى في بيت أحد الفلاحين . ويرتدي أعضاء الفرقة الموسيقية قبعات ذات ألوان زاهية . وتقدم الرقصات في ستة أشكال متتابعة بعضها ذو إيقاع سريع ، وبعضها الآخر بطيء الايقاع ، تصحبها دقات موسيقية على طبول زجاجية . وهذه الرقصات ماتزال تقدم خلال الاحتفالات الشعبية في القرى بين فترات الراحة في الحقول .

الأسلوب الفني للموسيقا الشعبية يبدو في تباين الأنغام اللطيفة الناعمة في العروض المختلفة . ولعل من أجمل ما شهدناه رقصة المراوح ، وهي مستنبطة من الطقوس التقليدية ، حيث تستخدم المراوح في رقصة تتباين وتتمازج بين القوة والعاطفة في إبداع فني مثير .

وتحكي الرقصة كيف تحولت المروحة المستقيمة التقليدية مع الزمن إلى مروحة سهلة الطي ، زينت بزخارف ذات رسوم ملونة ، وأصبحت تنسجم مع ألوان الرداء التقليدي للفتيات الراقصات في البلاط الملكي ، وهن يزين رءوسهن بتيجان من الزهور . وتحولت الرقصة التقليدية الملكية بما تبدو عليه من الهيبة والجلال لتصبح رقصة شعبية مفعمة بالمرح والعاطفة ، مع نغمات ناعمة نابضة بالحياة . وأكثر المشاهد إثارة في هذه الرقصة عندما تسرع الأنغام الموسيقية بينما تشكل الراقصات باقة واحدة من الأزهار تدور بسرعة ، والمراوح تفتح على آخرها وهي ترتفع وتنخفض بانسجام مع الحركة الدائرية البديعة .

ومن أجمل الرقصات التقليدية رقصة الشامانية ، وهي العقيدة القديمة التي ماتزال حية في أعماق غالبية الكوريين حتى بعد أن اتبع بعضهم عقائد وديانات أخرى . هذه العقيدة هي المنبع الرئيسي للثقافة ، ومصدر فنون الموسيقا والرقص والأساطير والحكايات الشعبية عند الكوريين . وتقدم هذه الرقصات في اثنتي عشرة لوحة تقدمها الراقصات بأزيائهن الملونة البديعة وأغطية الرأس المزينة بالأزهار وبين أيديهن المراوح يتلاعبن بها خلال عروضهن التي من أبدعها رقصة « سالبوري » التي تقدمها راقصة تحكي قصة تقليدية ، لزوجة تحركها مشاعر الرغبة واللهفة إلى مناداة زوجها الذي مات حتى يعود إلى الحياة . والرقصة تعبر عن تباين المشاعر والأحاسيس واندفاعات الأمل ثم انفعالات الألم النابعة عن اليأس عندما تدرك أن الميت لن يعود . !

اذا كانت هذه هي أنواع الموسيقا والرقص التقليدي التي تقدم في احتفالات الكوريين وأعيادهم ومسارحهم ويتسلون بها في رحلاتهم وحفلاتهم سواء بالغناء المنفرد أو بالرقص الذي يؤديه الجميع كل بدوره ، فإن هناك أيضا أنواعا من الموسيقا الغربية التي شهدت نجاحا سريعا مع دخول الثقافة الواردة في أواخر القرن التاسع عشر . وهناك فرق سمفونية عديدة وفرق خاصة بالأوبرا ومعاهد للموسيقا العصرية . وتقام حفلات موسيقية يحييها موسيقيون كوريون أو أجانب ، وتلقى إقبالا كبيرا . وهناك غير ذلك تراث غني في ميدان المسرحيات التنكرية ، وهي خليط من التمثيل الصامت « بانتومايم » ورقصات الباليه التي تصور مشاهد دنيوية ساحرة ، مع رقصات ومشاهد للقصاصين المتجولين المنشدين على طريقة شاعر الربابة المعروف ، كما أن هناك رقصات الأقنعة التي يؤديها راقصون وممثلون من الجنسين .

هناك أنواع أخرى من الفنون برع فيها الكوريون شهدناها خلال زيارتنا للمتحف الوطني للفنون الشعبية ، ففي المتحف تعرض مشاهد ومعالم الحياة والأعمال الشعبية التقليدية منذ العصور القديمة ، مع اهتمام كبير بعرض الأزياء التقليدية والأثاث والمجوهرات واللوحات الفنية . ومن خلال العروض يستطيع الانسان أن يتبين أن الفن الكوري يعكس إحساسا بالبساطة التلقائية والقوة الخشنة .

وتدل مشاهد الحيوانات الأسطورية المرسومة في

اللوحات الفنية سواء القديمة أو الحديثة على خيال خصب ، وهيام جامح ، هما من صفات الشعب الأصيلة الراسخة في أعماقه .

فن النحت والبوذية

من أبرز الفنون التي تأثر بها الشعب الكوري ، وأضافت عمقا جديدا الى أعماقه فن النحت . ومن الواضح أن فن النحت الكوري القديم قد تأثر بالبوذية حيث صارت أهم موضوعاته صور « بوذا » في تجسيداته المختلفة ، وتماثيل القديسين البوذيين وغيرهم من الشخصيات المقدسة البوذية الأقل مكانة . وأجمل ما شهدناه من ذلك في معبد « بولغوسكا » أكبر المعابد البوذية ، وفي كهف « سوكورام » الواقع قرب مدينة كيانجزو ، أغنى المدن الكورية التاريخية بالفنون القديمة . كيانجزو في الحقيقة متحف بلا جدران ، مليء بالآثار التي ترجع الى عصر مملكة شيلا ، وبمعابد بوذية ومقابر ملكية ونصب تذكارية مع أقدم مرصد حجري في آسيا على الاطلاق .

إلى هذين الموقعين الأثريين كان تحركنا من منتجع « بومون » السياحي الواقع على بحيرة وسط أودية تحيط بها جبال مغشاة بالأشجار . وبلغنا موقع كهف « سوكورام » الذي بني عام ٧٥١ م بتماثيله الحجرية وأفاريزه المنحوتة التي تعتبر من قمم الفن البوذي .

يقوم في صدر الكهف تمثال جالس لبوذا ، منحوت من الجرانيت ، يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار ، مواجه للشرق ، يعكس تقويما غاية في الدقة وحسابا ممتازا للأبعاد والمسافات ، مع البساطة المدهشة في تحديد الزوايا والأسس الهندسية والعلمية والتقنية التي اتبعت في بناء الكهف الذي أقيم منذ اثني عشر قرنا .

أما أبرز المنحوتات الفنية فهي ما يحتويه معبد « هاينسا » في كاياسان ، حيث أكبر مركز لتدريب الرهبان البوذيين . أهم ما يحتويه المعبد تعاليم بوذا المحفورة على ٨٠ ألف قالب من الخشب . ويقال ان راهبين بوذيين ذهبا الى الصين حيث عثرا على كتاب يضم تعاليم بوذا ، وعندما عاد الراهبان أقاما محرابا لهما على جبل كايسان . وهناك بلغ سمعهما أن زوجة الملك تعاني من مرض عضال ، فذهبا وعالجاها بمعاونة بوذا ودعواتها له .

ومن أجل أن يشكر الملك صنيعهما أمر ببناء معبد لهما هو ذلك المعبد المسمى « هاينسا » ، حيث حفظت التعاليم الكاملة . ويقال انه من الغريب أن حريقين شبا في المعبد والتهما أخشابها ، ولكن لوحات تعاليم بوذا نجت من الحريقين ولم يصبها أي أذى ، رغم أنها محفورة على قوالب من الخشب !

في هذا المعبد البوذي الكبير شهدنا احتفالا دينيا في ذكرى بوذا . كانت ساحة المعبد مليئة بالرهبان بينما الراهبات بالزي المقدس ذي الأكمام الطويلة وأغطية الرأس البيضاء ، والكل يؤدون الصلوات ويرتلون على أنغام آلات الموسيقا التقليدية ، أمام تمثال بوذا الذهبي وحوله المقدسون من تلاميذه ومريديه

وانتهى الاحتفال برقصة تؤديها راهبتان تمارسان الطقوس البوذية ، وقد وضعتا على رأسيها الغطاء الأبيض الثلاثي وحول صدريهما وذراعيهما « الشانجام » ذي الأكمام الطويلة البيضاء . وتبدأ الرقصة المقدسة في هدوء بينما في الخلف طبلة معلقة تتدلى منها أطراف التنين . وتتتابع الموسيقا في سرعتها حتى تصل إلى قمة الاثارة حين تصل الراهبتان الى الطبلة فتدقانها بمضربيهما المختفيين تحت الأكمام الطويلة ، لترسل نغمات متسارعة تعبر عن الانفعالات الداخلية مع تفاعل الصراع الروحي في الطريق الى « النيرفانا » .. وهي مرحلة السمو الروحي التي يمكن الوصول اليها بعد مراحل متتالية من المعاناة والآلام تعبر عنها الحركات والنغمات .

العقيدة في الأعماق

لكن ، ماذا عن تأثير العقائد والديانات المحلية والأجنبية على بناء شخصية الانسان الكوري وعاداته وأخلاقياته وثقافته ؟

الواقع أن أغلب العقائد والديانات العالمية الشرقية والغربية ، تلتقي مع العقائد والديانات المحلية التي عاشت في كوريا آلافا من السنين . والحرية العقائدية التي يتمتع بها الانسان الكوري



سـشـر عـلى
سفـوح الــلال في
كونحرو
ماحف بلا حـدرار
ـهـا امـعـابـد
والاسوبات والادر ه
والابراح والاحر س
والـاحودا ومـاسل
ـودا الصحـرـه
والـذهـد وـرحـ
امـدـه معـه واـ
ـدرحـد سهـ اور
مرصد فـم في ـد
والاصرحه اـ ـه
لـمموـ والمـكـات
س عصد مملكه شلا
والـى اـمـ في
حدسه بوموى وسط
المدىه
وكل هده الاثـار
والمعام بوكـد ـألو
العـوب الهدـسـه
والمعمـاريه والـحـ
والـرسم والعمـارة
عـلى مدى الـاريـح
الكورى











تعطيه الفرصة للاختيار بمحض إرادته دون تدخل حتى من الاباء . ولعل صورة لمساها بشكل مباشر تؤكد لنا تلك الحقيقة .

فمرافقتنا كانت بودية طبقا لدين أبويها ، كما أنها تؤمن بتعاليم وحكم كونفوشيوس . لكنها لم تحس أبدا بميل الى الكونفوشيوسية بل فضلت عليها المسيحية هي واحدى شقيقتها ، ولم تتدخل أسرتها في ذلك التعبير . لكنها حين بدأت بدرس اللغة العربية كأحد مواد الدراسة الاختيارية في دراستها العليا ، تفهمت القرآن بلغته ، وبدأت تميل الى اعتناق الاسلام ، يساعدها في ذلك ما اطلعت عليه من مفاهيم وفضائل هذا الدين . وتركت اسمها الكوري وهو « كوانك ليه » ، واكتفت به اسما عائليا ورسميا ، وفضلت عليه اسما عربيا هو « أحلام » ينادونها به في كل مكان بما في ذلك الجامعة . المهم هنا أن احدا لا يحاول اقناعها هي وشقيقتها بالعودة الى دينها القديم . وكل من في البيت يؤدي عبادته على ضوء ما آمن به دون اي تأثير او ضغط من الآخرين .

هذه الصورة موجودة بشكل او بآخر داخل كل بيت في كوريا ، ولكل دين أو مذهب او عقيدة او فلسفة معتنقوها . حتى اللادينيين الذين يتجاوز عددهم ٢٥ ألف نسمة ، يوجد بينهم بضعة الاف يؤمنون بأشكال من عبادة الطبيعة ، والاعتقاد بأن الأرواح تسود هذا الكون كما في معتقدات « المودانج » . ولا يختلف في ذلك « التايجونجيو » الذين يعتقدون في إله ذي أقانيم ثلاثة ، فهو خالق ومعلم وملك ديوي وأبو الشعب الكوري ومعلمه وملكه . وما تزال هناك طوائف دينية عديدة تنادي بإحياء هذه الديانة العريقة . كما أن عقيدة مثل « النونجهاك » تحيا كمذهب ديني ذي نزعة قومية ، وأتباعها يرفضون الديانات القديمة الأخرى ، مثل الكونفوشيوسية والبودية والتاوية ، على أساس أنها فقدت جوهرها ، كما أنهم يسدون الكاثوليكية باعتبارها من « علوم الغرب » . وهم يقولون بأن السماء والاساس متلازمان لا يفترقان ، وأن جميع الناس سواسية ، وأن الجنة موجودة هنا الآن في مملكة الأرض أكثر منها في « مملكة السماء » . على أن



● مشهد لاحتفالات جونج ميو ري ... وهو اكبر الطقوس الكونفوشيوسية التي تقام في ... يوم احد من شهر مايو من كل عام

الاعتقاد ذا التأثير الذي ما يزال في اعماق الدينيين ممن آمنوا بالبودية او المسيحية الكاثوليكية او البروتستانتية هو . الشامانية ، التي ما تزال طقوسها تمارس ، وبخاصة في الاقاليم الريفية والمناطق الزراعية ولدى البسطاء ، لابعاد سوء الحظ وتحقيق الآمال في النجاح وشفاء المرضى والابتهال الى قوى الارواح السائدة في الكون وتهدئة غضب ارواح الموتى وتخفيف ثأرهم ورغبتهم في الانتقام ممن خلفهم . وتأثير الشامانية ما يزال قائما يظهر حتى في معابد الديانات الاخرى ، حيث يوجد في معظم المعابد البودية هيكل صغير اقيم لروح الجبل وللنمر الذي لا يفترق عنه . وغالبا ما تكون الصلوات بهذا الهيكل الثانوي الصغير أكثر حرارة من الصلوات التي تقام بالمعبد البودي الرئيسي ، رغم صور بودا وتماثيله المغشاة بالذهب .

أكثر الديانات أتباعا

أما البودية فهي أبرز الديانات في كوريا ، ولها تأثيرها أيضا في أعماق الكوريين ، ويبلغ عدد معتنقيها ٧,٥ ملايين نسمة ، أي نسبة مساوية لجميع الدينيين الذين يعتنقون ديانات أخرى ، ومجموع عددهم لا يتجاوز سبعة ملايين . عن البودية وتأثيراتها في كوريا الجنوبية دار حوارنا مع مدير التعليم البودي « باك لو أو » في المركز الرئيسي بسيول ، فقال لنا :

البودية هي الديانة الأجنبية الأولى التي لاقت قبولا

واسع النطاق في كوريا ، وقد دخلتها حوالي سنة ٣٧٢ عن طريق الصين بواسطة رهبان مبشرين . وحينما اعتنقتها الأسرة المالكة في عهد مملكة شيلا بسبب معجزات نسبت إلى بعض القديسين البوذيين اقتفى السكان أثرها . وسرعان ما غمرت سفوح التلال الكورية بالمعابد والأيقونات والأديرة وأبراج المعابد وتماثيل بوذا الصخرية « ميروك » ، وتألقت الفنون الهندسية المعمارية والنحت والرسم ، والدراسات النظرية البوذية .

وإذا كانت البوذية قد فقدت مكانتها بعض الوقت خلال الاضطرابات السياسية في عهد مملكة كوريو وأثناء حكم أسرة « يي » التي طردت رجال البوذية في عام ١٣٩٢ من العاصمة ، إلا أنها انبعثت من جديد خلال السنوات الأخيرة ، واقتربت في مظهرها من روح العصر ، وسعت الى توثيق الروابط مع الحركات البوذية في البلاد الأخرى ، واتخذت مباديء جديدة تسعى لخدمة المجتمع ، وتتعاون مع مختلف الديانات في إطار حركة المسكونية العالمية كغيرها من الأديان .

إذا كان هذا هو تأثير البوذية في أعماق الكوريين ، ففي الأعماق الدفينة منهم أيضا تأثيرات الفلسفة الكونفوشيوسية التي تركت أثرا هاما في تكوين الشخصية الكورية . وقد كان التبحر في دراسة مؤلفات كونفوشيوس في الأخلاقيات والفلسفة ، هو الطريق الوحيد نحو النجاح السياسي والاجتماعي ، خاصة في عهد مملكة « زوسان » . وكانت الامتحانات التي تنظمها الدولة ويرسب فيها كثير من المرشحين سنوات متلاحقة هي المعيار الوحيد لقبول المثقفين في المناصب الادارية . وهذه المناصب هي المهنة الوحيدة التي كان في إمكان أي شخص مثقف موهوب أن يطمع في توليها دون مساس بكرامته .

الكل في واحد

الذي لا شك فيه أن العقائد والديانات لها تأثيرها الكبير على الثقافة الكورية . ولأن كوريا ظلت فترة طويلة ساحة لصراعات السياسة الدولية ، فقد وجدت على أرضها أيضا مختلف الثقافات والايديولوجيات القادمة من الشرق والغرب .

إن أي زائر لسيول سيلفت نظره مشاهد الحيوية والنشاط المرتبطة بوجود الثقافات التقليدية جنبا الى جنب مع الثقافات الحديثة . ومهما تلاقت الديانات والعقائد العالمية والتقليدية على الأرض الكورية بين شامانية وبوذية وكونفوشيوسية ومسيحية واسلامية ، فإن أيا منها لا يستطيع وحده تمثيل الثقافة الكورية الحديثة ، فتحت هذه الظروف يمارس الكوريون حياتهم الروحية بانسجام وتآلف ، وكما ذكرنا فان أي عضو في الأسرة يستطيع اعتناق أي معتقد من المعتقدات والفلسفات والديانات دون حرج ، فالجدة قد تكون شامانية ، والأم بوذية ، والأب كاثوليكي ، والحفيدة بروتستانتية ، والابن مسلم ، دون أي تفسخ للعلاقات الأسرية . فرغم هذا الاختلاف العقائدي في الأسرة الواحدة فإن الانسجام بين الأفراد مظهر اجتماعي واضح .

ومنذ القدم كان الكوريون يتجمعون معا لتقديم الأضحيات الطقوسية لعبادة الله ، ويمارسون الرقص والغناء ، خلال أداء مختلف الطقوس ، فكلهم يعيشون على نفس الأرض التي تمسكوا بها وأحبوها ، بجبالها ووديانها وأنهارها . وهم على هذه الأرض يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وعواطفهم . وإذا كانوا قد استقبلوا عقائد وديانات قدمت إليهم من خارج الحدود ، إلا أنهم عرفوا كيف يتكيفون معها ويكيفونها مع معتقداتهم الأصيلة . دون أن يقتلعوا الجذور التي تربطهم بالوطن والأرض والتاريخ .

من هنا .. فإنه لكي نفهم التجربة الكورية فإن علينا أن نفهم الانسان الكوري . ولكي نفهم الانسان الكوري فعلينا أن نسبر أغواره وأعماقه ، وهنا فقط نكون قد أجبنا عن السؤال الذي ذهبنا للبحث عن إجابته ..

التجربة الكورية .. هل هي وهم .. أم معجزة .. ؟ ! □

إنهم يزرعون خلايا المخ

إعداد : الدكتور محمد نبهان سويلم

أثناء احتفال الولايات المتحدة الأمريكية بالعيد المئوي لتمثال الحرية عام ١٩٨٦، لاحظ المشاهدون شخصا عرفوه جيدا وهو في عنفوان قوته ، وقد أخذ ذراعه يرتعش بحركات لا إرادية لم يكن هذا الرجل الذي اختير مع شخصيات شهيرة كثيرة ليشارك في الاحتفال المذكور إلا الملاكم محمد علي كلاي

فما الذي حدث « للملاكم الأعظم » حتى صدرت عنه تلك الارتعاشات ؟ وما هو مرضه ؟ وهل هناك إمكانية للشفاء ؟؟

خلال احتفال الولايات المتحدة الأمريكية بالعيد المئوي لتمثال الحرية ، جمعت الهيئة المنظمة نخبة من مشاهير البلاد في شتى الأنشطة ، ليقدموا التهنئة بالمناسبة ، ويرددوا مع الجماهير الأناشيد والأغاني ، وكان من بين المشاركين محمد علي كلاي ، أشهر ملاكمي هذا القرن لكن راع من شاهدوه ارتعاش ذراعه اليسرى ، واهتزازها هزات لا إرادية إن أسباب هذه الرعشة معروفة جيدا للأطباء ، وهي رد فعل طبيعي للضربات التي تلقاها طول فترة ممارسته للملاكمة ، ولها نفس مظاهر المرض الذي يصيب العجائز والطاعنين في السن ، ويحد من قدرتهم وحيويتهم ، ويعجزهم عن الحركة والحل والترحال

عادت الأذهان صوب سويديين أربعة ، ثلاثة رجال وسيدة ، قاسمهم نفس المرض ، وحار معهم الأطباء ، ولم يجدوا حلا سوى زرع خلايا جديدة



حين جحيم بعد بعده لعمم تبيع سبب
بعد سن لمصابه حتى تصبح الاصب سن
بهدمه سيب بسبب مستدل قلب وبيته به
تبعين لمصابيح سكان المالب وبعد لم عمم من
سحر به بعد بسبب لا بعد قد سب في قدره ح
حلال ح مع من سب عدمصه ومحالا تصب بحر
حدثه من باسر سحب حب سده فهي
حرحه حديده بسحب عن موت حين بعمم من
حيد اخذ بسبع من هذ الاحلال والاسبدت
سحلة به يكون في قبايل الاسام علاجب حرجا
وحيد حين قدر كسر من مستكل بين قد بعض
منهم بعض بس سحه صبيه بمرض .

علم عاصص

بالحد من حلال مع مسابقه حرحد حيص
به بعس بسبب احتماعيه شدة ومرت
حسه كه في رأي مع الاسباب عامل عاصصا على
الدعم من كل الابحاث ومعدمات اسع وقد فهنالك
سر بسبب سرها كما ان الحسه وحده
وحيث بصدت حوث من سائر المخ او احتلال
وصف تصديه يكن لعلماء يرون بهم يتعاملون
مع عدد محدود حد من احتلال وقد تصير او
صد يديس على ذلك نحتاج العمليات على
لعمم من ان شد سنشد سد نصب وقد بعضه


الحركة

فزراعة خلايا داخل المخ ليست مثل نقاهة مريض استؤصلت زائدته الدودية ، تمر عليه أيام معدودات ثم ينهض من رقدته سليما معافى ، ويعاود مزاولة حياته كأن شيئا لم يحدث ، بل إنها عمليات لها آثار بطيئة ، يوما تلو آخر تتجمع النتائج الايجابية وتتراكم ، ويبدأ المريض بعد فترة قد تطول إلى عدة أشهر في استجماع قوته ، ليصبح قادرا على العناية بنفسه .

يعتقد العلماء أنه في غضون سنوات خمس قادمة سوف تصبح جراحات زراعة خلايا المخ أمرا شائعا ، على الرغم من حاجتهم إلى معارف أساسية متشعبة عن التركيب البنائي وشبكة الاتصالات الحيوية بين الخلايا العصبية .

بيد أن هذه العمليات ليست فكرة جديدة أو مبتكرة كما يتصور بعضهم ، لكن القوة الاعلامية الحالية قد ركزت عليها أضواءها ، وأكسبتها ما ليس لها . ففي عام ١٩٠٣ ميلادية أجرت الباحثة الامريكية اليزابيث دوون من جامعة شيكاغو نقل أنسجة مخ فأر الى مخ فأر آخر . وقد لقيت عنت معارضة شديدة ، وإثارة قوية ، لكنها صمدت ، ونجحت ، فكان لها سبق الريادة بفتحها هذا السد المنيع من سدود العلم .

ان الذين عارضوها ، وصبّوا جام غضبهم عليها اعتمدوا على ما أوردته كتب الجراحة القديمة ، بأن الطفل يولد مكتمل المخ ، وأن بالمخ عددا ثابتا ومحددا من الخلايا ، ثم تبدأ الخلايا في الموت بتدرج وانتظام ، وبذلك ينتفي عمل الباحثة .

خلايا المخ . . تتجدد

ومعنى هذا أن خلايا المخ غير قادرة على صيانة ذاتها وتجديد خلاياها . وقد أكدت الأيام صدق حدس الباحثة ، وسقوط ذريعة المعارضين ، فمن خلال بحوث مرهقة أجراها الدكتور جوفرزي رايزهان إبان فترة الستينيات أثبتت النتائج أن خلايا المخ تتجدد ، شأنها شأن كل خلايا الجسم ، إذ لا حياة دون موت ، ولا موت دون حياة ، حتى على مستوى الخلايا ، ولولا هذا التجدد والنماء ما أمكن اندمال جرح ، أو التئام كسر عظمة ، فقد راقب الرجل خلايا مخ دمره حادث تصادم مروع ، فوجد أن خلايا سليمة على مقربة من خلايا مدمرة تنمو نموا سريعا ، وتمتد مثلما تمتد ذراعا أم حانية إلى المنطقة المدمرة ، وتؤدي نفس وظائف الخلايا القديمة .

وحتى يفحم الرجل كل الأفواه المعارضة كان لا بد له من دليل لا يأتيه الباطل من يسرة أو يمنة ، فلجأ إلى الميكروسكوب الالكتروني فجاءته الصور بخير دليل على صدق مقولته ، وهو نفس ما توصل اليه عالم أمريكي آخر هو الدكتور فيرناندو نوتن الأستاذ بجامعة روكفلر ، والذي رأى عين خلايا لحاء القشرة الخارجية لمخاخ الطيور تنمو وتتغير وتتبدل كل سنة ، وبذا تتعلم أنغاما جديدة تشدو بها فوق الأغصان ، وهذا موضوع طريف ، وأبحاث علمية جديدة ، تجري على مخاخ الطيور المغردة .

إن انبثاق خلايا عصبية جديدة أمر حيوي ، والأكثر حيوية منها خلق تشابكات عصبية توصل الرسائل بين الخلايا ، وتنقل الأحداث ، وتترجم مؤثرات البيئة إلى عقل الانسان ، لذلك ركز الدكتور ماريان دياموند أبحاثه على هذا القطاع ، مستخدما بعض فئران التجارب ، فإذا به أمام حقيقة مؤداها أن الفئران البالغة التي تحيا ضمن إطار بيئة نشطة حافزة تنمو لها شبكات بالقدر المطلوب .

كل هذه الحقائق ـ وسواها كثير ـ جعلت أبحاث زرع خلايا المخ أمرا ممكنا ، ومع بداية عام ١٩٦٦ ميلادية ، بدأت تجارب محدودة ، مثل نقل خلايا مخ فأر رضيع الى مخ فأر آخر تارة ، ونقل خلايا عين فأر وليد إلى عين فأر كامل النضج ، وقد تم ذلك وفق « تكنيك » جراحي بسيط ، يتلخص في إحداث شق صغير ، توضع داخله الخلايا الجديدة .

ولو قدر لأحدنا رؤية الخلايا المغروسة لرأى دائرة دقيقة لونها أبيض ، لو تابعها عدة أيام أخرى سوف يلاحظ نمو الخلايا وامتدادها وتشعبها ، وتجاوزها منطقة الغرس ، لدرجة دعت العلماء إلى قياس

مناطق الامتداد ، وحساب معامل التمدد اليومي . وقد يستحيل تسجيل مثل هذه المعلومات لو جرت العملية داخل خلايا المخ .

هنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال : لماذا عين الفأر وليس مخه ؟ وهو سؤال جيد نلمح إجابته من قول الدكتور الذي باشر التجارب ، لأن العين جزء متقدم من المخ ، وهي عضو بارز تسهل مراقبته ، وملاحظة تطورات الغرس ، ومدى قابلية الخلايا الجديدة والقديمة للاندماج والتواؤم والتلاحم ، أضف إلى ذلك عدة اعتبارات ، لعل أكثرها أهمية عدم احتواء قرنية العين على شعيرات دموية تربك عملية الزرع .

ومضت الأيام وتكررت التجارب على فترات أخرى باستخدام خلايا تم اختبارها بدقة متناهية وعناية شديدة ، حتى أن خلايا من قلب فأر قد غرست في عين فأر آخر ، فإذا بالخلايا الجديدة تستجيب للضوء الشديد ، وتتسع مع الضوء الخافت .

خطوات حاسمة

التقط علماء الولايات المتحدة الأمريكية طرف الموضوع من علماء أوروبا وأطبائها ،وتشكل فريق بحث ضم مجموعة رائعة من أعلى التخصصات العلمية والطبية ، وأفرز هذا التجمع الأكاديمي أول مؤتمر في العالم لبحث مشاكل مرض باركينسون ، وهو مرض سمي باسم مكتشف أعراضه الدكتور الانجليزي جيمس باركينسون ، إبان عام ١٨١٧ . من مظاهر هذا المرض زيادة صعوبة الحركة في البلع والنطق ، وجمود حركة الوجه ، ورعشة اليدين والذراعين . وبتقدم مرحلة المرض لا يستطيع المريض الاعتناء بنفسه ، وهو مرض يصيب حوالي مليون شخص من كبار السن في الولايات المتحدة الأمريكية كل سنة .

كل هذه الآلام بسبب نقص إفراز خلايا المخ لمادة الدوبامين .

وقد عالج الأطباء هذه الأعراض بأنواع مختلفة من العقاقير والأدوية ، كلها تسبب نوعا من الادمان ، وتولد حاجة إلى زيادة الجرعة ، مما ينجم عنه عودة أعراض المرض للظهور ، لهذا وجدوا ضالتهم في بحث إمكان زراعة خلايا إفراز الدوبامين بنفس النهج الذي تم على المرحلة التجريبية ، وقد حققت النتائج الأولى نجاحا تجاوز ٩٧٪ ولم يفشل العلاج سوى مع فأر واحد من ثلاثين فأرا تم إعداد مخاخهم بحيث يتعذر عليها إفراز الدوبامين ، ثم غرست داخل مناطق الافراز خلايا جديدة .

وتدريجيا تطور الأمر إلى التجارب على القردة العليا الأقرب تركيبا إلى الانسان ، وباتت المرحلة الانسانية تقترب من بدايتها ، وإن استحالت فعليا ، إذ يستحيل أخذ خلايا من مخاخ رضع لدرء خطر المرض ، ووقع العلماء في حيص بيص .

ولأن الله سبحانه وتعالى رحيم بعباده ، وعالم باحتياجاتهم ، ومقدر عليهم ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، لم يقصر إفراز المادة على خلايا المخ وحدها* ، فخلق للانسان مصدرا بديلا منذ خلقه الأول ، لم يعرفه العلماء ، بل ظل غائبا عن الأذهان حتى اهتدوا إليه بعد لأي ، فوجدوه أعلى الكلى ، حيث الغدة الكظرية ، فهناك المنبع البديل والاحتياطي الاستراتيجي للمادة الحيوية . وقد نشطت تجارب العلماء مرة أخرى على قص بعض هذه الأنسجة ، وإعادة زراعتها في المخ ، وقد ترددوا كثيرا ، وأعادوا تجارب خلايا الغدة الكظرية على الفئران مرة ومرات ، بأن قطعوا الخلايا الى قطع دقيقة رقيقة ، ثم حقنوها داخل خلايا المخ ، وبدأت القطع المدخلة في النمو ، وتحول شكلها الجيبي إلى الاستطالة ، واتخذت هيئة الخيوط العصبية الدقيقة ، ولم تمر عدة أيام حتى نشط إفراز الدوبامين ، وتحسنت الحركة العضلية الشاملة للفئران وعاد إليها اتزانها ، فقرر العلماء نقل التجارب الى الثدييات اقترابا من الوثوقية المطلوبة

* تقع خلايا إفراز الدوبامين على جانبي المخ من جهتي اليسار واليمين ، وغالبا يتم غرس الخلايا الجديدة في كلا الجانبين

فور إقرار تمهيد التجارب على الانسان سيد المخلوقات

مع بداية عام ١٩٨٢ ميلادية ، وداخل مستشفى كارولينسكا بالسويد بدأت التجارب البشرية تحت مظلة الخوف والرهبة والاستعداد الكثيف لما يتوقعون من ايجابيات وسلبيات ومفاجآت . وعبر شق جراحي بالظهر يزال ثلث الغدة الكظرية ، بينما يكون المريض واقعا تحت تأثير التخدير ، ويقسم النسيج الى عشرات القطع الصغيرة ، كل واحدة منها لا تزيد عن ميللمتر مكعب واحد ، وبعد ذلك يتم تفتيت المكعب الواحد إلى قطع أدق ، تسحب باستخدام محقن خاص ، وعبر ثقب صغير ذي عمق محدود على جانبي الرأس يتم حقن الخلايا الجديدة . هذا ما يحدث تماما . فهل لنا أن نتابع حالة المرضى الأربعة ؟؟

لم تمض أيام معدودات إلا وتحسنت حالتهم ، واستقرت حالتهم المرضية ، وبعد عدة أسابيع استعادوا قدرا من حيويتهم ونشاطهم . وعندما فحصت سوائل الأحبال الشوكية عثر على قدر غير ضئيل من الدوبامين . وبعد ثلاث سنوات ونصف من الجراحة استقرت الحالة المرضية لثلاثة منهم عند أدنى مظاهر المرض ، وأصبحوا قادرين على المشي والحركة والعناية بأنفسهم .

ردود فعل

لقد أحدثت عمليات زرع خلايا المخ ردود فعل عالية واسعة المدى ، اختلط فيها الحابل بالنابل ، وهناك من عارضوا وما زالوا معارضين ، وهناك من أيدوها دون تردد أو تحفظ ، وفيما بين أصحاب الرأيين كل المهتمين ، حتى بدأ فريق بحثي مصاد في الجامعات الأمريكية أبحاثا على تحقيق المادة مستعملا من بعض نفايات المواد المخدرة في محاولة لوقف عمليات زرع الخلايا .

هنا قد يندهش بعضهم من ردود الأفعال ، ويتساءل . لماذا ؟

والاجابة ببساطة أن التخوف ما زال قائما على الرغم من أن زراعة الخلايا قد تعيد لبعض فاقدي البصر هذه الهبة الالهية العالية . فقد أكدت الأبحاث الجديدة التي جرت في جامعة منيسوتا الامريكية شيئا أقرب الى الخيال ، مفاده أن الخلايا المغروسة تعرف تماما الطريق الذي تتجه صوبه ، وكأنها إنسان كامل العقل والادراك ، يعرف تماما وجهته وأهدافه ، والطريق الذي يتحتم عليه أخذه تحقيقا لغاياته وأهدافه . فقد لاحظ العلماء أن غرس أنسجة قرنية العين داخل مخاخ الفئران التي فقدت بصرها يعقبها أن الخلايا الجديدة تعبر كل مناطق المخ ، وتتجه دون تردد أو تخبط صوب المراكز البصرية الأولية ، وفق رائعة من روائع هذا الكون المنضبط بقانون كن فيكون . ولم يحدث أن لاحظ العلماء نمو تشابكات عضوية أو اتصالات عصبية خلال هذه الرحلة الطويلة إلى أن وصلت مكان الهدف على بعد مسافات عظيمة* من موقعها الأصلي ، وهناك شكلت شبكة الاتصالات ، وأحدثت التلاحمات المطلوبة ، وكأن للخلايا شفرة خاصة ، وخطة محكمة ، واستراتيجية واضحة . وما أن فردت شعيراتها حتى بدأت تحتل مواقع جديدة ، وتهاجم الخلايا التالفة ، في محاولة واضحة لتجديد حيويتها ونشاطها .

والمأمول أن يستكمل العلم مسيرته ، فقد يكون في هذا الأسلوب شفاء لأساس أنهك قواهم مرض باركينسون والزهيمر .

واليوم وبعد أن تجاوز عدد هذه التجارب خمسة عشر تجربة ناجحة ، وثلاث تجارب فاشلات ، فشلن فشلا ذريعا ، يبقى الأمل معلقا حتى يصبح علاج أمراض المخ عملا روتينيا لا خوف منه ، ولا قلق يحيط به ، ويبقى لنا ذكر قول الحق سبحانه وتعالى

(وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) □

---

* الأمر نسبي ، إذ أن سنتمترا واحدا بالنسبة لحركة خلية يعد مسافة عظيمة

وجهاً لوجه





فتحي رضوان ● أمينة النقاش

- المصريون يتباهون بأنهم "أولاد عرب"
- أدرك عبد الناصر أن فلسطين هي بوابة مصر
- الوحدة العربية .. ضرورة من ضرورات الحياة
- أصبحت زعيماً صغيراً بعد رحلتي للمشرق العربي

فتحي رضوان ليس في حاجة إلى تعريف ، فقد أصبح إحدى الظواهر العربية التي يقرأ عنها ـ ولها ـ كل من له متابعة بقضايا الأمة العربية وأهدافها وأحلامها ، ليس في السياسة فقط ، بل في الأدب والفن والتاريخ ، وفي ميدان العمل العام الذي برز في ساحته منذ أكثر من نصف قرن كاتبا وصحفيا ومناضلا .

يعتبر فتحي رضوان من الجيل الأول لرواد الفكرة العربية في مصر في فترة كانت « المصرية » هي الشعار الغالب بعيد ثورة عام ١٩١٩ . وقد عاش ـ أمد الله في عمره ـ حتى أثمرت افكاره ، ورأى أول دولة عربية موحدة القطرين ، وكان اول وزير للثقافة في الوطن العربي في وزارة الوحدة .

ومازال على الرغم من كل التيارات التي جرت في الأنهار المصرية والعربية يحمل هذا الاخلاص الثابت للفكرة العربية . وحول هذا الثبات ، ونشأته وظروفه دار معه هذا الحوار الذي أجرته الزميلة أمينة النقاش .

* أنت من جيل جمع في شبابه بين الدعوة لتحرير مصر وانتمائها للأمة العربية ، وفي نفس الوقت اشتركت في مشروع القرش ودعوت للرابطة الشرقية ، فما هي التأثيرات والتجارب الشخصية والعامة التي خلقت هذا التزاوج ؟

لقد نشأت شابا عاديا في المجتمع المصري ، وحين نتأمل في هذا المجتمع نجد أن كثيرا من التيارات التي تبدو متعارضة أحيانا ، هي في الواقع تيارات متناسقة ، ومنتظمة في آن واحد ، فالعروبة والمصرية قد تتعارضان في تصور بعض الأشخاص الخاضعين لمؤثرات بعينها ، كالوقوع أسرى للفكر الغربي دون عقلية نقدية ، أو للانتهازية ، أو لأغراض دنيوية خاصة بالجاه أو النفوذ ، أو لخدمة جهات بعينها ، أو بسبب قصر النظر وعدم الفهم .

فالفلاحون وعامة الناس لايعرفون شيئا اسمه مصر ، وهم حين يتحدثون عن مصر ـ أم الدنيا ـ فهم يعنون بها « القاهرة » ، كما كان المثقفون لايعرفون شيئا اسمه العروبة حتى صرت شابا ، فثقافتهم الاسلامية عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء الراشدين وعن الحضارة في بغداد ، ودمشق ، والأندلس ، وشمال أفريقيا ، تصب ـ في مفهومهم ـ في سياق الاسلام وليس العروبة .

ولذلك فقد فهمت المصري عبر أمثاله الشعبية ، وعاداته ، فالمصريون العوام لايصفون أنفسهم بأنهم مصريون فقط ، فالمصري لايصف جاره بأنه مصري يسكن بجواره ، ولكنه يقول « ابن عرب » ، وهم حين يتباهون بأنفسهم يقولون « نحن أولاد عرب » ، وحين أنشئت أحياء للمصريين في بورسعيد والاسماعيلية إبان الاحتلال البريطاني سميت « حي العرب » .

من هنا فإن المصري يؤمن بعروبته ، ويعتز بها بالفطرة ، وعبر حكاياته الشعبية ، فعنترة بن شداد عربي ، وهو رمز للشهامة ، والمغني الشعبي كان يحكي بصحبة ربابته قصة « الهلالية » ، وكيف كانوا يتنقلون من مكان إلى آخر في المنطقة العربية دون حواجز ، أو جوازات سفر ، فهي أمة واحدة .

الولادة والنشأة

وأردف قائلا : ولدت في حي « السيدة زينب » بالقاهرة ، وهو حي امتلك فؤادي وإعجابي دون حدود . وأعتقد أن تاريخ مصر الحديث قد ارتبط به ، كما أنه حي نموذجي ، يحمل كل خصائص

المجتمع المصري بمختلف ألوانها ، فالعرب والعروبة والاسلام والمصرية تبرز بسهولة فيه وتتزاحم فيما بينها ، حتى يخيل للمرء أن العروبة تشاغب المصرية ، والاثنتين تزاحمان الاسلام ، والثلاث تسير معا في نهاية يوم من العراك بمحبة وألفة لامثيل لها .

وفي هذا الحي قامت جريدة اللواء التي أسسها مصطفى كامل ، واتخذ من دارها مقرا لنشاطه السياسي والوطني ، وفيه أقيم بيت الأمة ـ بيت سعد زغلول ـ الذي اتخذه المصريون لنشاط ثورة ١٩١٩ . وإلى هذا الحي انتسب عدد من كبار المفكرين والكتاب ، منهم مصطفى لطفي المنفلوطي ، وعبد العزيز البشري ، وعلى الجارم ، ومحمد السباعي .

كما شهد هذا الحي أول حادثة قتل سياسي في مصر الحديثة ، حيث قتل بطرس غالي باشا عام ١٩١٠ ، بسبب مشاركته في المحكمة التي أعدمت الفلاحين المصريين في دنشواي ، ثم سعيه لمد امتياز شركة قناة السويس مدة أربعين عاما . وفيه أيضا اغتيل السير لي ستاك سردار الجيش المصري وحاكم السودان في نوفمبر ١٩٢٠ . وفيه مات أحمد عرابي ومصطفى كامل وسعد زغلول ، زعماء الحركة الوطنية المصرية ، وفي دار من دوره انعقد المؤتمر الوطني عام ١٩٢٦ للمطالبة بعودة الدستور .

لماذا ألم بي الخوف ؟

في عام ١٩١٩ ـ عام الثورة الوطنية المكانية ـ كان حينا يودع كل يوم شهيدا من شهداء الحركة الوطنية في جنازة ضخمة ، تشبه المظاهرة ، وترفع عليها واحدا يحمل الهلال والصليب جنبا الى جنب .

ويستطرد فتحي رضوان : « لقد رأيت بعيني في يوم من أحد أيام هذا العام جنود الاحتلال البريطاني يقتلون برصاصهم المسموم ثلاثة مواطنين ، وعدت إلى المنزل بعد هذه الواقعة ، ونفسي غير راضية ، أسائلها لماذا ألم بي الخوف ؟ ولماذا صمت وصمت الآخرون ؟ وفيما بعد تكشف لي أن ما حدث لم يكن خوفا ، بل حذر من العدو الذي يرغب في دفعنا لعمل طائش ينتهي بمزيد من القتلى .

وأذكر أني في صباي كنت أتابع ـ بعد صلاة العشاء بمسجد السيدة زينب ـ الخطباء الذين يتبادلون بجسارة إلقاء الخطب الوطنية الحماسية دون خوف من تهديدات الانجليز ، أو خشية من بطشهم . وتعلمت في قلب هذا المكان فن الخطابة بمعناها الصحيح :

ومن قلب هذه المواقف وغيرها تفتحت مداركي ، وترسخت مشاعري الوطنية ، وانتميت إلى هموم الوطن والأمة .

بالاضافة إلى حكايات والدتي التي كانت شديدة الطموح ، عاشقة لكل ما هو جميل في الشعر والنثر والزجل ، محبة لرواية سير الملوك ، وبطولات الزعماء ، فضلا عما منحني إياه حي السيدة زينب ، ذلك الحي الفريد الفذ .

في هذه الأجواء التي تنفست الهزائم والبطولات ، وودعت الشهداء ، وتوحدت فيها مشاعر الأمة ، وطوائفها امام الخطر الخارجي ، والتحمت فيها مشاعر العروبة والاسلام والمصرية . في هذه الأجواء نشأت ، وتنفست المشاعر العروبية ، والاسلامية ، والمصرية . فيا أنقى صورهم عن طريق الواقع ، لاعن طريق الكتب والمجلات .

الرابطة الشرقية

* وكيف نشأت فكرة الرابطة الشرقية ؟

نشأت هذه الفكرة في الثلاثينيات ، بعد أن تبين لي أننا ـ نحن العرب ـ أضعف حلقة في بلدان الشرق ، فقد ساقت لي الصدف فرص التعرف على عدد من الطلاب الشرقيين من تركيا وسمرقند والصين واليابان ، ممن يتلقون العلم في الجامعة المصرية والأزهر . كنت آنذاك أشعر أن الحركة الوطنية في

الوطن العربي هزيلة فكريا وثقافيا وحركيا مقارنة ببلدان الشرق الأخرى . وكنت أبحث عن الوسائل والقدرات التي تمكننا من مواجهة الاستعمار الانجليزي والفرنسي ، كما واجه الأتراك اليونانيين وطردوهم من بلادهم ، وكما حرر اليابانيون والأندونيسيون بلادهم من الهولنديين . ففكرت أن عملا مشتركا بين كل الشرقيين من شأنه أن يصعد بمصر ويقويها ، ويزيل أي خوف من مواجهة الدول الاستعمارية ، وتعمقت لدى فكرة الرابطة الشرقية ، ففكرت في عقد مؤتمر للطلبة الشرقيين لتوثيق الروابط بين الوطن العربي والدول الشرقية ، وتوسيع نطاقها ، وأقنعت بها عددا من أساتذة الجامعة ، منهم عبد الرازق السنهوري وأحمد أمين وعلى ابراهيم وعلي مشرفة وأمين الخولي وعبد الوهاب عزام .

واستكمالا لجهودي في عقد مؤتمر الطلبة الشرقيين سافرت وأنا في السنة الثانية بكلية الحقوق مع زميلي كمال الدين صلاح ـ الذي دفع حياته ثمنا لحركة التحرر الوطني الافريقية ، حيث لعب دورا في تغذية تطلعات الدول الافريقية المستعمرة للاستقلال ، حين كان يعمل رئيسا للمجلس الاستشاري للأمم المتحدة في مقديشو ، حتى أعلن استقلال الصومال ، حيث اغتالته القوى الاستعمارية ـ إلى العراق وفلسطين وسوريا وتركيا ولبنان للدعوة لهذا المؤتمر ، فاستقبلنا استقبال الأبطال ، وفزعنا من كبر حجم الاستقبال لطالبين مصريين لاشأن لهما بعد . وألقيت محاضرات في الجامعة السورية ، تحدثت فيها عن عروبة مصر وعن الوحدة العربية .

وحين عدت للقاهرة كتبت عدة مقالات عن رحلتي السابقة في الأهرام والبلاغ ، فكان لها أبلغ الأثر على شخصي ، وعلى فكرة الرابطة الشرقية .

بعد هذه الرحلة تحولت إلى زعيم صغير على مقاسي ، لكن مقالاتي أوغرت صدور المسئولين والملك من جانب ، وسلطات الاحتلال البريطاني من جانب آخر ، مما دفعهم لالغاء كافة الترتيبات لعقد مؤتمر الطلبة الشرقيين . وكان من أطرف الأسباب التي استندوا إليها أنني دعوت في مقالاتي إلى زعامة مصر للأمة العربية ، وقد فهم الملك أنني أدعو لزعامة النحاس باشا ـ زعيم حزب الوفد ، وخصم الملك اللدود ـ مع أنني كنت ضد النحاس باشا ـ ولم أتعاون معه في أي عمل مشترك من قبل . وطويت فكرة الرابطة الشرقية منذ إلغاء عقد المؤتمر .

يوليو العروبي

* شاركت بنصيب في المسئولية التنفيذية في السنوات السبع الأولى من ثورة يوليو ، وكنت قريبا من قياداتها ، فكيف تخلق الفكر العروبي للثورة وقادتها ؟

أستطيع القول بكل ثقة أن عبد الناصر كان تلميذا وفيا جدا لمدرسة مصر الفتاة السياسية ، وكان في سنوات حكمه الأولى يقلد أحمد حسين في طريقة خطبه المرتجلة متكررة المعاني ، وقد أشيع أن المبادىء الستة الشهيرة لثورة ٢٣ يوليو قد بدأت مع قيام الثورة ، وهذا غير صحيح ، فلم ترد تلك المبادىء على لسان عبد الناصر ، لا لي ولا لغيري ، لكنها تبلورت بعد أن نضج عبد الناصر ، وخاض معارك كثيرة ، فأصبحت هذه المبادىء ليست مبادىء الثورة ، لكنها مبادىء تنفيذ الثورة .

ولقد غزا فكر مصر الفتاة العروبي الخاص بقضية فلسطين ومصر والسودان قلوب أعداد هائلة من الضباط ، بينهم الضباط الأحرار ، لكن تأثر عبد الناصر بالقضية الفلسطينية كان مختلفا ، فقد شارك في حرب فلسطين ، وحين تولى السلطة درس وقرأ كثيرا ، وأخذت أفكاره تتكون من الوقائع والقراءات ، فضلا عما يسمع ويرى ، فأدرك بوضوح لالبس فيه أن بوابة مصر للتحرر هي فلسطين ، وأن إضعاف النفوذ الأجنبي على مصر كفيل بتحرير فلسطين .

وأستطيع أن أقرر للتاريخ أن البعد العروبي لدى عبد الناصر واهتمامه بقضية فلسطين ، والربط بينها وبين تقدم مصر ، كانت خاصية تميز بها عبد الناصر وحده دون غيره من الضباط الأحرار ، فطوال الفترة التي بقيت فيها وزيرا وبعدها عام ١٩٦٤ لم أسمع من أي واحد من الضباط الأحرار الذين يتقلدون مناصب الدولة المختلفة أي حديث أو فكرة تشير من قريب أو بعيد إلى اهتمامهم بالفكر العروبي . لقد كانت العروبة وفلسطين هما من هموم عبد الناصر ، وقد وضع الاهتمام بهما وهو قائد وحاكم في مقدمة أولوياته .

هزائم مؤقتة أم انحسار

* هل يمكن القول بأن عروبة العرب قد تراجعت في العقد الأخير ، وأن الاحساس بالتوحيد والمصير المشترك آخذ في الانحسار ؟

دمعت عينا فتحي رضوان وهو يجيب عن سؤالي فقال بأسى :

هذا سؤال فيه لبس ، يحتمل أكثر من إجابة ، فبعد الهزائم العسكرية المتوالية التي لحقت بالأمة من المحيط إلى الخليج فإن فريقا منها أخذ ينشط دفاعا عن مصالحه ، وينفث سمومه ضد قضية العرب والعروبة ، واتخذ من عبد الناصر وسياساته هدفا لهجومه ، فحدثت أضرار للفكرة العربية وسط هجمة شرسة على كل سياسات عبد الناصر ، الصائبة والخاطئة .

وهناك فريق آخر من الأمة يتاجر بالعروبة ، وفريق ثالث يكرهها كراهية رسمية ، لكنه لايعبر عن ذلك صراحة .

ولقد أدركنا نحن أبناء هذا الجيل قضية الوحدة العربية وأنها ضرورة في وقت توحش فيه الاستعمار ، وأصبحت فيه الوحدة هي العدو اللدود للاستعمار ، فبذل ـ ولا يزال يبذل ـ جهودا مضنية لعمل الانقلابات والمؤامرات واصطناع الحكام المعادين للعروبة والتوحد الفعلي للعرب .

لكن الصورة ليست مظلمة ، فإلى جانب هذا وذاك يوجد في الأمة مثقفون وسياسيون لايرضون عن هذا الفساد الذي يستشري في جسدها ، ويزداد تعلقهم في الوحدة يوما بعد آخر ، وإيمانهم عميق بقضيتي الوحدة والعروبة .

طويت أوراقي ، وحين هممت بالانصراف كان فتحي رضوان قد أخذ بالاشتغال بإعداد مرافعة عن عدد من المعتقلين السياسيين في أحد الاقطار العربية .

شددت على يديه وقلت باسمة :

نعم ليست مظلمة تماما ! □

● الاختلاف في الرأي ينبغي ألا يؤدي الى العداوة والا لكنت أنا وزوجتي من ألد الأعداء . (سقراط)

● عَيَّرَ ثعلب لبؤة بأنها إنما تلد في عمرها كله شبلا واحدا ، فقالت : نعم إلا أنه « أسد » .

● تصادق مع الذئاب ، على أن يكون فأسك مستعدا .

(مثل روسي)

● خير لك أن تشعل مصباحا ضئيلا لايكاد يرى ، من أن تنفق وقتك في استمطار اللعنة على الظلام . (كونفوشيوس)

- لقاحات الإيدز.. طموحات وعقبات
سمير صلاح الدين شعبان
- التربية.. هل هيَ الدواء لكل أدواء المجتمع ؟!
د. سعيد اسماعيل
- " الأولمبياد " له قصة
عادل شريف
- العناكب .. كائنات مبدعة !
د. وسيمة الحرطي
- كتاب الشهر: الهمذاني لسان اليمن
عرض: د. حسين العمري

- وجهاً لوجه: د. محمود المسعدي و د. محمود طرشونة

- العمارة الإسلامية في الإمارات العربية المتحدة
صادق يلحب

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - د. عبد العزيز كامل - د. محمد الجوهري - د. هاني الراهب
فاروق شوشة - د. عادل عبد الكريم ياسين - د. حامد أبو أحمد - د. صباح اسماعيل علي



الصراع "الديمغرافي" بين الشمال والجنوب

بقلم : الدكتور عبد الإله أبو عياش

« لم يعد الصراع بين الشمال والجنوب مقتصرا على قضايا نقل التقنية ، وتمويل التنمية ، وتحرير التجارة وأسعار المواد الخام ، والديون وفوائدها ، فقد دخل عنصر جديد الى ساحة الصراع ، لم يكن أحد يحسب له حسابا ، فقد دفعت الظروف والمتغيرات بالبعد « الديمغرافي » الى بؤرة الاهتمام ، ليصبح بعدا أساسيا في الصراع « الاستراتيجي » الدائر » .

لم تعد قضية الصراع « الديمغرافي » مجرد رفاهية فكرية أو متعة للنقاش الأكاديمي ، وإنما أصبحت قضية حيوية ، تمس جوهر وجودنا في حاضره ومستقبله . فهناك اليوم مخاوف متنامية في أوروبا بشكل رئيسي من الخلل الحاد في التوازن « الديمغرافي » بين شمال القارة الأوروبية وجنوبها من ناحية ، وبين شمال البحر المتوسط الذي تمثله دول جنوب أوروبا وجنوب البحر المتوسط الذي تمثله الأقطار العربية .

لقد أصبحت المخاوف تطرح بأشكال مختلفة ، وبصيغ فظة من الأسئلة والاستنتاجات والشعارات . ويتوقع عديد من المتنبئين بأنه ستحدث اندفاعات سكانية من الجنوب الى الشمال ، ذلك أن دول جنوب البحر المتوسط تتعرض لضغوط سكانية كبيرة ، بسبب الزيادات العالية في المواليد ، واتساع فئات الشباب فيها ،

خاصة فئة ١٤ سنة فأقل . وقد حدا هذا الوضع بأحد كتاب جريدة « اكسبرس » الفرنسية بول ـ جان فرانسيسيني الى الاعتقاد بأن هناك حربا صليبية جديدة ممثلة بالعمالة المتدفقة من الجنوب باتجاه المدن والأرياف الأوروبية ، بسبب قلة التناسل وانخفاض النمو السكاني وتناقص المواليد في الدول الأوروبية ويقف هذا الكاتب حائرا أمام التاريخ وتقلباته حين يقول « بأن أوروبا التي كانت في الماضي تصدر الهجرات السكانية الى أصقاع الدنيا أصبحت اليوم مهددة بالاندفاعات السكانية القادمة اليها من جنوب البحر المتوسط »

مزيد من السكان ومزيد من الاضطرابات

تشير الأرقام المستقبلية الى أن عدد سكان جنوب البحر المتوسط سيصل الى حوالي ٢٤٥ مليون نسمة في نهاية هذا القرن ، في الوقت الذي لم يكن عددهم يتجاوز ٤٠ مليونا في بدايته ومن المتوقع أن يصل عدد سكان كل من مصر وتركيا الى حوالي ١٣٠ مليون نسمة ، بينما لن يكون بمقدورهما إطعام أكثر من مائة مليون نسمة في أحسن الأحوال كما أن استمرار معدلات الزيادات السكانية الى أكثر من ٢٪ سنويا في جنوب البحر المتوسط مقابل تناقص مستمر في معدلات هذه الزيادات في أوروبا سيزيد من اتساع الفجوة « الديمغرافية » بينهما وفي الوقت الذي تشكل فيه فئة الأعمار ١٤ سنة فأقل حوالي نصف مجموع السكان في جنوب البحر المتوسط فإنها لا تزيد عن ٢٥٪ من مجموع سكان أوروبا

وتتعزز القناعة اليوم بأن استمرار التزايد والضغط السكاني سيؤدي الى المزيد من الاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، والى تصاعد العنف الدموي والنزاعات الاقليمية المسلحة داخل الدول وعبر حدودها وتبرز هذه المظاهر الخطيرة في حزام الجوع الممتد من السنغال حتى أثيوبيا وعبر الدول الصحراوية الافريقية التي تعرضت مواردها للهدر والنضوب ومما زاد الأوضاع سوءا وتعقيدا الظروف المناخية السيئة التي سادت هذه المناطق خلال السنوات الماضية وقد نجم عن ذلك استفحال ظاهرة التصحر وامتداد الصحراء والكثبان الرملية الى المناطق الزراعية الخضراء التي تحولت الى قفر يباب وقد صاحب ذلك هجرات سكانية مكثفة باتجاه المناطق الزراعية التي سرعان ما تعرضت هي الأخرى للتدمير مرة أخرى تحت وطأة الهجرات والضغوط السكانية

ماذا سيفعل الجياع ؟

تشير التوقعات الى أن عدد الجياع في أفريقيا سيتضاعف من حوالي ٧٪ من مجموع السكان في الوقت الحاضر الى ما يزيد على ١٦٪ في نهاية هذا القرن وسيؤدي هذا الى مزيد من الاضطرابات ، وربما الانقلابات والتصفيات الدموية وقد ذكرت اللجنة الاقتصادية للقارة الأفريقية في أحد تقاريرها



« أن المستقبل والسنوات القادمة أشبه ما يكون بالكابوس . وسيكون للتضخم السكاني أثر كبير على الموارد الطبيعية . وستتحول الصعوبات الاقتصادية والمشكلات الاجتماعية المصاحبة لها الى اضطرابات وصراعات دموية »

يقول نورمان مايرز من صحيفة « غارديان » البريطانية ، وهو من أكثر المراقبين خبرة في الشؤون الأفريقية إنه لا يشك بأن هناك ارتباطا قويا بين التفجر السكاني والنزاعات العسكرية ويقتطف من كلام الدكتور بطرس غالي وزير الدولة للشؤون الخارجية في جمهورية مصر العربية قوله « إن الحرب في منطقة الشرق الأوسط ستكون حول مياه النيل لا حول المواضيع السياسية القائمة ، فمصر التي تعاني من الآثار السلبية لظاهرة التصحر ستتناقص فيها المنتجات الغذائية بمعدل ٦٪ خلال لسنوات العشر القادمة وستزداد واردات مصر من الحبوب من ستة ملايين طن في الوقت الحاضر الى أكثر من ١٢ مليون طن في نهاية هذا القرن وهناك من يشك في قدرة مصر على تمويل وارداتها في المستقبل في ضوء الديون الخارجية التي تزيد على ٣٦ مليار دولار في الوقت الحاضر ، بينما لا تزيد قيمة الناتج القومي الاجمالي عن ٣٠ مليار دولار

يقول البروفسور جورج تابينو وهو واحد من أبرز خبراء « الديموغرافيا » لحوض البحر المتوسط بأن استمرار التزايد السكاني سيضاعف من « الضغط نحو المخرج » ، خاصة بعد أن وصلت الدول الخليجية الى مستويات التشبع من اليد العاملة المهاجرة والمخرج كما يراه هو باتجاه أوروبا . وأن أشد ما يقلقه هو الهجرة غير المشروعة وأسواق العمالة السوداء التي تنتشر اليوم من اليونان الى البرتغال ، ففي الوقت الذي يمكن أن تنجح فيه سياسات الهجرة في الحد من الهجرة المنظمة ، فإنها لن تستطيع كبح جماح الهجرات العمالية غير المشروعة ، خاصة عندما تلتقي مصالحها بمصالح أصحاب الشركات الذين يشترونهم بأبخس الأثمان

حلم إعادة التوازن

لا شك أن هذا الوضع يحشر أوروبا في عنق رحاجة « ديمغرافية » ، ولهذا فإن ما يعنينا هنا ليس هو الأرقام المجردة فقط ، وإنما السياسات والتطورات التي تأخذها أوروبا في الحسبان لمواجهة هذا المأزق « الديمغرافي » ، فالأخطار التي تراها أوروبا في بعدها الاستراتيجي لا تقتصر على مجرد الدائرة « الديمغرافية » ، بل تتعداها الى الدوائر الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، فالهجرات المستمرة ستؤدي الى استقطابات اجتماعية ، تتمثل في ظهور التجمعات والأحياء السكانية المهاجرة ومدن المهاجرين الذين تزداد ضغوطهم الاجتماعية مع تكاثر أعدادهم ، ويرتبط بهذا تغير في أنظمة القيم الاجتماعية ، ونوعية الثقافات ، مما يؤدي الى مزيد



من التنافر الاجتماعي والثقافي بين السكان . وتعتبر الأخطار الاقتصادية أشدها ، لأن انخفاض النمو السكاني في الدول الأوروبية سيزيد من نسبة إسهام العمالة الوافدة ، وضعف الأسواق المحلية في هذه الدول ، مما يؤدي الى تراجع اقتصاداتها ، ودخولها في مراحل الركود الاقتصادي بكل تبعاته وسلبياته .

وهناك اليوم ضواح وأحياء للمهاجرين ، تنتشر في معظم المدن الأوروبية الكبرى ، ففي ألمانيا الغربية وحدها يوجد أكثر من أربعة ملايين عامل أجنبي غالبيتهم من الأتراك ، كما يوجد مئات الآلاف من المغاربة والجزائريين والتونسيين في فرنسا وألمانيا وبلجيكا وغيرها من الدول الأوروبية ، كما ينتشر ملايين الملونين والأفارقة في المدن البريطانية ، وبخاصة في لندن والمدن الصناعية الرئيسية ، وتتركز الملايين من دول الكومنولث وغيرها في أكثر المناطق فقرا وتخلفا في هذه المدن ، وتعاني الأيدي العاملة المهاجرة من انتشار البطالة بين فئاتها المختلفة ، ومن تدني معدلات دخولها ، وتردي مستوياتها المعيشية ، ونقص حاد في الحاجات الأساسية والخدمات من صحة وتعليم ، كما أن هناك أعدادا كبيرة تعاني من البطالة الموسمية ، ومن الافتقار الى فرص التعليم والتطور الاجتماعي . وتتميز حياتهم الاجتماعية بالاحباطات المتراكمة ، وزيادة الجنوح والانحرافات بين العاطلين ، خاصة بين فئات الشباب ، وتزداد بينهم المشكلات الاجتماعية الحادة مثل تعاطي المخدرات . ولهذا فإن هذه الأحياء في نظر الأوروبيين ليست سوى بؤر اجتماعية خطرة ، تحمل في طياتها كل احتمالات التوتر والانفجار ، على غرار نمط احتجاجات واضطرابات السود والملونين التي حدثت في المدن البريطانية خلال السنوات الماضية ، كما أن هذه التجمعات تشكل بيئات خصبة لكل التيارات الفكرية والسياسية التي تستهويهم ، وتنتشر بينهم بسرعة مدهشة .

ويبدو على الرغم من كل التحفظات التي يمكن أن تطرح أن ما تسعى اليه أوروبا في استراتيجيتها بعيدة المدى هو إعادة التوازن الى هذا الخلل « الديمغرافي » المتفاقم بينها وبين جنوب البحر المتوسط . وإذا ما تم القبول بمفهوم « الاستراتيجية » على أنها لعبة البدائل والخيارات في إطار الظروف والوضعيات المتغيرة ، فإن البديل أو الخيار « الديمغرافي » يبرز كأخطر بعد يواجه أوروبا في الصراع « الاستراتيجي » التاريخي بين الشمال والجنوب . إن أكثر ما يعنينا هو دخول منطقتنا العربية والاسلامية في دائرة هذا الصراع شئنا أم أبينا ، وهو صراع قائم على خلق التوترات والاضطرابات التي تصب باتجاه إعادة التوازن الى الصورة « الديمغرافية » المهزوزة على جانبي المتوسط شمالا وجنوبا .

الوعي بلعبة الصراعات

إن هذه الحقائق على الرغم من مرارتها هي جزء من الواقع الذي تعيشه أمتنا العربية والاسلامية ، وهي حقائق تصل الى مرتبة الصدمات التي لابد من تقبلها والتعايش معها والعمل على احتوائها في إطار من العقلانية المبدعة والرؤية المصيبة ، فهذه المنطقة بشعوبها وثرواتها كانت ومازال مستهدفة ، ومالم نجد لنا موطىء قدم في حلبة الصراع يساعدنا على تعزيز مراكزنا لنبقي الخيارات ولعبة البدائل في دوائر سيطرتنا وتحكمنا ، أو على الأقل تحت تأثيرنا ، فإن الأثمان التي سندفعها ستكون باهظة مكلفة .

إن قراءة الأحداث وتواتراتها وأنماطها في إطار الرؤية المستقبلية فن وإبداع ، لأن القدرة على ذلك تتيح لنا مواجهة البدائل والبحث في الخيارات التي تمكننا من تجنب المآسي والكوارث التي تتعرض لها منطقتنا بإنسانها وقواها البشرية وثرواتها واقتصاداتها وثقافاتها ، وهي منطقة ستبقى مهددة هشة في غياب الادراك الكامل والوعي العميق بأبعاد لعبة الصراعات هذه ، وإذا ما نجحنا في المشاركة بإدارة دفة الصراع في إطار من العقلانية والوعي المبدع فإننا سنكون قد جنبنا أنفسنا وأهلينا وشعوبنا المخاطر المفزعة والأزمات المدمرة .

وفيما عدا ذلك ، فإن الغيبوبة الفكرية ، والتعامل مع الغيبيات ، وإدارة الظهور للتفكير العقلاني المنظم سيقودنا الى المجهول . □

ظاهرة الفردية في المجتمع الأمريكي

بقلم : الدكتور محمود الذوادي

في داخل فلسفة النظام الرأسمالي تكمن أفكار إعلاء الفردية ، واحترام الفرد ، وإطلاق المنافسة ، ومع الوقت ، وكلما تعقد النظام الرأسمالي من داخله أصبحت الفردية ملمحا مهما من ملامحه ، لكنها اليوم صارت علامة مرضية بعد أن تفاقمت وتطورت .

يبدو أن هناك اتفاقا اليوم بين ملاحظات عامة الناس من جهة ، والدراسات المتخصصة من جهة أخرى ، بخصوص انتشار ظاهرة الفردية في المجتمعات الغربية الرأسمالية الصناعية . ونعني بالفردية هنا ميل الشخص ونزوعه أولا وقبل كل شيء إلى الاهتمام بنفسه وشؤونه الشخصية ، وتهميشه في نفس الوقت لأهمية ارتباطات الفرد الاجتماعية ، ومبدأ الاستعداد للتضحية من أجل صالح الجماعة الصغيرة أو المجتمع ككل .

ومن هنا فنزعة الفردية تمثل ملمحا رئيسيا للشخصية الجماعية للمجتمعات الغربية الرأسمالية الحديثة . ويرى بعض المفكرين الغربيين أن ظاهرة الفردية بالمجتمع الأمريكي تتميز عن أخواتها في بقية المجتمعات الرأسمالية الأخرى ، من حيث ظروفها التاريخية والاجتماعية التي أثرت في مراحل تطورها .

وفي رأينا أن الكشف عن طبيعة الفردية الأمريكية يمكن أن يكون له انعكاسات بالنسبة لنا كعرب في مجال تحسين مقدرتنا على فهم المجتمع الأمريكي ، وبالتالي التعامل معه ومع أفراده ، تعاملا فاعلا على مستوى العلاقات الشخصية أو القضايا المشتركة ، وفي طليعتها القضايا السياسية الشائكة ، وفي فهم طبيعة الفردية في المجتمعات العربية ، واستشراف تطورها المستقبلي في الوطن العربي الذي يعيش تجربة تغيرات واسعة متأثرة الى حد كبير بالنمط الغربي الرأسمالي ، نتيجة لتأثير وسائل الاعلام الغربي (صحافة - سينما - تلفزيون) واختراقها للشخصية العربية .

جذور الفردية الأمريكية

مما لا شك فيه أن للظروف التاريخية والاجتماعية التي عرفها المجتمع الأمريكي منذ عهوده الأولى دورا

رئيسيا فيما تتميز به الفردية الأمريكية كظاهرة نفسية اجتماعية . فهجرة الاوروبين الأوائل إلى العالم الجديد كانت تمثل بالنسبة لهم إمكانية حقيقية لتحقيق حلم الحرية بأبعادها السياسية والدينية والاقتصادية . ولا يمكن ـ في نظرنا ـ فهم ظاهرة الفردية هذه ومراحل تطورها عبر القرون دون ربطها بالحرية كقيمة أساسية في تكوين شخصية الفرد الأمريكي .

فقيم الشخصيات السياسية والدينية للمجتمع الأمريكي الأول كانت تنادي بأهمية الوازع الفردي كمحرك فعال للانسان الأمريكي ، فبنجمين فرانكلين (١٧٠٦ ـ ١٧٩٠) أكد على أهمية مبدأ حرية الفرد في تحسين وضعه اقتصاديا واجتماعيا ، وذلك بالاتكال على جهوده الشخصية . وليس غريبا أن يدعو هذا الزعيم الأمريكي الى ذلك ، إذ هو مثل « لهذه الدعوة . فهو ينحدر من عائلة فقيرة ، إلا أنه استطاع بمجهوداته الفردية أن يتسلق السلم الاجتماعي الأمريكي ، ويتصدر الريادة في مجتمعه .

وفي القرن التاسع عشر اشتد عود ما يمكن أن نسميه بالفردية الاقتصادية النفعية ، فأصبح كد الأمريكي لتحسين وضعه الاقتصادي مرادفا لتحسين ظروف المجتمع ككل . ولعل هذه الرؤية الاقتصادية كانت متأثرة بفلسفة عالم الاقتصاد البريطاني « آدم سمث » الذي رأى هو أيضا أن المكاسب الاقتصادية التي يحصل عليها الفرد نتيجة لأعماله هي في نفس الوقت دعم لتحسين الوضع الاقتصادي للمجتمع ككل .

لكن الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي « دي تكفل » كان شديد القلق إزاء انتشار ظاهرة الفردية بمعناها الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع الأمريكي آنذاك ، فالمفكر الفرنسي كان متشائما من مستقبل المجتمع الأمريكي ومصيره ، حيث ينعزل فيه الأمريكي عن الأمريكي نتيجة لتزايد اهتمام الفرد الأمريكي بهمومه الشخصية .

ونظرا لتجذر ملامح الفردية في الشخصية الجماعية الأمريكية في عهده أطلق « دي تكفل » على ذلك عبارة « عوائد القلب » ، أي أن نازع الفردية أصبح واقعا لا شعوريا ممتزجا مع خبايا القلوب أو مع الجانب العاطفي للانسان الأمريكي . إن هذه الجبلّة الفردية الكاسحة قد تقود المجتمع الأمريكي إلى مجموعة من الأفراد المتصارعين لا المتضامنين ، ومن ثم تخلق فرصا لظهور الأنظمة السلطوية والدكتاتورية . وللوقاية من ذلك يدعو « دي تكفل » إلى تأسيس منظمات جماعية مدنية ، يمكن للديمقراطية أن تستمر وتزدهر في ظلها .

اشتداد عود الفردية في القرن العشرين

يلاحظ دارسو ظاهرة الفردية الأمريكية أن عودها قد اشتد أكثر في القرن العشرين على الأخص ، ويرجع ذلك أساسا ـ في نظرهم ـ إلى عمليات التصنيع ، والتحديث ، وانتشار سلطة الثورة العلمية ، وتأثيرها على معظم ملامح المجتمع العصري ، بما في ذلك شخصية الفرد نفسه ، فالعائلة الأمريكية كوحدة اجتماعية أساسية لتنشئة الفرد على أهمية الصالح الجماعي أو أهمية النزعة الفردية قد تأثرت أيضا بالايدلوجية الفردية في تربية أطفالها ، وبالطبع فإن سيطرة قيم الفردية داخل المحيط العائلي لا بد أن يؤثر على معنى الترابط والتضامن الاجتماعيين وممارستهما داخل العائلة وخارجها ، فالعرف الأمريكي يشجع الأولاد على الانفصال عن آبائهم وأمهاتهم عند بلوغهم سن الثامنة عشرة ، حتى يصبحوا مسؤولين عن أنفسهم ومستقلين عن أي تبعية عائلية أو غيرها . وإذا كانت الثورة الصناعية في الغرب على العموم قد أدت الى اندثار ما يسميه علماء الاجتماع العائلة الممتدة وظهور العائلة النووية (الصغيرة) ، فإن فلسفة التحديث وروح العلوم السلوكية الغربية ساعدت أيضا على تضخم تضاريس ظاهرة الفردية في المجتمع الأمريكي ، فمفهوم الحداثة يتضمن أساسا القيم التي تدعو إليها الفردية ، فحرية الفرد واستقلاليته عن الآخرين تأتي في طليعة القيم التي تنادي بها روح الحداثة في المجتمع الأمريكي المعاصر . ومن عوامل

تضخم ظاهرة الفردية في المجتمع هو تعامل الأمريكي مع رأس المال والمكاسب المادية التي أصبحت أكثر فأكثر في العصر الحديث من أهم القيم التي تحرك الانسان الأمريكي اليوم ، فالأجيال الأمريكية تتم تنشئتها على أن ما يملكه الشخص من مال وممتلكات هي له وحده ، وينبغي استعمالها لحاجاته الخاصة لا غيرها .

وهكذا اشتد عود الفكرة والممارسة لأنانية كسب المال واستعماله من جهة ، وتلاشى في نفس الوقت المعنى الجماعي لاستقلال المال واستعماله من جهة أخرى . ومنه يمكن القول انه بهذا التطور سلب استعمال المال من إمكانية قيامه بدوره الاجتماعي كعملة تضامن بين الأفراد والفئات لا كوسيلة عزل بينهم .

ومثال ثان لدور المال في عزلة الفرد عن الآخرين هو تعامل كبار السن مع المال في المجتمع الأمريكي ، فالكثيرون من هؤلاء لهم أرصدة مالية كبيرة في المصارف (البنوك) أو ماشابهها ، ويقومون بكل الاجراءات لربح أكبر نسبة من الفائدة ، وعلى الرغم من توفر المال عندهم إلا أنه من النادر أن يدعو أحدهم صديقه أو أصدقاءه لغداء أو عشاء في أحد المطاعم ، ويدفع هو وحده ثمن ذلك . فالمال بهذا الاعتبار يقوي شوكة الفردية عند الأمريكي العصري عوضا عن كبح جماحها لصالح الروح الجماعية ومن واقع سيطرة روح الفردية على تصرفات المواطن الامريكي الحديث يصبح صعبا عليه فهم سلوك الناس من مجتمعات أخرى ، حيث يستعمل الشخص العادي ماله الشخصي في سبيل الجماعة .

الملامح الاجتماعية لظاهرة الفردية

إن نمط الفردية الامريكية لا ينحصر تأثيره على طبيعة الاستعمال لرأس المال فحسب ، بل يمس الملامح الاجتماعية للمجتمع الامريكي أيضا ، فالتقبيل سلوك إنساني ذو طبيعة مشحونة بالمشاعر والعواطف لكنه لم يفلت من تأثير قبضة هذه الفردية الأنانية ، إذ تحكمه في المجتمع الأمريكي معايير صارمة متطرفة ، فالتقبيل بين الذكور ظاهرة غير مقبولة اجتماعيا في هذا المجتمع ، وكذلك شأن ظاهرة التقبيل بين الجنس اللطيف من فتيات ونساء ، وإن كانت معايير التقبيل ، بينهن تتصف بشيء من المرونة لا نجده بين الذكور ، وقد أدت هذه القواعد المتشددة الى سلب التقبيل عفويته التعبيرية ازاء الآخرين ، ومن ثم عزل ، بعض الأفراد عن بعضهم ثم تدعيم ظاهرة الفردية كواقع نفسي واجتماعي . وبتقليص ظاهرة التقبيل كوسيلة من وسائل التفاعل الاجتماعي الأكثر دفئا ضعفت بالتأكيد حرارة العلاقات الانسانية بين أفراد هذا المجتمع ، وهذا واقع أكدته كثير من دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية في المجتمع الامريكي نفسه .

ولاقت ظاهرة التصافح نفس المصير ، فممارسة التصافح ظاهرة نادرة بين الأمريكيين ، لا تكاد تستعمل خاصة بين الذكور الا في مناسبات معينة ، (مثلا بعد غياب طويل بين الأصدقاء) فاندثار تقاليد التقبيل والتصافح من المجتمع الامريكي الحديث مؤشر واضح على رغبة الأمريكي في عزل نفسه عن الآخرين .

وهكذا يمكن القول أن نمط الفردية الأمريكية قد أنشأ عرفا اجتماعيا ، نتج عنه تبريد شامل في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ، ومن ثم عزل بعضهم عن بعض

وهكذا فالفردية الامريكية - كما حاولنا وصفها هنا - هي إفرازة نفسية اجتماعية ، تضافرت على تجسيمها ظروف ومعطيات مميزة لطبيعة المجتمع الأمريكي . وإن هذه الفردية المتصلبة في المجتمع الأمريكي الحديث هي في الحقيقة عرض لعمق التفكك الاجتماعي فيه . وفي رأي بعضهم أن النسيج الاجتماعي يعاني من سرطان التصدع ، كما تقاسي البيئة الطبيعية أخطار التصنيع والتقنية الحديثة ، فالحاجة ماسة إذن لانقاذ النسيج الاجتماعي عن طريق الاهتمام بالبيئة الاجتماعية التي تعتبر السبيل الوحيد لضمان استمرار المجتمع الأمريكي كائنا اجتماعيا حيا سليما □



ومشاكل العصر

بقلم : الدكتور سمير رضــوان

تكررت الكتابات حول « الهندسة الوراثية » وتطبيقاتها في استنباط سلالات نباتية وحيوانية وميكروبية جديدة .
وما الهندسة الوراثية إلا أحد فروع « البيوتكنولوجيا » .
ولن نفصل هذه التطبيقات هنا ،
إنما سوف نتعرض لدور « البيوتكنولوجيا » في حل أكثر مشاكل العصر إلحاحا :
وهي الطاقة ، والتلوث ، والصحة .



انفجر بركان المعارف العلمية مع بداية القرن العشرين ، وكان من الطبيعي أن يسعى العلماء في العقود الأخيرة - بعد أن تراكمت المعارف العلمية من خلال البحوث - إلى استثمار هذه المعارف لتحقيق فوائد يلمسها الإنسان هذا الاستثمار هو في الواقع أبسط تعريف لكلمة « تكنولوجيا » ومن الملاحظ أن الدول المتقدمة « تكنولوجيا » هي بعينها التي كانت ومازالت متقدمة في مجال البحوث الأساسية . هذه حقيقة سوف تبقى ثابتة على الرغم من تناسيها في العالم الثالث ، حيث دفع الطموح بعضهم إلى الدعوة لضغط الانفاق وقصر البحوث في الجامعات والمعاهد العلمية على البحوث التطبيقية ، قفزا فوق البحوث الأساسية ، وهو قفز لا يختلف كثيرا عن القفزة الشهيرة لبائعة اللبن التي قرأنا عنها ونحن أطفال ، والتي كانت في طريقها إلى السوق لتبيع اللبن ، وكانت تحلم بأن تشتري بثمنه عنزات تقفز حولها هنا وهناك وفي غمرة أحلامها قفزت البائعة المسكينة قفزة أطاحت بوعاء اللبن ، فتحطمت معه آمالها المتواضعة .

لا مجال لتحقيق تقدم « تكنولوجي » إلا من خلال البحوث الأساسية ، والبحوث « البيولوجية » على شتى الكائنات الحية ، شأنها شأن مختلف مجالات

البحوث الأخرى . لقد أمكن استثمار الكثير من نتائجها من أجل تحقيق فوائد ملموسة أصبحت تعرف « بالبيوتكنولوجيا » . وسوف تعنى هذه المقالة بمناقشة دور « البيوتكنولوجيا » في حل مشاكل العصر المستعصية وينبغي أن نتذكر هنا أن تطبيقات الأنواع الأخرى من « التكنولوجيا » كالكيميائية والفيزيائية ، قد خلّفت مشاكل مستعصية مثل التلوث بالمواد الكيميائية ، والإشعاعات الضارة ، أما التطبيقات « البيوتكنولوجية » فهي أكثر أمانا من هذه الناحية

« بيوتكنولوجيا »* أم تقنية حيوية ؟

أود في البداية أن أتناول لفظ « بيوتكنولوجيا » - محور هذه المقالة - بتعليق مقتضب فلاشك أن القارىء قد يلاحظ أنه لفظ غريب عن العربية ، والواقع أنه معرب ، أي منقول بالحروف العربية عن الكلمة الأجنبية ، أما ترجمته فهي « تقنية حيوية » ، ولست أصر على استخدام اللفظ المعرب دون الترجمة من باب الحذلقة ، ولا اعتقادا أن الترجمة لا تفي بالمعنى وأحسب أن مثابرتي على الكتابة لمجلة « العربي » في مواضيع علمية باللغة العربية دليل يكفي لدفع هذين الاتهامين عني ، على أن إصراري على التعريب دون الترجمة في هذه المقالة هو في الواقع جزء من اعتقادي بضرورة تعريب جميع الألفاظ العلمية حينما يترجم العلم ولأنا ضمن من يخشون أن يبتعد بنا تيار الترجمة للألفاظ العلمية العالمية عن نهر العلم ، فإذا بنا نتحدث وحدنا لغة علمية مختلفة عما تتعارف عليه العالم أجمع ، فلكل علم أساسي ألفاظه العالمية المشتقة من اللاتينية أو الإغريقية ، وهي لا تترجم في أي لغة من لغات الأرض ، بل تكتب كما هي ، وكلمة « بيوتكنولوجيا » من هذا القبيل إنني ضمن من يدعون إلى ترجمة العلوم وتدريسها بالعربية مع تعريب الألفاظ العلمية العالمية ، حتى لا تقطع شعرة معاوية بيننا وبين العالم العالمي .

تطور « البيوتكنولوجيا »

ذكرنا أن « البيوتكنولوجيا » ليست سوى استثمار المعارف العلمية في مجالات « البيولوجي » من أجل تحقيق فوائد ملموسة ، وعلى الرغم من أن اللفظ حديث - إذ لا يزيد عمره عن بضعة عقود من السنين - إلا أن استثمار الأنشطة الحيوية قديم قدم الإنسان . ولقد كانت « البيوتكنولوجيا » في فجر الإنسانية - بالضرورة - بدائية . وربما اقتصرت على الزراعة الأولية من أجل توفير الغذاء بصورة شبه مستمرة ، بدلا من الصيد والانتظار طول العام ، ثم تعلم الإنسان من خلال التجربة والخطأ - بل والصدفة أيضا - كيف تجري عمليات التحليل والتخمر ، فخمر الصينيون القدماء نقيع الأرز ، وخمر البابليون نقيع التمر ، كما خمر المصريون نقيع الشعير . وعمليات التخمر هذه ليست سوى ضرب من ضروب « البيوتكنولوجيا » الأولية ، حيث كان يستثمر الإنسان أنشطة الميكروبات ، دون وعي منه ، في إنتاج المادة المخمرة ، على أن الثورة الحقيقية في « البيوتكنولوجيا » قد اشتعلت في القرن الحالي ، وبلغت ذروتها في العقود القليلة الأخيرة منه ، وذلك بعد أن تكثفت وتراكمت المعارف « البيولوجية » من خلال البحوث الأساسية منذ بداية القرن . ولقد كان اكتشاف الميكروبات وابتكار طرق لعزلها ودراستها في أواخر القرن الماضي بمثابة شرارة أشعلت هذه الثورة ، لا توجد حدود لآفاقها المستقبلية ونتيجة لهذه الثورة نشأت صناعات حديثة ، تعرف « بالصناعات الميكروبيولوجية » ، وتزرع من خلالها ميكروبات معينة في مفاعلات حيوية ، وتزود بكل ما تحتاجه من مواد غذائية وتدفئة وتهوية ، لكي تصنع في النهاية بعض المنتجات الكيميائية القيمة . والمسألة في أساسها - كما يرى القارىء - لا تختلف كثيرا عن استئناس الماشية مثلا ، وتربيتها وتعهدها بالرعاية ، لتدر علينا لبنا ولحما وقد أنتجت « البيوتكنولوجيا » ومازالت تنتج من خلال الصناعات

---

* هذه وجهة نظر الكاتب ، بيد أن هناك أكثر من رأي حول هذا الموضوع

« الميكروبيولوجية » عديداً من المذيبات العضوية والفيتامينات والأنزيمات والأدوية ، مثل مضادات الحيوية وغيرها كثير . وها هو الانسان يسعى الى ترويض بعض أنواع البكتريا ، لكي تنتج له البروتينات ، ليأكلها ، أو ليعلف بها ماشيته ، وكان من المنطقي أن تتقدم الصناعات « الميكروبيولوجية » وتتطور مع تقدم المعارف العلمية وتطورها ، خاصة بعد اكتشاف العوامل الوراثية ، وآلية عملها ، إذ بات معروفا أن كل مادة ينتجها كائن حي لابد أن يتحكم في صنعها عامل وراثي ، أو عدة عوامل في خلايا هذا الكائن . ومن ثم فقد وجه الباحثون مجهوداتهم صوب دراسة كيمياء العوامل الوراثية ، وإمكان صنعها من مواد أولية في المختبر ، وفصلها من كائن ، وحقنها في خلية كائن آخر ، على أمل أن ينقلوا معها القدرة على صنع منتج معين من كائن الى اخر ، وهذا هو الأساس الذي بنيت عليه الهندسة الوراثية التي أشرنا إليها في المقدمة .

« البيوتكنولوجيا » الحديثة

يمكن الحكم على مدى التقدم الذي حققته « التكنولوجيا » من خلال حجم الاستثمارات فيها وأحدث إحصائية معروفة عن حجم الاستثمارات في مجال « البيوتكنولوجيا » في العالم الصناعي هي إحصائية عام ١٩٨٤ ، التي قدر فيها حجم هذه الاستثمارات بحوالي ٦٨ مليار دولار أمريكي ، ولاشك أن هذا الرقم قد تضاعف عدة مرات خلال السنوات الثلاث الماضية ، ولا يمكن لأحد أن يحصي عدد البحوث العلمية التي نشرت حتى الآن في هذا المجال لفرط كثرتها ، كذلك يصعب تحديد عدد المؤتمرات العالمية التي عقدت للتشاور حول مسائل « بيوتكنولوجية » محددة ، ويصعب أيضا حصر عدد الشركات الصناعية المنتشرة في أرجاء المعمورة التي تعتمد على « البيوتكنولوجيا » المتقدمة في إنتاجها ، وتنتج هذه الشركات منتجات مثل تلك التي ذكرناها من قبل ، ويرتبط إنتاجها دائما بالبحث العلمي الأساسي ونتائجه ، لكي تستطيع أن تواكب كل حديث ، من أمثلة ذلك ما تدفعه شركات الأدوية من أموال في مجال بحوث مضادات الحيوية التي ينبغي أن تحقق الجديد بصفة مستمرة . ومن أحدث ما اكتشف في هذا المجال هو ما أعلنه خلال الصيف الماضي أحد علماء الهندسة الوراثية في « المعهد القومي لأمراض الأطفال » بمريلاند في الولايات المتحدة ، من اكتشاف مضاد قوي للحيوية ، ينتجه أحد الحيوانات وهو الضفدع . ومن المعروف أن جميع مضادات الحيوية التي أنتجها الانسان حتى اليوم قد حصل عليها من ميكروبات أو نباتات ، لكنه لم يسبق أن عرفها بين الحيوانات . ولقد لاحظ الباحث أثناء إجراء عمليات جراحية على الضفادع أن جروحها تلتئم بسرعة فائقة ، على الرغم من ان المياه التي كانت تعيش فيها في المختبر بعد العملية الجراحية كانت تعج بشتى أنواع الميكروبات . وحثته هذه الملاحظة على دراسة استطاع من خلالها أن يعزل مادة قاتلة للبكتريا من جلود الضفادع ، وهي عبارة عن مضاد للحيوية بروتيني ، وحفظ الباحث اكتشافه بتسجيل براءة اختراع خاصة به ، وقد فازت إحدى شركات الأدوية بحق إنتاجه ، ومن المتوقع أن يطرح في الأسواق بعد سنوات قليلة ، لعلاج حالات كالحروق وغيرها ، على أن أهم تطبيقات « البيوتكنولوجيا » الحديثة هي تلك التي ينوي العلماء من خلالها حل بعض مشاكل العصر الملحة من نقص الطاقة وتلوث البيئة والمشاكل الطبية .

« البيوتكنولوجيا » ومشكلة الطاقة

من المتفق عليه أن مصادر الطاقة الحفرية التي يستخدمها الإنسان الآن سوف تنضب في المستقبل غير البعيد . ونقصد بمصادر الطاقة الحفرية النفط والفحم واليورانيوم . ولقد شرع العلماء في البحث عن بدائل ممكنة لهذه المصادر ، وعلى الرغم من أن جهودا مكثفة قد بذلت في الدول الصناعية من أجل استثمار مصادر الطاقة غير الناضبة كالرياح وأشعة الشمس إلا أن الاقتناع قد ترسخ الآن لدى

المتخصصين بأن أكثر الأساليب واقعية لتوفير الطاقة في عهد ما بعد النفط هو من خلال « البيوتكنولوجيا » ، إذ يمكن من خلال أنشطة « الميكروبات » في صناعات « ميكروبيولوجية » عادية إنتاج ما أصبح يسمى « بالبيوكحول » كوقود بديل للبنزين . والانسان كما ذكرنا كان ينتج المشروبات الكحولية منذ فجر التاريخ ومازال ينتجها الى اليوم ، ويعني ذلك أن الخبرة « البيوتكنولوجية » متوفرة بالفعل ، وما على الانسان إلا أن ينقي هذا الكحول بالتقطير ويستعمله وقوداً . ولاستكمال الحلقة اخترع المهندسون محركات تدور بالكحول بدلا من البنزين أو الديزل . وقد أجريت عليها تجارب عديدة أثبتت كفاءتها ، ولسوف يكثر إنتاج هذا النوع من المحركات ، خاصة لصناعة السيارات ، فور انقضاء عصر النفط .

و« البيوكحول » مصدر للطاقة لا ينضب أبدا ، فإنتاجه يعتمد على عملية تخمر مادتها الأولية ، وهي محاصيل نباتية لا تنضب كالسكر من قصب السكر والبنجر والعنب ، وكالنشا من الحبوب والبطاطس وغيرها . وطالما كانت هناك زراعة على الأرض سوف يكون هناك مصدر للطاقة هو « بيوكحول » ، لكن من المتوقع أن تكون هذه الطاقة مرتفعة السعر مقارنة بالطاقة الحفرية ، كما أن أسعار الحبوب والسكر وغيرها من المنتجات الزراعية سوف ترتفع ارتفاعا كبيراً . ونستطيع أن نتصور مدى ما سوف تعانيه دول العالم الثالث من أجل توفير الغذاء والطاقة ، وإذا لم تتفق الأقطار العربية ابتداء من اليوم على « استراتيجية » زراعية للمستقبل ، تستثمر من خلالها أراضي غير مستثمرة في السودان والعراق على وجه الخصوص ، فمصيرها التبعية السياسية لدول صناعية لا قدر الله ذلك . ويقدر العلماء أن الانسان بعد عصر النفط سوف يخصص حوالي خمس الرقعة الزراعية الحالية على كوكب الأرض لإنتاج المادة الأولية اللازمة لتوفير الطاقة ، ويا ليتنا ـ نحن العرب ـ نتنبه لهذه الحقائق ، ونعطيها ما تستحقه من عناية، وقبيل لجوء الانسان الى البيوكحول لاستخدامه مصدراً للطاقة ، سوف يستثمر أساليب « بيوتكنولوجية » حديثة ، ـ قد تم ابتكارها ـ من أجل استخراج أقصى ما يمكن استخراجه من النفط من الأبار الناضبة . والمعروف أن أساليب الضخ الحالية لا تسمح باستخراج الزيت الى آخر نقطة منه ، بل تترك قدرا محسوسا من هذا الخام ، لأن ضخه مكلف وغير اقتصادي . وهناك طرق لضخ قدر من هذا الجزء المتبقي في الآبار من خلال حقنها بالماء ، الذي يدفع النفط الى أعلى . فمن عيوب الماء في هذه الطريقة أنه أكبر كثافة من الزيت ولا يختلط به اختلاطا كاملا ، ومن ثم فهو لا يستخلص كل المتبقي منه . والوضع المثالي هنا هو حقن الآبار بمواد تقترب كثافتها من كثافة الزيت . وقد استطاع العلماء إنتاج مثل هذه المواد بأساليب « بيوتكنولوجية » ، وهي عبارة عن « بوليمرات » تنتجها الميكروبات خلال صناعة « ميكروبيولوجية » عادية ، وهي جاهزة الآن للاستخدام في الوقت المناسب .

كما أن هناك دراسات تستثمر أنشطة أنواع من البكتريا ، من أجل استخلاص « اليورانيوم » وغيره من المعادن من الخامات الأرضية التي تحتوي عليها ، وقد وجد أن تحويل هذه المعادن الى كبريتاتها من خلال معالجتها بحمض الكبريتيك هو أقل الطرق المتاحة تكلفة ، على أن عيوب هذه الطريقة تكمن في ضرورة استخدام كميات هائلة من حمض الكبريتيك لمعالجة الكميات الهائلة من الخام الذي يحتوي غالبا على كميات ضئيلة من المعدن ، إضافة الى صعوبة تصميم وعاء ضخم لانجاز هذه المعالجة . لذلك استثمر العلماء الأمريكيون نشاط البكتريا المؤكسدة للكبريت لحل هذه المشكلة ، إذ أنهم يخلطون الخام بمسحوق الكبريت ، ثم يضيفون إليه خلايا البكتريا التي تؤكسده وتحوله الى حمض ، وهذا يحول المعدن بدوره الى أملاح الكبريتات التي يسهل فصلها بعد ذلك من الخليط ، وتتم العملية كلها في الحقل .

« البيوتكنولوجيا » ومشكلة التلوث

• أصبح التلوث الكيميائي يشكل واحدة من أعقد

مشاكل العصر الحديث ، وأخطر الملوثات - كما ذكرنا في مقالات سابقة - هي تلك المواد الكيميائية التي شاع استعمالها حديثا ، كمضادات الحشرات والآفات الأخرى ، خاصة إذا كانت هذه المواد تستعصي على التحلل الميكروبي ، فلا تقوى ميكروبات التربة أو الماء على هضمها ، وتبقى في البيئة لتمثل خطرا دائما على صحة البشر وربما على حياتهم ، والأمل أصبح ماثلا الآن أمام أعين العلماء في استثمار الأساليب البيوتكنولوجية من أجل تخليص البيئة من خطر هذه الملوثات ، ومن المضادات الحشرية الخطيرة التي أجريت عليها الدراسات المبيد المعروف باسم « د . د . ت » ، فقد استطاع علماء الكيمياء تصنيع جزيء بروتيني يسمح تركيبه الفراغي باحتواء جزيء « د د ت » في داخله وتغليفه ، وعزله عن البيئة ، ووقاية المخلوقات من شروره . إذن يمكن الآن رش هذا المبيد في التربة للقضاء على حشرة ضارة ، وبعد إنجازه مهمته يمكن عزله برش البروتين الجديد . على أن المشكلة هنا تكمن في أن إنتاج البروتين بكميات تسمح برشه عملية مكلفة جدا ، والوضع المثالي هو أن نبرمج بعض بكتريا التربة برمجة وراثية ، يمكن بواسطتها أن تنتج خلاياها هذا البروتين باستمرار في التربة . وقد استدعى تحقيق ذلك أن قام العلماء بدراسة التركيب المحتمل للعامل الوراثي الذي يمكن له أن يتحكم في تخليق مثل هذا البروتين ، ثم صنعوا هذا العامل الوراثي ، وها هي التجارب تجري على حقن هذا العامل الوراثي في نوع مختار من أنواع بكتريا التربة المسالمة . ولا شك أن السنوات القادمة سوف تحمل إلينا نبأ القضاء على مشكلة التلوث بمبيد « د . د . ت » . وسوف يصبح ذلك نموذجا يحتذى به في القضاء على غيره من ملوثات البيئة الكيميائية الأخرى .

وهناك أساليب بيوتكنولوجية أخرى مبتكرة للقضاء على ملوثات البيئة ، يعتمد العلماء خلالها على ميكروبات شرهة ، تلتهم هذه الملوثات وتهضمها ، ولا يمكن استخدام مثل هذا الأسلوب إلا في القضاء على الملوثات ذات الأصل الطبيعي ، مثل النفط وغيره ، فالبيئة تحتوي دائما على أعداد قليلة من مثل هذه الميكروبات الشرهة ، وما على الباحث إلا أن يبتكر الأسلوب المناسب لعزلها ، وانتقاء أكثر السلالات شراهة وإكثارها ، ثم استخدامها لتحقيق الهدف المطلوب ، وقد أجريت بنجاح في الصيف الماضي في مقاطعة « وستفاليا » بألمانيا الغربية تجربة على بقعة من الأرض الزراعية ، كانت قد انقلبت عليها شاحنة تنقل النفط ، فتلوثت به ، وأصبحت لا تصلح للزراعة ، وقد عالج الباحثون التربة الملوثة بسلالات بكتيرية شرهة ، استنبطت من أجل هذه الدراسة ، وبعد أسابيع قليلة عادت التربة خالية من مكونات النفط ، وأصبحت صالحة للزراعة مرة أخرى .

« البيوتكنولوجيا » والمشاكل الطبية

كما هو متوقع أصبح للتطبيقات الطبية نصيب رئيسي من اهتمامات البيوتكنولوجيا الحديثة ، فليس هناك ما يحرص عليه الانسان أكثر من حرصه على صحته وحياته . ومجالات البحوث هنا متباينة ، لكن يمكن تصنيفها في مجموعتين متجانستين ، تختص الأولى منهما بأساليب تشخيص الأمراض ، والثانية بأساليب العلاج .

أما استثمار البيوتكنولوجيا في التشخيص فهو ينصب في المقام الأول على الأمراض المعدية ، ويهدف الى التعرف على ماهية سلالات البكتيريا والفيروسات المسببة لها ، والتعرف على السلالة هو الخطوة التي لابد منها من أجل تحديد الدواء الملائم للحالة ، وهي خطوة صعبة التحقيق ، حيث تتشابه السلالات البكتيرية والفيروسية في أشكالها تشابها كثيرا يصل الى حدود التطابق غالبا . وتعتمد الطرق المتبعة حتى الآن على عزل هذه الميكروبات من المريض وزراعتها في أوساط غذائية معينة ، ثم إجراء دراسات ميكروسكوبية وبيوكيميائية عليها . ونتائج هذه الدراسات هي التي يمكن أن تميز بين السلالات المتشابهة التي كثيرا ما تبلغ أعدادها العشرات . ومن

الواضح أن كل هذه الدراسات تستغرق زمنا لا يقل عن عدة أيام ، وقد يتجاوز أسبوعاً . في أثناء ذلك يبقى الميكروب في جسد المريض يعيث فسادا ، ولا ينتظر نتائج التحاليل . والوضع الأمثل هنا هو توفير طريقة يمكن بها تحديد ماهية السلالة الميكروبية مباشرة فور عزلها من المريض ، وذلك بهدف توفير زمن تتوقف عليه الحياة كثيراً . وتعتمد الطريقة البيوتكنولوجية الحديثة في تحقيق ذلك على النفاذ مباشرة الى تشخيص العوامل الوراثية للسلالة الميكروبية ، إذ لا يتطابق كائنان حيّان أبداً في كيمياء عواملها الوراثية تماما ، كما لا يتطابق شخصان في بصمات أصابعهما .

يقوم الدارس بعزل الأحماض النووية (حمض ريبونيكليك) من السلالة المراد تشخيصها ، ثم يمزجها بكشاف مشع ، حضّر خصيصا من أجل التشخيص ، وهو يتفاعل بصورة نوعية مع أحماض سلالة واحدة ، ثم يعزل الحمض بعد ذلك ، ويفحص لمعرفة إن كان قد التصق بالمادة المشعة أم لا . ومن خلال تكرار الاختبار مع جميع الكشافات الخاصة بالسلالات المختلفة يمكن التعرف على السلالة في خلال ساعات محدودة ، والسبب في استعمال المواد المشعة هنا هو سهولة التعرف عليها باستعمال أجهزة خاصة

كذلك وفرت البيوتكنولوجيا الحديثة طرقا لتشخيص بعض أمراض الدم الوراثية في أطوار الحمل المبكرة . مثل هذه الأمراض الخطيرة يتعرف عليها الآن من خلال ملاحظة كريات دم حمراء عدسية الشكل بين الكريات العادية في دم المريض ، وواضح أن طريقة التشخيص هذه متأخرة جداً ، إذ أنها تشخص مرضا قد وقع ولا يمكن علاجه . والوضع الأمثل هنا هو ابتكار طريقة لتشخيص المرض في الجنين أثناء مراحل الحمل الأولى ، حتى يتسنى للطبيب نصح الوالدين بقطع الحمل حتى لا يأتي المولود الى الدنيا وهو يحمل مرضه في دمه ، بل ينبغي أن تكون هنالك وسيلة لتشخيص المرض في الوالدين أو في أحدهما ، فهو آت منهما على أي حال .

وهنا يمكن تبصيرهما قبل الزواج بالمخاطر التي تنتظرهما في أبنائهما . ومن خلال البحوث الأساسية أثبت العلماء أن سبب هذا المرض هو اختلال في التركيب الكيميائي لأحد العوامل الوراثية التي حددوها بدقة . وتعتمد الطريقة البيوتكنولوجية الحديثة على الكشف عن هذا الخلل الكيميائي قبل ترجمته الى خلل في تركيب الدم ، إذ يفصل الدارس جزءا دقيقا من مشيمة الأم ، ويزرعها في وسط غذائي معين ، لتتكاثر الخلايا ، ثم تفصل الأحماض النووية التي تتكون منها العوامل الوراثية في الخلايا ، وتدرس باستخدام كشاف مشع ، للتعرف على أي شذوذ في تركيب العوامل الوراثية الكيميائية .

أما بخصوص استثمار البيوتكنولوجيا الحديثة في العلاج فقد انصب اهتمام الدارسين في هذا المجال على محاولة إيجاد علاج للأمراض الوراثية في البويضة المخصبة ، خلال عملية دقيقة تعرف باسم « العلاج الوراثي » ، ويهدف هذا الأسلوب الى قطع الجزء المعطوب من العامل الوراثي واستبداله بجزء سليم . وعلى الرغم من أن الأسس العامة لهذه العمليات الوراثية قد درست بالتفصيل ، وطبقت على كائنات حية عديدة ، إلا أن استخداماتها من أجل علاج الأمراض الوراثية في الانسان مازالت تواجه حواجز نفسية ودينية واجتماعية عديدة .

ونشير في النهاية إلى أن البحوث الأساسية قد وفرت الآن أساليب لحفظ الدم سليما عشرات السنين . ومن المعروف أن عمليات نقل الدم العادية قد ارتبطت في الزمن الحديث بانتشار أمراض معدية خطيرة ، إذ يكفي أن يكون بين المتبرعين حامل لمرض خطير كي ينتشر هذا المرض من خلال نقل الدم ، لذلك كان الوضع الأمثل أن يتبرع الانسان بجزء من دمه ، وهو في كامل صحته ، ليحفظ طوال عمره في مؤسسة خاصة ، وليكون جاهزا له عندما تطرأ الحاجة اليه . ولقد تغلبت البيوتكنولوجيا الحديثة على العقبة الرئيسية الخاصة بطول مدة الحفظ ، حيث لم يكن ممكنا حفظ الدم قبل ذلك إلا فترات وجيزة . ◻

وهنا نؤيد دعوة أستاذنا الشيخ محمد أبي زهرة الى إلغاء الطائفية ، التي هي بمثابة اجتماع فريق من الناس على رأي واحد دون غيره ، والتعصب له ، « لأن الخلاف الطائفي يشبه أن يكون نزعة عنصرية ، والذين يريدون الكيد للإسلام يتخذون منها منفذا ينفذون منه الى الوحدة الإسلامية ، ولأن وحدة المسلمين توجب وحدة الشعور ، ولا وحدة للشعور مع الطائفية » .

لهذا يضيف الشيخ أبو زهرة : « تقدر أن الطوائف الإسلامية كلها يجب أن تتلاقى على محبة الله ورضاه ، وتحت ظل كتابه تعالى وسنة نبيه الصحيحة ، والمقررات الإسلامية التي علمت من الدين بالضرورة ، ولا مانع من أن تختلف آراؤنا ، لكن يكون اختلاف آحاد في منازع علمية ، ولا يكون اختلاف جماعات وطوائف ، تجعل الأمة الإسلامية متفرقة متنازعة » (أبو زهرة ـ الإمام زيد ـ ص ١١) .

* إننا ندعو الى فض الاشتباك بين أتباع المذاهب والاجتهادات الإسلامية المختلفة ، و « وقف إطلاق النار » فورا بين رموز تلك المذاهب والاجتهادات ، أي أننا نلح على وقف عمليات التجريح المستمرة التي يمارسها بعضهم تجاه اعتقادات بعض المسلمين أو ممارساتهم ، مذكرين بأن تلك الحروب الضارية التي يشنها بعض « السلفيين » في زماننا بصفة دائمة ضد الصوفية ، أو ضد الزيدية والأباضية بين حين وآخر ، غاية ما تحققه أنها تزيد من فرقة المسلمين وتشرذمهم ، وتكرس صيغة تقطيع أوصال الأمة على الصعيد الاعتقادي ، بعد السياسي والجغرافي .

إن أي حديث عن وصال بين جموع المسلمين باختلاف معتقداتهم ومشاربهم ، يصبح بغير معنى أو جدوى ، في ظل استمرار التراشق الفكري والتجريح العقيدي الذي يمارسه بعضهم . وإذا كان هناك طرف يؤمن حقاً بوحدة المسلمين ولم شملهم ، فإن الإيمان يتعارض تماما مع نهج التجريح والاتهام لمعتقدات « الآخر » الإسلامي .

* إن لدينا في الكتاب والسنة دليلا يهدينا الى الطريق السوي والنهج القويم للتعامل مع كافة فرق المسلمين ومذاهبهم ، فعندما ينص القرآن الكريم في سورة النساء على « إنَّ الله لا يغْفِرُ أنْ يُشْرك بِهِ ويَغْفِرُ مادُون ذلك لِمَنْ يشاءُ » مرتين ، في الآية ٤٨ والآية ١١٦ ، ثم عندما يقرر الله سبحانه وتعالى أنه : « إن تَجْتَنِبوا كبائِر ماتُنْهوْن عَنْهُ ، نُكَفِّرْ عنْكُم سيِّئاتكُم ونُدْخِلْكُم مُدْخلا كريما » (النساء ٣١) ، ويتكرر المعنى في سورتي الشورى (الآية ٣٧) والنجم (الآية ٣٢) ، ثم عندما يعلن النبي عليه الصلاة والسلام على الأمة أن من اجتهد فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر ، عندما تجتمع هذه النصوص أمام العقل المسلم ، فإنها تنير له الطريق ، وتحدد له الإطار الذي يمكن قبول الاختلاف في شأنه ، وهامش الخطأ المقبول ، ونصيب المجتهد المخطىء إذا حسنت نيته وجانبه الصواب .

إذا توافرت لنا مثل هذه الضوابط فلماذا إذن نقسو على أنفسنا ، ونسهم في تعميق جراح أمتنا ، وتوسيع الفجوة بين أوصالها وأطرافها ، وقطع الطريق على أي أمل في التقارب والوصل الفكري والعقيدي ، إذا استحال في المجالات الحياتية الأخرى ؟

إننا إذا وضعنا الوحدة الإسلامية هدفا لنا ، واتفقنا على أن الانتصار المطلوب هو للإسلام وحده ، وليس لفرقة بعينها أو تيار بعينه فإننا سنلاحظ ما يلي :

١ ـ أن المتفق عليه بين فرق المسلمين ومذاهبهم كثير جدا ، وأن التشبث به وحده كاف للنجاة ، فالإيمان بالله وبملائكته والسمع والطاعة لما جاء عنه ، وأداء الأركان المجمع عليها في ميدان العبادات ، وترك المعاصي المجمع عليها في مجال المحظورات ، وبناء النفوس على مكارم الأخلاق وأشرف التقاليد . إن هذا كله يقيم أمة لها مكانتها في الدنيا والآخرة ، لكن جماهير من الدهماء والأذكياء ، شغلتها للأسف الخلافات العارضة ، ولم تحسن استثمار ما انعقد عليه الإجماع ، فكادت تضيع الإسلام بهذا العوج الفكري .

٢ ـ أن المذاهب الإسلامية الكبرى اختلفت في الفروع لا في الأصول ، وكان من الممكن أن يتعاون الاتباع فيما اتفقوا فيه ، وأن يعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه ، وهذا ما آثره أولو الألباب ، لكن المرضى بالشقاق عكروا الصفو ومزقوا الشمل .

ولنضرب هنا مثلا : إن الإيمان بالله ينمو بالنظر في الكون ، والتأمل في التاريخ ، وهذا الإيمان أصل جامع لا ريب فيه ، فلماذا لا نتعاون على تقويته وتنميته ، والإفادة منه في المعاش والمعاد ، بتكثير الوسائل التي ترسخه في القلب ، وتضخم آثاره في الفرد والمجتمع ؟

ولماذا لا نتجاوز في ميدان العبادة قضية هل على المأموم قراءة القرآن في الصلاة ، أم تغني عنه قراءة إمامه فيها ؟

فيرى من شاء جواز القراءة أو وجوبها ، أو امتناعها ، ونترك له وجهة نظره ، فلا نضيع الوقت في المجادلة حولها ، ونوفر قوانا النفسية والفكرية في البناء على الأركان الممدودة ، وهي كما ذكرنا كثيرة .

٣ ـ اننا عندما نتأمل في التركة الثقيلة من الخلافات التي ورثناها نجد أن بعضها أملاه الترف العقلي ، وأن بعضا آخر لفظي لا محصل له ، وأن منها ما أشعل ناره الاستبداد السياسي واستبقاه عمدا الى يومنا هذا ، وأن منها ما يصح أن يكون مسرحا لنفر من الخاصة ، ويعد شغل الجماهير بها جرما ، وأن منها ما جده المقلدون المذهبيون لقصور شائن في معرفتهم .

ومع ذلك فإن الخلاف الفقهي قد كان في الفروع ، وسيبقى الى آخر الدهر ، لأسباب طبيعية مقبولة ، تعرضنا لها من قبل . ويجب ألا نتطير من هذا الخلاف ، وألا نحاول قتله أو تجاهله ، لكننا ينبغي أن ندعو عقلاء الأمة ليحث جاد في كيفية التعامل معه ، بحيث يستخلص منه ما يمثله من ثراء فكري عريض ، ويجتنب ما يفتح الأبواب للشقاق والخصام (محمد الغزالي ـ دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ـ ص ٥٦ بقليل من التصرف) .

إن هناك معيارين أساسيين يمكن بهما قياس مشروعية أي خلاف بين المسلمين ، هما :ـ

× أن يكون لكل من المختلفين دليل يصح الاحتجاج به ، فما لم يكن له دليل يحتج به سقط ، ولم يعتبر أصلا .

× ألاّ يؤدي الأخذ بالمذهب المخالف الى محال أو باطل ، فإن كان ذلك بطل منذ البداية ، ولم يسمح لأحد القول به بحال .

وبهذين الأمرين يتميز الاختلاف عن الخلاف ، إذ الاختلاف المقبول هو ما توافر فيه الشرطان المذكوران ، مما يجعل القضية محصورة في إطار اللفظ العقلي والاجتهاد ، ويحفظ لأسبابه المنهجية والموضوعية ، أما الخلاف المنكر فهو الذي يفقد الشرطين أو أحدهما ، وهو مظهر من مظاهر التشنج والهوى والعناد ، وليس له من سبب يمت الى الموضوعية (د . طه العلوني ـ أدب الاختلاف في الإسلام ص ١٠٤) .

قلنا من قبل ـ مقال الشهر الماضي ـ أننا في التعامل مع الآخر الإسلامي على المستوى المذهبي والاجتهادي نفرق بين دوائر ثلاث : محيط أهل السنة أنفسهم ، ومحيط المذاهب الإسلامية التي لا تختلف مع أهل السنة في الأصول ، ولا مجال للحديث عن سلامة اعتقادها ، ثم دائرة المذاهب والفرق الأخرى التي يثار الجدل حول سلامة معتقداتها ، وأكثرها كامن أو منطلق من شبه القارة الهندية ، ولا ينفك يعلن انتماءه للإسلام ووقوفه على أرضيته .

وإذ نذكر بأن الدعوة الى الله ينبغي أن تظل في إطار الحكمة والموعظة الحسنة ، بمقتضى النص القرآني ، وأن ذلك يستلزم تنمية أسلوب التجريح والاتهام أو فض الاشتباك الفكري بين أتباع الملل الإسلامية كما ذكرنا ، فإننا ننبه أيضا أن السعي على هذا الطريق له مكانه وله أهله ، أعني أن تلك أمور تناط بمجالس البحث ومجامع العلم ، وبالتالي بالباحثين وأهل العلم ، ولا مكان لها في المنابر العامة ، ولا على صفحات الصحف ، فضلا عن أن الخوض فيها ينبغي ألا يستباح لكل من هب ودب من المنتسبين للكلمة المنطوقة أو المكتوبة .

وإذا جاز لنا أن نرتب المهام طبقا لأولوياتها فنحسب أن قليلا من الوعي والحكمة يطفيء النار المشتعلة بغير مبرر في محيط أهل السنة بين تيار السلفيين وبين غيرهم ، ويؤجل العراك حول قبض اليدين أو إرسالها في الصلاة ، وحول إطلاق اللحية وتقصير الثياب ، حتى إشعار آخر !

لكننا نعتبر أن القضية الأكثر إلحاحا الآن هي كيفية فض الاشتباك ومد جسور التقارب والتراحم بين أتباع المذاهب الاسلامية التي لا يختلف فقهاؤها حول الأصول والأركان الأساسية في الإسلام

هنا نجد بين أيدينا مشروعا للوصل والفهم والتفاهم بين فقهاء المسلمين على اختلاف مدارسهم ومشاربهم ، عرضه أحد الفقهاء المصريين ، وهو الشيخ محمد عبد عباس ، وذكره الشيخ محمد الغزالي في مؤلفه الثمين « دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين » ، إذ دعا الفقيه المصري الى تأليف لجنة تعيد النظر في التراث الفقهي الإسلامي على أسس خمسة هي

ـ تقرير الأحكام الأساسية المتفق عليها بين فقهاء الاسلام ، اي التي لم يثر بشأنها خلاف جوهري

ـ في المسائل المختلف عليها اختلاف تنوع يؤخذ بجميع الآراء مادامت ثابتة في الشريعة ولا معنى للاقتصار على واحد منها ومخاصمة غيره

ـ في المسائل المختلف عليها اختلاف تضاد ينظر في دليل كل مذهب ، ويؤخذ بأقوى الآراء وأرجحها دون تعصب لمذهب بعينه

ـ في المسائل التي يصعب ترجيح رأي من الآراء فيها ، وتتساوى أدلتها في القوة يجوز الأخذ بأي رأي منها ، ويحسن تقديم ما يحقق مصلحة عامة للمسلمين

ـ يترك من الآراء ما ظهر بطلانه أو ضعفه

لقد دعا فقيهنا الى تعميم هذا الاتجاه وتسميته « مذهب الكتاب والسنة وجميع الأئمة » ، وأيد الشيخ الغزالي دعوته ، وتمنى أن تبحثها المجامع الإسلامية المعنية بحاضر المسلمين ومستقبلهم

على صعيد آخر أورد الشيخ الغزالي في كتابه مشروعا محددا للتقريب بين أكبر مذاهب المسلمين المعتبرة ، وحدد عناصره في نقاط أربع هي -

× يتفق الفقهاء المعنيون في مؤتمر جامع على أن القرآن الكريم هو كتاب الإسلام المصون الخالد ، وهو المصدر الأول للتشريع ، وأن الله حفظه من الزيادة والنقصان وكل أنواع التحريف ، وأن ما يتلى الآن هو ما كان يتلوه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أصحابه ، وأنه ليس في تاريخ الإسلام كله غير هذا المصحف الشريف

× السنة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم ، والرسول أسوة حسنة تتبع الى قيام الساعة ، والاختلاف في ثبوت شيء من السنة أو عدم ثبوته مسألة نوعية

× ما وقع من خلاف في القرن الأول يدرس في إطار البحث العلمي ، والعبرة التاريخية ، ولا يسمح بامتداده الى حاضر المسلمين ومستقبلهم ، بل يجمد من الناحية العملية تجميدا تاما ، ويترك حسابه الى الله وفق الآية الكريمة (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَاكَسَبَتْ وَلَكُمْ مَاكَسَبْتُم ، وَلاتُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون) (البقرة ـ آية ١٣٤)

× يواجه المسلمون جميعا مستقبلهم على أساس من دعم الأصول المشتركة الكثيرة جدا ، وعلى مرونة وتسامح في شتى الفروع الفقهية ، ووجهات النظر المذهبية الأخرى (دستور الوحدة الثقافية الاسلامية ـ ص ١٤٧)

تلك نقاط قابلة للزيادة والنقصان بطبيعة الحال ، لكنها تظل جديرة بالبحث والنظر من جانب كل من تشغله وحدة الأمة الإسلامية ، وهي تعني قبل كل شيء أن الطريق مفتوح ، وأن السبل قائمة ، وما على أهل العلم والعقل إلا أن يتقدموا

بقيت الدائرة الأخيرة التي أشرت إليها ، وموضوعها هو العلاقة مع الفرق والملل الإسلامية التي يثار الجدل حول سلامة معتقداتها وممارساتها .

ولا أملك صيغة أو مقترحا محددا في هذا الصدد ، لكن أكرر لفت النظر الى أهمية الموضوع فقط ، داعيا من هم أقدر مني وأعلم الى أن يولوا هذا الموضوع عنايتهم واهتمامهم ، دون تفريط في دين الله ، أو إهدار لقيمة الوحدة المنشودة بين المسلمين □



عبد الرحمن الشرقاوي

فارس الكلمة

بقلم فاروق خورشيد

فرسان الكلمة يتساقطون واحدا إثر الآخر
قائمتهم طويلة . يحصدهم الموت الطبيعي وموت الرصاص والاغتيالات فردا إثر فرد
والمكلوم ليس الكلمة فقط ، بل الأمة بأسرها ، وعقلها النابض الحي
ومرة أخرى مع فارس آخر من فرسان الكلمة .
إنه عبد الرحمن الشرقاوي الذي وافته المنية في
١٠ / ١١ / ١٩٨٧ وهو شعلة عطاء

رحل عبد الرحمن الشرقاوي فجأة ، وكنا على موعد ان نلتقي إثر عودته من موسكو ، فلم يتحقق هذا اللقاء ، ولن يتحقق في هذه الدنيا أبدا .
كانت عادتنا أن نلتقي كل عدة أسابيع مرة ، نطرح القضايا والهموم ، ونتناقش فيما يمر بحياتنا الثقافية من علل وأعراض . وكان سر هذا اللقاء شبه الدوري ما كان يحس به كل واحد منا من راحة ، لأن الآراء تلتقي وتتقارب ، فيجد كل منا في هذا التقارب عزاء لما يجد في نفسه من مرارة تجاه هموم حياتنا الثقافية والفكرية ، بل وهمومنا المصرية والعربية بعامة ، التي نحملها مرغمين بحكم اشتغالنا بالفكر ، وارتباطنا بمعنى الحرية والعدل ، واتجاهنا الى التعبير عن كل هذا إما بالقلم ، فإن لم يكن ففي هذه الجلسات واحة من هجير الصمت ، وضياع الحقيقة ، وصحراء الجهالة التي نعيشها ونعايشها مرغمين .

رحل عبد الرحمن الشرقاوي فجأة فاستراح ، فقد كان قلبه يحمل من هموم ناسه وأمته ما يفوق طاقة قلب إنسان عادي ، وكان فكره يمور بمشكلات الثقافة العربية والانسان العربي بما يتجاوز احتمال فكر إنسان عادي ، وكان وجدانه ينفعل بهموم وقضايا رجل الشارع البسيط في كل مكان من وطننا العربي ، وهموم وقضايا رجل الفكر المثقف في كل مجمع علمي أو ثقافي في دنيا العرب

كان قلبه لا يعرف إلا نبض الصدق ، وينبذ الكذب والنفاق وازدواج الشخصية والتمزق المرضي ، ويهتز نبض الصدق بالألم والأسى ويلتف حول نفسه في حزن عظيم .

وكان فكره لا يعرف إلا صوت الحرية ، الحرية له ولأبنائه ولوطنه ولكل إنسان يذوق طعم العبودية والاستعمار والاستغلال والطغيان الغبي الذى يدمر الأمن والسلامة ويفرق بين الأهل والأصدقاء ، ويرفع صوت الرصاص على صوت الحب ، ويدفق أنهار الدماء بدلا من أنهار الخصب والنماء ، ويزرع البغضاء والحقد .

وكان وجدانه لا يعرف إلا معنى العدالة ، رغم ما كان حوله من ظلم ، فالغني يزداد غنى ، والفقير يزداد فقرا ، وقوم ينفقون أموالهم الغزيرة على أدوات ترف لا تحصى أغرقنا بها الرأسمال الشره ، وقوم لا يعرفون ماذا يحمل لهم الغد ، وكل يوم تتضاعف الأسعار عن اليوم السابق أو تكاد . قوم تخموا حتى لم يعد فكرهم يستطيع أن يتخطى كروشهم العالية ، فأخذوا ينادون في سعار باستلاب الشعب كل مكاسبه في الغذاء ذي الأسعار المتاحة لقدراتهم المحدودة ، وفي الكساء الذي يقع في متناول أجورهم الهزيلة ، وفي التعليم المجاني ، وفي المواصلات السانحة لأمثالهم لا لأصحاب العربات الفارهة التي تبنى لها الجسور وتمهد الطرق وتحفر الأنفاق ليخلو سطح الأرض لمرحهم ومشيهم في الأرض طربا قوم أذهلتهم الدوامة عن شئون مستقبلهم بل وحاضرهم ، إذ هم في الطوابير من أجل رغيف عيش أو لحوم أو دواجن أو حتى خضراوات مازالت تيسرها لهم هذه الطوابير الدوامة ، المضيمة . العدل أن يجد كل إنسان حاجته فوق أرض الله ، وأن يقول كل إنسان كلمته في دنيا الله ، وأن يعيش كل إنسان أمنه في رحاب رحمة الله

من قلب القرية

منذ البدء كانت هذه هي تركيبة عبد الرحمن الشرقاوي ، تركيبة القلب الصادق والعقل الحر ، والوجدان المستشرف الى العدل . منذ خرج هذا القروي ـ الذي تربى في الكتّاب وحفظ القرآن ، وقرأ التراث الإسلامي والفكر العربي ـ الى القاهرة ليدرس الحقوق ويجرب القلم ، وقلبه يضطرب بمعنى الصدق ، وعقله يضطرم بنور الحرية ، ووجدانه لا يتوانى يبحث عن العدل . وفي القاهرة صدمه الواقع المر ، استعمار انجليزي راسخ بثقله فوق ضمائر أبناء الوطن ووجدانهم ، وقصر مستغل ارستقراطي متعال يسوم الناس العسف ، ويحكم البلاد بالحديد والنار والتآمر مع المستعمر والعسكري الأسود ، والاغتيالات بليل ، وقمع مظاهرات الطلبة بالرصاص ، وإغراقهم في النيل . واقع أسود مر ،

قلة مالكة لكل ثروات البلد ، وكثرة لا تملك شيئا ، مجتمع النصف في المئة ، والكل مغرق في دوامة حزبية اسمها الانتهاء الحزبي ، ووزارة تروح ووزارة تجيء ، والحال يسوء ، والاستعمار باق رازح ، والاستقلال مستمر دائم راسخ ، والصدق مات والحرية ضاعت والعدل امحى ، والكلمات المطروحة في الساحة تغرق الناس في دوامة الواقع المصطنع ، وتساند المستعمر في استعماره .

شاهت الكلمات ، وضاقت السبل ، وهذه النفس الفوارة بحب الوطن وبمعنى الكرامة لا تجد طريقا تلتفت إليه إلا وقد رصده أعداؤها وأغلقوه وسدوا المنافذ نحوه ، لا تجد نافذة تطل منها هبة هواء نقي إلا وقد تدافعت الستائر السوداء لتسدل عليه ، وامتدت القضبان الحديدية تمنع كل نسمة حرة ، وكل معنى جريء أعجيب إذن أن يبحث الشرقاوي كما بحث زملاء له في جيله عن بارقة أمل أو طاقة نور ؟ أو عجيب حقا أن يتجه الشرقاوي كما اتجه زملاء له الى عدو عدوهم ، عل عنده الخلاص ، وعل لديه ما يجيب عن الأسئلة الحائرة ، ويهدي الى بعض النور ؟

ويحكي الشرقاوي عن منهجه الجغرافي الذي خلا من كل إشارة الى روسيا ، ويصور لنا حيرته ، وحيرة الصغار من التلاميذ أمام هذا الغموض المثير ، ويقول في قصيدته الرائعة « رسالة من أب مصري الى الرئيس ترومان » ، التي صدرت عام ١٩٥١ ، أي قبل قيام الثورة المصرية ، وهو يحكي موقف المدرس الحائر حين يسأله تلاميذه عن المجهول ، الممنوع . !

« وضج الصغار : « وما روسيا ؟ . وما روسيا ؟ »

فدمدم يلعن آباءنا وأجدادنا والجدود الكبار ،

الى أن تناهى الى ادم فأدركه طائف من وقار ،

وعاد يقول : « اسمعوا يا كلاب ، فهم بلشفيك : هم البلشفيك » ،

وثم تلفت من حوله ، وفي جسمه خبل من حذر ،

فقلت له : « ومن هم البلشفيك ؟ »

قال : « انتظر » ،

فأنت غلام غرير العمر ،

وبعد قليل ستبلو الحياة ، وتعرف من أين يأتي الخطر .

وفي الحق أني لم أنتظر ،

فما كنت أفهم هذا الخطر ،

ولما رجعت الى قريتي سألت أبي : « من هم البلشفيك ؟ »

فصفق من عجب قائلا « لقد جن والله هذا الغلام » ،

فمن أين يعرف هذا الكلام ؟ ! »

الهم العام والهم الخاص

ومن هذا المعين الجديد بدأ إيمان الشرقاوي بكفاح الشعوب من أجل الاستقلال ، وبدأ إيمانه بكفاح الطبقة الكادحة مرتبطا كل الارتباط بهمومه الوطنية المحلية العاجلة . ويشرح الشرقاوي هذه المرحلة من حياته الفكرية ، فيقول في نفس القصيدة :

« وقامت شعوب تهز الظلام بمشرق أحلامها الهائلة ،

وتعلو على ضربات الفساد بناء مدينتنا الفاضلة .

ولما بدأت أعي ما يقال رأيتهم يملأون الطريق ،

تهز الفؤوس ركود الحقول وتغلي بما تحتويه العروق

وكانوا يقولون : « يحيا الوطن »

حفاة يهزون ريح الحياة ويستدفعون شراع الزمن

وساءلت أمي عما هناك « ماذا دها القرية الساكنة »

فقالت : « يا بني هم الانجليز يغيرون أيامنا الآمنة

وقد أخذوا كل غلاتنا .. وقد نضب الماء في الساقية

ولم يبق شيء على حاله سوى حسرة مرة باقية . »

امتزج الهم العام بالهم الخاص عند عبد الرحمن الشرقاوي ليصبحا معا همّا واحدا ، ووجد نداءات الخلاص عند الماركسية تتجاوب مع نداءات الخلاص التي يهتز بها قلبه وعقله ووجدانه معا ، وهكذا

انخرط عبد الرحمن الشرقاوي في هذه المرحلة من حياته في التجمعات الماركسية التي ملأت دنيا المثقفين العرب ، وكون مع صديق عمره الرسام حسن فؤاد ومجموعة من الآخرين (لجنة الفنانين والكتاب أنصار السلام) وأصدرت اللجنة العديد من الأعمال الأدبية والمنشورات التي تندد بالحرب ، وتدعو الى السلام العالمي ، كما تهاجم الاستعمار والاستغلال ، وتدعو الى تحرير الشعوب من الاحتلال ، وتحرير ناس الشعوب من الاستغلال والقهر ، وأصدرت هذه اللجنة مجلة الغد ، وظهر فيها العديد من مقالات الشرقاوي التي كانت تتسم بالحدة والشاعرية والثورية الصارخة وبدأ الشرقاوي يغزو الصحافة بكتاباته وفصوله القصصية ، فنشرت أعماله في جريدة المصري الواسعة الانتشار في حينها ، وهي الجريدة التي نشرت له هذه القصيدة ، كما نشرت له روايته الرائدة « الأرض » في حلقات متتابعة كما ظهرت أعماله في (الاثنين) و (قصص للجميع) و (الكاتب) و (المصور) وفي المصور نشر عبد الرحمن الشرقاوي مجموعة من القصص تصور كفاحنا الشعبي في عصور المماليك ، ثم نشرها بعد ذلك في مجموعة قصصية باسم (أرض المعركة)

وإذا كانت (الأرض) عملا واقعيا يستمد حوادثه وشخصياته وحواره من أرض الريف المصري ، وربما من قرية (الدلاتون) بالمنوفية التي ولد فيها الشرقاوي عام ١٩٢٠ فإن (أرض المعركة) عمل مستمد من عمق التاريخ المصري ، ولكنه ليس تاريخ الملوك والأمراء ، وإنما هو تاريخ الشعب ، بناسه البسطاء وكفاحهم الدائم النبيل ويقول صديقنا المشترك الأستاذ سعد لبيب الذي كتب مقدمة هذه المجموعة (تعرض المؤلف لفترة من تاريخنا هي الفترة التي سبقت دخول الحملة الفرنسية الى مصر ، وامتدت حتى وصلت الى بداية الاحتلال البريطاني وبالرغم من أن قصة الكفاح الشعبي لم تبدأ في هذه الفترة ولم تنته عندها كذلك ، إلا أن هذه السنوات كانت غنية حقا بألوان الكفاح الشعبي في صوره المختلفة فكان هناك الكفاح الشعبي ضد المستعمر ، وكان هناك الكفاح الشعبي ضد الحاكم المستبد ، وكان هناك الكفاح في سبيل لقمة العيش ذلك أنه في الفترة التي سبقت دخول الحملة الفرنسية الى مصر ، كان الذي يحكم مصر فعلا هم جماعات المماليك صحيح أن الخليفة العثماني هو الذي كان له حق السيادة الرسمية على مصر ولكن هذا الحق لا يتعدى الحدود الشكلية وحدها وبالرغم من أن المماليك لم يكونوا مصريين في أصولهم ، إلا أن حركات المقاومة الشعبية ضدهم لم تأخذ شكل حركات المقاومة ضد المستعمرين فإن طول إقامة المماليك في مصر ، وما اكتسبوه من عادات أهلها وأخلاقهم ولغتهم جعلتهم أقرب الى المصريين منهم الى أي شيء آخر والشيء المهم أنهم لم يكونوا على الإطلاق يعملون لمصلحة دولة أجنبية فإنهم لم يعرفوا غير مصالحهم الخاصة فكان وضعهم بالنسبة لجماهير الشعب في مصر وضع الطبقة الحاكمة المستغلة لا أكثر ولا أقل ، وعلى هذا فإن ما قام ضدهم من حركات شعبية كان يتسم بطابع الحركات التحريرية الداخلية أي أن هدفها الأول كان وقف الطغيان المحلي)

معركة مستمرة

إن معنى المعركة عند الشرقاوي نابع من معنى الأرض ، فهي معركة هذه الأرض ، وهي معركة مستمرة لا تتوقف طالما ران على الأرض الكذب والعبودية والظلم وهذا الالتفات الى العمق التاريخي لوجود الكفاح الشعبي التفات مبكر من الحياة الأدبية المعاصرة ، فقد كان البحث دائما عن البطل في صورته التاريخية الملحمية القديمة مستمدا دائما من تقريرات المؤرخين عن الملوك الأبطال والقادة الأبطال ، أي مرتبطا بمعالم البطولة في الرجل الفذ ، والرجل الخارق فجاء الشرقاوي ليبحث عن أبطاله العاديين في حواري مصر وشوارعها ، وحقولها وأسواقها ، وبهذا بدأ تغييرا هاما في صورة البطل ومعناه وبدأ أيضا التفاتا أصيلا وجذريا نحو الملامح الشعبية لثقافتنا في الفعل الحضاري لأبناء الشعب العاديين سواء برصد كفاحها في (أرض

المعركة) أو في رصد حياتها في (الأرض) ، وفي مجموعته القصصية الثانية التى أسماها (أحلام صغيرة) ، وتناولت نماذج معاصرة من القرية والمدينة معا ، امتازت كلها بخصوصيتها الفائقة في رسم الشخصية المصرية ، وبالذات الشخصية المصرية الشعبية ، وتقف قصة (العقرب) في هذه المجموعة ، صورة فنية رائعة للجمع بين معنى البطولة الشعبية ، ومعنى العناء والطحن الذى يعانيه (الكادحون) كما كان يسميهم الشرقاوى . ونحن نعتبر أن قصة (العقرب) من أبرز الملامح في دنيا القصة العربية القصيرة المعاصرة .

وفي تصوير عبد الرحمن الشرقاوى لمعركة الأرض ، أو أرض المعركة ، ممثلا في ناسها وشخوص أحداثها ، التفت بشدة وبصدق الى شخصية (رجل الدين) البسيط في صورة شيخ الكتاب أو سيدنا أو المقرىء الأعمى ، أو خادم المسجد ، أو المؤذن أو خريج الأزهر ، أو حافظ القرآن ومأذون القرية . وهذا الرجل يلعب دورا مؤثرا وبارزا في التوجيه الفكرى والشحن المعنوى في القرية ، وكذلك في مجتمع الكادحين في المدينة ، ولو أن الظروف الضاغطة قد حتمت التوجه الخاطىء لهذه الشخصية إلا أن دورها البارز والمؤثر يحتم أنه لابد من أن يعاد النظر في المحتوى الذى يشكل فكره هو ، وفي الفعالية التى قد تكون له ، بل ولابد أن تكون له في تربية الجماهير وتكوينها . إن هذا الاتجاه ، وان شكل رؤيا نقدية اجتماعية وأدبية لشخصية من أبرز الشخصيات في المجتمع الشعبى ، إلا أنه في نفس الوقت يشى بترسب الدين برموزه وتعاليمه ومبادئه وأفكاره في عمق الشرقاوى منذ البدء . فأيا كان دور الحافز الوطنى أو الفكر الاشتراكى في تكوين الشرقاوى فإن الايمان الدينى هو المحور الذى تدور حوله كل الرؤى والأفكار ، ويبدو هذا واضحا في التضمين القرآنى في قصيدته الشهيرة (رسالة من أب مصرى الى الرئيس ترومان) يقول فيها موجها الخطاب الى الرئيس الأمريكى :

« متى سوف تقرأ هذا الكلام ـ سألتك يا سيدى . . بالجنون
بتيتو ، بديجول ، بالمرسلين
بفاروق . . بالنقطة الرابعة
وبالدول (الحرة .) التابعة
. . . . . . بكل العبيد من العابدين
وبالتابعين ،
وبالتابعات .
وبالمرسلات ، وبالعاصفات ،
وبالناطحات ، وبالشاطحات .
وبالنازعات ، وبالناشطات ، وبالغارقات . . »

ويقول في مكان آخر :

« ولكن لمن كل هذا العديد ؟
وتلك الحشود ؟
ولكن لمن كل هذا الهزيم ؟
لمن هذه النافثات السموم ؟
لمن هذه الناشرات الجحيم ؟
لمن تسرق اليوم أقواتنا لتصنع ما شئت من فاتكات ؟
لمن تحشد اليوم في السابحات ، وفي الغائصات ، وفي الطائرات
وفي الناسفات ؟
لمن هذه الذاريات الحطام . . لمن ؟ ولمن هذه النازعات . .
لمن كل هذا ؟ لغزو السماء . . لتصنع معجزة ؟ »

وإذا كان التأثر اللفظى هنا واضحا بالصياغات القرآنية فهناك إشارة مباشرة الى إحدى قصص القرآن الكريم وهى أهل الكهف في قوله :

« فقلنا لهم : « إننا لا نريد سوى أن نمارس معنى الحياة
ونعمل كى يتساوى الجميع . . أمن أجل هذا نسمى عصاة ؟ »
فقالوا : « المساواة ما تطلبون ؟ ؟ »
فقلنا : « أجل بكلاب القصور ؟ »
فقالوا : « إذن أنتم ملحدون »
فقلنا : « وكيف ؟ وهل قدست كلاب القصور

كأهل القبور ؟

أمانا .. أمانا كلاب القصور .. فقطمير أقدسكم يا كلاب

لقد مات كلبا كما عاش كلبا .. ولم يغد يوما ولى الإله

على أننا ما أهناكمو .. »

في إشارة الى كلب أهل الكهف الباسط ذراعيه بالوصيد ، والذى حدد المفسرون اسمه (بقطمير)

محمد رسول الحرية

على أن هذا الامتزاج بين التطلع الاشتراكى المعاصر ، والعمق الدينى المتوارث يبدو في أروع صوره في كتابه المميز (محمد رسول الحرية) الذى بدأ كتابته عام ١٩٥٣ وقدمه الى النشر عام ١٩٦٢ والذى أهداه الى أبيه قائلا (الى أبى .. الذى غرس في قلبى منذ الطفولة ـ حب محمد) مؤكدا بذلك عمق الوجود الاسلامى الدينى في وجدانه . ولكنه يؤكد أيضا أنه ينظر الى هذا الدين كفكر وكدعوة انسانية لتحرير الانسان ، ولا يكتفى منه بمجرد الايمان الساكن غير المتحرك ، أو المبتهل الضارع وحسب .. أحب أن يخرج بشخصية محمد من الغلالة التى تحيطها بها أغانى المداحين والذاكرين من (لأجل النبى) و (شفيعي يارسول الله) و (مدد يامحمد) الى معنى الانسانية في شخصية محمد ،

ويحقق الرجولة الحقة الفاعلة لتحرير أمته من جهالة الكفر ، وذل الاستكانة ومكابهم الفقير في الصحراء ، وعار العمالة والخضوع للروم مرة وللفرس مرة . هذه الصورة تعنى تغيرا في مضمون الشخصية التى تطرحها صور الأدب المجتر الذى يكرر نفس المقولات ، ويقف في مكانه لا يريم ..

ولكن طموحه كان أكبر من هذا أيضا ، فقد أراد أن يقدم من حياة محمد عليه الصلاة والسلام (قصته) بشكلها الروائى المعاصر . فهناك إذن إضافة جديدة من ناحية المضمون ومن ناحية الشكل كذلك ..

وهو يؤكد قصده الأكيد نحو هذه المحاولة الطموحة بقوله في مقدمة الكتاب (لسنا في حاجة الى كتاب جديد عن الدين ، يقرأه المسلمون وحدهم ، ولكننا في حاجة الى مئات من الكتب عن التطور الذى يمثله الاسلام ، كتب يقرأها المسلمون وغير المسلمين ، تصور العناصر الايجابية في تراثنا ، وتصور ما هو إنسانى في حياة صاحب الرسالة . إننا بحق في حاجة الى مئات من الكتب يقرأها الناس كافة ، الذين يؤمنون بنبوة محمد والذين لا يؤمنون .. الى تصوير القدر المشترك ـ المتفق عليه بين الجميع ـ من دور أصحاب الرسالات .. أى الى تصوير الجانب الدنيوى الذى أصبح ميراثا حضاريا مشتركا لكل الناس مهما تختلف دياناتهم وفلسفاتهم وأراؤهم ..) ..

الأمر أنه ان أن نشارك في ثقافة البشرية وحضارتها من جديد ، بعد عهود التخلف والاستعمار والقهر ، والأمر أننا لا نستطيع أن نقوم بدور فعال في هذه المشاركة إذا ظللنا نقدم لأنفسنا وللاخرين نفس المعطيات الثقافية التى سادت هذه العهود وسببت تخلفها ، والأمر اخر الأمر أن نهضة وطنية ما لا يمكن أن تقوم بدون نهضة ثقافية حقيقية ، وكفانا انبهارا بالغرب وثقافة الغرب ، وكفانا الاصرار على دور المشاهد السلبى المقهور المندهش ، وان لنا أن نعيد النظر في كل شىء ، في حقيقة تراثنا ، في المشاركة التى قام بها فكرنا ومفكرونا وأبطال حضارتنا لاثراء الفكر الانسانى ، والدفاع عن قضايا التقدم ، وكشف عوامل التخلف ، واستبعادها ـ وكان الشرقاوى بهذا يشارك في حركة ضخمة قامت منذ رفاعة رافع الطهطاوى ومحمد عبده شارك فيها الكتاب والمفكرون والمشتغلون في حقول البحث والدراسة حتى الجيل الذى سبقه مباشرة كطه حسين في أحاديث الأربعاء يعيد بها رؤية التراث الأدبى وعلى هامش السيرة يعيد بها رؤية التراث الدينى ، والأيام يعيد بها اكتشاف عمق الانسان المصرى في جذوره ، و المعذبون في الأرض يشارك فيها في الكشف عن آلام الكادحين ومعاناتهم . وكأمين الخولى في المجددون في الاسلام ومناهج تجديد ، فن القول

كاعادة رؤية في المنهج والمتوارث والمسلمات . وكالعقاد في عبقرياته . وهيكل في كتبه محمد وعمر وأبو بكر ومحاولته للكشف عن القرية المصرية في زينب . وكالمازنى في الديوان وفصوله النقدية ومحاولاته الروائية . وجاء جيل الشرقاوى ليكمل البعد الاشتراكى للنظرة الاسلامية . والبعد الأممى للنظرة الوطنية

البعد الوطنى بعد الثورة

وجاءت فرقة الشرقاوى عن الرفاق الاشتراكيين بعد قيام الثورة المصرية التى كانت جهوده وجهود زملاء له وجهود من سبقوه هى التى مهدت الأرض لقيامها وتحديد مبادئها . إذ انضم الشرقاوى بكل ثوريته وفكره المتمرد والبناء الى كتاب الثورة . ولعله كان في طليعتهم وتعمق البعد الوطنى في مسرحياته (الفتى مهران) و (عرابى زعيم الفلاحين) بينما ظهر البعد القومى العربى وفرض نفسه تماما في (وطنى عكا) و (النسر الأحمر) و (مأساة جميلة) . . وزاد تعمقه في كشف الشخصية المصرية في رواية (الشوارع الخلفية) ورواية (الفلاح)

وبدأ يتجه في فكره الى أهمية تثبيت المعنى القومى وصولا الى الأممية . أما أن نحاول الوصول الى الأممية دون أن نحرر إنساننا نحن المصرى ثم العربى فشىء لن يؤتى ثمار الجهد المبذول فيه . وهوجم الشرقاوى من رفاق الأمس ، كما هوجم دائما من السلفيين وأصحاب التجمد الخانق من المساس بأمور الدين فكرا ومناقشة ، فما بالك بالابداع وكتابة القصص عن أبطاله . . وقد استمر الشرقاوى في استخراج المعانى الانسانية ومعانى البطولة من سير عظماء الاسلام يدخلهم الى عالم أبطال الانسانية كلها من باب العلاج القصصى الجديد ، والعلاج القائم على فهم البطولة التى هى كفاح مشترك في كل مكان من أجل الانسان ، فقدم رؤيته القصصية الانسانية لعلى إمام المتقين ، وخامس الخلفاء عمر بن عبد العزيز ، والفاروق عمر بن الخطاب ، والصديق أبو بكر ، وابن تيمية الفقيه المعذب ، وأئمة الفقه التسعة في كتابه (شخصيات اسلامية) . . وآراءه في الفكر العربى الاسلامى المتجه الى الشمول وأفق الانسانية الرحب في (قراءات في الفكر الاسلامى) . واستمر يدلى بدلوه في مكافحة الارهاب الاستعمارى العالمى فقدم (رسالة الى جونسون) عام ١٩٦٧ ومسرحية (تمثال الحرية) في نفس العام و (باندونج والسلام العالمى) عام ١٩٥٥

إن أطروحة السلام عن طريق الحب . وأطروحة القومية عن طريق التراث . وأطروحة المعاصرة عن طريق الاسلام . . أطروحة مثلت أقانيم رئيسية في حياة الشرقاوى وفكره . وعلى الرغم من كل ما قدمته المطبعة العربية من كتب للشرقاوى فإن مقالات عبد الرحمن لم تجمع ولم تطبع . وهى بذاتها ثروة فكرية هائلة . ومتابعة حقيقية لكل الأحداث السياسية والقومية في بلادنا وفي العالم من حولنا . وما أجدرها إن جمعت وطبعت أن تضيف الى المكتبة العربية تسجيلا حيا لأحداثها من واقع قلب صادق ، وفكر حر ووجدان طامح الى العدل .

وما أجدرنا أن نسمى الشرقاوى باسم فارس الكلمة الشريفة ، فما أكثر ما أبرز من ملامح الفروسية في أبطال الاسلام والعرب ، وفي أبطال الشعب الكادحين على مر التاريخ المصرى . . ما أكثر ما نادى بشرف الكلمة وقدسيتها . .

وداعا عبد الرحمن ، واللقاء حتى . . اقترب . . وأسمع وقع أقدام داعيه . . □

● لايمكن لاي انسان أن يصبح عالما بمعنى الكلمة ، من غير أن يصير قبل ذلك انسانا بمعنى الكلمة .
(نوفالس)

تكييف الأجواء عند العرب مكيف الهواء «بادهنج» ابتكره العرب قبل العالم بسنين

بقلم : إحسان جعفر

قد لا يعرف كثيرون أن العرب هم أول من ابتكر مكيف الهواء ، بنوعيه البارد والساخن ، ورغم أن التراث العربي يحفل بذكر هذا الابتكار ، إلا أن أحدا لم يتوقف ليقدم لنا كيف دفعتهم ظروف المناخ القاسية إلى ابتكاره ، وكيف ساعدهم عليه عصر نهضة علمية شاملة » .

لا شك أن القاريء عندما يقع نظره على لفظ « البادهنج »سيتساءل : ما هو البادهنج ؟ وماذا يعني ؟ هل هو اسم لنوع من العطور ؟ أم هو اسم صنف من الزهر يماثل البنفسج مثلا ؟ أم أن له صلة ما بحجر البادر زهر أو الدهنج . لن أطيل في تقريب معنى البادهنج إلى الأذهان ، لكن أقول إنه ليس هذا وليس ذاك أيضا ، ولا يمت إلى ما ذكرناه بصلة .

فالبادهنج جهاز علمي للتهوية ، مصمم ببراعة مدهشة ، على أدق الأسس الفنية . ابتكره العرب في العصر العباسي لتكييف أجواء الدور والقصور ، بيد أن كل من تناول هذا الجانب الحضاري « تكييف الأجواء عند العرب وتهويتها » ، لم يشر إلى هذا الجهاز التقني الطريف متقن الصنعة ، فادم متز في كتابه الحافل « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري » لم يتطرق إليه في كلامه على طرق تبريد الجو ، واتخاذ قباب الخيش والسراديب والمراوح ، ولم يذكره ناصر الخاني في دراسته المقتضبة المسماة « في الحضارة العربية » على الرغم من أنه حاول أن يأتي بجديد عن اصطناع العرب لوسائط التهوية

ويلوح أن معنى البادهنج قد استعصى على الدارسين ، فلم يتوصلوا إلى معرفة كنه هذا الجهاز ، حيث لم تنص المعجمات العربية عليه ، ولا حتى كتب المعرب والدخيل ، فضلا عن أن الالماح إليه في المصادر الأدبية والتاريخية والعلمية أتى بشكل من مقطعين (باد) هواء ، و (نج) فوهة ، فيكون المعنى (فوهة الهواء) ، وهي ترد أيضا بلفظ : « باذهنج » (بالذال المعجمة) وبادنج ، وباداهنج ، حسب اختلاف المصادر .

إشارات شتى

ولقد أشار إلى هذا الجهاز دوزي في (تكملة المعاجم العربية) بقوله : « بادهنج أو بادنج : أنبوب شبيه بأنبوب الموقد أو المدفأة يتخذ للتهوية » ،

ولم يزد على ذلك شيئا .

ومن مراجعة رحلة ابن بطوطة تبين لنا أنه أتى على ذكر هذا الجهاز في معرض الكلام على سلطان بركى حيث يقول : « وبعث إلى يديت يسمى عندهم الخرقة (خركاه) وهو عصي من الخشب تجمع شبه القبة وتجعل عليها اللبود ، ويفتح أعلاه لدخول الضوء والريح مثل البادهنج ، ويسد متى احتيج إلى سده » .

وجاء ذكره أيضا في « ألف ليلة وليلة » ، ففي تضاعيف إحدى الحكايات ورد القول التالي وفيه بادهنج إلى جانب المطبخ »

ووجدته منصوصا عليه في كتاب « عنوان البيان وبستان الأذهان » لعبد الله الشبراوي ، حيث شرحه بأنه المنفذ الذي تجيء منه الريح

وسماه أبو الحسن عبد الكريم الأنصاري « راووق النسيم » يقول

ونفحة بادهنج أسكرتنا
وجدْتُ بروحها برْد النعيم
أتتنا من أنيق الشكل سمح
تراه مثل راووق النديم
صفا وجرى الهوا فيه رقيقا
فسمّيْناه راووق النسيم

وجمعه بادهنجات ، وعربيته الملقف - وجمعه الملاقف - وكان يشيد وسط المبنى ، فوق الأسطح لتلقي الهواء الملطف ، ويسقطه من فتحات في السقف إلى القاعات والايوانات ، وكأنه نوع من طرق تكييف الهواء - وأقدم مثل للبادهنج في مصر ما يزال في جامع الصالح طلائع بن رزّيك ، كما توجد أمثلة أخرى له في المدرّسة الكاملية من العصر الأيوبي ، وفي خانقاه بيبرس الجاشنكير .

وكان القاضي الفاضل وزير السلطان صلاح الدين الأيوبي أكثر الناس ولوعا بالبادهنج ، وله فيه أشعار وأقوال . وأقدم من ذكره من الشعراء مهيار الديلمي (ت ٤٢٨ هـ) ، يقول في قصيدة يصف فيها هواء بيت مجلوب من بادهنج قد شيد على سطحه مفتوح الجناحين لمهب الجنوب والشمال :

وأهدى الهواء لهُ ناشرٌ
جناحين لو حَملاه لطارا
تنصّت للريح مستفهما
بأذنين لا يحملان السرارا
إذا عبرت مطلقاتُ الريا
ح ليسلكنه طلْن فيه أسارى
فتلفظ منها السَموم[١] الشَرار
ويلقي إلينا النسيمَ الحبارا[٢]

اسس علمية دقيقة

والذي لفت انتباهي أن نصب البادهنج وتوجيه جناحيه لمهب الريح لم يكن اعتباطا ، وإنما وفق أسس علمية دقيقة ، يراعى فيها ما يراعى في تعيين القبلة وجهة المحراب ، وكان يتولى ذلك ويشرف على



التنفيذ مهندسون او فلكيون ، ولهم في تعيين الجهة وكيفية وضعه رسائل عديدة ، لعل من أشهرها « تحفة الأحباب » في نصب الباداهنج والمحراب » وهي للفلكي المؤقت المصري المشهور ابن المجدي المتوفى في سنة ٨٥٠ هـ ، ويقول في أولها بعد الديباجة : « اعلم أن سمت القبلة بمدينة مصر حماها الله على سبعة وثلاثين درجة ، وسمت الباداهنج سبعة وعشرين ونصف ، وكلاهما في الربع الشرقي الجنوبي . . » ، وما تزال هذه الرسالة مخطوطة تنتظر من يبعثها من مرقدها في دار الكتب المصرية بالقاهرة .

والمعروف أنه كان للعرب معرفة ودراية بالأنواء ومهاب الرياح ، ولهم في ذلك دراسات متقدمة

أفادت العلوم الحديثة .

وقد أشار القيراطي ـ وهو شاعر من عصر المماليك ـ إلى انحراف البادهنج عن سمت القبلة في قصيدة له وصف فيها البادهنج ، يقول :

وَرُوحُه لَطِيفَةٌ
وَذَاتُهُ مُنْحَرِفَةْ
عَنْ قبلةِ الدينِ أرى
حُبُّ الهَوَى قَدْ صَرَفَهْ

وربما نصب البادهنج مطلا على البحر ، قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر على لسان بادهنج يسقط نسيم البحر :

أنا نعمى من ابتهجْ
أنعش الروح والمهج
وعن البحر يا نسيم حدث
(القلب) لا حرجْ

وكان يبالغ في تشييد جناحيه مع الاحتفاظ بمقاسات معينة لطوله وعرضه . وإلى ذلك أشار شهاب الدين بن أبي حجلة في شعر أودعه لغزا :

وذي جناح طوله
أضعاف ما في العرضِ
ما جار في شرع الهوى
وحكمه إذ يقضي
ولم يطر مع كونه
بين السما والأرضِ

وقد أغرى الشعراء بوصف البادهنج ، ولهم فيه لقطات عديدة ، ومن الطف ما صور به قول برهان الدين القيراطي :

يا طيبَ نفحةِ بَاذَهنجٍ لَمْ يَزَلْ
بهوائِهِ لنفوسنا تنفيس
مغرىً يجذبِ الريحِ من آفاقِهَا
فكأنه للريحِ مغناطيسْ

وقول شهاب الدين بن أبي حجلة :

وباذهنج تراه
كغصن فانٍ تَرنَّحْ
يهتزُّ عند العطايا
لأنه يتريحْ

وللقيراطي قصيدة طويلة ـ كما ذكرت ـ تكلم فيها على أحواله وشؤونه وما قاله ملغزا :

أهواؤنا المختلفةْ
قَدْ أَصْبَحَتْ مُؤْتَلِفَةْ
في شامخ بأنفهِ
على العوالي آنفةْ
وذي جناحٍ لم يطرْ
وكل طير ألِفَهْ
جناحه طول المدى
يبدي علينا رَفْرَفَةْ
كَمْ مِنْ كئيب عاشقٍ
أهدى له مشرفةْ
ولا يزال مرسلا
لِنَحْوِهِ مُلَطَّفَةْ
في الريحِ ضاع قَوْلُ مَنْ
على هواه عَنَّفَهْ

ويقول :

هَواهُ تَحْتَ طَوْعِهِ
كَيْفَ يَشاءُ صَرَفَهْ
وَكُلُّ ما لاحَ لَهُ
مِنَ الهواءِ الْتَقَفَهْ

وذم الشعراء النوم في الأجواء المكيفة ، وها هو ذا صدر الدين بن عبد الحق (ت ٧٨٠ هـ) يقول ناصحا :

في الباذهنجِ لاتَنَمْ
فَما لِمَرْضاهُ دَوا
لا يَأمنِ الشخصُ الذي
يسرق في الليل الهَوىٰ

وكان الباذنج يكيف بحسب تقلبات الطقس ، ففي الصيف تكبس مواضع منه بالثلج . وكان يجلب إلى مصر من جبال لبنان وجبل الشيخ ، وعندما يروح يخرج منه النسيم المبرد ، أما في الشتاء فتوضع في منحى منه كوانين فيها الفحم . وعليه قول القاضي الفاضل يصف بادهنج ينشر الدفء : « في بادهنج شديد الحرور كأنما يتنفس نفس مصدور »□



رؤيا

شعر : علي منصور

الشُرفَة أُمسيةٌ مَحْظُورَةٌ
وكتابٌ مزهوٌ
بملاحقة البصاصين ،
مغرُورٌ بطفولته البرية ، وطباعته السّرية ،
وعلائقهُ المبتورة
والمنضدةُ العرجاءُ
تنتصبُ عليها باقةُ خيلاءُ
والأركانُ تغُادرها الدهشة ،
والبهـــــجة ،
والرائحــة المعتــادة ،
والذاكـرةُ المقهــورة .
مَنْ هذا الواقف في أعماق الصورة
يضحكُ في الليل ،
ويحشو فجراً . . في منقار العصفورة
* * *
أنقذني يا نومي مِنْ هذا الصّحوْ ،

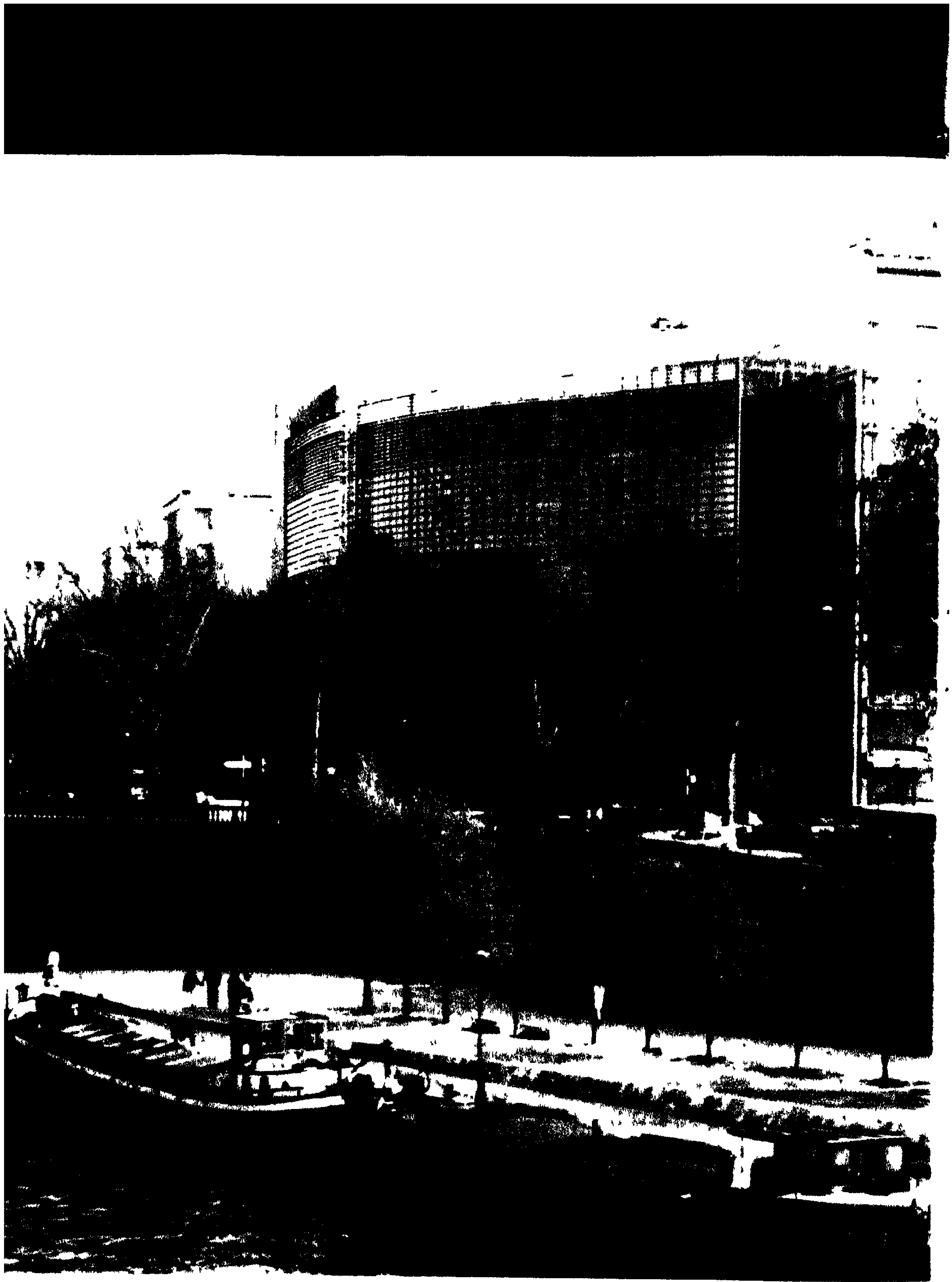
وأغمِضْ عينيَّ الحمقاوين ،
وأفسِحْ قُدامَ القلبِ سماواتِ الرؤيا ،
وأراضيـــن التذكــار .
الروح يبابٌ
والأعمار بوارْ .
والوطن المغترب يفتش عن درٍّ ولآلي . . .
والكل تجاويف ،
تجاويفُ الكل محار . .
مَنْ هذا الواقف في أنحاء الصورة .
يبكي في الليل ،
ويبحث عن أغنيةٍ في رثيِّ المدنِ المكسورة
* * *
دمعتُكَ البلُّورَةْ
تنساب على استحياءْ
ياوطناً مستاءْ
مِنْ عجزِ الطبقات المهورة .

معهد العالم العربي في باريس

قصر للثقافة العربية على ضفاف السين

استطلاع : صلاح حزين

كان يوما عاديا تماما ، مثل كل أيام باريس ، تلك المدينة الهائلة التي أدمنت الجمال فعرفت كيف تجعل كل أيامها جميلة ، وكيف تعطي كل فصل من الفصول لونا من الجمال ، فتساوت الأيام والشهور والفصول ، واحتفظت مدينة النور بجمالها الأخاذ على مر السنين .



مبنى معهد العالم العربي على ضفة نهر السين وإلى (اليمين) الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران في يوم الافتتاح

في ذلك اليوم ، في الثلاثين من نوفمبر من العام الماضي ، كانت باريس تودع خريفها الجميل ، فلخريف باريس جماله الخاص ، بألوانه من ألوان أوراق أشجاره التي تراوحت بين الأخضر الذي احتفظ بخضرته حتى في فصل تساقط الاوراق ، وبين الاحمر والأصفر والبرتقالي والذهبي ، وفي الوقت ذاته كانت تستقبل الشتاء الذي لم يكتمل بعد أمامه الآتية

كان كل شيء عاديا على ضفة السين ، زوارق السياح التي تجتاز الجسر الذي يربط « جزيرة المدينة » بضفة السين المقابلة ، وبرك كنيسة نوتردام القائمة فوق « الجزيرة » حلقها ، ويمضي مع النهر العظيم ، ويتوجه المثقفون نحو مقاهيهم القريبة من الكنيسة الشهيرة قرب شارعي سان ميشيل وسان جرمان اللذين يشكل التقاؤهما قلب الحي اللاتيني ، ويبدأ رسامو « البورتريه » و « الكاريكاتير » نصب أدواتهم البسيطة، وفتح كراسيهم الخشبة الصغيرة استعدادا ليوم من العمل ويمضي الطلبة والطالبات الى جامعاتهم في ذلك الحي العريق ، الذي شهد إنشاء صروح التعليم منذ ان كان العلم (لاتينيا)

على رصيف سان برنار

وفي شارع غير بعيد عن هذا الجو الذي امتزجت فيه الثقافة بالفن والجمال ، كانت سيارات كثيرة تتوقف بالقرب من بناء ضخم ، صرح هندسي كبير زينت جدرانه ذات اللون المحصر بالنقوش العربية والاسلامية المميزة ، فأضفت على البناء جمالا شديد الخصوصية في هذا الجو الخاص ، وكانت حركة المرور في ازدياد، وجماهير من الناس فرنسيين وعرباً من جميع البلدان يدخلون عبر بوابة البناء الضخم

كان العمل الذي أنجزه المعماريان الفرنسيان المشهوران نوفيل وروبان بمشورة المعماري السعودي السيد زيدان ، قد انتهى لتوه ، فأزيلت شبكة السقالات الحديدية التي كانت تحيط بالمبنى المكون من إحدى عشرة طبقة ، وأزيلت بقايا البقع الأسمنتية عن جدرانه الجميلة ، كما أزيلت القطع البلاستيكية التي وضعت لتحمي الواجهات والأرضيات من التلف ، وبدا المبنى الواقع على زاوية رصيف سان برنار بالدائرة الخامسة من مدينة النور جاهزا لاستقبال الزائرين والمسؤولين العرب والفرنسيين القادمين لافتتاحه رسميا

في حفل الافتتاح كان الكل هناك ، عرب من جميع البلدان التي وافقت على هذا المشروع الضخم ، وفرنسيون ينتمون الى ذلك البلد الذي ارتبط بعلاقات حضارية قديمة مع العرب ، كان هناك الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران ، ورئيس وزرائه جاك شيراك ، ورئيس مجلس إدارة المعهد بول كاربون ذو الصلة الوثيقة بالوطن العربي التي أقامها من خلال عمله كسفير في عدد من الأقطار العربية ومنها الكويت وعلى الجانب العربي كان التمثيل رفيع المستوى ايضا

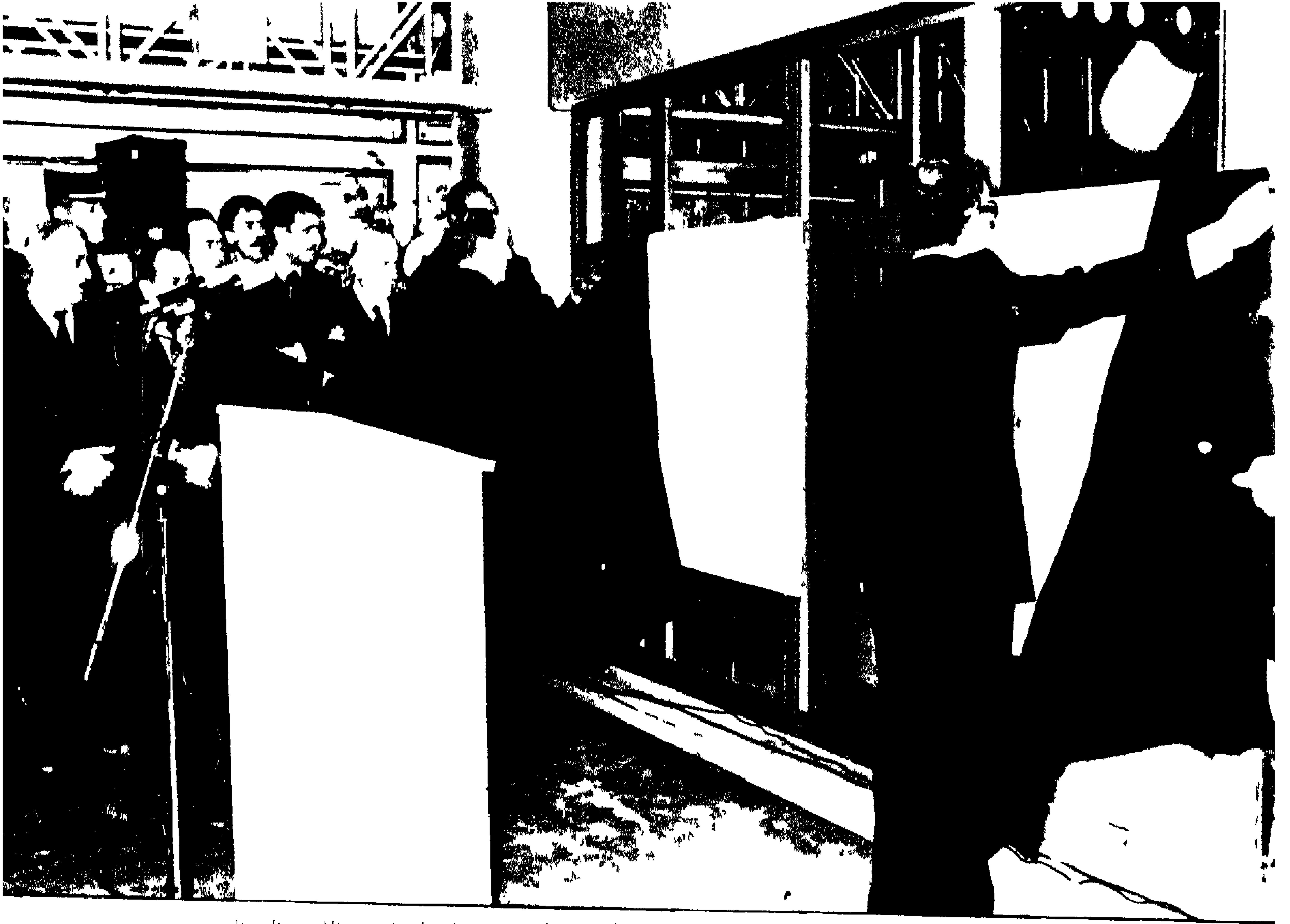
كان هناك الاستاذ الشاذلي القليبي الأمين العام للجامعة العربية ، والشيخ ناصر محمد الأحمد الصباح وزير الاعلام الكويتي، ووفد كبير مثل الكويت في حفل الافتتاح ، وهناك أيضا كانت فرقة التلفزيون التي أضفت على الحفل جوا شرقيا مميزا من خلال رقصاتها وايقاعات موسيقاها التقليدية القديمة

بالاضافة الى هذا الوجود الرسمي كان هناك وجود عربي كويتي غير رسمي تمثل في شركة الأجهزة العالمية التي عرضت أجهزة كمبيوتر حديثة تمت برمجتها باللغة العربية ومنها برنامج القرآن الكريم الذي عرض في حفل الافتتاح

جاء الجميع ليضفوا على عمل المعهد الذى تضمه طبقات المبنى الكبير صفته الرسمية

على ضفة السين تلك ينهض المبنى الضخم المحصر على مساحة قدرها ٧٢٥٠ مترا، فيما تبلغ مساحته بمجمل طبقاته ٢٧ ألف متر مربع

ويشتمل المبنى على متحف احتل ثلاث طبقات من المعهد ، وقد قسمت محتويات المتحف بحيث تحتوي كل طبقة على آثار مرحلة من مراحل التاريخ العربي ، حيث تمثل المرحلة الأولى الحضارة العربية قبل الاسلام ، ومن ضمن معروضات هذه المرحلة



الرئيس الفرنسي ميتران والامين العام للجامعة العربية الشادلي القليبي يزيحان الستار عن اللوحة التذكارية

اثار تنتمي للفن القبطي والفارسي والبيزنطي . وتمثل المرحلة الثانية الحضارة الاسلامية العربية ، بينما تمثل المرحلة الثالثة الحضارة الاسلامية بامتداداتها خارج الوطن العربي.

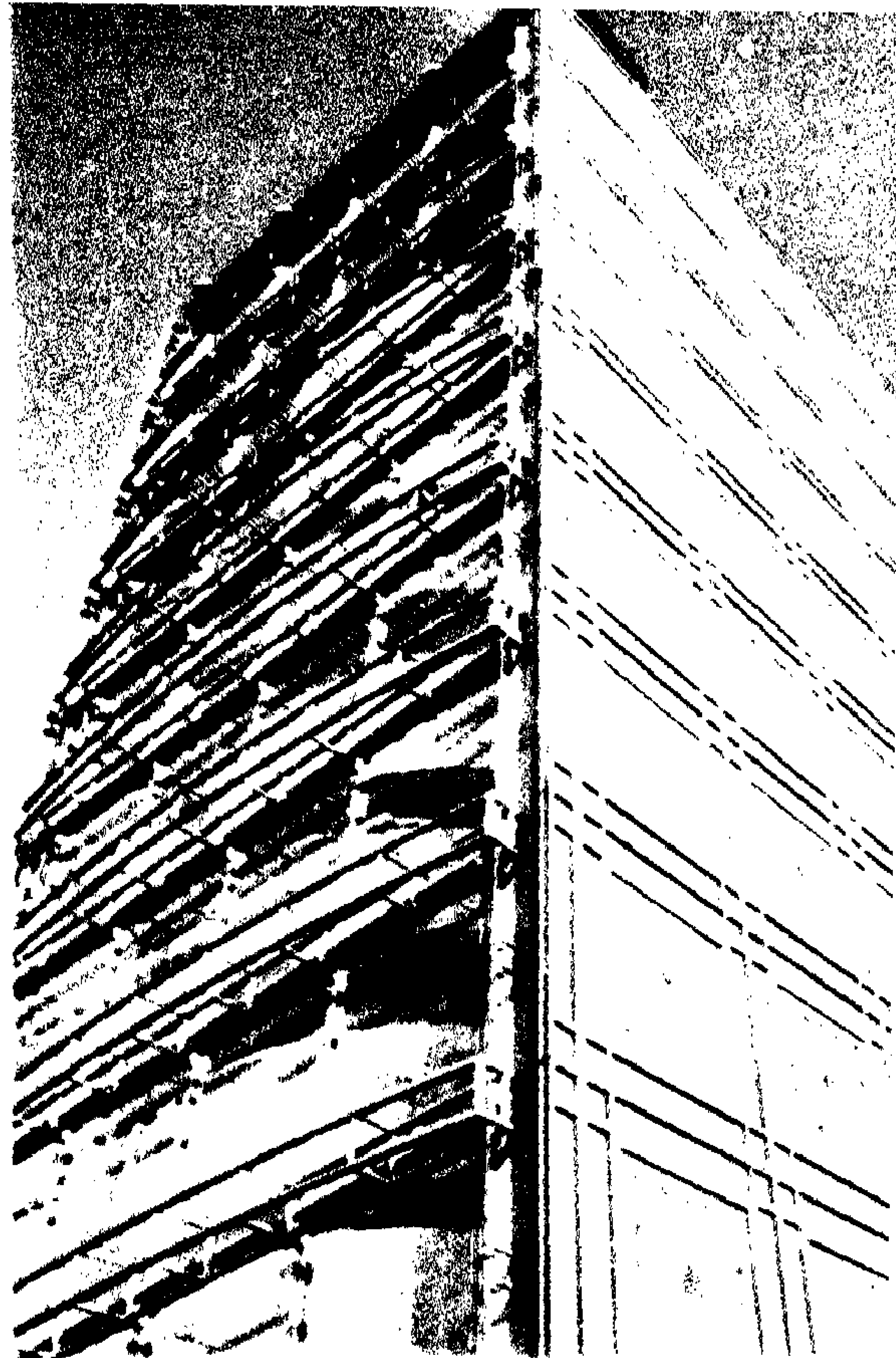
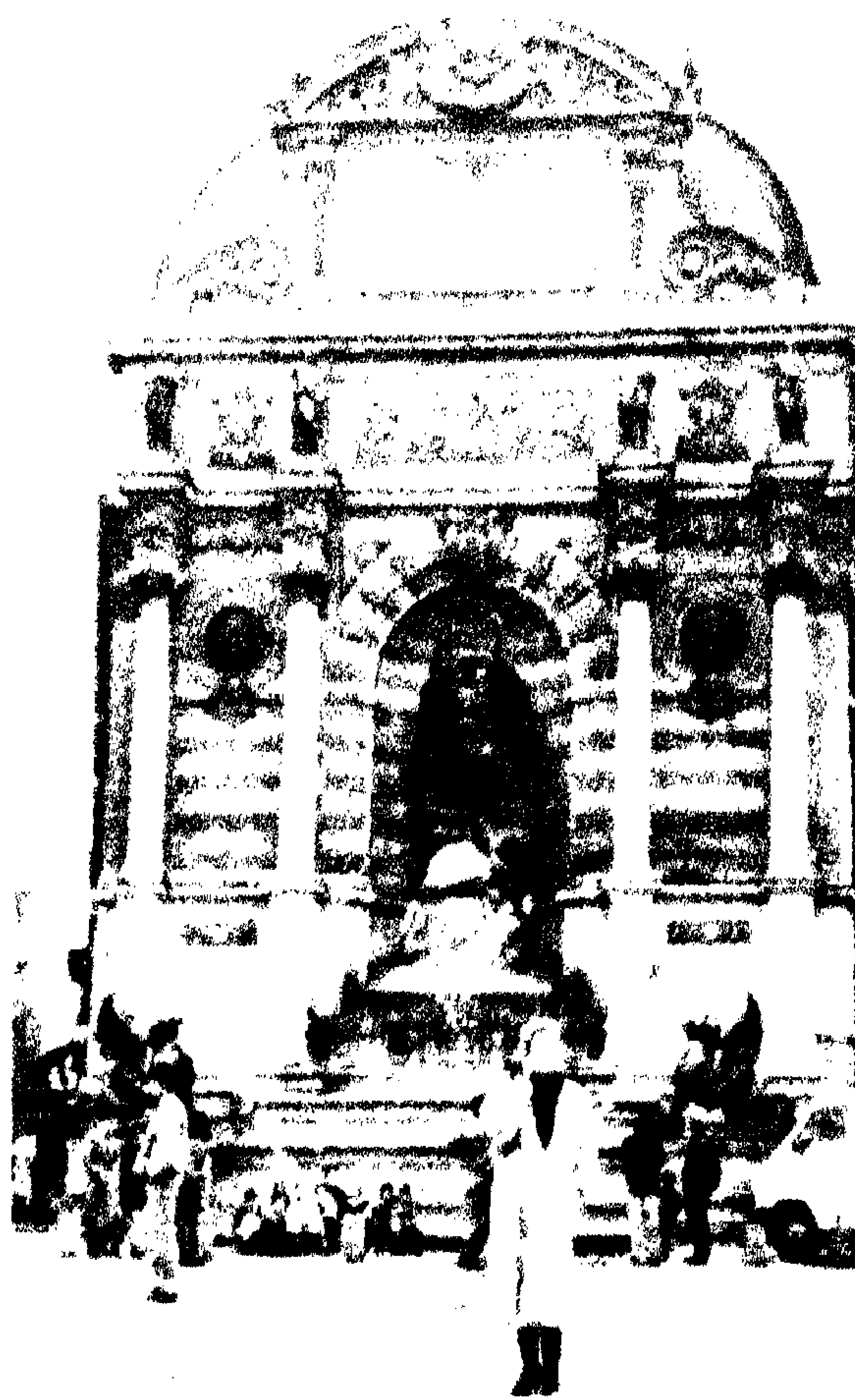
وفي المعهد أيضا ، المكتبة العامة التي لا غنى عنها في أي صرح ثقافي . وتحتل المكتبة ست طبقات توزعت عليها عشرات الآلاف من المراجع في شتى فروع المعرفة ، التي كتبت باللغات العربية والفرنسية والانجليزية . بالاضافة الى المجلات والصحف والوثائق والخرائط والأشرطة السمعية والبصرية . وتقدم المكتبة تسهيلات تمكن الزائرين من متابعة الأحداث الثقافية الخاصة بالوطن العربي بعلاقاته المتشعبة وبتطوره اليومي ، كما تمكن الباحثين والدارسين من متابعة بحثهم الوثائقي المتخصص الذي يعتمد الى درجة كبيرة على بنك المعلومات الذي تخزن فيه - وبأحدث الطرق والأساليب التقنية - المعلومات الضرورية لأولئك الباحثين.

كما تحتوي المكتبة على قاعة لمتابعة الصحف والمجلات اليومية والاسبوعية التي تنقل للقراء الحالة الراهنة في الوطن العربي ، سواء عبر الصحف والمجلات العربية، أو الأجنبية التي تهتم بشؤون الوطن العربي . كما تحتوي المكتبة على قاعة للعروض السينمائية ، تعرض فيها الأفلام الروائية والوثائقية العربية أو تلك التي تتعلق بالوطن العربي ، كما تقام فيها المهرجانات والأسابيع السينمائية.

والآن ، هاهو المبنى شاخص أمامنا على ضفة السين ، يروي قصة الثقافة العربية . فكيف بدأت قصة المعهد ؟

دور جديد قديم .

في الفترة الأخيرة من حكم الرئيس الفرنسي السابق فاليري جيسكارديستان طرحت فكرة المعهد من قبل الشيخ صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت السابق . وعلى الفور وجدت الفكرة ترحيبا من جانب الأقطار العربية التي أبدت استعدادا




الى اليمين (فى الأعلى) نقوش وزخارف تزين جدار المبنى • الى الاسفل (يمين) نافورة السان ميشيل في قلب الحي اللاتيني .
(الى الاعلى) الرئيس ميتران والشيخ ناصر محمد الصباح (أسفل) باسم الجسر بول كارتون ، وبدر الدين عرودوكي .

لتدعيمها على أعلى المستويات ، وفي فبراير عام ١٩٨٠ تم إنشاء معهد العالم العربي ، حيث اتفقت ١٨ دولة عربية مع فرنسا على إقامة المعهد ليكون « مؤسسة تهدف الى تطوير معرفة العالم العربي وبعث حركة أبحاث معمقة حول لغته وقيمه الثقافية والروحية ، كما تهدف الى تشجيع المبادلات والتعاون بين فرنسا والعالم العربي ، خاصة في ميادين العلوم والتقنيات ، مساهمة بذلك في تنمية العلاقات بالتالى بين العالم العربي وأوروبا » .

وفي عام ١٩٨٤ انضمت ليبيا أيضا الى الاتفاقية ، وهذا يعنى أن فرنسا كدولة قررت أن تكون المركز الذى يمكن لاوروبا منه الاطلال على واقع الوطن العربي ، ولكن ليس من خلال نفطه أو من خلال أمواله أو من خلال علاقاته السياسية ، بل من خلال ثقافته وإسهاماته التى قدمها ومازال لركب الحضارة الانسانية . وبذلك فإن فرنسا قررت أن تلعب من جديد دورها القديم في نشر الفلسفة العربية والاسلامية الذي لعبته في القرون الوسطى ، حين كانت جامعات باريس مركزا لنقل وتدريس فلسفة ابن رشد وابن حزم وغيرهما من فلاسفة العرب المسلمين وعلمائهم . لذا فان العرب ومن خلال معهد العالم العربي سيدخلون ثانية الى أوروبا من باب الثقافة والفنون .

لماذا باريس ؟

ولكن لماذا باريس ، إحدى أهم العواصم الأوروبية وأبرزها ثقافيا ، بكل تأكيد ؟ والجواب خاضع لأكثر من اجتهاد ، لكن كل الاجتهادات تصب في مجرى واحد . ففرنسا ، من بين دول أوروبا جميعا ، تضم أكبر تجمع من العرب ، بل إن هناك أحياء خاصة تتردد فيها اللغة العربية بلهجاتها المختلفة أكثر من أى لغة أخرى . ويقدر عدد العرب الذين يقيمون في باريس وحدها بأكثر من مليون شخص ، ومن بين كل ثلاثة من سائقى السيارات ، هناك عربي ، وهناك عدد كبير من المجلات العربية تصدر في باريس حيث لها القراء والمتابعون . وفي باريس أيضا عدد كبير من المثقفين العرب ، ومنهم من يقدم إبداعاته باللغة الفرنسية . وبالرغم من أي تحفظ يمكن أن يثار حول هذه النقطة ، إلا أن الحقيقة الباقية هى أن باريس تكاد تكون المدينة المثالية للقيام بهذا الدور الثقافى المهم .

في الثامن والعشرين من فبراير سنة ١٩٨٠ وقع السفراء العرب المعتمدون في فرنسا العقد التأسيسي للمعهد ، بعد موافقة حكوماتهم على إنشائه كمؤسسة خاضعة للقانون الفرنسى ، تشارك فيه الحكومات العربية كأعضاء مؤسسين عن طريق الاسهامات التى يرونها مناسبة ، وضمن الشروط التى يحددها عقد التأسيس .

وتنص الفقرة الأولى من المادة الأولى على « أن معهد العالم العربي مؤسسة تخضع لاحكام القوانين الفرنسية » . ومنذ البداية برز خلاف بين الجانبين الفرنسى والعربي على عدد من فقرات عقد التأسيس للمعهد . المادة الأولى كما ذكرنا تنص على أن « المعهد » خاضع لأحكام القوانين الفرنسية ، أي أنه مؤسسة فرنسية أساسا ، وتنص المادة ٢١ من العقد على أن الموارد السنوية للمعهد تتألف من :

« ١ - عائدات المخصصات - بما فيها كليا أو جزئيا - المال المعين الناتج عن فائض القيمة والمتحقق عن طريق البيع .

٢ - الاعانات التى تقدمها الدولة المؤسسة .

٣ - حصيلة التبرعات المجاز استخدامها

٤ - المبالغ التى يدفعها الأفراد والمؤسسات ولاسيما في اطار الأنظمة الضريبية التى تقبل بإعفاء مثل هذه المدفوعات من ضريبة الدخل أو الضريبة على الشركات .

٥ - من عائد الموارد التى يتم إيجادها بصفة استثنائية وبموافقة السلطات المعنية إذا دعت الضرورة .

٦ - من عائد المكافآت التى قد يتم قبضها مقابل خدمات يقدمها المعهد » .

وهذا يعني أن الطرف العربي ممثلا بالحكومات العربية الموقعة على عقد التأسيس ليس ملزما بدفع « المساهمات » في الموارد المالية المنصوص عليها في

العقد ، لأنها مجرد مساهمات غير ملزمة بقوة عقد التأسيس . لكن هذا الطرف لاحظ أن الجانب الفرنسى ومنذ يدأ المعهد نشاطه ، بدأ بمطالبة الجانب العربي بالاسهام في ميزانية التشغيل بما في ذلك رواتب الموظفين والمصروفات الأخرى ، على أن تدفع المصروفات المذكورة مناصفة بين الجانبين الفرنسي والعربى ، وخصصت لكل دولة نسبة معينة من هذه الميزانية تدفعها سنويا ، وهى مساوية للنسبة التى تدفعها كل من هذه الدول الى الجامعة العربية ، ولكن ظلت المساهمات متعثرة .

لجنة .. لجنتان :

ورأى الجانب العربي أنه لابد من إيجاد صيغة قانونية جديدة تحدد مسؤوليات وواجبات كل من الطرفين بشكل واضح وصريح . لذا اتصل السفراء العرب بوزير العلاقات الخارجية الفرنسى آنذاك كلود شيسون لبحث المسألة معه ، وكانت النتيجة أن تم تشكيل لجنة عربية فرنسية مشتركة تضم في عضويتها سفراء خمس دول عربية هي : الكويت ، تونس ، الجزائر ، سوريا ، ولبنان ، مع عدد من بعض كبار الموظفين في وزارتى الخارجية والمالية الفرنسيتين ، وعقدت اللجنة التى مثل الكويت فيها السيد/ عيسى الحمد سفير الكويت في باريس انذاك ،والذى ترأس الجانب العربي في الاجتماع الأول ،وتركز البحث حول عدد من المسائل هي :

- مسألة هوية المعهد .
- موضوع ميزانية التشغيل .
- مسألة التوظيف .
- موضوع سياسة المعهد الثقافية والاعلامية وكيفية توجيهها .
- موضوع حل المعهد .

وفي الاجتماع الثاني للجنة اتخذ قرار بتشكيل لجنتين مختصتين :

- لجنة قانونية عربية ـ فرنسية مشتركة .
- لجنة إعلامية عربية ـ فرنسية مشتركة .

وتتلخص مهمة هاتين اللجنتين في حل المشكلات القانونية المعلقة ، والخاصة بهوية المعهد وموارده المالية بالدرجة الأولى ، وكذلك برسم سياسة إعلامية مناسبة،ومتفق عليها للمعهد .

وتوالت اجتماعات اللجنتين ، لكن الإشكالات الأساسية بقيت معلقة دون حل . وفي نهاية عام ١٩٨٥ توصل السفراء العرب المعتمدون في فرنسا الى ثلاث إمكانيات رأوا عرضها على الجانب الفرنسى فيما يخص المعهد وهويته المستقبلية . وهي :

١ ـ إبقاء المعهد على صيغته الحالية والحفاظ على النظام الأساسي في شكله الأصلي ودون تعديل ، وفي هذه الحالة فإن الدول العربية تكون غير ملزمة بدفع أية مساهمات سنوية في ميزانية التشغيل .

٢ ـ تحويل المعهد الى مؤسسة لها صفة المنظمة الدولية ، وهو مالا يرغب الجانب الفرنسى بفعله .

٣ ـ إبقاء المعهد مؤسسة فرنسية تقوم الى جانبها اتفاقيات دولية ثقافية تعقد بين فرنسا والدول العربية ، واتفاقيات أخرى تقوم بين الجانبين وتشمل الحصانات والامتيازات للموظفين العرب في المعهد والنواحي الثقافية والمساهمات المالية .

وبقي الجدل مستمرا وتواصلت الاجتماعات ، ولكن دون التوصل الى نتيجة حتى الآن !

نشاط وجدل :

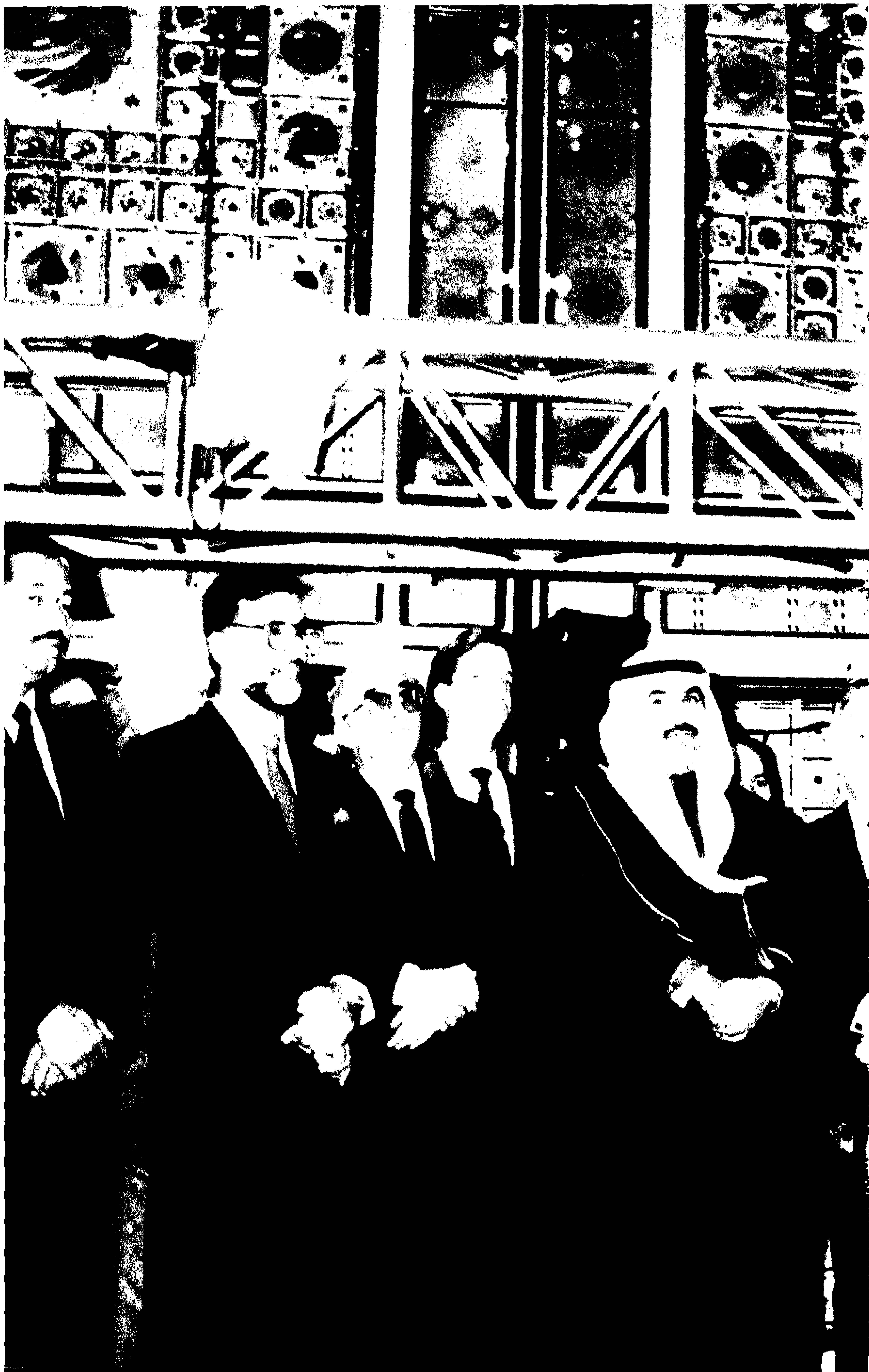
غير أن هذا الجدل وتلك الاجتماعات لم توقف نشاط المعهد الذى بدأ منذ عام ١٩٨٢ ، والذى كان يدار من مبناه المؤقت في شارع « شيرش ميدي » بالدائرة السادسة بباريس ، ففي عام ١٩٨٣ أقام المعهد بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الكسو) ، والمجلس الاعلامى للغة الفرنسية معرضا متنقلا للغة والثقافة العربيتين ، وبعد افتتاحه في مدينة بواتييه تنقل الى مدن شاتيلرو وكليرمون فران وليل وليموج ودنكرك وتولوز وغيرها من مدن فرنسا .

وفي عام ١٩٨٤ قدم المعهد في إطار معرض اللغات الذي أقيم في قاعة « الفران باليه » بباريس مجموعة من تطبيقات المعالجة الآلية للمعلومات على الاستخدامات المتعددة للغة العربية وتعليمها .

وفي العام نفسه والعام الذى تلاه اشترك المعهد في



رئيس الوزراء
الفرنسي جاك
شيراك يلقي
كلمته في
حفل الافتتاح





الرئيس الفرنسي ومدير العلاقات الثقافية بدر الدين عرودكي و فرقة التلفريون الكويتية .

الأيام الموسيقية العربية التى نظمها مسرح الاماندييه ، حيث أحيت فرق موسيقية من تونس والجزائر ومصر والمغرب وموريتانيا عددا من الحفلات الموسيقية مثلت ألوانا من موسيقا المشرق والمغرب العربيين ، فيما خصصت حفلات مماثلة أقيمت عام ١٩٨٦ للموسيقا الجزائرية كما شارك المعهد في عدد من المعارض التى قدمت إنجازات ثقافية عربية منها معرض الخط العربي ، وحدائق بلاد الاسلام ، والصحارى العربية ، والعمارة العربية ، وفن الرسم العربي وملتقى الشعوب والفنون الافريقية وألف ليلة وليلة .. وغيرها .

وفي المجال الأدبي وبالتعاون مع منشورات جان كلود لاتيس نشر المعهد ترجمات لسبعة أعمال روائية عربية حديثة لكل من نجيب محفوظ وفؤاد التكرلي ويوسف ادريس وحنان الشيخ وعبد السلام العجيلي واميل حبيبي .

ويلاحظ القاريء معنا أن هذه الأسماء الأدبية الكبيرة هى كلها أسماء معاصرة تمثل الرواية العربية في أرقى وأحدث مراحلها ولعل هذه النقطة أن تكون أفضل مدخل للحديث عن نوع الثقافة التى يقدمها المعهد ، وعن الجديد الذى يمكن أن يقدمه هذا الصرح الثقافى الكبير للمواطن الفرنسي والأوروبي .

فقد جاء في كتاب « معهد العالم العربي » الذى نشره المعهد وفي باب رسالة المعهد ، أن هذه المؤسسة الثقافية جاءت وليدة تساؤل عن سبب انعزال الثقافة في أواسط السبعينيات عن حركة انتعاش العلاقة بين فرنسا والعالم العربي في جميع الميادين الأخرى ، فقلما كان الفرنسيون في الواقع يلمون إلماما وافيا بالثقافة والحضارة العربيتين ، كانوا يتمثلونها من خلال صورة ناقصة ، كاذبة ، بل ومحقرة في بعض الأحيان . فكان لابد والحالة هذه من تقويم تلك الصورة واطلاع الفرنسيين على ذلك التقليد الروحي والفكري المجيد الذي ينحدر منه العالم العربي ،

وإفهامهم أنه وريث حضارة رائعة زاهية ، وان تضاءل وهجها في بعض العصور ، إلا أن ذلك لم ينل من خصوبتها وهى مازالت منبت الأدباء والفلاسفة والعلماء وأهل الفن .

لذا تقول الرسالة : اقترحت فرنسا ، ووافقت الدول العربية على إنشاء مؤسسة لا تكون هيئة اكاديمية أو مركز بحوث من الطراز المعروف ، بل تقوم رسالتها الأولى على تعزيز معرفة الثقافة والحضارة العربيتين لدى الجمهور الفرنسي . وأضافت الرسالة ، ان المعهد لا يقتصر نشاطه على الجمهور الباريسي بل ذلك الجمهور الواسع غير المتميز الذى ربما قل اهتمامه خصيصا بالعالم العربي ، والذى يهدف المعهد الى إثارة فضوله ومده بالعناصر الكفيلة بتعزيز معرفته بالثقافة والحضارة العربيتين .

ومن هذا المنطلق ، فقد حدد المعهد لنفسه دور الوسيط والمنسق نظرا لأنه لا يطمح الى التفرد في تحقيق كل شيء . ولأنه لا يتوجه بالأساس الى الجمهور « الباريسي » ، فقد أنشأ المعهد شبكة من المراسلين في أنحاء فرنسا ، وجعل من نفسه أشبه « بوكالة للخدمات الثقافية » ، على غرار مركز جورج بومبيدو الواقع في قلب العاصمة الفرنسية .

وبكلمات السيد بول كارتون رئيس المعهد الفرنسى فإن المعهد يهدف الى « التقريب بين الشعبين الفرنسى والعربي عن طريق الثقافة ، فهناك واقع عربي وشعب عربي يتعين علينا أن نحمل الشعب الفرنسي على التعرف اليه حتى يقدره ، وألا نترك هيئة العالم العربي تتداعى بسبب أحداث دوافعها الخفية ليست دائما بريئة » .

أزمات النشوء :

الصحفي اللبناني باسم الجسر هو المدير العام للمعهد ، واليه توجهت « العربي » بأسئلة تستهدف توضيح بعض المسائل التى أتينا على ذكرها والتى ماتزال معلقة ، ومنها الأزمة القانونية ، الخاصة بهوية المعهد الفرنسية ، وبالمساهمات العربية الطوعية وبالموارد المالية وغيرها .

يرى مدير المعهد أنه ليس هناك أزمة قانونية بالمعنى الحقيقي للكلمة ، فالمعهد لا يشكو من مشكلة مالية ، لا من حيث البناء ولا من حيث التشغيل ، وغاية ما في الأمر أن الأعمال الكبيرة والمهمة لابد وأن يعترض مسيرتها ما يسمى « بأزمات النشوء » . ويضيف الأستاذ الجسر ، أن وجهة النظر الفرنسية تقول ان المساهمة الفرنسية تأتى سنويا بانتظام ، وفي وقتها المحدد ، وتندرج حسب حاجات المعهد وضمن قوانين محددة . ولكي يستطيع المعهد القيام بمهماته فإن ذلك يجب أن يتلازم مع إلزامية المساهمات العربية التى لا تسدد في وقتها مما يجعل وضع الميزانية المسبق لا يخلو من صعوبات .

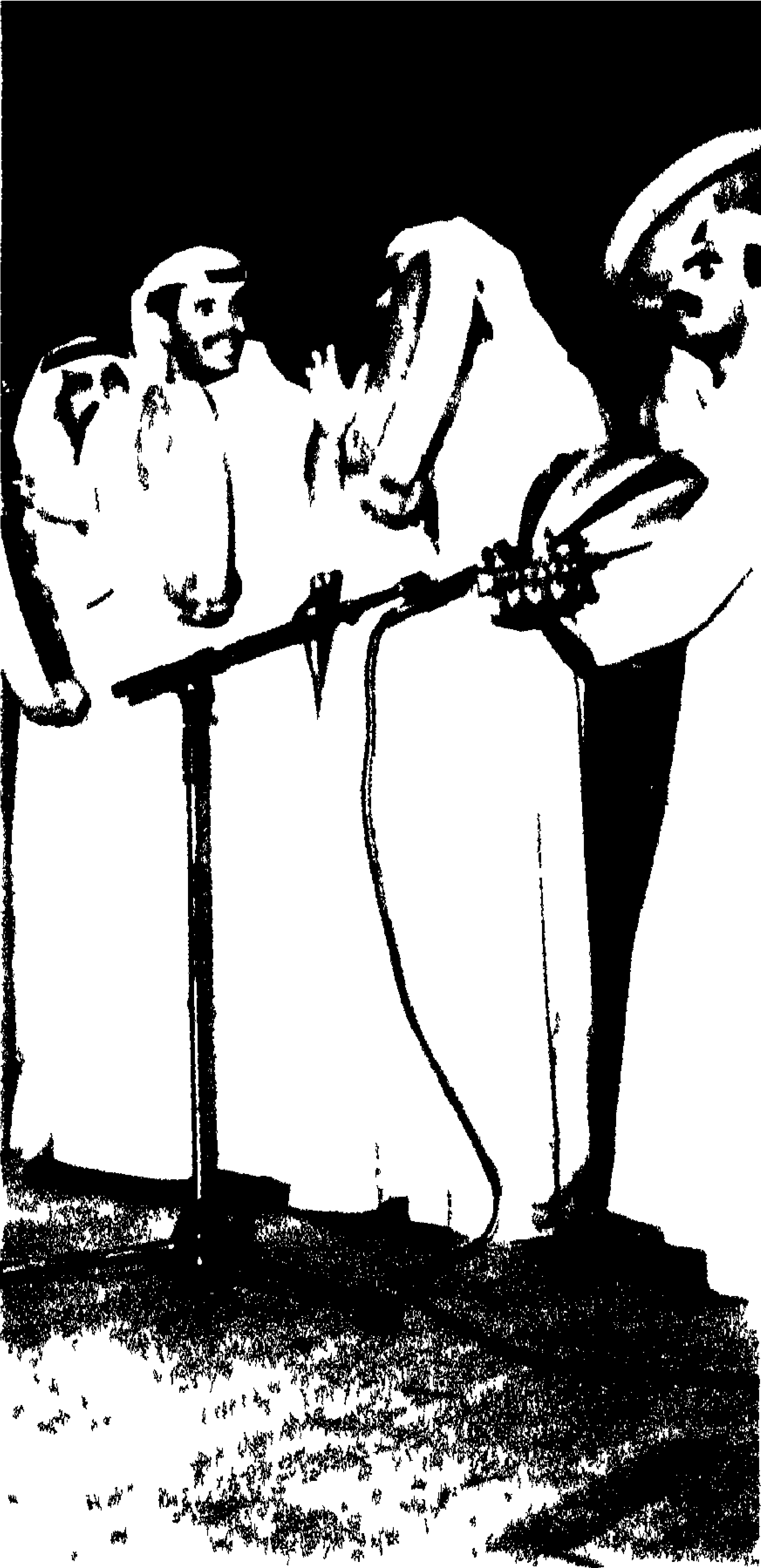
الجانب العربي بدوره يقول ،- يواصل الأستاذ الجسر - قائلا : ان النظام الأساسي ينص على الهبات والتبرعات وليس على الالزام ، كما أن من الصعب قانونيا إلزام دولة بقرار من مجلس إدارة مؤسسة خاصة تابعة لدولة أخرى ، ومن هنا برزت فكرة إعطاء المعهد نوعا من النظام الدولي على غرار اليونسكو ، وغيرها من المنظمات الدولية . فرنسا بدورها رفضت واقترحت تعديل النظام ، ومايزال هذا الأمر موضع بحث ودراسة من الجانب العربي .

ولكن ماذا عن آفاق الحل . . خصوصا أن المعهد افتتح رسميا والنشاط فيه مستمر ومتواصل ؟

يجيب الأستاذ الجسر :

- أنا لا يحق لي التحدث عن فرنسا أو عن الدول العربية ، لكنني أعتقد أن بالامكان التوصل الى حل وسط ، وهو أن المساهمة العربية يمكن أن تبقى على شكل تبرع على أن تتولى السفارات العربية في باريس القيام بمساعيها لجعل هذه التبرعات متصلة ومنتظمة ، وأعتقد أن فرصا جديدة للحل ستبرز من الآن فصاعدا وبعد افتتاح المعهد رسميا .

ويستدرك مدير المعهد قائلا : « ان المعهد يستطيع - اعتمادا على المساهمة الفرنسية ومداخيله والمساهمات العربية الراهنة - أن يقوم بمهمته ، ولكن إذا أراد مؤسسو المعهد أن يكون له دور مميز وبارز بالفعل ، فلابد من إيجاد طريقة لأن تأتي جميع







(فوق) كنيسة نوتردام كما تبدو من سطح المعهد والى اليسار (فوق) رقصات فرقة التلفزيون أضفت جوا شرقيا على حفل الافتتاح ولقيت استحسان الجمهور (أسفل) .



المساهمات العربية سنويا ، أو البحث عن طريقة عملية لتوفير هذه المساهمة الضرورية للقيام بهذا الدور المميز . وبهذا يمكن أن تلجأ الى مجلس الامناء كما هو متبع في أمريكا وأوروبا ، أو طريقة التبني (Sponsering) . ويشرح المدير هذه الطريقة بقوله : انها باختصار اللجوء الى القطاع الخاص لتمويل المشروعات الثقافية ، انطلاقا من أن كل عمل ثقافي جيد هو على المدى البعيد استثمار جيد ، فالبنوك مثلا تحصل على اعفاءات خاصة عندما تتبنى تمويل الأعمال الفنية الثقافية ، كما انها تسهم في ازالة الصورة « الاستغلالية » للبنك أو للمؤسسة المالية ، ويعطى نشاطها بعدا فنيا أو ثقافيا يسهم في تحسين صورتها . اضافة الى ذلك فان العمل الثقافي والابداعي يعطي مردودا استثماريا حين يصبح جزءا من الدورة الثقافية ، وبذلك فإنه يتحول في النهاية الى استثمار جيد ، واستشهد بمثال عن تمويل مؤسسة استثمارية كويتية إنتاج فيلم عن المهندس المصرى الشهير حسن فتحي . وأسأل الأستاذ الجسر عن موضوع آخر : فقد لاحظت ان قائمة أسماء الدول العربية المشاركة في المعهد قد خلت من مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية فماذا عنهما ؟

قال الأستاذ الجسر ان توقيع الاتفاقية بإنشاء المعهد تم بين فرنسا وأعضاء الجامعة العربية ، وكان ذلك بعد خروج مصر من الجامعة العربية إثر توقيعها اتفاقيات كامب ديفيد مع « اسرائيل » ، أما بالنسبة للمنظمة فإن لدخولها شكليات أخرى حيث ان فرنسا لا تعترف بالمنظمة ، فضلا عن ان للمنظمة مكتب تمثيل في باريس وليس سفارة ، وعلى أى حال فإن المعهد وجه يوم الافتتاح دعوة لكل من السفير المصري وممثل المنظمة في باريس ، ومهما يكن من أمر ، فإن هذا لا يعني ان نتجاهل هذين البلدين والإسهامات الابداعية لمثقفيهما .

آفاق ثقافية :

ومن باسم الجسر المدير العام انتقلت الى بدر الدين عرودكي مدير العلاقات والنشاط الثقافي بالمعهد .

استهل الأستاذ عرودكي حديثه بالاشارة الى ان المعهد قام منذ بداية تأسيسه بعدد من الأنشطة التي استهدفت التعريف بالسينما العربية وبمظاهر وجوانب الحضارة العربية القديمة والحديثة .

وضرب أمثلة عن الكتب التى تم انجازها ومنها كتاب « الكوفة - ولادة المدينة الاسلامية » للمؤرخ التونسى هشام جعيط الذى كان قد نشر بالعربية في الكويت بإسهام من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي . وكتاب ضخم من ثلاثة أجزاء نُشر بالفرنسية تحت إشراف البروفيسور جوزيف شلحوت ، وهو من أصل لبناني ، وأسهم فيه كبار الاجتماعيين والمؤرخين والاقتصاديين ، وهو عن « جنوب الجزيرة العربية » ويتضمن هذا المشروع ترجمة أهم الأعمال الأدبية والفكرية الكلاسيكية مثل كتاب الأغاني وكتب الجاحظ وغيرها من كتب التراث التي ينتظر أن يثير صدورها بالفرنسية ضجة كبيرة . وأضاف عرودكي إن بإمكان الزائر الآن الاطلاع على مختلف أوجه النشاط والتطور في البلدان العربية المختلفة من خلال آلاف أشرطة الفيديو والأشرطة الصوتية التي توضع تحت تصرفه في المتحف والمكتبة ومركز التوثيق والقاعات السمعية والبصرية . بالإضافة الى المعارض المؤقتة التى تقام في قاعتي المعرض التابعتين للمتحف ، أو في قاعة الأحداث الثقافية التى تضم آخر ما أنجزته المطابع العربية ، فضلا عن المجلات والصحف العربية .

هذا ما يتعلق بالجانب التقني والتسهيلات المتوافرة في المعهد ، فماذا عن الفلسفة أو السياسة التى تسير عليها الأنشطة الثقافية المختلفة ؟

يجيب عرودكي بأن المعهد يحرص على أن يتم دوما نوع من الحوار بين المفكرين والمبدعين والفنانين الفرنسيين وزملائهم العرب ، ومن خلال هذا الحوار يتم التعرف على أوجه الابداعية العربية ، ومن خلاله أيضا يمكن للجمهور الفرنسي أن يتابع عبر المقارنة والموازنة ما يتم في وطننا العربي من ابداع . وماألح عليه - يضيف عرودكي - هو أن الموضوعات الابداعية سيبحثها الطرفان ويناقشانها



الرئيس ميتران يستنشق البحور .

ويبدي كل منهما وجهة نظره على قدم المساواة ، ولن يكون الطرف العربي مجرد شاهد أو مستمع ، وأشار الى ندوة الرواية العربية التى ستعقد في مارس المقبل ، والتي سيُدعى اليها مجموعة كبيرة من الروائيين العرب والأوروبيين ليناقشوا معا موضوعا مهما هو « الابداع الروائى اليوم » .

فيما يتعلق بالأمسيات الشعرية ، يقول عرودكي ، فإن المعهد سيحاول القيام بتجربة جديدة تقوم على تكوين مشهد مسرحي تؤلف فيه مجموعة القصائد السيناريو الأساسي ، بالاضافة الى عناصر الاضاءة والتخيل والموسيقا والرقص ، وغيرها من المؤثرات المسرحية ، وهو مشهد يدوم ساعة كاملة ، وفي الوقت نفسه يتم عرض كافة مجموعات الشاعر الشعرية واللوحات الفنية التى رسمت من وحي شعره ، والكتب النقدية التي تناولت تجربته الشعرية ، ويستمر هذا المعرض الذي يبدأ مع الأمسية الشعرية أسبوعا يلتقي في نهايته الشاعر وجمهوره .

أما العروض السينمائية فانها تتناسق مع مهمة المعهد الرئيسية ، وهى التعريف بمنجزات الثقافة العربية التى تستجيب أكثر في تعبيرها عن مستوى الابداع العربي الحقيقي .

ومن هنا فإن بعض الأعمال السينمائية التى قد تبدو قليلة الأهمية في نظر المثقفين العرب ، تكتسب بالنسبة للجمهور الفرنسى أهمية مختلفة ولا يعود ذلك بالضرورة الى المعايير الفنية الصرفة ، بل ان هناك معايير أخرى اجتماعية تاريخية أو ذات علاقة بتطور الفن السينمائي في الوطن العربي تفرض هذه الأعمال.

ويتم اختيار الأفلام من قبل لجنة مختصة أعضاؤها من العاملين في حقل السينما والمتابعين لمسيرة السينما العربية منذ البداية وحتى انجازاتها الأخيرة .

هكذا تكلم القائمون على ادارة المعهد ، وعلى أنشطته الثقافية والابداعية التى لم ينجز الكثير منها حتى الآن ، نظرا لعمر المعهد القصير وطموحاته الكبيرة ، لكن كل الأمور تشير الى أن شيئا كبيرا قد تحقق ، وان المستقبل يحمل معه الكثير من الآمال الكبيرة ، وان كانت المسيرة تبدأ بخطوة واحدة ، فإن مسيرة تقديم الثقافة العربية للجمهور الفرنسى قد بدأت بخطوة كبيرة تنبىء بإنجازات أكبر بفضل ذلك الصرح الثقافي القائم على ضفة السين . □

الموسيقي الجوال

من وحي قصة أميركية قديمة

قصة : ريفاز اينانيشفيلي *

ترجمة : يوسف حلاق

في بلاد السويد ، وفي قراها المتناثرة على شاطىء البحر كان يظهر في فصل الصيف موسيقي جوال . كان هذا الموسيقي يرتدي فراكاً ** عتيقاً مهترئاً وقبعة هي الأخرى « كالفراك » عتيقة ومهترئة . كان يجيء الى القرى في زورق شراعي صغير . وكان الزورق « والحرام » ذو المربعات والكمان كل ما يملكه الموسيقي في هذه الدنيا . كان يرسو عند الشاطىء ثم يسحب زورقه من الماء ويخرج كمانه « وحرامه » ويتجه الى ساحة القرية الهادئة . وهناك في الساحة كان يبحث عن أنظف مكان ممكن فينشر جريدة ويبسطها على الأرض ويضع عليها الحرام المطوي بعناية وعلى الحرام « جراب » الكمان ، ثم يرفع كمانه الى كتفه ويأخذ في العزف ،

---

* ريفاز اينانيشفيلي من ألمع كتاب القصة القصيرة المعاصرين في جمهورية جورجيا السوفيتية . ظهر بعض من قصصه مترجمة الى اللغة الروسية وبعض اللغات الأوروبية الأخرى .

** هو لباس رسمي أسود وضيق .



وسرعان ما كان الناس كباراً وصغاراً يتحلقون حوله . كانوا يصغون اليه ، بعضهم تعلو وجهه ابتسامة بهجة ، وبعضهم يستغرق في تفكير حزين . الأطفال هم الذين كانوا يتبسمون ، والكبار هم الذين كانوا يستغرقون في التفكير ، وكأنهم يتذكرون امراً نسوه من زمن بعيد ويصعب عليهم تذكره .

وحين كان يفرغ من عزفه كان يرفع قبعته وينحني محيياً ثم يضعها على رأسه . وكان المستمعون المغتبطون يلقون بقطع النقود في « الجراب » .

كان الموسيقي الجوال يُدعى أحياناً الى الحفلات التي تقام في القرى ، وفي هذه الحفلات كان يعزف بالدرجة الأولى أنغاماً راقصة . كان يقف في الوسط وحوله الرجال والنساء يرقصون باندفاع ومرح بحيث كانت وجوههم تتوهج . كانوا يسكبون له نبيذاً فكان يرفع كأسه في صحة الراقصين ثم يعيده الى الطاولة بعد أن يرشف منه رشفة تكاد لا تذكر ، ويعود الى كمانه يعزف عليه بمتعة وشغف .

كان بعضهم يقول ان العازف لم يتمكن من أن يصبح موسيقياً كبيراً ، ولهذا أخذ يجوب المدن الصغيرة والقرى ، وكان بعضهم الآخر يؤكد على العكس بأن عازف الكمان لم يصبح موسيقياً كبيراً



لأنه آثر التنقل بين القرى والعزف للناس البسطاء . وكان من الصعب على أي حال أن يرى المرء أي الفريقين على حق .

شيء واحد كان أكيداً هو أن الموسيقي كان إنساناً طاعناً في السن ، لكنه كان يبدو ، رغم هذا ، إنساناً موفور الهمة والنشاط تلمع عيناه ببريق الفتوة والشباب ، وكانت كتفاه ويداه مفتولة العضلات لكثرة ما كان يجدّف بالمجداف ، أما أصابعه فكانت قوية وذات جمال رجالي خاص . لم يكن يتناول الا القليل من الطعام كما لم يكن يشرب اطلاقاً كما قلنا ، ولم يكن يأبه كثيراً بمبيته : كان يرى أي ظلّة أو سقيفة أو مخزن حشائش مجففة هبة من الله ، فكان يلّف نفسه بالحرام ذي المربعات ويضع كمانه تحت رأسه ويروح في نوم عميق .

ذات مرّة ومع اقتراب الليل ، والموسيقي في البحر ، ساء الطقس فجأة . هبط الضباب واصطخبت الأمواج وبدأ النوء . ومع هذا ظل الموسيقي يجدّف بهمة باتجاه الشاطيء ، وأخيراً رأى نوراً فأخذ يجدّف مهتدياً به ، فما لبث أن وصل الى منارة ، وما أن صعد الى الشاطيء وتمكن بعد جهد من سحب الزورق حتى انهمر مطر شديد . أخذ الموسيقي الحرام والكمان واختبأ في المنارة .

هناك طالعه رجل ذو لحية شعثاء كثيفة ، ومنظر يبعث الخوف . كان الرجل يشحذ بسكين كبيرة ، حادة كالشفرة ، عصا صغيرة . ردّ الرجل على تحية الضيف غير المنتظر بنظرة ثقيلة رازه بها ، وترك سؤاله ، إن كان دخوله المباغت عليه لا يسبب له ازعاجاً واقلاقاً دون جواب . ظل الرجل جالساً يقطع عصيه دون أن يعير القادم أي اهتمام . وبعد أن قطع بضع عصى ، نهض ومضى يصعد الدرج الى أعلى حيث الشعلة . وتأكل الموسيقي الفضول ، فسأله « أيمكنني أن أصعد معك ؟ » ومضى في اثره دون أن يتلقى جواباً .

وصعد الى أعلى فوجد نفسه فجأة وسط البخار واللهب . كانت الريح تقذف من البحر قطرات

بـاردة تصبها فـوق الضوء الـذي يكاد يختنق وسط البخار . كانت المنـارة تتأرجـح والزجـاج يرتـج . جلس حارس المنارة القـرفصاء ودق عـلى الزجـاج بمقبض سكينـه الثقيلة فأوقف ارتجـاجه ، ثم مضى بمحـاذاة جهاز الانـارة وهو يتلمس الجـدار بيده . وألقى الرجل نظرة الى وجه الموسيقي المبهور ، ثم حوّل نظره الى البحر الذي كان يموج في الأسفل كأنه قطران يغلي وغمغم كأنما يحدث نفسه :

ـ كي لا تضل السفن الطريق .

ثم هبطا الدرّج الى أسفل . وضع حارس المنارة خبزاً وسمكة وجبناً جافاً على الطاولة أمام الموسيقي وأخذ يأكل . كان يقطع كل قطعة خبز وجبن بسكينه الحادة ثم يروح يمضغها طويلاً في صمت ، بينما كان الموسيقي يأكل بإقبال وشهية مصيخاً السمع طـول الوقت الى هدير البحر وصوت المطر . لكنـه رغم هذا وجد الوقت ليسأل حارس المنارة من يكـون ؟ ومن أين ؟ وان كانت له أسرة ؟ وأجابه الحارس بنبرة تكاد تكون نبرة اعتزاز . .

ـ ليس لي أحد . اني وحيد تماماً .

وأستغرق الموسيقي في تفكير . . . . . .

ثم سأل حارس المنارة بدوره ضيفه . ولما أجابه هذا عن مهنته ، بأنه عازف كمان ، شعر أن حارس المنارة لم يفهم معنى عبارته فأخرج الكمان من جرابه وقال :

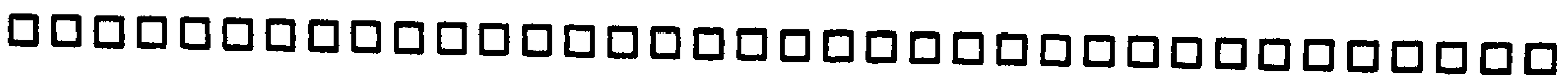
ـ هذه هي آلتي ، وعليها أعمل .

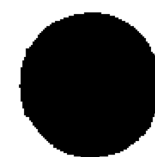
ورفع كمانه الى كتفه وأخذ يعزف عزفاً خافتاً ، وحارس المنارة ينظر اليه في دعة وسكون ولما انتهى من عزف لحنه كـانت عينا الحـارس تشيان بتعـابير جـعـلت المـوسيـقـي يـعـزف لحـنـاً ثـانيـاً وثالثاً . . . .

وأخيراً وضع الموسيقي الكمان على الطاولة . مر حارس المنارة بيده في رفق شديد على الكمان وقال والابتسامة تعلو شفتيه :

ـ عمل جيد ، كي لا تضل نفوس بني البشر . . . الطريق .

في هذه اللحظة كان هناك انسانان سعيـدان على هذه الأرض . □





« صحيفة الصادقة »

● من المعروف أن الرسول عليه السلام كان ينهى عن كتابة الحديث ، مخافة أن يختلط الحديث بالقرآن ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه » .

حتى إذا شاع القرآن بين المسلمين ، وأصبحوا يتلونه آناء الليل وأطراف النهار ، ويميزونه عن الحديث ، سمح لهم بكتابة الحديث ، ومن ذلك ماروي أن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال للرسول : يا رسول الله ، أسمع منك الشيء فأكتبه ، قال : نعم ، قال عبد الله : في الغضب والرضا ، قال عليه السلام : نعم ، فإني لا أقول إلا حقا : وبذلك قد عرف في عهد الرسول مدونات حديثية ، أخرجها بعض الصحابة ، كابن عبـاس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وجابر بن عبد الله الانصاري ، وكان أشهرها صحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو التي ضمت ألف حديث ، وقد سماها بهذا الاسم بقوله : « هذه الصادقة ، فيها ما سمعته عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وليس بيني وبينه فيها أحد » .



اللغة الراقصة

بقلم :
الدكتور حسين العروسي

الرقص حركات إيقاعية تلقائية أو منظمة ، يعبر بها الإنسان عن مشاعره وأحاسيسه فرحا في الغالب أو حزنا ، وقد يشاركه فيه عدد من الكائنات الحية ، بيد أن النحل يستخدم الرقص لغة في التفاهم بين أفراد الخلية ، لتحديد ، أماكن الغذاء .



الرقصه الدائريه للنحله
للاخبار بوجود غذاء قريب (شكل ٢)

إن اللغـة طـريقـة للتعـارف والتفـاهم بـين الكائنات الحية ، وهي في أرقى أنواعها طريقة يتخـاطب بهـا أفـراد الكـائن الحي ، أي أنها ذات إمكـانيات صـوتية سمعيـة . يحدث الكـائن الحي أصواتا مختلفة ، لكل صوت منها معنى معـين ، إذا وصل الى سمع كائن آخر من نفس النوع استوعبه واستجاب له . أما الرؤية فغير أساسية للتخاطب .

لكل نوع من أنـواع الكائنـات الحية عـادة لغة واحـدة ، لأنها لغة غـريزيـة ، تـولـد في تـركيبتـه الـوراثية ، يتفـاهم بها أفـراد النوع الـواحد مهـما تباعدوا أو تقاربوا . لكن الإنسان يختلف في ذلك ، فلغاته متعددة ، تختلف من موطن الى آخر ، إذ أنها لغـات مكتسبة ، يتعلمهـا الفرد من بيئتـه . ونظرا لتعدد الأصوات في لغة الإنسان واعتماد ذلك كثيرا على استخدام اللسان ، سميت اللغة لسانا ، فقيل لسان العرب ، ولسان الفرس ، وكلية الألسن .

وإذا عجز الصوت عن التعبير والتفاهم تحولت لغـة التفاهم من الصـوت الى الإشـارة ، وأصبـح الاعتمـاد الأكبر في اللغـة على الـرؤيـة وليس عـلى السمع . وأحيانا يجمع الكائن الحي في التعبير بـين الإشارة والأصوات المحدودة ، فالأخرس الأبكم قد استعاض عن لغة الكلام بلغة الإشارة ، وأصبح يعبر بيديه وبتعبيرات وجهه عما يريـد ، وأحيانـا يصدر بعض الأصوات التي تساعده على التوضيح .

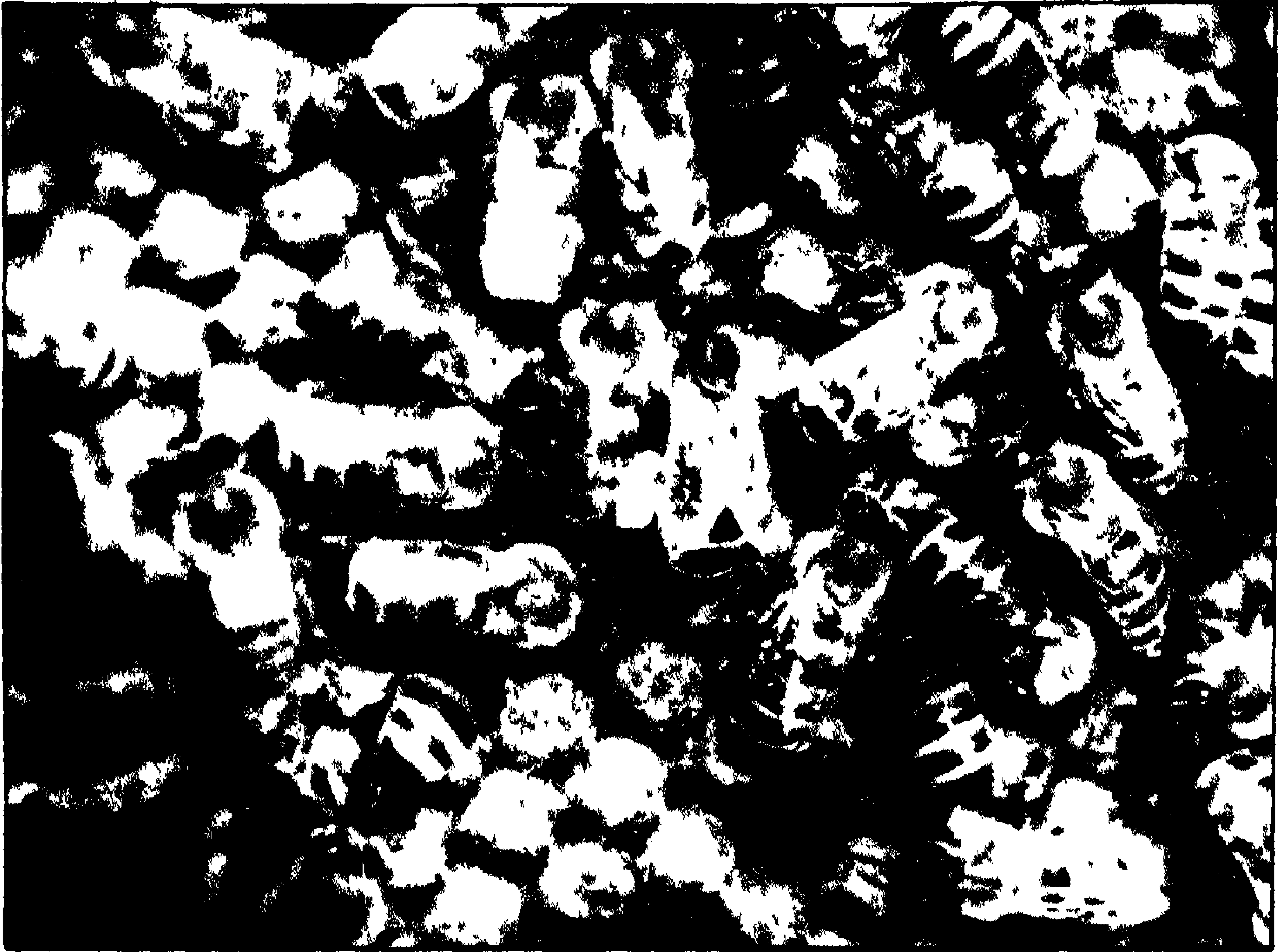
النحل ترقص

كثير من الكائنات الحية ـ غير الإنسان ـ تتفـاهم فيـما بينها وتتبـادل المعلومـات ، فمن المعـروف أن الدلافين ـ وهي من الحيـوانات البحـرية الكبيـرة ـ تصدر أصواتا مختلفة متميزة ، يتفاهم بها أفرادها والكلاب والقطط تصـدر أصواتـا تختلف في حالـة الخوف عنها في حالة السرور أو الجوع أو المخاطبة الجنسية .

والغالبية العظمى من الكائنات الحية لا يعرف لها لغات ، وبعضها يتفاهم بحركات معينة ، ومن ذلك النحل ـ نحل العسـل ـ (شكل ١) ، التي درست دراسة مستفيضة نظرا للمعيشة المنظمة الراقية التي تعيشها ، ونظرا لإنتاجها القيّم الذي أوضحه القرآن الكريم ، وبين أهميته في بعض آياته .

من أهم الدراسات الحديثة عـلى النحل ـ نحـل العسل ـ ، تلك الدراسات التي أجريت على لغتها وحواسها ، وقد قام بها كارل فون فريتش الأستـاذ بجامعة ميونيخ ، نشرها في كتاب سنة ١٩٥٠م ، ثم أعاد نشرها مع بعض الإضافات سنة ١٩٧١م .

النحل حشرة تعيش حياة اجتماعية متخصصة ، ففي خلية النحل تعيش الملكـة التي تضع البيض ، وتعيش الحاضنة التى تقوم بالتربية، وجند من النحل قـائمات عـلى الحراسـة ، والنحلة البنـاءة التى تبني الحجرات التي تتربى داخلها الصغار . وأهم عمليات النحل التى تقوم بها أعداد كبيرة من شغالات النحل هي جمع الغذاء من الخارج لتغـذية أفـراد مستعمرة النحل ، ولهذا كانت أهم مفردات لغة النحل متعلقة بالتفاهم على جمع الغـذاء ، والغرض الـرئيسي من هذه اللغة إفهام أفراد النحل بالمستعمرة بوجود غذاء خارجي مع تحديد بعده واتجاهه ، ولغة النحل ليست لغة صوتية ، لكنها لغة تعتمد على حركات خاصـة منتظمة تعرف بالـرقصات ، ولـذلك اعتبـرت لغة النحـل لغة راقصـة ، أسـاس مفـرداتهـا حـركتـان مختلفتان ، تتكرر كل منهما عدة مرات . يتم الرقص في معظم الحالات داخل خلية النحل ، حيث الظلام دامس والرؤية تكاد تكون منعدمة ، لهذا كان تمييز الحركة أو تفهم اللغة يعتمد على حواس أخرى غير الإبصـار ، من ذلـك حـاسـة اللمس ، فتـلامس الحشـرات القـريبـة الحشـرة الـراقصـة بقـرون استشعارها ، وفي حالة الحـديث عن الغذاء تلعب حاسة الشم والتذوق دورا مهما . وتصـدر الحشرة الراقصة أصـواتا مميزة بواسـطة نبضات عضـلات الطيران ، تنبه بها النحل الأخريات القريبـات منها وتدعوهن للحضور لمشاهدة الرقصة والتعرف على مكان الغذاء المستكشف .


نحل فوق برواز حلية (شكل ١)

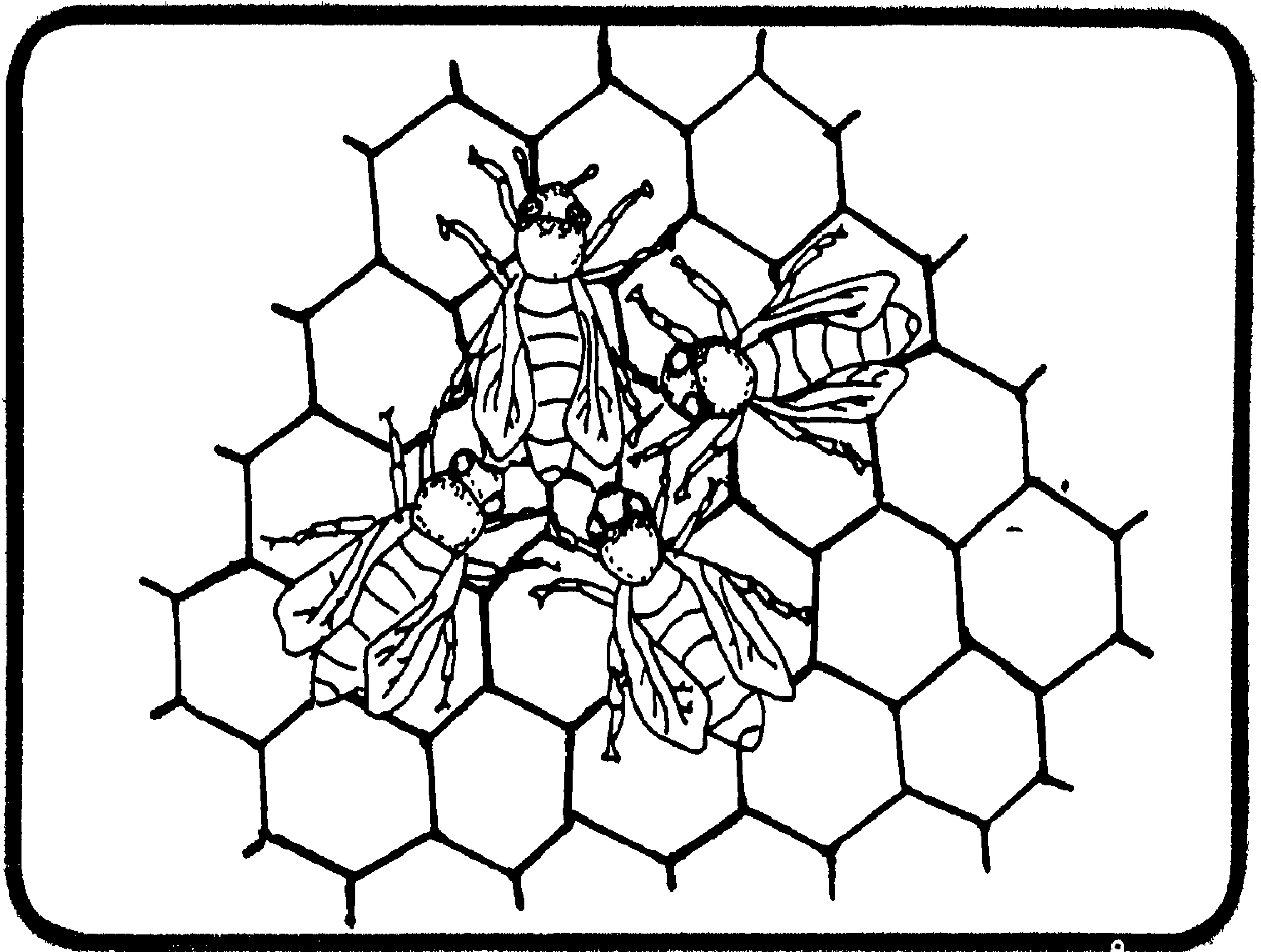
الرقصة الدائرية

الرقصة الأولى للنحل رقصة دائرية ، تتحرك فيها النحلة في دائرة ، ثم تغير اتجاهها كلما أتمت دائرة كاملة ، فتتم دائرة في اتجاه حركة عقرب الساعة ، ثم تغير الاتجاه ، وتتم الدائرة الثانية بعكس اتجاه حركة عقرب الساعة ، وهكذا (شكل ٢) ، وتستمر الحركة عادة ثلاثين ثانية أو تزيد عن ذلك ، وحتى يشاهد الحركة الراقصة أكبر عدد ممكن من النحل ، فإن النحلة الراقصة غالبا ما تنتقل من مكانها الى مكان آخر في الخلية لترقص مرة ثانية وثالثة وهكذا ، ثم تخرج من الخلية لتجمع كمية أخرى من الغذاء ، وتقوم النحلة بهذه الرقصة عند عودتها محملة بالغذاء من خارج الخلية . وبهذه الرقصة تفهم النحل أنه يوجد في الجوار غذاء ، قد يكون رحيقا زهريا أو محلولا سكريا أو حبوب لقاح ، وأن هذا الغذاء يبعد عن الخلية مسافة قريبة لا تتعدى مائة متر ، دون تحديد لاتجاه معين . وغالبا ما يقترب النحل المجاور من النحلة الراقصة ، ويسير خلفها مقربا قرون استشعاره من جسمها ، ليعرف نوع الحركة ، ويشم رائحة الغذاء (شكل ٣)

أثناء الرقص يترك النحل المتابع للنحلة الراقصة الخلية ، واحدة بعد أخرى ، باحثا عن الغذاء في المنطقة المحيطة بالخلية ، فإذا وجدنه عدن محملات به ، وبدأت كل واحدة منهن في الرقص ليخبرن مجموعة أخرى من النحل ، وهكذا .

الحركة الراقصة الثانية

يطير النحل في سبيل البحث عن الغذاء مسافة قد تبعد عن الخلية عشرة كيلو مترات ، لهذا فإن الخبر الذي تعبر عنه الرقصة الدائرية لن يفيد كثيرا في البحث عن الغذاء في المسافات البعيدة ، فإذا بعد الغذاء مسافة كيلومتر واحد ، فإن على النحل أن يبحث عن الغذاء في دائرة نصف قطرها كيلومتر واحد . وتقدر مساحتها بثلاثة كيلومترات مربعة ،



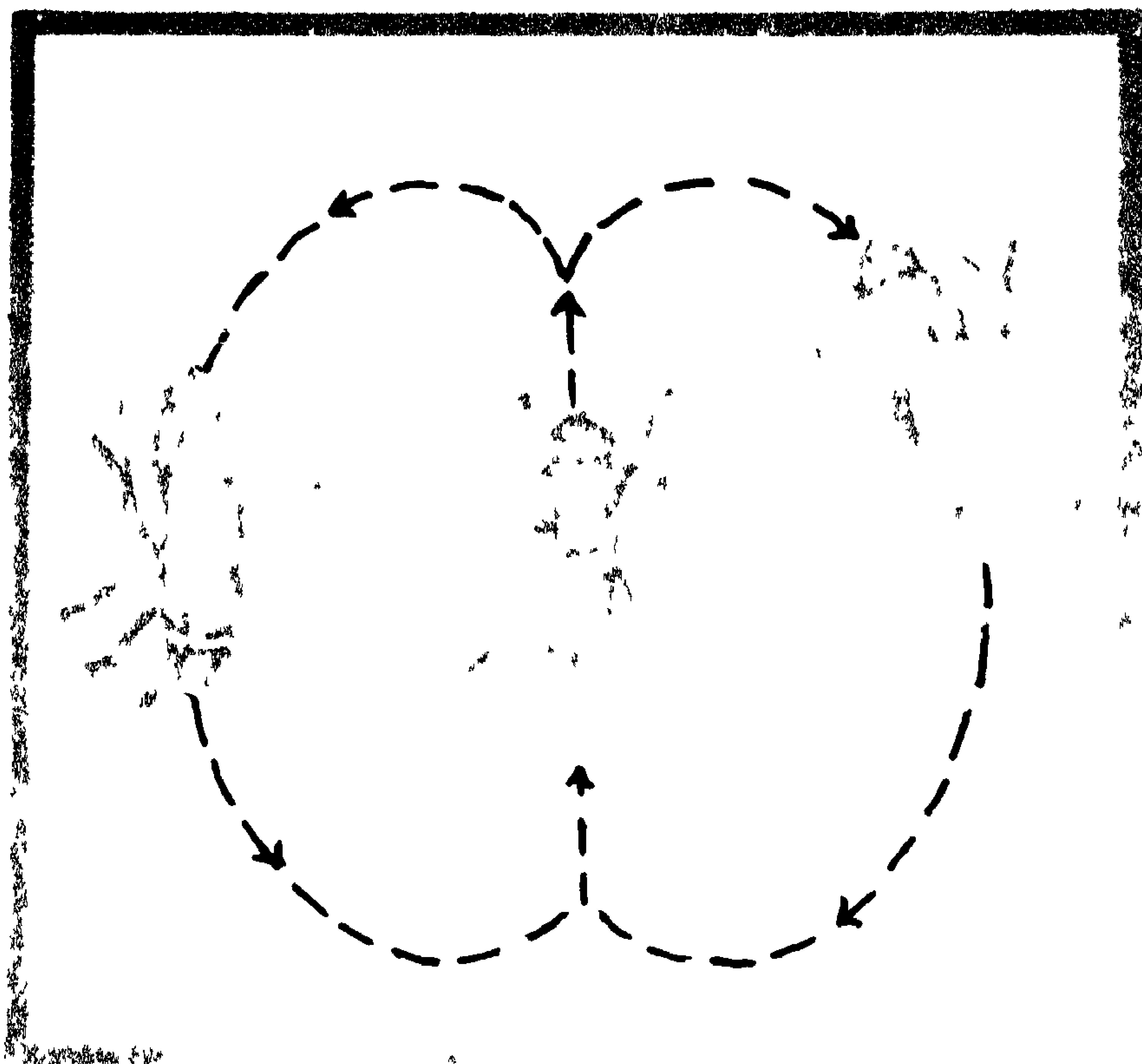
ثلاث نحلات تلامس النحلة الراقصة (شكل ٣)

وإذا زاد نصف القطر على كيلومترين تصل المسافة الى أكثر من اثني عشر كيلومترا مربعا ، وإذا وصل نصف القطر الى عشرة كيلومترات زادت المساحة عن ثلاثمائة كيلومتر مربع . والبحث عن الغذاء في مساحة قد تصل الى ٣٠٠ كيلومتر مربع ، أي ثلاثين ألف هكتار ليس بالعملية اليسيرة ، لهذا كانت الحركة الراقصة الثانية للدلالة على الغذاء البعيد مع تحديد دقيق لبعده ومكانه .

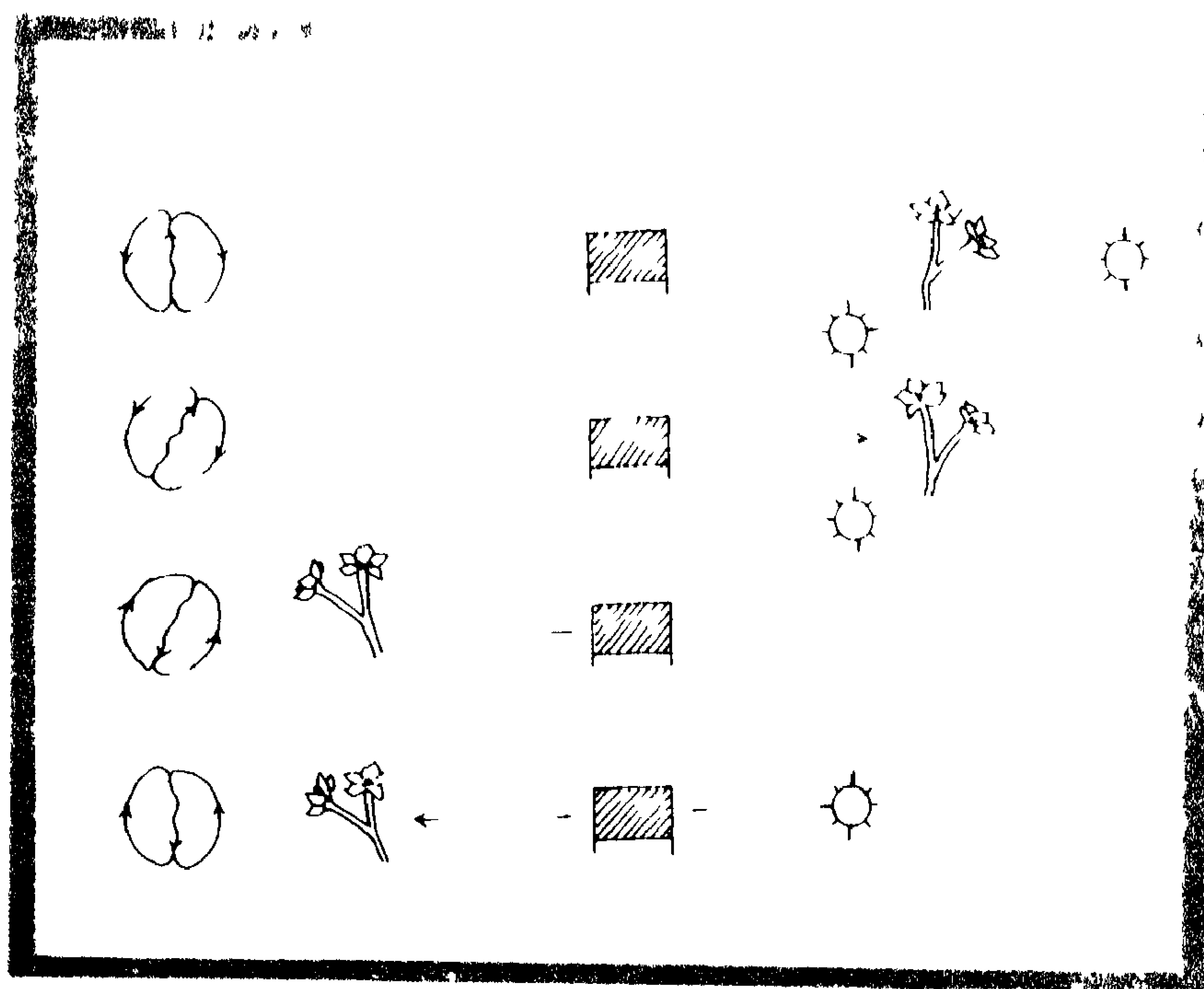
عند عودة النحلة الى خليتها محملة بالغذاء الذي وجدته في مكان بعيد - مائة متر أو أكثر - فإنها تعلن ذلك لأخواتها بلغتها الراقصة ، مؤدية الحركة الراقصة الثانية . فتسير النحلة الراقصة على أحد براويز الخلية في خط مستقيم مسافة قصيرة من أعلى الى أسفل أو من أسفل الى أعلى رأسيا ، أو تميل بزاوية معينة عن الخط الرأسي ، وأثناء سيرها تهز بطنها هزا شديدا يمينا ثم يسارا ، وهكذا . وعند وصولها لنهاية الخط المحدد تغير اتجاهها الى اليسار في حركة دائرية بعكس اتجاه عقرب الساعة ، لتنتهي الى بداية خطها الأول ، وتسير في نفس الخط المستقيم السابق ، وبنفس الاتجاه مع استمرار الرقص وهز البطن ، حتى إذا وصلت نهاية الخط غيرت اتجاهها الى اليمين في حركة دائرية ثانية باتجاه عقرب الساعة ، حتى تعود مرة ثانية الى بداية الخط لتعيد الرقص وهز البطن والدوران مرة يسارا وأخرى يمينا ، وهكذا عدة مرات . ويعض النحل أثناء ذلك يتابع النحلة الراقصة ليتلقى منها الرسالة المطلوبة . (شكل ٤) .

سرعة الرقصة تحدد مكان الغذاء

وقد لوحظ أن سرعة الرقصة تزداد كلما كان الغذاء أكثر قربا ، وتقل كلما بعد مصدر الغذاء ، فإذا كان الغذاء على بعد مائة متر أتمت النحلة الجامعة للغذاء أربعين لفة كاملة في الدقيقة ، وإذا كان الغذاء



الرقصة الثانية
لتحديد خبر
وجود غذاء بعيد
(شكل ٤)



رقصة النحلة
لتحديد اتجاه
مصدر الغذاء
(شكل ٥)

على بعد خمسمائة متر أتمت النحلة أربعا وعشرين لفة في الدقيقة ، وإذا بعد الغذاء كيلومترا واحدا رقصت النحلة بسرعة ثماني عشرة لفة في الدقيقة ، وقد تنزل الى ثلاث عشرة لفة في الدقيقة إذا بعد الغذاء كيلومترين ، ثم الى تسع لفات في الدقيقة بخمسة كيلومترات ، والى خمس لفات عندما يبعد الغذاء عشرة كيلومترات .

إن الجزء المهم من الرقصة هو الجزء الذي يتم في خط مستقيم ويصاحبه هز البطن . وقد وجد أن زمن هز البطن يزداد كلما بعدت مسافة وجود الغذاء. فقد وجد أن مدة هز البطن تستمر مدة ثانية واحدة عندما يبعد الغذاء خمسمائة متر ، وتزداد الى ثانيتين عندما يبعد الغذاء كيلومترين ، والى أربع ثوانٍ لخمسة كيلومترات .

وأثناء حركة هز البطن تحدث النحلة أصواتا منغمة ، تنتج عن مجموعة من النبضات القصيرة ، تقدر بحوالي ثلاثين نبضة في الثانية الواحدة ، تحدثها عضلات الطيران الموجودة في الصدر .

ويعتقد أن تحديد النحلة لمسافة الطيران ينتج عن الجهد المبذول أو عن مدى استهلاك النحلة للسكريات في جسمها أثناء رحلة الطيران في الذهاب ، ولهذا فقد وجد أن تقدير النحلة للمسافة يزداد عندما تطير في مواجهة رياح عن تقديرها للمسافة عندما تطير في جو ساكن . ولهذا يقل تقدير المسافة عندما تكون الرياح في صالح النحلة عند الذهاب ، أي عندما يكون اتجاه الرياح هو نفس اتجاه الرحلة وكذلك يحدث عند صعود جبل أو الهبوط عنه .

تحدد النحلة الراقصة بسرعة أدائها للرقصة وبزمن هز البطن بُعد الغذاء من الخلية، ومعنى ذلك أن على النحل الباحث عن الغذاء بعد أن يتلقى الرسالة من النحلة القادمة أن يذهب للمسافة المحددة ، ثم يتجول في دائرة مركزها الخلية بحثا عن الغذاء ، فإذا كان الغذاء على بعد كيلومتر واحد ، كان على النحل الباحث عن الغذاء أن يسير كيلومترا الى محيط الدائرة التي سيقطعها ، والتي يصل طولها الى حوالي ستة كيلومترات . وإذا كان الغذاء على بعد خمسة كيلومترات ، فإن مجال البحث سيصل الى ٣١ كيلومترا . أما إذا بعد الغذاء عشرة كيلومترات فسيصل مجال البحث الى ٦٢،٦ كيلومترا ، مما يجعل عملية البحث عن الغذاء عملية شاقة في غير مقدور النحلة القيام بها . لذلك كان خبر تحديد مكان الغذاء عن طريق سرعة أداء الرقصة وزمن هز البطن غير كاف للتعرف على مكان الغذاء والوصول اليه ، وكان لابد من مؤشر آخر يحدد للنحل اتجاها معينا يبحث فيه حتى يتوفر له الجهد الحركي ويزداد الرصيد الغذائي .

اتجاه الشمس . . إتجاه الغذاء

تحديد اتجاه الغذاء يحدده النحل بالنسبة لاتجاه الشمس ، فقد يكون اتجاه الغذاء باتجاه الشمس ، وقد يكون عكس اتجاه الشمس . والنحل القادم بالغذاء لا يقوم بالرقص خارج الخلية ، حيث الضوء ، وحيث يمكن للنحل الآخر رؤيته ، لكنه يقوم بالرقص داخل الخلية حيث الظلام الدامس ، ولا يوجد ضوء يحدد به النحل اتجاه الشمس ، ولهذا كان لابد من طريقة تحدد بها النحلة الراقصة موقع الغذاء بالنسبة للشمس ، فكانت الجاذبية الأرضية هي الترجمة لعكس اتجاه الشمس . واتجاه الشمس يصبح عكس اتجاه الجاذبية الأرضية . فإذا كان الغذاء في اتجاه الشمس كان الاهتزاز في الحركة متجها الى أعلى ، أي بعكس اتجاه الجاذبية الأرضية . أما إذا كان مصدر الغذاء في الاتجاه المضاد للشمس ، فإن الاهتزاز في حركة الرقص يصبح متجها الى أسفل ، أي باتجاه جاذبية الأرض ، أما إذا انحرف اتجاه مصدر الغذاء عن اتجاه الشمس فإن الاهتزاز ينحرف عن الوضع الرأسي بنفس زاوية الانحراف عن الشمس واتجاهه (شكل ٥) .

سبحان الله الذي خلق فأبدع ، فنوع من مخلوقاته ، ويسر لكل منها سبل الحياة ، بما فطرها عليه من صفات ومواهب ، وما وضعه فيها من أسرار ، علمنا قليلا منها ، ومازال في علم الغيب معظمها . □

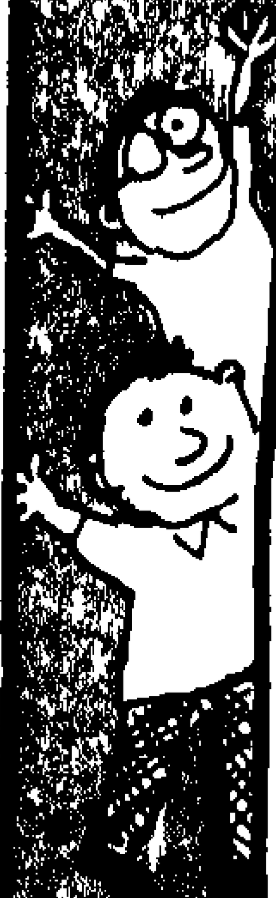


رئيس التحرير : د. محمد الرميحي

يشترك في تحريره مع الفتيان والفتيات العرب نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين

اقرأ في هذا العدد:

- ○ استطلاع عن الحركة الكشفية في الكويت.
- ○ المرأة المريضة.. من حكايات ألف ليلة وليلة.
- ○ همام .. في .. رمانة غيورة.. مسلسل بالرسوم.
- ○ حكمة النهر .. قصة عربية.
- ○ "الامبراطور يغني" .. مسلسل بالرسوم.
- ○ توتة وكيكو وزيكو ... مسلسل بالرسوم.





بالإضافة إلى الأبواب الثابتة:

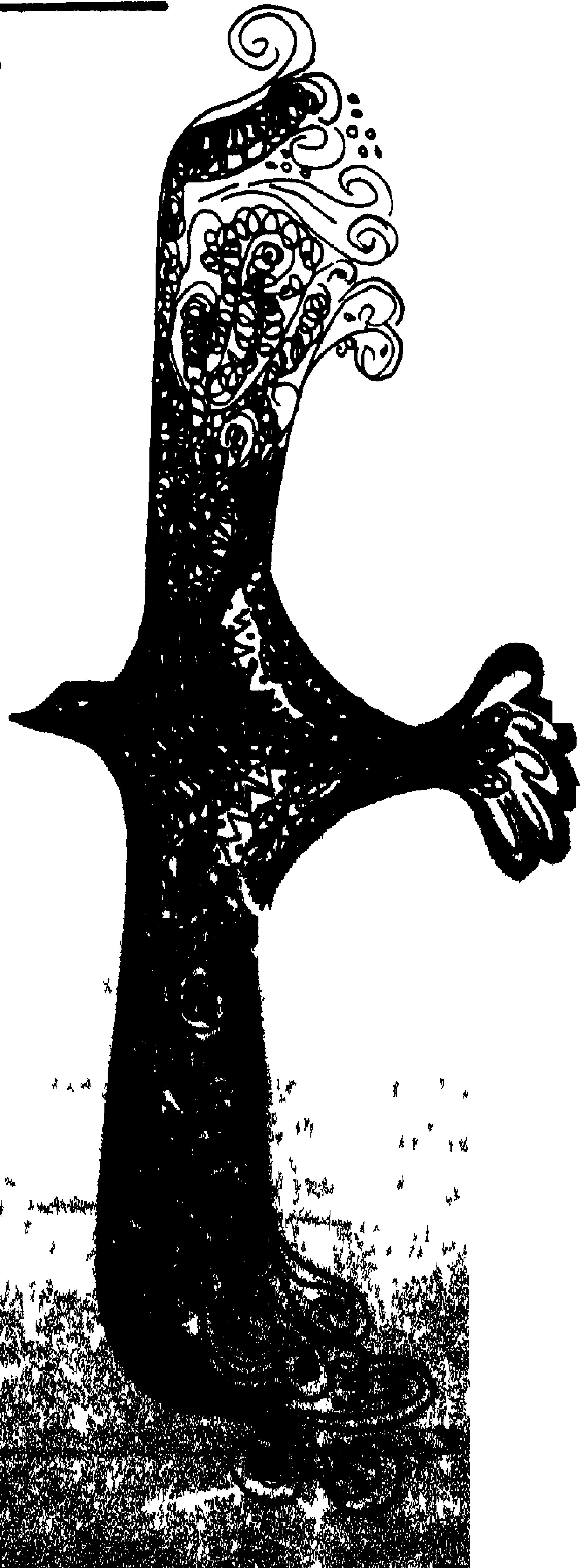
- ■ دائرة معارف العربي الصغير.
- ■ اصنع بنفسك.
- ■ إسلاميات.
- ■ صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة

٦٤ صفحة بالألوان

العربي - العدد ٣٥١ - فبراير ١٩٨٨ م

النقيض

شعر : راشد عيسى



نبيتُ على حُلُمٍ نشتهيه ..
ونصحو على ضَحَكات النقيض
إذا اتضحت رؤيةٌ في المساء
يخيط لها الصبحُ ثوبَ الغموض
وإنْ يومض النجم في صيفنا
تُكَبّلْ ليالي الشتاءِ الوميض
هو الحُلُمُ يعلو سفوحَ المدى
فيركُلُهُ الأفْقُ نحو الحضيض
فياسيد الوقت لا تنتحبْ
فإن مضيقَ الخلاص عريض
إذا أنت ياسيدي لم تقف
ولم تستجب لصهيل النهوض
فمن سيغري الفلك فينا
وكيف سنشفي اللهجة المريض ؟!
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]



الانفلونزا

مرض الشتاء العنيد

بقلم : الدكتور صباح السامرائي*

ما تزال السجلات الطبية تحفظ في ذاكرتها أسوأ كارثة صحية سببها فيروس الانفلونزا في مطلع هذا القرن وذلك في عام ١٩١٨ حين انتشر انتشارا واسعا في شرق العالم وغربه ،
وأدى إلى وفاة أكثر من عشرين مليون إنسان .
وفي عام ١٩٥٧ أدى الى وفاة سبعين ألفا في الولايات المتحدة وحدها .
فما هي فيروسات هذا المرض ؟

لاحظ الأطباء أن مرض الأنفلونزا ينتشر بهيئة وباء كل عشرة أعوام تقريبا ، وذلك منذ عام ١٩٤٧ ورغم عدم وجود تفسير شامل لهذه الظاهرة إلا أن هناك ما يلقي بعض الأضواء عليها من ذلك ، أن كل وباء ينشأ عن تغير في الغشاء الذي يغلف الفيروس ، وهذا التغير يجعل الفيروس يسلك كأنه فيروس جديد ، ولهذا لاتؤثر فيه المناعة التي اكتسبتها أجسام الناس نتيجة إصاباتهم السابقة بالمرض فيستشري .

تركيب الفيروس

توجد ثلاثة أنواع من الفيروسات التي تسبب مرض الانفلونزا ويرمز لها بالحروف الأبجدية (أ ، ب ، ج ،) ويعتبر فيروس (أ) أوسع تلك الفيروسات انتشارا فهو الذي يسبب أوبئة الانفلونزا ، في حين أن النوع الثاني (ب) لا يسبب

* طبيب عراقي من مدينة سامراء

إلا إصابات متفرقة لاتبلغ درجة الوباء . والنوع الثالث (ج) لايسبب أي مرض إلا نادرا ، ولهذا سيقتصر حديثنا على النوع الأول . .

يتخذ هذا الفيروس شكل كرة صغيرة جدا يبلغ قطرها (٠٠٠١, ٠ ملليمتر) أي أنك لو وضعت عشرة آلاف فيروس أحدها جنب الآخر بهيئة مستقيم ، لبلغ طول المستقيم ملليمترا واحدا . إن الغشاء الذي يغلف الفيروس يحوي مواد كيميائية ذات أهمية خاصة ، فهي التي تمنح الفيروس هويته المميزة ، وتحدد طبيعة الأجسام المضادة التي يصنعها الجسم البشري ليدافع بها عن نفسه ضد الفيروسات الغازية . وهذه المواد توجد بهيئة مركبين ، أحدهما يرمز له بالحرف **H** وهو مختصر كلمة **Hemag-glutinin** والآخر يرمز له بالحرف **N**وهو مختصر كلمة**Neura minidase** وفي جوف الفيروس ، توجد ثماني قطع من الحامض النووي المعروف الذي يسمى **KNA** ويستطيع هذا الحامض أن يغير تركيب المواد الموجودة في غلاف الفيروس التي رمز لها بالحرفين **H N** وتغيير تلك المواد يعني تغيير « هوية » الفيروس ، فلا تؤثر فيه مناعة الجسم .

خلاصة القضية ، وبعيدا عن التفاصيل المعقدة والرموز الأجنبية نستطيع القول أن فيروس الانفلونزا يمتلك مقدرة كبيرة على تغيير نفسه . ان انتشار المرض وتكرار الاصابة به ، يجعل أجسام الناس تصنع (اجساما مضادة) تفتك بالفيروس ، وكأنما يجد الفيروس نفسه قد بطل سحره ، ولم يعد يؤثر في الناس بسبب امتلاكهم تلك الأجسام المضادة له ، فيغير هيئته ويتسلل إليهم دون مقاومة ، وعندئذ ينتشر ويستشري .

أعراض الانفلونزا

تختلف الأعراض في مدى شدتها اختلافات كبيرة من شخص لآخر ، فقد تكون بسيطة يسيرة ، فلا يشعر بها المصاب ، وقد تشتد حتى تجعل صاحبها طريح الفراش عدة أيام ، وفي حالات نادرة تسبب « ذات الرئة »الذي يكون أحيانا شديد الخطر ، وربما هدد حياة المريض .

تبدأ الاصابة بالانفلونزا عند استنشاق الفيروس مع الهواء ، فيصل البلعوم والقصبة الهوائية . وبعد فترة حضانة تبلغ يومين ، تظهر أعراض المرض بهيئة حمى مفاجئة ، وصداع ، وسعال ، وشعور بالتعب ، وآلام عضلية ، وحرقة في البلعوم ، وقلة الرغبة في الطعام ، وتستمر هذه الأعراض فترة تتراوح ما بين ، يومين ، وخمسة أيام ، ثم تزول تلقائيا . وبعض المرضى يظل يشعر بالتعب عدة أسابيع بعد أن يشفى .

المضاعفات

مرض الانفلونزا لايعد من الأمراض الخطيرة ، بل هو مرض سهل ميسور وقلما تجد من لم يصب به . ورغم ذلك فانه أحيانا يسبب مضاعفات لاتخلو من الخطر . . وأشهر تلك المضاعفات وأخطرها « ذات الرئة » الذي يحصل بتأثير مباشر من فيروس الانفلونزا حين يتسلل إلى أعماق الرئتين ، أو بتأثير غير مباشر حين يوهن الفيروس مناعة الجهاز التنفسي فيمهد الطريق أمام البكتريا . . لتغزوه .

ومن أجل التفريق بين « ذات الرئة » الناشىء عن الفيروس نفسه ، وذات الرئة الناشىء عن غزو البكتريا ، نلاحظ أن الأول ينشأ في وقت مبكر ، أي أن المصاب يشعر بأعراض الانفلونزا تشتد عليه يوما بعد يوم وتسوء حالته .

أما الثاني ، فإن المصاب يشفى من الانفلونزا ، وبعد عدة أيام تداهمه الأعراض مرة أخرى ، فيحسب أن الانفلونزا عادت اليه ، وهي في الحقيقة « ذات الرئة » وليست انفلونزا ثانية . وبالاضافة الى « ذات الرئة » فان الانفلونزا قد تؤدي ـ نادرا ـ الى التهاب القلب ، والتهاب الدماغ، والعضلات، والاعصاب .

ان أكثر الناس عرضة لهذه المضاعفات ، هم كبار السن ممن تجاوزوا الخامسة والستين ، والمصابون بأمراض مزمنة في القلب ، أو الرئتين ، والمصابون بالسكر ، والمصابون بعجز الكلى المزمن ، والمرضى (الذين يتناولون العقاقير المثبطة للمناعة ، أو

المصابون بنقص المناعة).ولهذا تجب وقايتهم من الانفلونزا باللقاح أو العقاقير .

لقاح الانفلونزا

مرض الانفلونزا واسع الانتشار ، وعندما يداهم الناس بهيئة وباء . فان معدل الاصابات قد يبلغ خمسين بالمئة . وفيما عدا المخاطر الصحية ، فان انتشاره الواسع يسبب خسائر اقتصادية كبيرة ، نتيجة ترك معظم المصابين أعمالهم طوال فترة مرضهم . وقد بذلت جهود كبيرة من أجل ابتكار لقاح يقي الناس من المرض ، غير أن المشكلة الكبرى التي تقف في هذا السبيل هي أن الفيروس يغير نفسه من حين لآخر ، فيجعل اللقاح قليل الفائدة .

ورغم ذلك ، فقد استطاع العلماء صنع لقاح يقي من المرض بمعدل أكبر من خمسين بالمئة . وهذا اللقاح هو فيروسات الانفلونزا نفسها ، تحقن في الجسم بعد ايقاف نشاطها المرضي أي قتلها . . وعندما تدخل هذه الفيروسات الجسم ، تحفزه لصنع أجسام مضادة تقيه من المرض . وفي العادة يعطى ، هذا اللقاح لمن تكون الانفلونزا شديدة الخطر عليهم .

ان اللقاح لايخلو من الأضرار الجانبية ، وأشهرها الحمى ، وآلام العضلات التي تحصل بمعدل خمسة بالمئة . وفي حالات نادرة يسبب اللقاح الحساسية وخاصة حين يعطى لشخص مصاب بالحساسية ضد البيض ـ لأن اللقاح يحتوي على بعض بروتينات البيض ـ ورغم أن اللقاح لاخطر منه على الحوامل ، فإنه يفضل الا يعطى لهن الا عند الضرورة القصوى ، تجنبا لأخطار قد تحصل دون انذار سابق .

وفي الاتحاد السوفيتي يفضل العلماء استعمال لقاح يصنع من الفيروسات الحية المضعفة وليس من الفيروسات الميتة ، فالمناعة التي يعطيها أقوى ، لأنها ستكون موضعية وجهازية .

الوقاية بالعقاقير

لقد جرى اختبار عدد من العقاقير كوسيلة للوقاية من الانفلونزا ، وتبين أن عقار « أمانتدين » يمنع الفيروس من دخول الخلايا ، فيقي من المرض . ويتصف هذا العقار بأنه سريع الامتصاص من قبل بطانة الجهاز الهضمي بعد تناوله عن طريق الفم ، ويصل أعلى مستوى له في الدم بعد ثلاث ساعات من تناوله . وهو يعطى بجرعة ١٠٠ ملغم مرتين يوميا ، غير أن المناعة التي يمنحها للجسم مؤقتة في حدود « ٢٤ ساعة » ولهذا يجب تناوله يوميا طوال فترة انتشار المرض ، وهي الشتاء عادة .

ورغم فائدة العقار في الوقاية من الانفلونزا ، فانه ليس شائع الاستعمال ، بسبب تأثيراته الجانبية على الجهاز العصبي التي تظهر بهيئة دوار وغثيان ، وأرق ، وهلوسة ، واضطراب الادراك للزمان والمكان، وتظهر هذه التأثيرات لدى خمسة بالمئة ممن يتناولون ذلك العقار ، وفي العادة تزول هذه الأعراض بعد التوقف عن تناوله .

ولايوجد تعارض بين اللقاح واستعمال هذا العقار ، بل ان الدمج بينهما ذو فائدة خاصة ، فأثر اللقاح لايظهر الا بعد فترة زمنية معينة ، وخلال هذه الفترة يقوم العقار بالوقاية من المرض ، وهكذا تكون الوقاية مستمرة .

العلاج

علاج الانفلونزا هو علاج تحفظي في معظم الحالات ، أي علاج الأعراض ومحاولة الحد من حصول المضاعفات . فيعطى المريض العقاقير المسكنة ، والخافضة للحرارة « كالاسبرين والباراسيتول » لتخفيف الصداع ، والام العضلات ، وخفض درجة الحرارة المرتفعة ، وينصح بالراحة وملازمة الفراش من أجل مساعدة الجسم على مقاومة المرض .

ولا ينصح بتناول المضادات الحيوية « أمبسلين تتراسايكلين . . الخ » الا عند حصول التهاب ثانوي ناشىء عن البكتريا ، ويمكن التأكد من ذلك بفحص القشع بالمجهر . وفي حالات الانفلونزا الشديدة ، ينصح الاطباء بتناول عقار ، « أمانتدين »الذي يمتلك قدرة علاجية بالاضافة الى قدرته الوقائية . □

أرقام

بقلم : محمود المراغي

الحكومة العربية

مازال التساؤل التاريخي قائما . ما هو دور الحكومة في المجتمع ؟ وأين يقف تدخل الحكومة ، أو تدخل الدولة ، وأين يقف نشاط الأفراد ؟ وما هو القدر الذي يتنازل عنه كل طرف للآخر . وما هو القدر الذي يتشبث به كل طرف باعتبار أنه صاحب الحق باتخاذ القرار ؟

إنه تساؤل تاريخي لأنه شغل فلاسفة السياسة طويلا . لكن أبرز انقسام في الرأي حول هذه القضية ، كان بين فلاسفة النظامين الرئيسيين في العالم . النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي

في الرأسمالية ، أو نظام الاقتصاد الحر ارتفع الشعار المعروف

« دعه يعمل ، دعه يمر » ، وهو شعار ينتهي بنا إلى اقتصار دور الدولة على الدفاع ، والأمن ، والعدالة ، والسياسية الخارجية أيضا ، أما النشاط الاقتصادي - الاستثمار ، والتجارة ، والمال ، والانتقال ، وحق العمل ، وحق التشغيل - فكله تابع للأفراد ، يقررون فيه ما يشاءون

صحيح أن الدولة الرأسمالية قد احتكرت منذ قرون بعض الأنشطة ، مثل الملح أو النبيذ أو بعض المحاصيل أو الثروات التي توفر دخلا للنشاط الحكومي ، وصحيح أن تدخل الدولة الرأسمالية حديثا قد امتد لكثير من الأنشطة أيضا ، وأصبحت الحكومة على أي حال هي التي تحدد المسار العام للمجتمع ، والايقاع الرئيسي للنشاط الاقتصادي ، لكن ذلك كله في إطار مورد للدولة (قديما) أو في إطار تنظيم ما هو حر (حديثا)

وقد جاءت الاشتراكية ، كما جاءت نظم الاقتصاد الموجه ، لتفعل عكس ذلك

وكان المقياس باستمرار لدرجة تدخل الدولة وتعاظم دور الحكومة هو السؤال التقليدي هل هو نظام رأسمالي أو اشتراكي ؟ وهل هو اقتصاد حر أو اقتصاد موجه ؟

خريطة أخرى

واختلف الأمر في الوطن العربي خلال السنوات الأخيرة ، فسجلت كل النظم - اشتراكية ، ورأسمالية - درجة عالية من التدخل ، وأصبحت الدولة في معظم الحالات أكبر صاحب دخل ، وأكبر صاحب عمل ، وأكبر قوة مؤثرة ، إنها متخذ القرار الأول الرئيسي ، بصرف النظر عن النظام الاجتماعي !

وتعكس ذلك أرقام آخر تقرير للاقتصاد العربي الموحد الذي تساهم فيه الجامعة العربية وثلاث منظمات أخرى هي صندوق النقد العربي والصندوق العربي للإنماء ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول .

وأبرز هذه الأرقام : كم تنفق الحكومات

العربية ؟ وكم يبلغ ذلك من الناتج المحلي الإجمالي ؟
في عام ١٩٨٠ بلغت النفقات العامة في الأقطار العربية (٤٩.٤٪) من الناتج المحلي الإجمالي ، وفي عام ١٩٨٦ تراجع الرقم قليلا ، فأصبح (٤٥٪) ، أي أن نصف إنفاق المجتمع يأتي عبر أصابع الدولة ، والحكومة هي التي تقرر ماذا تنفق ، وأين ، وكيف .

وفي تفسير هذه الظاهرة تأتي أرقام الإيرادات العامة التي مثلت (٦٠.٦٪) من الناتج المحلي عام ١٩٨٠ ، لكنها بسبب انخفاض أسعار النفط تراجعت عام ١٩٨٦ إلى (٣٥.٢٪) ، أي أن الإيرادات الحكومية التي حصلتها الحكومات العربية في بداية الثمانينيات قد اقتربت من ثلثي الناتج المحلي ، لكنها بسبب أسعار النفط تراجعت إلى مايقرب من الثلث فقط .

بلغت الايرادات العامة عام ١٩٨٠ (٢١١) مليار دولار ، لكنها هبطت بشكل حاد، فأصبحت (١٢٠) مليارا عام ١٩٨٦ . وتحول الفائض الذي بلغ (٣٩) ملياراً في العام الأول إلى عجز بلغ حوالي (٣٤) مليارا في العام الأخير .

إذن فالنفط هو العنصر الحاسم ، لكن عندما انخفضت أسعاره لم ينسحب تأثيره على نمط الإنفاق ونمط تدخل الدولة ، ودور الحكومة الذي بقى كما هو عليه تقريبا بدليل أن نسبة الايرادات العامة للناتج المحلي قد تراجعت إلى مايقرب من النصف ، بينما بقيت النفقات العامة قريبة مما كانت عليه ، ولم تتراجع بأكثر من (١٠٪) .

إذن فالتدخل قد أصبح نمطا ، والدور الحكومي قد أصبح حقيقة يصعب التراجع عنها ، والسؤال هو : في أي المجالات تتدخل الحكومة ؟

مسارات واضحة

توضح الأرقام أن هناك تنافسا واضحا بين دولة الرفاهية أو بين الدور الاجتماعي للدولة وبين تعزيز الأمن والدفاع عن المجتمع .

وبصرف النظر عن المقارنات التاريخية فقد سارت الثمانينيات على وتيرة متقاربة في نمط الإنفاق ، وإذا أخذنا العام الأخير الذي تتوافر عنه الأرقام وهو عام ١٩٨٦ فإننا نجد :

* * أن (٢٦٪) من الإنفاق العام الجاري يتجه للأمن والدفاع ، وترتفع النسبة في أماكن الخطر (سوريا : ٥٥٪ - الأردن ٤٢٪) ، كما ترتفع في بلدان النفط ، حيث اجتمعت العوامل الثلاثة ، وهي الامكانيات المالية ، وحداثة تكوين قوة الدفاع ، وتزايد الأخطار . وكلها يدفع للمزيد من الإنفاق الدفاعي الذي بلغ في السعودية ذات الدخل الضخم ٢٤٪ ، كما بلغ في الكويت وليبيا ٢٧٪ من الإنفاق الجاري .

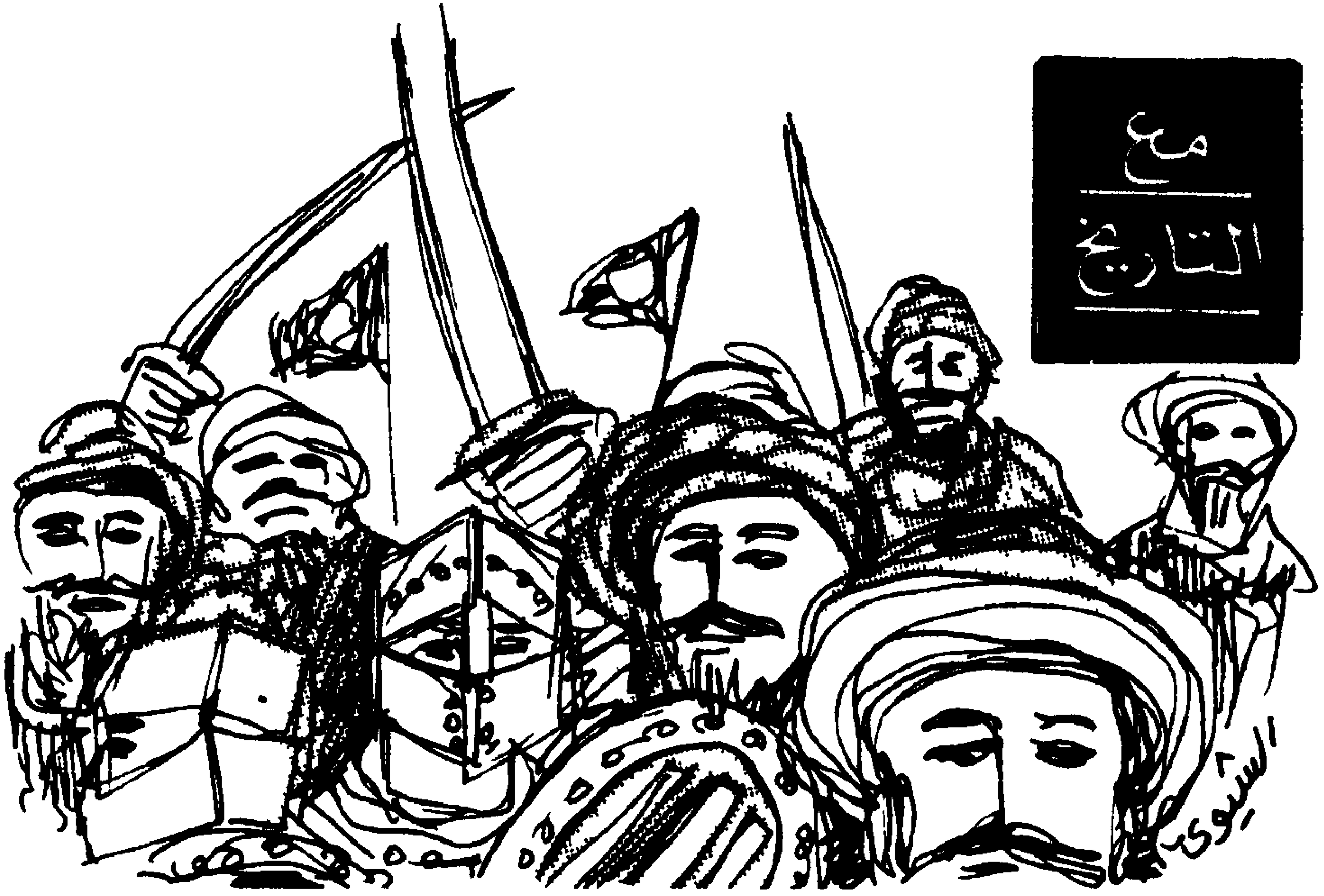
* * في نفس الوقت اقترب الإنفاق العربي على الخدمات العامة والخدمات الاجتماعية من حجم الإنفاق على الدفاع ، فكانت النسبة للخدمات العامة ٢٣٪ ، ونفس النسبة تقريبا للخدمات الاجتماعية .

* * لم يتخط الإنفاق على شئون الاقتصاد (١٣.٣٪) وبما لايزيد كثيرا عن بداية الثمانينيات .

إذن فالأولوية للأمن والبنية الأساسية والخدمات الاجتماعية كالتعليم والصحة والاقتصاد - أي أن الاستثمار الإنتاجي المباشر أو الاستثمار المالي له أولية ثانية في منطق الموازنات العامة ، خاصة في أقطار النفط ، لكن ذلك لايعكس انسحابا لدور الدولة من الحياة الاقتصادية ، فدائرة التأثير قائمة في كل الأحوال ، لأن أرقام البنية الأساسية أو الخدمات العامة ، بل وجزءا من أرقام الدفاع يحرك عجلة الاقتصاد ، حيث تضخ الحكومة المال ، فيستقبله مستثمر ومقاول وصاحب بنك وخبير ، الخ

والقطاع الخاص ليس بعيدا ، لكن بصمات الدولة واضحة من خلال حجم كبير من الإنفاق ، كرسته الاتجاهات الاجتماعية في مجموعة من الأقطار العربية ، وكرسته ظاهرة النفط في مجموعة أخرى ، فهل استطعنا أن نوفر لأجهزتنا الحكومية أفضل خبرة ، وأفضل كفاءة ؟ وهل استطعنا أن نضمن الرشد باتخاذ القرارات ؟

والتساؤل خطير ، لأن الحكومة العربية تنفق نصف الدخل ، و[illegible]ك معظم التأثير . □



حقيقة معركة بواتييه

بقلم : الدكتور سلمان قطاية

لا بد لكل سائح يزور باريس من أن يزور قصرفرساي الفاخر الذي بناه الملك لويس الرابع عشر الملقب بالملك الشمس وفي إحدى قاعات القصر الكبيرة مجموعة ضخمة من اللوحات التي تسرد أهم المعارك الحربية التي قامت بها فرنسا ، وبالتحديد الانتصارات ، لأن الأمم تفتخر بانتصاراتها . فتمجد فيها وتعظم ، بينما تتناسى أو تقلل من هزائمها وهكذا لا توجد ساحة أو شارع يحمل اسم واترلو في فرنسا كلها ، بينما يطالعنا هذا الاسم في كل مكان في انجلترا

يرى شارل مارتيل (٦٨٥ - ٧٤١ م) في اللوحة وهو يوجه ضربة رهيبة إلى قائد العرب ، عبد الرحمن الغافقي الذي ينظر إليه بهلع شديد !

ومارتيل كلمة لاتينية ، تعني مطرقة ، وشارل هو الاسم الأول لشارلمان ، أي شارل الكبير حد مارتيل

وتروى القصة للفرنسيين الناشئين بأن العرب المسلمين هاجموا فرنسا ، فتصدى لهم القائد شارل مارتيل ، فقضى عليهم في واقعة بواتييه عام ٧٣٢ م ؟ وقتل قائدهم الأمير عبد الرحمن في معركة سماها العرب بلاط الشهداء ، لكثرة ما أوقع فيهم من قتل وتجريح ويتخذ اليوم الفاشيون الجدد في فرنسا من هذه المعركة مثلا حتى أن إحدى عصاباتهم التي تتعرض للعرب بالقتل والغدر قد أسمت نفسها باسم شارل مارتيل ويقال إن عصابة مضادة من الشبان العرب ، في مرسيليا تألفت تحت اسم عبد

الرحمن ؟

إلا أن الواقع والحقيقة التاريخية يكذبان هذه الصورة المشوهة ، لذا عمدت القناة الثالثة في فرنسا ، المعروفة بأنها مخصصة للثقافة والفكر إلى بث برنامج عن حقيقة هذه المعركة ، أسندت مسؤوليتها إلى كبار العلماء والمفكرين والمؤرخين .

وأستطيع قبل الخوض في الكلام عنها أن ألفت الأنظار إلى بضع نقاط مهمة :

أ ـ كان العرب أكثر مدنية وحضارة وإنسانية .

٢ ـ أثبت هؤلاء أن ما يورده المؤرخون العرب هو الحقيقة .

٣ ـ كانت خسارة المعركة لأسباب تافهة .

٤ ـ لو كسب العرب المعركة لفتحوا كل اوروبا ، لكنهم كانوا سيتراجعون بعد قليل .

حينما جاوز العرب جبال البرانس انبثوا غربا وشمالا وإلى الشرق أيضا ، غربا : فاحتلوا كل الشاطىء اللازوردي الفرنسي ودخلوا ايطاليا ، بل إنهم جهزوا حملة لاحتلال روما .

وفريق منهم ذهب شمالا حتى مقاطعة السافوا العالية على الحدود السويسرية .

وغربا في منطقة الاكسيتين واللانغدوك حيث ما تزال آثارهم في اللغة والفنون باقية .

وارتقى آخرون شمالا فاحتلوا مدنا كثيرة حتى وصلوا بواتييه . نعني بذلك أنهم احتلوا قرابة ربع مساحة فرنسا ، وقطعوا من البرانس حوالي ٧٠٠ كم ، وكان من عادتهم أن يصطحبوا معهم زوجاتهم وأولادهم . وإلى جانب بواتييه ـ المدينة ـ يوجد سهل كبير واسع يفصله عن المدينة نهر صغير .

ضرب العرب خيامهم في السهل استعدادا للمعركة ، إذ بلغهم أن العدو قد جمع جموعا غفيرة من عساكره للقتال .

تميز العرب ـ على قول المؤرخين الفرنسيين ـ باستهانتهم بالموت والجوع والعطش ، وبإيمانهم أن الشهادة هي مفتاح الجنة ، كما تميزوا بسيوفهم الفولاذية وبخيولهم التي لا مثيل لها .

أما العدو فلقد كان ذا حضارة بدائية بربرية ، وأسلحة بسيطة ، لكنها ماضية ، وخيول ثقيلة .

وكان مارتيل قد جال في طول اوروبا وعرضها محرضا على دفع العرب المسلمين وردهم ، فتجمع لديه عدد يزيد على ضعف عدد عساكر العرب ، وذخيرة لا تنضب ، وتشجيع كبير من كل المسؤولين .

وأخذت العساكر مكانها ، ولم يبدأ العرب المعركة إلا بعد الظهر ، فهجموا على العساكر الفرنجية وراح هؤلاء يدافعون متراجعين ، بل إن فرقا منهم بدأت بالانهزام تاركة أسلحتها وعتادها ، وأيقن العرب بالنصر ، الا ان بعضا منهم اكتشف ان وراء سور المدينة الكائن على ضفة النهر من الطرف الآخر ، كنيسة عظيمة فيها كنوز لا تقدر بثمن .

هنا هرع كثير من الجنود المسلمين فعبروا النهر على قوارب صغيرة الى الضفة الأخرى ، وراحوا يملؤون الأكياس بكنوز من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، مما وجدوه في الكنيسة ، وساروا بها على ظهورهم نحو النهر ، ولثقل الأكياس غرق بعضهم مع القوارب في النهر . وسرى الخبر بين العرب ، فهرعوا أكثر فأكثر يقتتلون فيما بينهم لأخذ أكبر نصيب من الكنوز .

وهنا حدث شيء غير متوقع وغير متنظر ، بل وغير معروف حتى الآن ، فقد سقط الأمير عبد الرحمن الغافقي قتيلا .

لم يستطع المؤرخون حتى الآن معرفة أسباب مقتله وكيفية ذلك ، ربما أصابته سهام أو ضربة !! لا أحد يعرف .

وسرى خبر مقتله كالنار في الهشيم ، فتضعضعت الصفوف ، وتبلبلت النفوس ، وزادت الفوضى في الجيش ، فاذا بالليل يسدل ستاره .

وكان من عادة الجيوش أن تتفرق بعد المغرب ، ويقوم كل فريق بجمع جثث قتلاه لدفنها ، وجرحاه لاسعافهم ، ويستريح الجميع استعدادا لليوم التالي .

وفي صباح اليوم التالي ، لم يسمع الفرنجة أي صوت أو ضوضاء من الطرف الآخر .

فأرسل مارتيل كشافين ، إذ خاف أن يكون العرب قد نصبوا لهم فخا ، فعاد هؤلاء مؤكدين بأنهم لم يروا عربيا واحدا .

إذ أن العرب انسحبوا ليلا بقضهم وقضيضهم .

هنا عرف مارتيل أنه قد انتصر ، فصاح صيحة النصر ، وقال إنه لابد من متابعة العرب حتى جلائهم التام عن فرنسا ، ومضى في مشروعه اكثر من عشرة أعوام حتى نفذ وعده .

ومما يروى أن العرب قد انهزموا ولاذوا بالفرار تاركين ما يملكون للفرنجة !

ومن ذلك أنهم تركوا خيولهم الجميلة الأصيلة ، هكذا كما يدعي هؤلاء ، وعرف الفرنجة الحصان العربي لأول مرة .

وهذه القصة تكذب الادعاء . ثم هل من المعقول ان يهرب الهارب جريا على الأقدام تاركا حصانه السريع الذي لا يجارى ؟ ثم إننا لم نر ما يذكر بالحصان العربي في أوروبا ـ وفرنسا بشكل خاص ـ إلا بعد الحروب الصليبية ، وعندما عاد ريتشارد قلب الأسد ببعض الخيول العربية .

كذلك ادعى أحد المؤرخين في تلك الحلقة التي كما قلت بثت في التلفزيون أنه كان هناك بين العرب يهود .

فكتبت له أفند دعواه ، لأن شرف الجهاد كان محفوظا للمسلمين ، وكان الآخرون يدفعون الجزية بدلا عن ذلك . ولم اتسلم منه جوابا ؟

وطرح سؤال في نهاية المطاف : لو كسب العرب المعركة فماذا سيكون المستقبل ؟ فأجيب : بأنه كان من الصعب على العرب أن يتغلغلوا في بلاد لا يعرفونها ، ولا يطيقون طقسها . ثم ان اوروبا المسيحية كانت قد بدأت تشعر بالخطر وتلملم شعثها وقواتها ، وكانت ستتصدى للعرب مرات ومرات ، وستضعف مقاومة العرب بسبب بعدهم عن بلادهم الأصلية . فاذا كانوا قد استطاعوا البقاء في اسبانيا ثمانية قرون فذلك بسبب قربهم من المغرب . ونحن نعلم كم مرة جاءتهم النجدة منه . يكفي ان نذكّر بيوسف بن تاشفين وسنده للمعتمد .

والذي آمله وأرجوه أن يتولى احد الاقطار العربية اقامة نصب أو آبدة تذكرنا بالشهيد الغافقي الذي استشهد هناك ، وفي المكان نفسه ، وما أظن الحكومة الفرنسية الا موافقة على ذلك . □

العبقرية والجنون

اجتمع فريق من المفكرين والأدباء الانجليز بالفيلسوف البريطاني برتراندرسل قبل وفاته بأسابيع قليلة ، ودار الحديث حول العبقرية ، هل هي حقيقة ضرب من الجنون ؟

وطالت المناقشة ، واحتدم الجدل ، دون أن يشترك (رسل) في أية مرحلة من مراحلها ، وأخيرا عندما اقتربت المناقشة من نهايتها أجمع الحاضرون على رأي واحد ، وهو أن العبقري لا يمكن إلا أن يكون مجنونا ، أو مصابا بخلل ما .

وبدأ المجتمعون يستعدون للانصراف ، إلا أنهم ما لبثوا أن عادوا إلى أماكنهم مرة أخرى عندما سمعوا صوت (رسل) يناديهم قائلا : مهلا أيها السادة ، هل لي أن أسألكم ما الذي يضير العبقري إذا كان مجنونا ، أو مصابا بخلل ، طالما أن هذا الرأس قد أنتج إنتاجا فذا ؟ هل فكرتم في المحارة التي تغوصون وراءها في قاع البحر ؟ هل تعلمون أنها لابد أن تصاب بخلل لكي تنتج لؤلؤة ؟ أنا شخصيا كنت أتمنى أن أصاب بالجنون ، لكي أهتدي إلى وسيلة ، يمكن أن تنقذ البشرية من الهلاك الذي يتهددها .

قراءة نقدية لكتاب

بيروت ... بيروت ..

رواية من تأليف صنع الله إبراهيم

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

إن كتابة رواية جيدة ، بكل المقاييس نوع من المغامرة ، أما كتابة رواية عن الحرب الأهلية اللبنانية وتداعياتها فمغامرة تقترب من حافة الجنون ! إذ على الكاتب منذ البدء أن يواجه أسئلة كثيرة ، منها :

كيف يحقق نصيحة همنجواي الشهيرة : « لا تكتب إلا عما تعرف » إذ من ذا الذي يزعم أنه يعرف أسرار هذه الغابة (لبنان) المفعمة بالجمال والحب والكراهية والعنف والقتل ، وتعقيدات التاريخ والجغرافيا ، والتنوعات البشرية والدينية والمذهبية والاقتصادية والسياسية ؟!

من الذي يعرف أفضل وأصدق،من يعيش داخل الغابة ، وقد يغرق في التفاصيل وتحيزاتها أم من يأتي من الخارج فيراها كلها ، ثم يجوس خلالها بعين طازجة غير منحازة ؟؟ وإذا كان من الضروري أن يكون الكاتب محايداً في مرحلة ليعرف أفضل ، ومنحازاً في مرحلة أخيرة ليكتب أفضل ، فمتى ينبغي أن ينتهي الحياد ويبدأ الانحياز ؟؟

عن الكاتب وأعماله :

ومع ذلك فقد فعلها عدد من الكتاب ، كل بطريقته من داخل لبنان ومن خارجها ، وحين فعلها صنع الله ابراهيم بكتابة رواية « بيروت .. بيروت » سنة ١٩٨٤ لم يدهش كثيرا أولئك الذين تابعوا رحلته مع فن الرواية ، فصنع الله ابراهيم كاتب لا يؤثر فقط مواجهة التحديات ، بل صناعتها كذلك ، فحين قدم أول رواية له سنة ١٩٦٦ بعنوان « تلك الرائحة أحدث » نوعاً من الصدمة للقراء وللنقاد معا ، سواء بالأسلوب الذي كتب به أو بالتقنية التي اختارها ، ففي الصفحة الأولى من الرواية يتحدث الراوي : (شاب خرج من السجن لتوه يرافقه شرطي إلى البيت ليعرف العنوان) هكذا : « ذهبنا إلى بيت أخي ، وقال أخي وقد قابلناه على السلم إنه مسافر ، ولابد أن يغلق الشقة ، ونزلنا وذهبنا إلى بيت صديقي ، وقال صديقي : أختي هنا ولا أستطيع أن أقابلك ، وعدنا إلى الشارع ... » .

موقفان كان غيره من الكتاب يكتب عنهما صفحات كثيرة نائحة بالفجيعة في الأخ والصديق ، أما صنع الله ابراهيم فكان قد قرأ كتاب « كارلوس

بيكر » عن حياة همنجواي وأدبه ، وفتنته « فكرة جبل الثلج » التي تعني الاقتصاد في التعبير وبدأ يطبقها خلال بحثه عن أسلوب جديد ، وخلال بحثه عن تقنية جديدة قدم روايته تلك من خلال تعاقب صوتين للراوي نفسه ، صوت ـ كما قرأنا ـ يبدو وكأنه يترجم بإيجاز وحياد وبرود ما يواجهه في الحياة اليومية ، وصوت آخر للراوي نفسه يبدو وكأنه ترجمة لمشاعر وصور تنثال في داخله من الماضي ، ويقوم بناء الرواية على تعاقب هذين الصوتين في نسيج متصل بلا فصول ، وقد وظف الكاتب التباين بين هذين الصوتين لشخصية واحدة في تجسيد الفجوة القائمة بين الراوي وبين مجتمعه الذي يعود إليه بعد خمس سنوات في السجن !! كأن ظواهر كثيرة تشير إلى أن مجتمعه يقوم الآن بإنجاز الأشياء التي سجن الراوي لأنه كان يطالب بها ، وكانت تلك هي الفجوة التي يريد أن يعبرها . وقبل أن يفيق القراء والنقاد من صدمة « تلك الرائحة » كان الكاتب يقوم بزيارة لموقع السد العالي في أسوان ، وكأنه ما يزال يسعى للاقتراب من فهم ما يجري في واقعه الجديد . وهكذا جاءت روايته « نجمة أغسطس » سنة ١٩٧٤ تعبيراً عن رغبته في أن يجتاز الفجوة ، ويصل إلى المعنى ، وتجسيداً لرؤيته لهذا الانجاز ، وتطويراً للتقنية التي بدأها في « تلك الرائحة » ، فهو في « نجمة أغسطس » يجعل من الصوت الداخلي للراوي ، ـ صوت الذكريات والمشاعر ـ مقابلاً تعبيريا عن النواة الصلبة الداخلية للسد التي تتكون من طمي ناعم رقيق كالذكريات ، ومن الصوت الخارجي الهادىء المحايد مقابلاً تعبيرياً عن الجسم الخارجي للسد الذي يتكون من الصخور والحجارة والحصى !

بين « بيروت . . » و« نجمة أغسطس » :

قد يلاحظ من قرأ الروايتين أن هناك أوجه شبه واضحة بينهما ، فكلتا الروايتين مقدمة أساساً من خلال شخصية الراوي ، التي نتبين فيها ملامح من شخصية المؤلف ، مما يعطي الروايتين شيئا من طابع السيرة الذاتية . وفي كلتا الروايتين يسافر الراوي الى مدينة أخرى ، يجري فيها حدث كبير له أبعاد تاريخية واجتماعية وسياسية ، ويحاول الراوي الاقتراب من الحدث الكبير في وقت محدود ، بوسائط متعددة ، للتعرف عليه واكتشاف معناه ، مما يعطي الروايتين طابع التحقيق الصحفي . ومع اختلاف طبيعة الحدثين (بناء السد) و(الحرب الأهلية) إلا أن المشكلات الفنية التي تثيرها محاولة تناول مثل هذه الأحداث الكبيرة المتشعبة تكاد تكون واحدة !!

أكان هذا هو السبب في أن الكاتب قد عاد في رواية « بيروت . . بيروت » إلى تقنية شبيهة بتلك التي استخدمها في « نجمة أغسطس » بعد أن كان قد لجأ إلى تقنية مختلفة تماما في رواية « اللجنة » التي كتبها بين الروايتين ؟

ألا تعيدنا هذه الملاحظة إلى سؤال قديم متجدد : بأي جانب ترتبط أكثر «تقنية أية رواية» هل بجانب الوجود الموضوعي للحدث الخارجي الذي يتناوله ، وطبيعته . .

أم بجانب رؤية الكاتب لهذا الحدث ، وعقيدته الفنية ـ إذا صح التعبير ـ وثقافته في هذه المرحلة من مراحل نموه وتطوره ؟!

أعتقد أن الوقت قد حان لنقترب أكثر من رواية « بيروت . . بيروت » ، لنرى كيف واجه الكاتب مشكلات عمله الفنية ، وكيف التمس لها الحلول .

استكشاف الغابة :

من الفصل الأول وحتى السابع نتابع الراوي في رحلته من القاهرة الى بيروت لنشر كتاب له هناك ، ومن الصحف العربية والأجنبية التي يقرأها في الطائرة نبدأ في التعرف على شيء مما يجري في بيروت. في الفترة السابقة على تاريخ سفره في اليوم السابع من نوفمبر ١٩٨١ ، وفي الطريق ـ من المطار الى الفندق ـ في شارع الحمراء ، نرى بعين الراوي مدينة بيروت فندرك أن الحرب الأهلية التي انتهت رسميا منذ أعوام بدخول قوات الردع العربية ما تزال اثارها قائمة على واجهات المباني ، وفي كلمات سائق سيارة الأجرة ، وأن طلقات الرصاص ، وحوادث التفجير ما تزال تقطع السكون في الليل ، وتحتل عناوين الصحف في الصباح !

ومن الفندق الذي ينزل فيه يتصل بزميل قديم في

الدراسة والكفاح اسمه « وديع مسيحة » ، وكانا قد عملا بعض الوقت في جريدة واحدة بالقاهرة ، ثم انتقل « وديع » مديرا لمكتب الجريدة في بيروت منذ سنوات ، ثم استقال حين أصروا في القاهرة على عودته ، ويعمل الآن في مكتب خدمات صحفية خاص ، ويصبح « وديع مسيحة » منذ لقائه بالراوي نوعا من الدليل الى عالم بيروت ، الظاهر والخفي ! يسأل الراوي صديقه وديع بعد أن نزل ضيفاً عليه في شقته الأنيقة .

- لا أفهم سر إصرارك على عدم العودة الى مصر ؟!

- كلما تخيلت نفسي هناك شعرت بالاختناق !

ثم يلوذ بالصمت فلا يلح الراوي بسؤال آخر ، وإن كان سيبقى الى آخر جزء في الرواية يحاول أن يفهم مغزى هذا الشعور ولكن في موقف آخر يلفت « وديع » نظر الراوي الى خبر في الجريدة عن نسف دار نشر يملكها « عدنان الصباغ » الذي قدم الراوي الى بيروت بناء على اتفاق مسبق معه لنشر كتابه ، عندئذ يتساءل الراوي في جزع :

- من تظنه فعلها ؟

وحين لا يتلقى جوابا محددا من صديقه ، يعيد سؤاله بشكل آخر :

- هل « عدنان » مرتبط بجهة معينة من الجهات المتصارعة في بيروت ؟

- الإجابة صعبة ، فقد مضى العهد الذي كان الواحد يرتبط فيه بجهة واحدة ، فالكل ينوعون ارتباطاتهم تحسبا للمفاجآت .

- كنت أفضل التعامل مع « عدنان » فسمعته طيبة .

- لا تكن ساذجا ، كلهم متشابهون .

ويتأكد الراوي من صدق ما قاله « وديع » بعد عدة زيارات لدور نشر مختلفة ، ترفع واجهات ثقافية وتقدمية ، لكن روح التاجر هي ما يتخفى تحتها ، وحين يلوح أن مشروع نشر كتاب الراوي يواجه بعض الصعوبات ، ويحتاج بعض الوقت فإن وديع يقدم الراوي لانطوانيت فاخوري التي أخرجت فيلما تسجيليا عن الحرب الأهلية اللبنانية ، وهي في



حاجة لمن يكتب لها تعليقا على الفيلم . ويزيل وديع شكوك الراوي وهو يجيب عن تساؤلاته قائلا :

الفيلم لا علاقة له بأي حكومة فالمنتج هو مجموعة تعاونية من السينمائيين اللبنانيين الشبان ، ولا علاقة لهم بأي حزب أو حركة ، لكن يمكن أن تقول انهم يساريون بشكل عام .

- هل سيدفعون أم يعتبرون الأمر مساهمة مني في القضية ؟

- سيدفعون طبعا ، كل شيء الآن بثمنه !

سيطرة كاملة :

سوف يلاحظ القارىء ابتداء من هذا الجزء من الرواية كيف أن الكاتب المفتون سلفا بفكرة « جبل الثلج » قد لامس في إحكام سيطرته على ذلك الأسلوب الخيط الرفيع الذي تختفي عنده الحدود بين الوظيفية والتلقائية في استخدام اللغة ، وفي الحوار،فيما يقوله وديع مسيحة عن عدنان الصباغ يخبرنا عن وديع بقدر ما يخبرنا عن عدنان ، وعن الوضع في بيروت في الوقت نفسه ، ولا تكشف المواقف الجزئية المختلفة سوى عن جزء يسير من كل شخصية ، ومن الموقف العام ، ليبقى القارىء مشدودا لكل كلمة ، وكل نأمة ، مشاركا في خلق الشخصية وفهم الموقف ، حتى عندما يعم بيروت هدوء نسبي في أحد الأيام فإن الراوي ووديع يخرجان معا في نزهة قصيرة لرؤية معرض للصور الفتوغرافية من لبنان القديم ، وفي هذا المعرض نشاهد الحياة القديمة في لبنان ، في الجبل والسهل ، وفي القصور والأحياء الفقيرة ، ونرى تعدد الطبقات والطوائف والمذاهب في الأزياء

والأثاث والمباني ، كأن الكاتب يريد أن نبدأ الرحلة من أولها . وهكذا تتطور الأحداث في نسق بارع بين التلقائية والوظيفية ، لكن الرحلة في هذا الجزء من الرواية رحلة في الزمن الحاضر ، أما في الأجزاء التالية فاننا نقترب من التقنية التي تقوم على تقاطع الماضي مع الحاضر في حلقات متواصلة ، لكن الزمن الماضي في هذه الرواية لا يتدفق من خلال الذكريات كما في « نجمة أغسطس » ، بل من خلال شريط سينمائي يدور على « المانيولا » التي تقف خلفها مخرجة الفيلم انطوانيت فاخوري .

ماذا عن الفيلم ؟

في البداية شاهد الراوي الفيلم مرة واحدة ، واكتشف بعدها أنه لا يدرك مغزى كل إشارة فيه ، إلا شخص عاش الحرب الأهلية في لبنان ، فأمدته المخرجة بمجموعة من الكتب والوثائق عن تاريخ المنطقة منذ الحروب الصليبية حتى قبيل الحرب الأهلية ، وكان من الطبيعي أن يقدم المؤلف للقارىء الخلاصة نفسها التي خرج بها الراوي من هذه الوثائق ، ليمكنه من متابعة الرواية والفيلم معا . وهكذا جاءت هذه الخلاصة بعد الفصل السابع تمهيداً طبيعيا لتقديم الفيلم للقارىء ، وكان من الطبيعي ليتمكن الراوي من كتابة التعليق بشكل جيد على الفيلم أن يسجل وصفا تفصيليا لمشاهد الفيلم على الورق وقد تم هذا التفريغ على مراحل ، وكانت كل مرحلة تدخل في نسيج الرواية التي تقوم أصلا على ما يشبه رصد يوميات الراوي في بيروت ، وبهذه الطريقة تمكن المؤلف من عرض أجزاء من زمن الحرب الأهلية خلال الزمن الذي يعيشه الراوي (سنة ١٩٨٠م) .

الفيلم : مجرد حيلة فنية

سواء أكان للفيلم وجود فعلي أم هو مجرد حيلة فنية لجأ إليها المؤلف لتقديم الحرب الأهلية ، فهذا لا يؤثر على وثائقية المشاهد التي يضمها الفيلم ، إذ يضم عناوين صحف صدرت خلال الحرب الأهلية ، وتصريحات مسئولين ، وصور محاربين وقتلى ، واجتماعات ، ولقاءات ، وسيارات ملغومة ، وطائرات مغيرة ، وبيوت مهدمة ، وأقوال منسوبة لقائليها ، وشهادات شهود عيان . لكن يبقى سؤال جوهري هو : لماذا لجأ الكاتب الى صيغة الفيلم التسجيلي لتقديم صورة شاملة للحرب الأهلية ؟ولماذا لم يلجأ لذكريات فرد أو أفراد ممن عاشوا خبرة الحرب الأهلية ؟

قبل أن نقدم الإجابة عن هذا السؤال نود أن نؤكد أن حكاية الفيلم كلها مجرد حيلة فنية ، لأنه من الضروري أن تنسجم الرؤية الكامنة وراء الفيلم مع رؤية المؤلف ككل ، وهذا يتحقق بشكل أفضل مع هذا الافتراض .

أسباب اختيار تقنية الفيلم التسجيلي :

صيغة الفيلم التسجيلي تسمح بالتنوع ، ومرونة الاختيار ، وتغطية مختلف المجالات والمستويات في أحداث الحرب الأهلية ، فأنت تقرأ وصفاً للقطة عن حادث يقع في عين الرمانة أو الكارنتينا أو تل الزعتر أو الميناء ، ثم تتابع أصداءه في سائر لبنان أو العواصم ذات الصلة ، وترى الشهود وتسمع شهاداتهم من مختلف الاتجاهات ، وأحيانا يقدم الفيلم أحداثا موازية زمنيا في بلد آخر ، يبدو لأول وهلة أنه لا علاقة له بما يجري في بيروت ، لكن بقليل من التأمل تسفر العلاقة عن وجهها . وأما ذكريات أي فرد عن خبرته في الحرب الأهلية فستبقى محكومة بتجربته ، ومجال حركته ، وهي بالضرورة محدودة !

وهم الموضوعية :

صيغة الفيلم التسجيلي تعطي حسا أعمق بالموضوعية ، فاللقطة - أيا كان محتواها - محايدة وواقعية ، والقارىء هو الذي يقوم بدور إيجابي في استنطاق معنى الصورة أو الخبر أو التصريح ، والربط بين حدث يقع في لبنان وتصريح في سوريا أو القاهرة أو«الكنيست»أو الأمم المتحدة أو واشنطن أو موسكو ، ويصبح القارىء مشاركا في تأليف الرواية ، ومع ذلك فإننا نقول : « وهم الموضوعية » ، لأن اختيار الوثائق والأخبار وترتيبها

في نسق معين هو في النهاية اختيار يترجم الرؤية الخاصة للمؤلف ، ويبقى أن ضمان تحقق أكبر قدر من الموضوعية في العمل الأدبي رهن بغنى وثراء ذات الكاتب ، ودرجة وعيه بحقائق مجتمعه وعصره ،

ولأن العالم الخارجي والوجود الاجتماعي يفصحان عن جزء من أسرارهما من خلال الرؤية الخاصة لأي فنان حقيقي بالضرورة ، فهل يمكن أن نجيب الآن عن السؤال الذي طرحناه في بداية المقال حول (إلى أي جانب ترتبط تقنية أية رواية) ؟ من الواضح أنها هنا ارتبطت أكثر بالوجود الموضوعي الخارجي للحرب الأهلية اللبنانية

منهج الفيلـــم :

قدم الفيلم من خلال الوثائق أكثر من وجهة نظر في الموقف الواحد ، مثل المواقف المتعددة من دخول سوريا الى لبنان ، كما أوضح وجهة النظر السورية نفسها .

الى جوار تقديم الخطوط الرئيسية لسياسة الجبهتين الأساسيتين المتصارعتين في لبنان ، وهما الجبهة الوطنية والموارنة ، قدم الفيلم أوجه الصراع والاختلاف داخل كل جبهة ، بما في ذلك الاختلافات داخل منظمة التحرير الفلسطينية .

واهتم الفيلم من خلال الوثائق بإلقاء أضواء على أسباب الصراع الدينية والوطنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمذهبية في لبنان .

أبرز المواقف المزدوجة لبعض الأقطار العربية .

اهتم بتوضيح المواقف المستقلة داخل بعض الجبهات ، وكذلك المواقف المتطرفة على الجانبين .

أبرز دور « اسرائيل » وبعض القوى العظمى في تأجيج الصراع ، ونشاطها مع عناصر من الموارنة .

لقطات لها أكثر من دلالة :

لقطة في أحد الشوارع : من جانبي الشارع ترتفع بعض الأعلام البيضاء ، ويخرج المتقاتلون من وراء المتاريس من الجانبين ، ليشتركوا معا في نهب بعض المحال التجارية في منتصف الشارع ، ويتم تكويم المنهوبات ، ثم يتم اقتسامها بنظام وعدالة ، ثم يعود كل فريق لموقعه ، لاستئناف القتال بعد وقت ، (هنا يتضح أن الفقراء من الجانبين هم الذين يصطلون بنار الحرب) .

لقطة لبعض القناصة في أعلى البنايات ، يصوبون بنادقهم نحو أحد المارة ، ويطلقون أولا رصاصة خلفه ، فإذا جرى أطلقوها أمامه ، فإذا وقع على الأرض أطلقوها على يده ، فإذا واصل الزحف قتلوه ، (هنا يصبح القتل لعبة) .

لقطة لجماعة مسلحة تهاجم مستشفى للأمراض العقلية ، لتنتزع منه أحد النزلاء بالقوة ، وبعض المرضى ينتهزون الفرصة ليغادروا المستشفى ، بما يوحي بإطلاق الجنون . وفي لقطة تالية يشاهد أحد المجانين الفارين يعود إلى المستشفى هارباً من العالم الخارجي .

فصل كامل به شهادات بعض الناجين من مذبحة تل الزعتر .

رؤية الفيلـــم :

يوحي الفيلم بأنه من التبسيط أن نتصور أن المشكلة هي مجرد صراع بين يمين ويسار ، أو مسلمين ومسيحيين ، أو عرب وغير عرب ، أو قوى وطنية وقوى خارجية ، والمشكلة هي كل ذلك ، وما نجم عنه من أوضاع ومصالح تضاربت وتعقدت عبر التدخلات المستمرة من القوى المحيطة ، مهما ضاقت الدوائر أو اتسعت ، ولذا أجهضت روح المواطنة التي لم تجد فرصة للميلاد الحقيقي ، وأصبحت نجاة الفرد في الانتماء للطائفة أو الحزب ، ونجاة الحزب في الارتباط بقوة عظمى في الخارج . والفيلم بهذه الرؤية يضع القارىء أمام مسئولية المشكلة ، ويوحي بأن حل مشكلة الجزء اللبناني مرتبط باتجاه حل مشكلة الكل العربي .

اختلال فـي التوازن :

إذا كنا هنا تحدثنا عن الفيلم مرة واحدة ، فإن قارىء الرواية كان يقرأ وصفا لجزء من الفيلم ، ثم يتابع حياة الراوي في بيروت عام ١٩٨٠ ، ثم يعود ليقرأ وصفا لجزء آخر ، وهكذا كأن القارىء يعيش

أحداث الحرب الأهلية ، ثم يعايش نتائجها بعد أعوام في وقت واحد . وربما شعر القارىء بشيء من عدم التوازن بين مادة الفيلم التي تقدم نوعا من المعرفة الكمية ،ـ ربما فوق ما تحتمله رواية ، وبين مادة الحياة اليومية للراوي التي تقدم طرازا آخر من المعرفة الكيفية التي يعني الأدب بتقديمها ، لكننا نلتمس شيئا من العذر للكاتب ، حيث ان المعرفة الكمية كانت شبه ضرورية لامكانية تمثل المعرفة الكيفية ، كما تتجلى في شخصيات الرواية عام ١٩٨٠ . إن علاقات الراوي (الذي كان ما يزال يبحث عن ناشر لكتابه وهو يواصل كتابة وصف لمشاهد الفيلم) كانت تتطور مع عدة شخصيات في عدة اتجاهات ، علاقته بلمياء الصباغ زوجة عدنان الصباغ صاحب دار النشر الذي وعده بنشر كتابه ، وانطوانيت فاخوري مخرجة الفيلم ، ووديع مسيحة ، وهي كلها وجوه مختلفة من بيروت عام ١٩٨٠م .

وجوه من لبنان عام ١٩٨٠

لمياء الصباغ

كانت تقوم بعمل زوجها في دار النشر أثناء غيابه في الخارج ، وهو غياب أصبح شبه دائم ، بعد حادث نسف أجزاء من الدار . امرأة جميلة في منتصف العمر . في لقاءاتها الأولى مع الراوي بشأن نشر كتابه كانت تترك لديه انطباعا بإمكانية نشر كتابه ، رغم كل ظروف الدار ، وقد سألته مرة بعدما دعته للغداء في بيتها الفاخر .

ـ هل أعجبك منزلي ؟

ـ جدا ، رغم أني لم أر غير جانب صغير منه .

ـ سترى الباقي فيما بعد .

ثم تسأله عن الفيلم بطريقة تشي بأن سؤالها عن علاقته بانطوانيت ، وحين لا تتلقى ردا محدداً تقول له :

ـ أرجو ألا يكون عن بطولات الفلسطينيين .

ـ وماذا لو كان ؟

ـ لا شيء سوى أننا مللنا هذا النوع من الأفلام ، ثم إنهم سبب البلاء الذي نعيش فيه !

يمثل هذا الحوار يرسم الكاتب شخصية لمياء الصباغ ، عبر مختلف اللقاءات مع الراوي ، فنعرف أنها كانت في طفولتها تجد الأمان في حضن أم قوية الشخصية ، وفي ظل ظروف مجتمعها الآن الذي يمنح الموت المجاني ، وفي غيبة زوجها شبه الدائمة فإنها تسعى بشكل غريزي الى ما يطمئنها فتصبح المتعة مهربا من الخوف ، أو نوعا من المخدر ، أو دفاعا عن الحياة ، وقد وجدت المتعة الآمنة المضمونة في صداقة امرأة تكبرها قليلا ، وتمتلك يدا قوية مثل يد رجل ، أو يد أمها . وأحيانا كانت وهي المفتونة بجمالها ، العاشقة لذاتها تثور على هذه الصداقة ، وفي هذه المرة تجد هذه الثورة متنفسا لها في علاقتها بالراوي الذي ظل طول الوقت يشعر بأن في شخصيتها شيئا مثل السراب .

ولعل هذا كان من ضمن الأسباب التي جعلته يفشل في كل محاولات التواصل معها . وقرب نهاية الرحلة ومن خلال العلاقة يكتشف الراوي أن دار النشر التي يملكها عدنان تعمل بالتعاون مع دار نشر سويسرية ، تطبع باللغة العربية ، لتوزع منشوراتها داخل فلسطين المحتلة بين عرب يعيشون في شوق الى أية كلمة مطبوعة باللغة العربية ، وطبعا يتم التوزيع بتنسيق مع سلطات الاحتلال ، وبرضاها عما هو منشور !

ويقترن اكتشاف هذه الحقيقة بلحظة كانت تؤذن بنجاح تواصله معها ، وتصبح رغبته في هذا التواصل مساوية لرغبته في قتلها ، وتتعانق الرغبتان في ذاته تعانقا مدمرا ، الى الحد الذي لا يدري هل ما يشعر من نشوة خارقة نابع من رغبته في قتلها ، أم من رغبته في الحصول عليها ، ولا يصبح أمامها من خيار سوى أن تفشل هذا التواصل لكي تنقذ حياتها من يده المجنونة التي لم تكن تدري هل تحيط بعنقها هياما أم غلا .

إن لمياء الصباغ هي أحد وجوه لبنان ما بعد الحرب الأهلية !

انطوانيت فاخوري :

مارونية ، تعمل في حقل السينما بالتعاون مع منظمة التحرير في هذا المجال ، تعكس شخصيتها

تعقيدات الوضع في بيروت ، فهي تملك حرية في أن تعمل نهارا مع المنظمة ، ثم تعود ليلا لتبيت في منزلها في بيروت الشرقية دون أن يؤثر على موقفها من عائلتها المارونية . وتملك حرية بأن تقضي ليلة في شقة وديع مسيحة ، لأنها سكرت في شقة أخرى ولم تستطع أن تعود بالسيارة الى بيروت الشرقية . يلتقي الراوي عندها بنماذج بشرية فلسطينية ، منها أبو نادر الذي كان يناضل داخل فلسطين المحتلة ، وقام بعمل بطولي خارق ، تحدثت عنه الصحافة طويلا ، ثم سكتت ، وظل هو بقية حياته يتحدث عن هذا العمل مرة بعد مرة ، ولا شيء آخر ، ومنها شخصية فتى وسيم فنان اسمه وليد نجا من مذبحة تل الزعتر ، ومع أن علاجه من أثر الصدمة التي أثرت على قدرته على النطق قد تم بنجاح ، وأصبح قادرا على الكلام إلا أنه لسبب لا يعرفه أحد آثر أن يصمت ، وإن بقي وجهه قادراً على التعبير ، وريشته قادرة على الرسم ، غير أنه لا يرسم غير صورة واحدة ، وهي خريطة لفلسطين و« اسرائيل » ، تمثل فوقها نقطة صغيرة ، ثم خريطة أخرى للنقطة وهي تكبر ، وتكبر .

وحين قدم هذه الخرائط للراوي مع ابتسامة مليئة بالرغبة في التواصل . لم يعرف الراوي ماذا يقول له . فهل أتت به انطوانيت الى هنا ليحدثه هذا الفتى الصموت عن شيء يعرفه الجميع ، لكنه تنبه فجأة لأمرين ، الأمر الأول أن ما يجري في بيروت والوطن العربي يؤكد أنه لا أحد يريد أن يرى هذه الحقيقة التي يعرفها الجميع ، أما الأمر الثاني فقد بدا في شكل سؤال رأته انطوانيت في عين الراوي ، فأجابت عليه على الفور : إنه لم يلمسني ، لكنني لن أتخلى عنه ، فأنا أحبه . أكان حبها لهذا الفتى الصامت عما رآه في تل الزعتر جزءا من حبها للحقيقة التي تبحث عنها في فيلم عن الحرب الأهلية اللبنانية !؟؟

إن انطوانيت فاخوري هي أحد وجوه لبنان ما بعد الحرب الأهلية .

<u>وديـــع مســـيحة :</u>

ربما لم تبدأ مشكلته في بيروت ، ولعلها بدأت في القاهرة عندما كان طفلا مع الراوي يقول له : « عظمة زرقاء » ، فينتابه غم عظيم . ربما وجد في بيروت أن مسيحيته التي كانت مصدر قلق ظاهر أو خفي في القاهرة تمنحه شعورا أعمق بالأمان في بيروت ، لكن في عام ١٩٧٥ حين بدأت الحرب الأهلية أدرك فجأة أنه لا أمان لشيء ، وانفجر خوفه القديم . ويبالغ الخائف في رؤية تخاوف الآخرين ، ويسوغ لهم ما يريد أن يسوغه لنفسه ، فلقد كانت تعليقاته المرتابة في كل شيء ، وكل أحد هي أول ما أثار شكوك الراوي فيه ، وحين اختفت مفكرة الراوي من مكانها في شقة وديع ثم ظهرت في مكان آخر ، بعد أن نفى وديع علمه بها بدأ شك الراوي يزداد في أن وديع هو الذي فعلها ، لكن لماذا ؟ لم يكن يعرف !! ولم يتأكد الراوي من شكوكه في وديع إلا بعد أن تعرض لحادث اختطاف في الشارع ، قامت به جماعة تتبع إحدى جهات الموارنة ، ومع أنه تم إنقاذه بجهود وديع وانطوانيت فإن الطريقة التي أنقذه بها المكتب الثاني في بيروت كانت حيلة المؤلف ليصيب ثلاثة أهداف بضربة واحدة ، أن يقدم فرصة عرض ومناقشة لوجهة نظر الموارنة في الرواية من خلال استجوابهم للراوي ، وأن يكشف عن الدور بالغ التعقيد الذي يلعبه المكتب الثاني في بيروت ، وأن يكشف علاقة وديع مسيحة بالمكتب الثاني ، وأن يسقط آخر ورقة توت كان وديع يخفي وراءها خوفه القديم والجديد !!

لكن الراوي يقول له ولوديع : وهما يشاهدان معا في آخر ليلة في بيروت مشهدا على شاشة التلفزيون لسياسي عربي في موقف يهون في ظله كل ما يقوم به أمثال وديع : صدقني أنا لا ألومك أبدا .

ـ وديع مسيحة إنه هنا أحد وجوه لبنان ما بعد الحرب الأهلية ولا شك أن من يقرأ هذه الرواية أو هذا المقال عنها في عام ١٩٨٨ سوف يتساءل في دهشة :

ـ وهل انتهت الحرب الأهلية اللبنانية ؟ وهل مثل هذه الشخصيات هي كل نتاجها ؟؟ ثم قد يشعر بالحاجة إلى إعادة قراءة الرواية أو مواصلة كتابتها . ولعل هذا جزء من إنجاز هذه الرواية □



منتدى العربي

قضية

إشكالية التراث والمعاصرة والتقدم

بقلم : الدكتور هشام بوقمرة

إن وصف المجتمع العربي بالمتخلف أو المتأخر ـ وهو وصف لا نناقش كثيراً في صحته بالرغم من نسبيته ـ يشير إلى طبيعة المهمة الأساسية التي تحدد مرحلتنا ، وهي (التقدم) . صحيح بشكل عام أن فلسفة التقدم هي التي كانت محرك الفكر الأوروبي خلال القرن التاسع عشر من أجل استنهاض همة « البرجوازية » الوطنية لتحقيق الرأسمالية والنمو المادي ، وأن اعتبارها من مهام المرحلة العربية الحالية يدل ـ في أقل معانيه ـ على أن قرناً كاملاً يفصلنا عن المستوى الأوروبي المعاصر ، لكنه قابل للنقاش والدحض أيضاً ، بيد أنه يصبح أمراً واقعاً حين نضعه تحت منظار الحوافز الفعلية للنظام العربي فيما يحدده لنفسه من أهداف بشكل عام . فالتقدم يطرح في الخطاب الرسمي ، وكذلك في التصور الشعبي يطرح على أنه تحقيق لمجموعة من المنافع والخدمات المادية الداخلة ضمن ما يدعى « باللحاق بركب التطور » وهو يشير ـ أساساً ، وحصرا ـ إلى النمط الأوروبي الغربي السائد حتى في البلدان التي اختارت أحلافها في المنظومة الاشتراكية ، والتي ـ بالرغم من إعلانها المبدئي للتقدمية واليسارية ـ ترفض التطبيق الاشتراكي ، ثم المنهاج المجتمعي السائد في البلدان الاشتراكية .

الاستنجاد بالتراث

لكن الخطاب الرسمي نفسه يصر باستمرار على ربط التقدم والتنمية بمجموعة من المعطيات الأخلاقية ، وفي مقدمتها الاستنجاد بالتراث ، على أساس أنه مفتاح الأصالة ، أو أنه الضامن للاستمرار في نطاق تصور أفقي للزمن ، غير قابل للانفصال ، رأسه الماضي ، ووسطه الحاضر ، وتواصله المستقبل .

إن التراث بهذا المعنى شيء غامض ، ومطاط ، وليس له حدود ، فهو في نفس الوقت يمكن أن يكون

موغلاً في القدم ، كما يمكن أن يكـون آنياً ، إذ أن اللحظة الحالية هي ماضٍ بالنسبة للتي تليها ، ويمكن أن تصبح افتتاحية جريدة صباحية تراثاً في المساء ، وكل شيء يصبح تراثاً ، وحتى الآن لم يتحدد مفهوم التراث بشكل عقلاني . وغاية ما توصلوا إليه هو أنه دخل ضمن المنظومة الواسعة لهذه المفاهيم الفضفاضة التي نتعامل بها يومياً دون تحديدها ، والتي قد تكون سبباً أساسياً في تخلفنا الفكري ، وفي تشويش أنظمتنا العقلية ، وعدم قدرتنا عـلى السيطرة عـلى الزمن ، وجعل اللغة وجوداً خارجاً عن العقل ، أي فـاقداً للدلالة .

ولذلك فإن التراث باعتباره شاهداً غائباً متعـدد الأصوات يمكن أن يُسنَد إليه أي « تصريح » ، وأن تتمنطق بهِ أي « عقيدة » ، ومنذ حوالي نصف القرن والساحة الفكرية العربية تتقاذفه في كل اتجاه ، وهو كالكرة المضغوطة ، يستجيب بطواعية خارقة لكـل قاذف ، فأقصى أطراف السلفية تجد في « التراث » لها سنداً صريحاً ، وَأقصى أطراف اليسارية إن لم يجد فيه النص الصـريح وجَـدَ فيـه من التـأويـل مـا يقنـع ويشفي ، وبين هذين الطرفين لم يعدم اتجاه ـ مهـما كان منزعه ـ ان يجد في التراث مرجعاً ، لأن كـل الاتجاهات تـراهن على الجمهـور ، ولأن جمهورنـا متخلف أساساً في ماضيه المريضة أحيـاناً ، وكلهـا جميعاً تتحول في مرحلة أخرى إلى نَبّاش قبور ، أو فكّاك طلاسم ، والمثقفون أنفسهم ـ وهم الذين طرحوا هذا الموضـوع ـ مصابـون بنفس الصداع ، وآخـر ما وجـدوه أن التـراث يتضمن قيـما إيجـابيـة وأخـرى سلبية ، وأن فيه نوراً وظلاماً ، وأن فيه جـوانب مضيئة مشرقة ، وأخرى غائمة مفزعة ، وأن علينا القيام بعملية انتقاء .

حسناً ، ولكن من أي موقـع ؟ إن اليسار يقـوم بانتقائـه ، واليمين كـذلك ، والسلفيـون هم أشد النـاس انتقـاءً ونصبـاً لمحـاكم التفتيش في المـاضي العربي ، وهكذا نعود إلى نفس الدوامة . إنني لا أسجل هنا موقفاً ولا اختياراً ، ولكن حيرة .

التحرك بأقدام مثقلة :

ولنبدأ رحلة الحيرة من الواقع بـالسؤال التالي : أيهـا أوكد بـالنسبة لحـاضرنـا ومستقبلنا : أن نبني مدرسة أم أن نـرمم حـائـطاً ؟ وحين أرى خـريجي جـامعاتنا يتسكعون بـلا عمل عـلى أرصفة القهـر والغضب ، أتسـاءل : أيها أصلح : أن نـوفر لهم شغلاً ، أم أن نخصص ميزانية عريضة للتثبت من نسبة قطعة خزفيـة ؟ وما الـذي يهمني في أن يكون العرب هم الذين اكتشفوا ـ وفي القيروان بالذات ـ قلم الحبر الجاف وأنا أكتب اليوم بقلم ياباني ؟ وأن يكون عمر بن عبد العزيز مثال العدل والاستقامـة والإنصاف ، وأنا أعيش العسف والظلم والتسلط ؟

إن الشيء الوحيد الذي يقدمه التراث في كـل هذه الحالات سلبي بحت ، فنحن نتغنى بالماضي ، حتى لا نبصر الحاضر ، وحتى ـ وهو الأخطر ـ لا نجدد ملامح المستقبل ، ونحن نتحرك بأرجل مثقلة بقيد ضخم وخانق اسمه الماضي ، يشدنـا إلى الوراء ، حتى لنكاد لا نرى المستقبـل ، ونحن نعيش وضعاً غريباً وشاذاً ، يؤطر في عقولنا الشـذوذ الفكري ، فـأوضاعنـا الاجتماعيـة والاقتصاديـة والدستـورية تحكمها قوانـين وضعية « مستـوردة » ، بينما يتـأطر تفكيرنا المدرسي والجامعي وتُنحت ذواتنـا ، داخل أطر ليس لها أي وجود فعلي .

حاولت مرة أن أعرف « الحجم المادي » لحضور التـراث في واقعنا ، من خـلال مثـال محـدد ، هـو النشر ، فأخذت منشورات إحدى الدور الشهيرة في مصر ، فوجدت أن ما يدخل تحت التـراث منها لا يصل ـ عددياً ـ إلى الثلث بحساب العناوين ، لكنه يتجاوز الثمانين في المائة بحساب الكلفـة ، لسبب بسيط ، وهو أن نشر كتـاب فقهي في خمسة أجـزاء ضخمة يستوجب من الإنفاق أكثر من نشر مائة عنوان من الشعر والقصة والمسرحية وكافة أنواع الإبداع الأخرى ، وبهذا المعنى يصبح التراث أيضـاً عائقـا للخلق ، إن لم يكن له مانعاً !

وتـأملوا : منذ متى أصبح التراث « قضيـة » و « موقفاً » ؟ ألم يتزامن مع المد اليميني ، ويشتد منذ السبعينات مع اشتداد الضغط الأصولي ؟ أنا كما قلت لا أقرر موقفاً ، وإنما أعبر عن حيرة ، ولا أظن أن هناك أحداً يستطيع أن يفلت منها ، ولكن كثيرين تغنيهم المسلسلات التلفـازيـة عن الاحسـاس بصداعها . مرة أخرى ـ وإن كنت سأكرر كلامي ـ أقول : على ماذا تدل ظاهرة المسلسلات التلفازية التي تصب كلها بشكل أو بآخر في التراث ؟ أليست ـ فقط ـ هرباً من الواقع ، لأنه مخزٍ وشائن ؟ لنطعم النـاس إذن ماضيـاً مجيـدا وشخصيـات بـطوليـة ، ومواقف متفردة في الماضي ! حتى لو أدى ذلـك إلى نهاية الابتذال والابتـزاز التجـاري ، مثلما يتقمص ممثلون لبنانيـون مسيحيـون ـ كجان وجـورج ـ شخصيات إسلامية ، يضرب بها المثل في الورع والتقوى .





منتدى العربي

تعقيب

على مقال :

هل كان الرجل المريض مريضاً ؟

كتب السيد فتحي رضوان في العدد ٣٤٦ من مجلة العربي (سبتمبر ١٩٨٧) ، مقالاً بعنوان « هل كان الرجل المريض مريضاً ؟ »

لي عليه عدة ملاحظات تجعلني أحاول أن أوضح بعض الأمور لتصحيح ما لمسته من الأخطاء التاريخية والجغرافية الواردة في المقال .

١ ـ ذكر الكاتب في المقال أن القوات التركية المتوغلة في شرق أوروباقامت بغزوة ساحقة لفينا ، عاصمة النمسا ، وكانت آنذاك امبراطورية مترامية الأطراف ، ذات شهرة ، وكان اسمها امبراطورية النمسا والمجر يملأ الأسماع .

والحقيقـة التاريخية المجردة ، أن امبـراطـوريـة النمسا والمجر تشكلت عـام ١٨٧٦ ، بعد انقضـاء عهـد آل هـابسبـورغ في حكم الامبـراطـوريـة النمساوية ، فالقوات العثمانية وصلت إلى العاصمة فينا عام ١٥٢٩ ، أي قبـل أكثر من ٣٣٠ سنة من تاريخ إعلان امبراطورية النمسا والمجر ، والصحيح أنها لم تكن في ذلـك الـوقت إلا « إمبـراطـوريـة النمسا » .

٢ ـ ذكر في المقال أن لجنة ألفت من ثمانية أعضاء أشرف عليها الانجليز وقدموها على أنها تمثل مصر (كما يقول صاحب المقال) ، وكانت مهمة اللجنة تهيئة أسباب توطين اليهود في سيناء ، وإنشاء مجالس بلدية يهودية في أنحاء سينـاء ، « وصدر قـرار هذه اللجنة سنة ١٩٠٣ ، وكان من بين شروط إقامة هذه الدولة أن تحول مياه النيل إلى سيناء » .

والآن نستطيع أن نتساءل : كيف يمكن تحويل مياه

النيل إلى سيناء بوجود عائق جغرافي ضخم مثل قناة السويس ؟ هل هذه خطة خيالية اتخذت اللجنة المذكورة على عاتقها مهمة القيام بها ؟ إلا أن قلقنا يتبدد عندما نقرأ أن اللورد كرومر رفض الاقتراح ، « لأن المياه المطلوبة من النيل تؤثر على المساحة المزروعة في مصر » .

٣ ـ وفي المقال أن وكالات الأنباء الدولية ذكرت الأتراك « بما اقترفته أيديهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من مذابح في البلاد التي كانت خاضعة آنذاك لحكمهم ، كمنطقة الأرمن والبلغار واليونان وجريب ورومانيا » .

أولاً : لم نسمع من قبل عن منطقة تدعى « جريب » ، وعن شعب يحمل ذاك الاسم (الأصل هو كريت) . أما التعليق الثاني وهو أن منطقة « اليونان » التي ذكرها كانت مستقلة عن الدولة العثمانية منذ عام ١٨٢٩ . فهل دبرت فيها المذابح غيابياً ؟ ثم إن مذابح الأرمن جرت معظمها في بداية القرن العشرين .

٤ ـ الملاحظة الأخيرة على ما ورد في السطور الأخيرة من قوله : عجزت الصهيونية بكل ملايينها وبنفوذها السياسي ودسائسها ، أن توطن يهودياً واحداً ، أو تنشيء مستعمرة بموافقة الدولة العثمانية ، فالرجل المريض لم يكن مريضاً ، ولو تنبه العرب إلى أهمية شفاء الرجل المريض لتغيرت الأحوال .

لابد هنا من التحدث قليلاً عن الاستيطان اليهودي في فلسطين . صحيح أن الحكومة العثمانية تنبهت إلى سيل الهجرة والاستيطان ، وفرضت حظراً مؤقتاً على الهجرة واستملاك الأراضي ، لكنها عادت فرفعت الحظر ، ثم عادت ففرضته مرة أخرى تبعاً للقوى الضاغطة عليها . واختصاراً نقول : إن الحكومة العثمانية ، لم تكن حازمة حزماً أكيداً في قضية الاستيطان والهجرة اليهودية .

إن الهجرة اليهودية الجماعية الأولى إلى فلسطين نظمت في مطلع ثمانينيات القرن التاسع عشر (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) ، وارتطمت بصعوبات كبيرة ، لكنها نجحت في تأسيس ٢٢ قرية يهودية في فلسطين ، وتوطين حوالي ٢٥ ألف عامل ومهاجر . أما الهجرة الثانية الكبرى فقد حدثت خلال فترة ١٩٠٤ ـ ١٩١٤ (في عهد الدولة العثمانية أيضاً) ، وشملت هجرة ٤٠ ألف عامل ومهاجر ، وشكلت عصابات مسلحة تحمي المستوطنات .

من ناحية ثانية يورد المقال قولاً منسوباً إلى السلطان عبد الحميد عندما « ردع » الصهاينة عن مطالبهم في السيطرة على فلسطين : « لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمه ، فليحفظ اليهود ملايينهم » . فهل يعتقد صاحب المقال أن الشعب المقصود هنا ، صاحب أرض فلسطين ، هو الشعب الفلسطيني ؟

لعل تسمية « الرجل المريض » والصراع الاستعماري الذي خاضته الدول الغربية ضد الدولة العثمانية أثارت عواطف كاتب المقال ، ونسي أن الدولة العثمانية ـ وان كانت في أول عهدها دولة نشرت الإسلام وفتحت بلداناً كثيرة على غرار ما قد يخطر في البال من الفتوحات العربية في القرن السابع الميلادي ـ قد أصبحت دولة تضطلع بدورها في ساحة الصراع الاستعماري والامبريالي ، في مجال السيطرة على الشعوب المغلوبة على أمرها .

هل كانت الدولة العثمانية « سليمة » عندما قمعت حركات التحرر في المجر وبلغاريا واليونان وأرمينيا وفي الأقطار العربية ؟ وهل من دلائل هذه السياسة « السليمة » قمع الحركة القومية العربية ، وتعليق رواد النهضة العربية على المشانق في ٦ أيار في بيروت ودمشق عام ١٩١٦ ؟ وهل يمكن الاستدلال على « سلامة » الامبراطورية العثمانية بمجرد مراجعة التدابير الحازمة التي اتخذتها لمكافحة العنصرية الصهيونية ، ومكافحة الاستيطان الصهيوني ؟

ثم ما مغزى العبارة الأخيرة المبهمة في المقال : « ولو تنبه العرب إلى أهمية شفاء الرجل المريض ، لتغيرت الأحوال » . ماذا يعني هذا الكلام ؟ لقد تغيرت الأحوال فعلاً ، وها هي الأقطار العربية مستقلة . فهل المقصود من العبارة السابقة أن

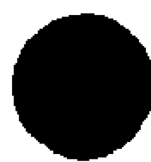
فلسطين لم تكن لتصبح هدفاً صهيونياً ؟ وما الدليل على ذلك ؟

يبدو أن صاحب المقال يرى بأن جسد الدولة العثمانية « كان مليئاً بالحيوية ، وفياضاً بالقوة » في عهد سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠) ، وفي عهد سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) ، لأنهما استطاعا ضم أصقاع كبيرة إلى الدولة العثمانية ، فسليم الأول احتل سوريا وأرمينيا وكردستان وفلسطين والحجاز والعراق ومصر والجزائر ، أما سليمان القانوني فضم المجر إلى الامبراطورية العثمانية . ومن المؤكد أن كاتب المقال لا يدرك أن السبب الأكبر في ضعف الدولة العثمانية لا يكمن في دسائس الدول الأجنبية بقدر ما يكمن في البنية السياسية والاجتماعية والإدارية للبلاد ، وإلا لما تقوضت الامبراطوريات الأخرى كالامبراطورية الألمانية والروسية وامبراطورية النمسا والمجر .

لقد تشكلت في الامبراطورية العثمانية في القرن السادس عشر طبقة غنية من الاقطاعيين ، نتيجة للتوسع في احتلال الدول ، ومن جهة ثانية ضعفت القوى المنتجة في الامبراطورية ، كما أن حركات التحرر القومية استمرت طوال الحكم العثماني . ولا ننسى بهذا الخصوص حرب التحرير اليونانية ، وجهود محمد علي ، فقد سعى محمد علي إلى إقامة حكومة مستقلة عن الدولة العثمانية ، ونجح في ذلك إلى أبعد حد ممكن ، وأسس أول دولة عربية معاصرة ، ولم تكن صلاته بالعثمانيين إلا اسمية ، وهو لم يتوان عن محاربة العثمانيين أنفسهم في سبيل هدفه . فهل كانت أهداف وجهود محمد علي ـ التي كانت في نهاية الأمر تؤدي بالضرورة إلى زعزعة كيان الدولة العثمانية ـ أهدافاً ذات صلة بالمخططات الاستعمارية ؟ □

هراج ساهاكيان





التراث العربي ما هو ؟

● يقول الدكتور عبد الحميد يونس : « التراث العربي هو مجموع ماورثناه ، أو أورثتنا إياه أمتنا من الخبرات والانجازات الأدبية والفنية والعلمية ، ابتداء من أعرق عصورها إيغالا في التاريخ ، حتى أعلى ذروة بلغتها في تقدمها الحضاري .

فالتراث على هذا هو تاريخ الأمة السياسي والاجتماعي ، والنظم الاقتصادية والقانونية التي شرعتها ، ومجموع خبراتها الأدبية ومنجزاتها في الطب والكيمياء والفلك والفيزياء ، وعلم الاجتماع ، وعلم النفس ، وفن التصوير ، والعمارة والتزيين ، يضاف الى هذا الخبرات المكتسبة عن طريق الممارسات اليومية ، والعلائق الاجتماعية التي كثيرا ما تصاغ في حكايات وخرافات وأمثال وحكم ومزح تجري على السنة الناس بأساليب تعبيرية متنوعة ، تعكس خبراتهم النفسية والوجدانية ، ونشاطاتهم التخيلية ، ومواقعهم الاجتماعية ، ومواقفهم السياسية » .

غموض الشعر الجديد

بقلم : سالم عباس خدارة

تواجه الحركة الشعرية الجديدة تساؤلات كثيرة حول ظاهرة بارزة ،
هي صعوبة وصول القصيدة إلى متلقيها
لما فيها من غموض سواء أكان المتلقي ناقداً أم قارئاً عادياً .
فما أسباب هذا الغموض ؟
وما علاقته باللغة والثقافة والحداثة ؟
وما ألوانه في الشعر الجديد ؟
هذا ما يتعرض له بالمناقشة هذا المقال !

أعلم بدءاً أني سأخوض بحراً متلاطم الأمواج ، تكاد الرؤية فيه أن تتلاشى ، لكني سأحاول قدر طاقتي عبوره بسفينتي المتواضعة ، وهي سفينة لن تكتشف الكثير ، لكنها ستحاول مواجهة الكثير .

فالحركة الشعرية الجديدة تواجه تساؤلات كثيرة حول ظاهرة بارزة فيها . هي صعوبة وصول القصيدة إلى متلقيها . نقول ظاهرة ، لأن ما أثير حول هذه القضية كثير ، ولأن الكثيرين ما زالوا يتساءلون شاكين ، سواء أكان الشاكي ناقداً أم قارئاً عادياً ، وربما نستطيع أن نصل الى شيء ما حول هذه القضية إذا استطاعت السطور التالية أن تجيب عن الأسئلة الآتية :

ما أسباب الغموض ؟
وما علاقته باللغة ، والحداثة ، والثقافة ؟
وما ألوانه في الشعر الجديد ؟

مفهوم الغموض :

نود قبل المضي في حوارنا حول هذه التساؤلات أن نقف قليلاً لبيان مفهوم الغموض ، وهو مفهوم لا يختلف في جوهره بين النقدين : القديم والحديث ، فكلاهما يرى أن اللغة الفنية يجب أن تتشح بمسحة من الغموض حتى تشتاق النفس إلى المراد ، وكلا الموقفين يميز بين الغموض الإيجابي والغموض السلبي .

يقول عبد القاهر الجرجاني : « ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالميزة أولى ، فكان موقعه من النفس أجل وألطف ، وكانت به أضن وأشغف » .

ويقول في موضع آخر مشيراً إلى المعاني الغامضة : « فإنك تعلم على كل حال أن هذا الضرب من المعاني

كاللؤلؤ في الصدف ، لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه ، وكالعزيز المتحجب ، لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه ، ثم ما كل فكر يهتدي إلى وجه الكشف عما اشتمل عليه ، ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول إليه » .

وهذا الوعي الدقيق لعملية الإبداع الفني هو الأساس الذي ينطلق منه كل متحدث حول مفهوم الغموض ، فالغموض صفة تلازم الإبداع الفني الأصيل ، لكن هذا المستوى من الغموض الذي دعا اليه عبد القاهر يتصل بمفهوم الشعر في تلك العصور ، حيث كان معظمه يميل نحو الوضوح ، ومن ثم فإن مستوى الغموض سيتأثر بتغير مفهوم الشعر ، إذ كان الشعر التقليدي في مفهومه العام رسماً لنسق الوجود كما هو موجود ، نسق الوجود في بناه الاجتماعية والثقافية والسياسية وهو نسق كان واضح المعالم ، محدد القسمات ، ولم يكن الشاعر يتجاوز هذا النسق إلا نادراً ، وكان يواجه في تجاوزه النادر هذا بهجوم عنيف ، كما حدث في حالات مثل أبي نواس ، وأبي تمام والمتنبي . أما الشعر الجديد فإنه في حالة توتر دائم ، لأنه في حالة تجاوز دائم ، بحكم العصر الذي يحياه ، وهو عصر كشف الكثير ولم يعد المكشوف يثير شوقاً إلى كشف جديد ، وهكذا يستمر الشوق المتوتر في اكتناه المجهول . فالشاعر الجديد كما يقولون « ينظر إلى الأشياء قبل وقوعها وكأنه يتنبأ بها ، ولا يرى الوجود كما هو ، بل كما ينبغي أن يكون » .

أسباب الغموض :

ومن هنا كان الموقف الجمالي مختلفاً ، وهو موقف يستدعي الغموض إلى ساحته في الشعر الجديد ، لأن الموقف الأول يرى الفن وفق ظروفه التاريخية تقليداً ومحاكاة ، أما الثاني فيراه حدساً ورؤيا . وهذا يعني أن الفن ـ ومنه الشعر ـ قد انتقل من مجال إلى آخر ، من مجال واضح المعالم يسيطر عليه العقل والمنطق في الدرجة الأولى ، إلى مجال غائم يهيمن عليه الإحساس والخيال تحت مظلة الرؤيا المتوترة للكون والحياة .

فغموض الشعر يرجع في المقام الأول إلى هذا السبب ، أي تغير مفهوم الشعر من القديم إلى الحديث ، لكن هناك أسباباً أخرى ذكرها الباحثون نستطيع حصرها في الآتي :

١ ـ اعتماد الشاعر على ثقافته أكثر من تجاربه المباشرة .

٢ ـ التجريب المستمر بدافع الحداثة .

٣ ـ التخلف الثقافي للمتلقي .

٤ ـ ارتداء الرمزية العميقة خوفاً من سيف الواقع .

٥ ـ التركيز التعبيري الشديد : فالشاعر الحديث « حائر بين نوازع كثيرة ، لم يستطع أن يحدد موقفه تجاهها ، ومن هنا يجد نفسه سعيداً كل السعادة إذا استطاع أن يشكل في بضع جمل صورة ، يمكن أن تتمثل فيها تلك الأزمة . لا بد له إذن من التركيز الشديد . وهذا التركيز يؤدي بكثافة إلى لون من الغموض .

٦ ـ اللجوء الى التجريد : وهو ينشأ من حيرة الشاعر بين الذات والمجموع ، فيلجأ إلى خلق عالم مستقل له علاقاته الداخلية المغايرة لما هو خارجي ، ومن ثم يحمل هذا العالم مضامينه ولغته المصادمتين لوعي المتلقي ، الذي يقع في حيرة التأويل والتفسير .

٧ ـ التقليد الفج للنتاج الأجنبي : وقد أسهب النقاد في بيان ملامح الآثار السلبية للشعراء الأجانب في شعراء الحداثة العربية ، بما يجعل ذكرنا لهذه الآثار ـ ومنها اللجوء للغموض ـ نافلة من القول ، لكن لا بأس من الإشارة إلى أن تأثر شعرائنا بالاتجاهات الأدبية في أوروبا وبخاصة ما دعا له الرمزيون من تراسل الحواس ، ومزج المتناقضات ، وما روج له السرياليون من الصور الشعرية القائمة على أسس التداعي الحر لمعطيات الشعور في غياب أية رقابة من العقل أو المنطق ، قد أدى إلى الغموض .

٨ ـ ضعف الأداة الفنية : وهو سبب لا نراه وجيهاً ، لأن هذه الظاهرة يجب أن يحكم عليها من

خلال المتميزين من الشعراء ، وشعراء الغموض الذين نعنيهم شعراء متمكنون ، فإذا كان في شعر أدونيس غموض فإن لغته النقدية تكشف عن آفاقها الرحبة ، ويبدو أن حظ إبداعه بالنسبة لنقده ، كحظ إبداع مدرسة الديوان بالنسبة لنقدها مع الفارق بين الاثنين .

والآن سنقف عند بعض هذه الأسباب من خلال طرح علاقة الغموض بكل من : اللغة والحداثة والثقافة ، وهي مصطلحات ذات علاقات حميمة فيما بينها .

الغموض واللغة :

يقول أدونيس : « لا يمكن أن نخلق ثقافة عربية ثورية إلا بلغة ثورية » وهو يعني « بثورية اللغة » أن تصبح الكلمة وبالتالي الكتابة ، قوة إبداع وتغيير ؛ تضع العربي في مناخ البحث والتساؤل والتطلع » . ونحن نرجو أن تؤدي لغة أدونيس وزملائه إلى البحث والتساؤل والتطلع ، لكن الواقع يكشف أن هذه اللغة لم تؤد في مجال الإبداع إلا إلى الحيرة والعجز والتراجع ، ومن ثم أدت إلى نتيجة معاكسة تماماً ، وهي ازدياد يقين المتلقي بموروثه ، وارتيابه في الإبداع الشعري الجديد .

واللغة في واقعها الاجتماعي أداة اتصال بين الناس ، لكنها في واقعها الفني أداة اتصال وتأثير ، فإذا فقدت اللغة الفنية وظيفة الاتصال ، فان وظيفة التأثير ستتلاشى ، ومن هنا يفقد العمل الفني وجوده في وجدان المتلقي . واللغة في الشعر هي الشعر ، فإذا كان الشاعر القديم قد ترك لغته مفتوحة غالباً لضرورة البيان والإخبار وفق ما تقتضيه طبيعة تلك الحياة ، فإن الشاعر الحديث قد أغلق لغته من هذا الجانب ، لأنه لم تعد ضرورة لوظيفة البيان والإخبار ، فالوسائل الأخرى تقوم بذلك خير قيام . وإذا كانت اللغة الشعرية لدى التقليديين من القدماء والمعاصرين شكلاً للمضمون ووعاء للتجربة ، فإن اللغة الشعرية في القصيدة الجديدة كما يرى أحد النقاد تفارق « مفهوم الوعاء أو الظرف الذي يحتوي التجربة ، إذ تصبح التجربة نفسها فعلاً لغوياً ينبني أثناء عملية الصنع » . ومن ثم فاللغة في الشعر الجديد من هذا المنطلق تختلف اختلافاً واضحاً عن اللغة في الشعر التقليدي ، فهي تتحول من مجرد وسيلة في الأداء إلى لبنة من لبنات الدلالة في النص ، قيمتها فيما توحي به لا فيما تخبر به اخباراً ، وفيما تولده في النص من أوضاع جديدة ، لا فيما توضع له في الأصل . والواقع أن هذه اللغة الجديدة التي تولد في النص أوضاعاً جديدة ، هي لغة على الرغم من إيجابيتها ، فإنها من خلال عملية الإبداع المفتعل لدى بعضهم ، أدت إلى سلبية التعمية والإبهام .

فكل شاعر منكفيء على ذاته يخترع دواله الشعرية ليمتاز عن غيره من الشعراء .

والحقيقة أن الذاتية حاضرة بقوة في عملية الإبداع الفني ، لكن الإغراق في افتعال لغة ذاتية يصدم المتلقي ، فيسقط في الحيرة واضطراب الرؤى .

الغموض والحداثة :

كان النزوع إلى إبداع الجديد ، يخلق في فترات من التاريخ صعوبة في التوصيل ، فقد صادف الشعر العربي منذ قدوم بشار وأبي نواس وأبي تمام والمتنبي هذا الأمر ، إلا أن صعوبة التوصيل قد بدت ملامحها تظهر على نحو جلي في شعر أبي تمام والمتنبي . ولعلنا في هذا المجال نذكر عبارة أبي تمام المشهورة عندما سئل : لماذا لا تقول ما يفهم ؟ فأجاب : لماذا لا تفهمون ما يقال ؟ هذه الإجابة تحمل في طياتها أن المبدع مدرك تماماً لما يقوم به ، لكن المتلقي هو الذي لا يحاول تجاوز ذاكرته الشعرية ، فهو يطلب سماع ما اعتاد على سماعه ، على أن هذه العبارة لا يجب أن تؤخذ على علاتها لتسوغ للشعراء الجدد ما يقومون به من عبث تحت وطأة نزعاتهم الحداثية . إن مقولة أبي تمام يجب أن توضع في إطارها الصحيح ، وهو أن معظم شعر أبي تمام مفهوم لدى المتلقين في عصره ، ولم تكن قضية فهم شعره أو شعر المتنبي تشكل ظاهرة كالتي نعاني منها ، ذلك أن الغموض كان جزئياً ، أي يرد في أبيات قليلة . كانت محل إثارة ، وكد ذهن ،

ومجالاً لمثل تلك التساؤلات .

والحداثة في الشعر-كما جاء على لسان أحد الشعراء الحداثيين-هي التوكيد على أولية التعبير ، أعني أن طريقة أو كيفية القول أكثر أهمية من الشيء المقول ، وأن شعرية القصيدة أو فنيتها هي في بنيتها لا في وظيفتها ، وهذا القول يحمل في ثناياه التأكيد على وظيفة الشكل في الشعر دون وظيفة المضمون ، مع أخذنا في الاعتبار أن الشكل والمضمون وجهان لعملة واحدة هي البناء الشعري . وهذا الإهمال المبطن للمضمون ، يعني مجيئه كيفما يطرحه البناء الجمالي للنص ، ومن ثم يأتي الشكل التعبيري متأنقا ، وتظل الحيرة في كيفية النفاذ إلى المضمون ، حيث تتمخض القراءة في أغلب الأحيان عن رؤية تتصادم في منطقها مع منطق العلاقات الواقعية . ولعل هذا التكلف في العناية بشكل الشعر أدى إلى ضبابية المضمون وتشكله المريب . والعناية بالشكل تحت دافع الحداثة أمر لا غبار عليه ، لكن بشرط أن تكون العلاقة بين الشكل والمضمون علاقة ناجحة ، يؤكد نجاحها وصولها إلى المتلقي ، وهو وصول يؤكد من زاوية أخرى مدى وعي الشاعر بالحداثة من هذا المنطلق .

إن إلحاح الشعراء على التجريب المستمر والميل إلى غموض المعنى في الغالب ، هو الذي دفع أحد الباحثين إلى أن يقول : إن من مظاهر الحداثة في الأدب الغموض في الشعر ، أي أن الغموض مقصود في التجربة الشعرية الجديدة ، بفعل الرغبة في الحداثة ، وأن ما ليس غامضاً ليس حديثاً وفق هذه المقولة . والحقيقة أن الحداثة بمعنى التجاوز المستمر نحو التجديد ، من خلال رفض الأشكال والرؤى الموروثة أو المطروحة قبل التجاوز ، أمر يدفع له العصر الذي نعيشه ، وهو عصر يختصر القرون في لحظات ، وهذا ما لا يختلف عليه عاقلان ، لكن الذي حدث ويحدث كثيراً في نتاج التجربة الجديدة يخالف مفهوم الحداثة الحقيقي ، الحداثة المنطلقة من واقعها ، والمتجاوزة له ، لأن التجاوز فيها آت من الخارج ، من مناخ غريب اللون والطعم والرائحة ، من مناخ القصيدة الانجليزية أو الفرنسية أو الأمريكية ، وهي مناخات تحمل رؤى إنسان تلك البيئات ، رؤى تختلف عن رؤى الإنسان في بيئاتنا . وصحيح أن العالم قد أصبح قرية صغيرة كما يقولون ، والتراث الإنساني مشاع لبني الإنسان ، وأن لنا يدا في صنع الحضارة الحديثة كما يرى يوسف الخال ، لكن تبقى هناك خصوصيات لا يمكن تجاوزها بسهولة ، خصوصيات كل مجتمع له تراثه وثقافته وحضارته ، مهما كان مستوى هذا التراث وهذه الثقافة وتلك الحضارة ، وهي أمور يجب وضعها في الاعتبار خلال عملية الامتياح من منابع الآخرين ، وقد غفل شعراء الحداثة عن هذه الأمور أو تغافلوا عنها أثناء عملية التسابق المحموم لاكتشاف ما هو جديد وحديث .

الغموض والثقافة :

لهذه القضية طرفان ، المبدع والمتلقي .

الطرف الأول : المبدع :

يرى بعض النقاد أن من أسباب الغموض اعتماد الشاعر الجديد على ثقافته أكثر من اعتماده على تجاربه المباشرة ، فهو ذو ثقافة موسوعية ، لا يستمد مادته من التاريخ أو من الأعمال الأدبية السابقة فحسب ، بل كثيرا ما يستمد من ثقافته العلمية أضعاف ما يستمده من ثقافته الأدبية . ولعنا نلمس هذا الأمر بوضوح من خلال القصائد التي تعول على الأسطورة ، أو التي تحشد فيها الأساطير حشدا يضع المتلقي أمام امتحان عسير نادراً ما ينجح فيه . ونحن هنا لا نريد أن نغض الطرف عن أثر الثقافة في الشاعر والشعر ، إنما نريد الكشف عن أسباب الغموض في القصيدة الجديدة ، فلا شعر بغير ثقافة ، لكن بشرط هو ألا تستخدم هذه الثقافة على نحو تصبح فيه جداراً لا يستطيع المتلقي النفاذ منه أو تسلقه . وهنا إشارة لا بد منها ، وهي أن تجارب الشاعر لا تعني رصده لواقعه أو اكتناهه لعلاقاته الجوهرية فحسب ، وإنما ترتبط تجاربه أيضاً بالروافد الثقافية التي أخذ منها ، ومن ثم فإن ثقافة الشاعر تشكل جانباً مهماً من تجربته ، بل ربما تشكل هذه التجربة إذا ما التحم

الشاعر باتجاه ايديولوجي معين ، لكن ما يؤخذ على الشاعر هو أن تؤدي هذه الثقافة نفسها إلى انفصاله عن المتلقي ، لأن الثقافة المؤدية للغموض الشعري هي تلك الثقافة المنفصلة فصلاً تاماً عن رؤية الواقع ، وهذا هو الإسراف الذي أدى الى هذه السلبية ، ومن جانب آخر ، فإن اعتماد الشاعر على ثقافته المؤدية إلى الغموض يصطدم بمقولة الالتزام ، فأين التزام الشاعر إذا كان ما بينه وبين المتلقي كما بين المشرق والمغرب ؟ اللهم إلا اذا كان التزاماً بينه وبين نفر من النقاد يكتب لهم ، أو التزاماً بينه وبين نفسه على أسوأ الأحوال .

الطرف الثاني : المتلقي :

كثيراً ما يتهم الشعراء الغامضون أو النقاد المساندون لهم المتلقي العربي بقصور ثقافته بل بتخلفه . يقول أحدهم : « إن في مقدمة عوامل أزمة القصيدة الجديدة ، هذا التخلف الهائل الذي يعاني منه الجمهور العربي وجهله عن استيعاب أبسط شروط الفن والأدب ، فالأمية والقهر الاجتماعي والسياسي وغياب المؤسسات الاجتماعية والديمقراطية قد حكم عليه بأن يظل أسير تخلفه ، وجعله بعيداً عن التفاعل والانفعال مع أي جديد يرمي إلى تجاوز التخلف الحضاري ومواجهته » .

ومن ثم نلحظ هوةً واسعة بين الطرفين ، فالطرف الأول ـ الشاعر ـ يعتمد على ثقافته الواسعة ، بينما يعول الطرف الآخر على تخلفه أو على ثقافته المحدودة في حالة حسن الظن . هذا ما يراه المبدعون والمساندون لهم في حركة الشعر الجديد . ولعل الذي يزيد من اتساع الشقة بين الطرفين هو هذه الحركة النقدية المساندة لهذا الشعر الجديد ، فهي ـ في الغالب ـ بدل أن تيسر صعباً أو تصنع جسراً بين المبدع والمتلقي ، إذا بها تزيد الأمر سوءاً من خلال نقد يتسم هو الآخر بالغموض ، بل ويطالب الشعراء به ، ولنستمع إلى أحدهم وهو يمدح الشعر الذي يتحدى الناقد ، فكيف القارىء ؟ يقول : « فهذا النوع من الشعر ، الجدير وحده بلقب الشعر ، وهو الشعر ـ الكشف ، الشعر ـ الرؤيا ، الشعر ـ الإضاءة . وهو الشعر الذي ينطوي على شيفرة شعرية خاصة ومتميزة ، تطرح على الناقد تحدياً أساسياً هو تحدي فك رموز هذه الشيفرة الشعرية المعقدة » .

وإذا كنا نسلم بشيء من اتهام هؤلاء لجماهيرهم ، فإن هذا الاتهام لا يسهل تسويقه إذا ما حوصر بمثل هذه التساؤلات .

لماذا يشكو الجمهور الغربي من غموض الشعر الحديث ؟

هل هو جمهور متخلف أيضاً ؟

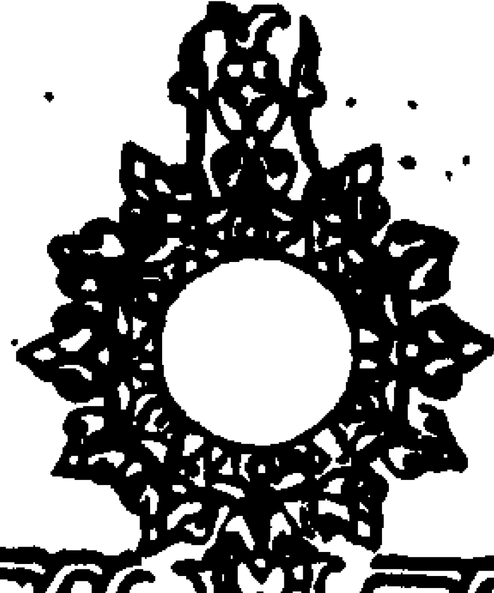
لا أظن أن حداثيا سيقول إن الجمهور الفرنسي جمهور متخلف . إذن لماذا غيَّر شاعر كبير مثل أراجون موقفه من الغموض . فقد خدع هذا الشاعر في حياته بتيار الغموض الذي جرف شعراء فرنسا بين الحربين العالميتين ، لكنه ما لبث أن التصق بشعبه ، فصفع السريالية صفعة قاسية . وكانت زوجته تنصحه بالبساطة والوضوح حتى يصل صوته إلى الجميع .

الخلاصـــة :

إن النقد الذي أبدعه شعراء الغموض كان نقداً واعياً في أطروحاته الفنية المختلفة ، لكنه لم يستطع في مجال الإبداع من مجاراته ، فقد تاهت السبل بالشعراء في هذا المجال ، فلهثوا تارة وراء الاقتراب من المعاصرة من خلال تقليد القصيدة الأمريكية أو الانجليزية ، كما لهثوا تارة أخرى تحت اسم الجديد وراء الاشتغال بإيجاد مرتكز فكري يحاور الأفكار ، وليس وراء الوقائع والأحداث .

وبعـــد ،

فليس صحيحاً كل ما يتكيء عليه التقليديون ، وليس صحيحاً كل ما ينادي به الحداثيون ، والصحيح الذي نراه هو النزوع إلى الجديد من خلال استيعاب الماضي والحاضر ، وتجاوزهما ، والتجريب المنضبط ، والتغريب المفيد ، مع مساندة حركة نقدية فاعلة ، لا تصفق بحمق ، ولا تخشى الاتهام □



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا ، إنّا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) سورة الانسان ٨ ـ ١٠

عن أبي عباس : أجَّر علي بن أبي طالب نفسه نوبة يسقي نخلا بشيء من شعير ، فلما قبض الشعير طحن ثلثه وجعل منه شيئا ليأكله فلما تم انضاجه حتى أتى مسكين فأخرج اليه الطعام . ثم طحن الثلث الثاني ، فلما تم انضاجه أتى يتيم فسأل فاطعمه ، ثم عمل الثلث الباقي فلما تم انضاجه أتى أسيرا من المشركين فاطعمه ، وقضى يومه ذلك هو وأهله دون طعام ، فانزلت فيه هذه الآيات .

وقريب من هذا المعنى قوله تعالى في سورة الحشر (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) قال عبدالله بن عمر : أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاه . فقال : ان أخي فلانا وعياله أحوج الى هذا منا . فبعث بالرأس اليه ، فاذا به يرسله الى ثالث يرى أنه أحوج اليه منه . فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداولها سبعة ثم رجعت الى الأول ، فنزلت هذه الآية .

كان الناس في الجاهلية يطعمون الطعام ويكرمون الغرباء ، وربما كان بعضهم يؤثر الأضياف على نفسه ولو كان به خصاصة . غير أن الحافز عندهم على الجود غير حافزه في الاسلام . فأساسه في الجاهلية كان التقاليد القبلية ، ومقتضيات البيئة الصحراوية ، وكراهة أن توصم القبيلة أو يوصم الفرد منها بالدناءة والبخل ، والحرص على طيب السمعة وعلى أن تتحدث بجودهم الركبان . أما الشفقة ومشاعر التضامن الاجتماعي والرغبة في رفع الظلم وازالة البؤس ، والخوف من « يوم عبوس » فاعتبارات ما كانت لتخطر بأذهانهم ، ولا هي بالتي نجد لها أثرا في قصائد الشعراء الجاهليين ممن فخروا بجودهم ، أو أثنوا على جود غيرهم . وما كان المساكين واليتامى والأسرى بأولى الناس عندهم بأن تمد لهم يد العون ، وبأن يحظوا بثمرات الجود . وانما كان أولاهم من توسم فيه المحسن القدرة على رد الجميل ، والاسهام في اعلاء الصيت وذيوعه .

ثم جاءت الآيات القرآنية التي نتحدث عنها تقر فضيلة الجود ، وتذكر في الوقت ذاته بواعث أخرى لها غير الرغبة في الجزاء والشكر ، وتحذر من مغبة تجاهلها . فإن كان في ظاهر الآيات حديث عن العلاقة بين أفراد ، فإن إعمال الفكر في معانيها السامية ، وامعان النظر في الحكمة المقصودة منها ، يقودانا الى القطع بأنها انما تنطبق على العلاقات بين الدول انطباقها على العلاقات بين الأفراد .

لقد تنبأ كارل ماركس في القرن الماضي بأنه من شأن النظام الرأسمالي ان يزيد الفجوة بين مستوى معيشة الأغنياء ومستوى معيشة الفقراء ، وان من شأن تزايد اتساع الفجوة بين الطبقات أن يعجل بثورة الكادحين . غير أن الواضح أن الكثير من النظم الرأسمالية (في أوروبا الغربية والولايات المتحدة) قد أمكنها في القرن العشرين أن تحبط نبوءة ماركس عن طريق العمل على تضييق هذه الفجوة بشتى الوسائل ، ورفع مستوى أفراد الطبقة العاملة فيها ، وتحقيق قدر معقول من العدالة الاجتماعية ينفي شبح الثورة ، ويبعد أسباب التوتر والسخط .

ومع ذلك ، فإن نبوءة ماركس بدأ يظهر صدقها واحتمال تحققها في مجال آخر ما كان هو نفسه ليتوقعه أو يحلم به ، الا وهو اتساع الفجوة بين مستوى المعيشة في الدول الغنية والدول الفقيرة مما ينذر الآن بأوخم العواقب في ميدان العلاقات الدولية . لقد تمكن عدد من الدول من تحقيق رفاهة في عيش شعوبها تصل أحيانا الى حد البذخ ، في الوقت الذي تتفاقم فيه المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في دول أخرى . وقد كان الفقراء في الماضي أقل إحساسا بفقرهم وأقل تبرما به وثورة عليه من فقراء يومنا هذا الذين باتوا يدركون جيدا ـ بفضل الاذاعة والصحافة والسينما ـ كيف يعيش غيرهم في الدول الغنية المتقدمة ، وما يتقلبون فيه من نعمة وترف . فالفجوة قد صارت واضحة لكل عين ترى واذن تسمع . ومع وضوحها زاد احساس الفقراء بفقرهم ، وضيقهم بوضعهم وثورتهم على واقعهم اذ يحرمون مما يرون غيرهم يستمتعون به . وقد نما عندهم من التطلعات والمطامح ما لم يعرفه أجدادهم ، وما ليس بوسع اقتصاد دولهم الفقيرة أن يُحققه لهم أو يُشبعه .

وبالتالي ، فقد غلب عليهم الشعور بالقهر والاحباط والسخط والمذلة ، وهي مشاعر كثيرا ما باتت تجد متنفسا لها في حروب أهلية ، أو حروب بين الدول المتخلفة ذاتها أو في أعمال عنف وتخريب ، أو في عمليات إرهابية تنفذ ضد مصالح الدول الغنية أو في أراضيها ذاتها وضد رعاياها .

وقد بدأت الدول الغنية تستشعر القلق ازاء هذه التطورات ، وتدرك أن أمنها ورغد عيشها لا يمكن الاطمئنان الى استمرارهما ما دامت هناك شعوب ودول خارج حدودها ، تغلب عليها مشاعر الحسد والاحباط والاحساس بالظلم والقهر . وقد يحسب رؤساؤها والسلطات فيها ان الخطر منحسر ان هي اتخذت الاجراءات القوية لمحاربة الارهاب ، أو عززت من حراسة مصالحها في الخارج ، أو حدت من دخول رعايا الدول الفقيرة اليها أو أبعدتهم عنها ، أو وحدت جهودها مع جهود غيرها من الدول الغنية لوضع حد لهذا الخطر المستفحل . غير ان الخطر ـ في اعتقادنا ـ سيظل ماثلا وقائما ما دامت المظالم ماثلة ، والفجوة بين الشعوب قائمة ، وما دام السعي الى تحقيق العدالة الاجتماعية في نطاق الأفراد والطبقات في الدولة الواحدة لم يتبعه السعي الى تحقيقها بين الدول كافة . □

قصة قصيرة



بقلم : برهان الخطيب *

أيقظه من النوم عين الحلم المزعج ، رأى نفسه بصحبة عدد من مشاهير الشرق الأغنياء ، جالسا في صالة منعزلة بمطعم « مكسيم » في باريس ، أو في لندن ، لايدري بالتحديد . وحول مائدة خالية إلا من صحون « البورسلان » النظيفة والملاعق والسكاكين الفضية،جلس في صمت مطبق بانتظار تقديم الطعام إليهم ، وحولهم (شمعدانات) متألقة بأنوارها أمام مرايا محيطة بهم . جاء الخدم بمهابة ، يحملون أواني كبيرة ، فوضعوا للجميع وجبة واحدة عجيبة : « براغي » ، ضخمة من تلك التي اشتراها قبل أيام ، طقطقت واستقرت في الصحون ، ثلاثة لكل واحد منهم ، وانتصب الخدم قريبا منهم بانتظار الاقبال عليها !

التفت الى أحدهم يستفسر ، فاكتفى هذا برفع ذقنه بتجهم ، كأنه يأمره : كل قبل أن تبرد براغي الحديد اللذيذة ، لكنه لا يستطيع تناولها . ولم يبق له سوى الطفو إلى اليقظة .

تلمس في النور الرمادي ساعته اليدوية على إفريز السرير ، ما زالت هناك ساعات طويلة حتى موعد إقلاع طائرته . ألهذا الحلم علاقة بالمشكل الذي

* كاتب وأديب من القطر العراقي

يجابه أم بالبرقية التي تلقاها قبل أسبوع ؟ ولما لم يستطع العودة إلى النوم نهض من فراشه محاذرا إيقاظ مريم وهي بجواره .

وأسند ذقنه على راحة يده . كان قد تعرف على مريم في حفلة أقامها أصدقاؤه بمناسبة عيد رأس السنة . وحول مائدة الدعوة لم يتجاهلها ولم تتجاهله . عيناها الكثيبتان الواسعتان أسرتاه ، وقد لاحظ الآخرون ذلك ، وشجعه أحدهم هامسا في أذنه قبيل منتصف الليل :

ـ هيا يا نبيل ، ما هذه الرسميات ؟ إن الأعياد نهاية لماض وبداية لمستقبل جديد .

وعندما دقت الساعة الثانية عشرة تقارعوا بالكؤوس ، وعلت الهتافات ، وعند ذلك تبادلا الابتسام لأول مرة وسط الضجيج ، لكن بابتسامة حزينة من كليهما ، ثم شاركت هي بعد الحاح أحدهم في الرقص الصاخب . كانت حركتها بطيئة لامبالية ، بينما نظرت إليه طويلا دون مواربة ، فرفع لها كأسه من مقعده في الزاوية-خافتة النور-محييا ، فأجابته برفيف رموشها الطويلة ممتنة ، ثم غرقا بعيدا عن بعضهما ، هي في الزحام ، وهو في دخان سجائر لم يكن يحب تدخينها .

ولما انسابت الموسيقا هادئة وجدها تقف أمامه بعينيها الكثيبتين وجمالها الغامض الباهر وقوامها المشوق الملفوف بفستان سهرة أسود :

ـ ألا تحب الرقص قليلا ؟

اهتز السائل في قدحه مضطربا وأجاب بنبرة موزونة مبتسما :

ـ إنني سمين كما ترين ، فإذا تحركت معك بدوت دبا مع مروضة في سيرك !

ونهض بصعوبة متلقيا يدها الممدودة إليه ، وتساءلت وهما يتمايلان بطيئا وسط الراقصين :

ـ غريب أن يكون رجل في مثل عمرك وحيدا في مناسبة كهذه !

ـ فرد بما كان يفكر فيه :

ـ الأغرب أن تكون فيها فتاة وحيدة بمثل جمالك !

رفعت وجهها بإيماءة جزع فيما تلامعت عيناها وهمهمت :

ـ في الأعياد يعود العشاق إلى زوجاتهم . .

واقترب إليها يطرد عنها وحشة :

ـ المتوحدون ينجذبون إلى بعضهم إذن ؟

قالت بأدب جم مشيرة برأسها إلى أصدقائه :

ـ هذا من تدبيرهم ، لكن لاتدعي الوحدة وعندك كالآخرين ثلاث زوجات في بلدك !

داعب أرنبة أنفه بقفا سبابته :

ـ المعذرة لكن هذا الانطباع عنا لم يعد عصريا على الأقل .

فرمقته من خلف خصلة شعرها بعذوبة :

ـ ما العصري إذن يافرويد هذا العصر البائس ، خبرني ؟

رفع حاجبيه دهشة :

ـ معلوماتك وافية ، لكننا نعاني اليوم من نفس أمراضكم .

هزت رأسها متأثرة ، أومستنكرة وعقبت :

ـ إن المرأة في هذه الحال أكثر إحساسا بالوحدة .

فضحك :

ـ مع هذه الصلعة والسمنة والطلاق يكون إحساس الرجل بها أقوى .

ـ لاتبخس نفسك ، أنت ممتلىء فقط ، والصلعة علامة ذكاء ، خذ مثلا أغلب العظماء ، أما الطلاق . .

سكتت ، وتسللت بينهما أنغام البيانو في جهاز الموسيقا بنعومة ينبوع .

وفي الشارع كان الثلج قد كف عن التساقط ، فاذا المدينة في ردائها الأبيض الناصع السميك ، والمصابيح في أشد لمعانها . تركا سيارته الصغيرة رابضة في مكانها ، ومضيا إلى البيت مشيا .

ولما أوصلها بعد أشهر إلى عملها ذات صباح ظلت غائمة الوجه طوال الطريق ، وكانت كآبتها قد فارقتها منذ مطلع العام ، فسألها عن حالها لكنها لم تجب بغير ابتسامة حزينة ، فأدرك ما تحاول اخفاءه عنه ، ومنذ ذلك الحين والأحلام الثقيلة والكوابيس تطارده . ألح عليه في البداية حلم عجيب آخر ،

يرى نفسه فيه طفلا قدم إلى بيروت بصحبة والدته للاصطياف ، يلعب على « الفيبرز » طويلا ، وحين يعود إلى الفندق يراها شعثاء الشعر تدخن في السرير العكش ، وعيناها الدامعتان شاخصتان في السقف . . حتى لم يعد يميز في النهار ما اذا كان ما يراه حلما حقا أو ذكرى عن حادثة وقعت فعلا وعلقت في ذهنه كبقعة قطران على رداء أبيض . فكر بالكتابة عن ذلك إلى والدته لتبدد عنه الأوهام ، لكنه خشي وقوع الرسالة بيد أبيه فيسوء التقدير والتدبير . يكفيه منه قطع المال عنه أشهرا عقابا على بقائه طويلا في الغربة ، ولولا مريم لجاع . ها قد تبدل الحلم القديم بآخر أثقل،كله « براغ » ضخمة ، منذ تسلم البرقية قبل فترة : « والدتك مريضة تود أن تراك » .

لعله كان سيضرب كل الأحلام بعرض الحائط لولا أنه ما جاء إلى هذا الصقيع البعيد إلا ليدرسها مع ما يدرس ، وليقع على منابعها وتأثيراتها سابقا ولاحقا في حياة كل واحد منا . والده أيضا دفعه إلى ذلك :

ـ هيا . . هيا يا نبيل ، سافر ، سوف تصبح عالم نفس يملأ ذكره الدنيا ، ما أكبرها حرفة ! تدر ذهبا في الغرب ، وعندنا تدر أكثر ، سوف نحتاج إلى أمثالك في المستقبل أكثر من المهندسين والأطباء . .

لعل مشكلته كانت تبدو هينة جدا لو عرضها آخر عليه . فهل هي المرة الأولى التي يسمع فيها عن حب رجل شرقي لامرأة لها ماض ، فلا هو قادر على الزواج بها كما يدعوه قلبه ، ولا الافتراق عنها كما تهيب به تقاليد الأجداد .

إنما المشكلة الآن في روحه ودمه ، في قلبه وعقله ، ولاسبيل إلى مهادنة . في معالجته لحادثة بيروت قاده استبطانه لوعيه إلى أن يجعلها كابوسا أو ذكرى حب ، وهو أمر حتمي لتوزع أهوائه شرقا وغربا ، فهو صراع بين قديم وجديد ينتصر فيه الأقوى لا الأفضل بالضرورة ! لكنما الأكثر دلالة أن يكتشف حقيقة ما ألح على ذهنه ، فإذا كان كابوسا حقا ، وانعكاسا مقلوبا عن الواقع ، فالماضي إذن سليم ، والعيش في هداه واجب ، أما اذا كان ذكرى فعلا ، أي صورة حقيقية للواقع ، فإن ماضيه في هذه الحال وهم مؤكد لابد من إنكاره ومشكلته بالتالي مع مريم وكل ما حوله عقدة حلها في يده . .

تثاءب على الوسادة مظللا عينيه بساعده ، كان يعرف أنه لن يجد الجواب عن سؤاله سوى عند والدته ، فكيف يفاتحها ؟ استبعد الرسالة ، فمكاشفة والدته عند زيارته للأهل أفضل لكن كيف ؟ كيف يخرق هالة القدسية المحيطة بها ، وينبش الماضي الذي ظن أنه مات ؟

وراح سابحا الى ضباب النسيان ، والسؤال يطارده ، ما قضية « البراغي » الضخمة التي عليه أن يأكلها قبل أن تبرد ؟ يكاد يشعر بصلابتها وثقلها منذ الآن في معدته ، عليه هضمها بحامض داخلي قوي ، أو لفظها الى الخارج تقيؤا . أتكون هذه « البراغي » حضارة عصرنا ؟ أوه ، كلا ، لقد بدا شأنه شأن بعض علماء النفس المهووسين بتهويل المشكلة وتحويلها من لقمة عشاء لم تكن سائغة إلى قضية اجتماعية مصيرية خطيرة . لكن الحلم تكرر ، وعليه في كل الأحوال أن يتأكد من أمر واحد على الأقل : بيروت كابوس أم ذكرى ؟ في ذلك مفتاح الحل كما يؤكد المنطق ، ولسوف يفعل ذلك بطريقة حصيفة لاتلحق أذى ، أجل ، سوف يسألها ولو على فراش المرض رأيها في زواجه بمن يحب دون اخفاء شيء ، فربما تباركه وربما يجد عندها تفسيرا للغز البراغي . كان الصمت مخيما في الشقة عندما استيقظ ، وكانت حقيبته تنتظره قرب الباب ، ومريم تنتظره في عملها لتوديعها وهو في طريقه إلى المطار ، والافطار جاهز هناك على المائدة في المطبخ .

مضى الى الحمام ملقيا نظرة عبر النافذة فرآه طافحا بسيول أمطار لايدري من أين أتت ، فتيقن أنه نام بعد حلمه المزعج ساعة أخرى أو ساعتين ، وتذكر أنه سمع قبل قليل رنين جرس وجلبة أقدام وصوت باب يفتح أو يغلق . .

وقادته خطاه إلى طاولة المطبخ ، فوجد عليها طبق « البراغي » الذي عرفه جيدا من قبل وبرقية جديدة تقول :

« إنا لله وإنا إليه راجعون » . □

الجديد في العلم والطب

إعداد : يوسف زعبلاوي

طريقة جديدة لتشخيص الجلطات وتصلب الشرايين

● هذا جهاز جديد يمكّن الأطباء من تشخيص حالات تصلب الشرايين وإنقاذ الكثيرين من هذه الآفة التي كثيرا ما تكون قاتلة ، والجهاز جهاز تصوير أولا وآخرا ولكنه يختلف كثيرا عن أجهزة التصوير القديمة .

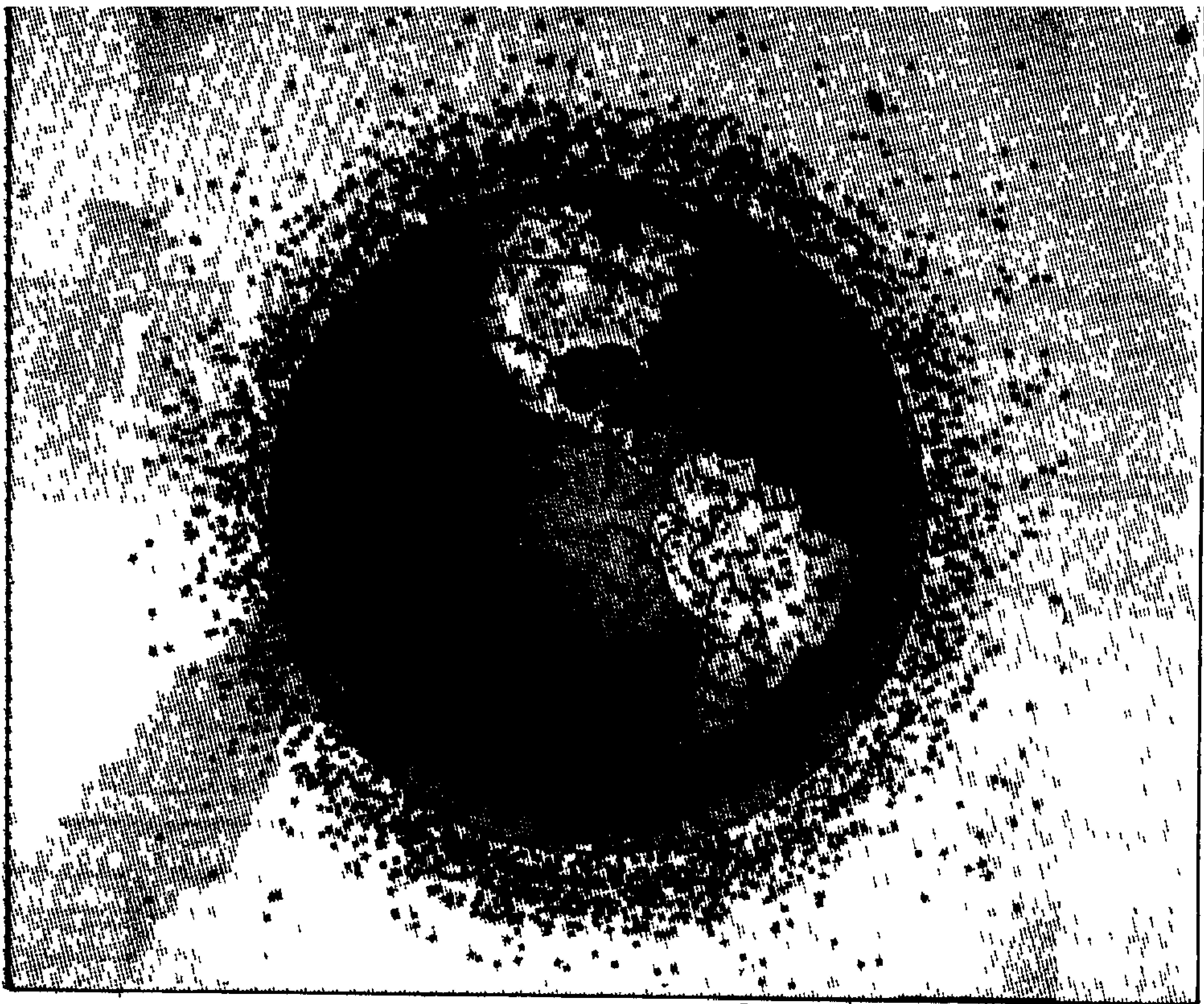
يسمونه QAD-1 ، ويتميز بأنه يحتوي على كمبيوتر ويرسم الخرائط ويلوّن ، وتصنعه احدى الشركات في ولاية واشنطن ، وأهم ما يذكر عن هذا الجهاز أنه يتيح للطبيب فرصة مشاهدة دم المريض وهو يجري في عروقه ، ويمكنه من تبيّن هذه العروق في الوقت نفسه وذلك على شاشة الجهاز ودون أي تأخير

أصف إلى ذلك أن الطبيب يرى الدم بلونه الأحمر المعروف ، ويرى الأنسجة بلون رمادي ، ويرى باللون الأزرق الجلطات التي قد تعترض سبيل الدم أو تسبب تغيرا ما في اندفاعه أو مسيرته ، ومعنى هذا أن الجهاز لا يصور فحسب ، ولكنه يشخص ويحدد العلة أيضا ، ولا يترك للطبيب أي مجال للاجتهاد أو التخمين ، بخلاف الأجهزة القديمة (duplex system) .

والجدير بالذكر أن الفضل في ابتكار الجهاز المذكور ، إنما يعود إلى شركة يابانية ، وفي الإمكان تطوير الجهاز بحيث يمكّن الطبيب من تشخيص السرطان ، والحزم فيها إذا كانت الأورام المشتبه بها خبيثة أم حميدة ، وكذلك تطويره بحيث يستطيع الطبيب تقييم مدى نجاح عمليات الزرع عامة وزرع الكلى خاصة ، ويبلغ ثمن الجهاز الواحد ١٢٥٠٠٠ ـ ١٧٥٠٠٠ دولار .

جهاز الدم وهو يجري في عروق المريض المصاب بتصلب الشرايين





مسودعات حرده في الفضاء

مستودعات خُـرْدة ... في الفضاء

● يسعى العلماء الأمريكيون وغيرهم ، إلى تحديد السبل وابتكار الوسائل الكفيلة بدراسة نفايات الفضاء وأخطارها ، دراسة شاملة مستوفية وذلك بقصد التمهيد للعمل من أجل القضاء على تلك النفايات ، أو على الأقل الحد من تفاقمها ، وتشمل هذه النفايات السابحة في الفضاء الخارجي والتي تدور حول الأرض كما تدور حول الأقمار الصناعية أقمارا صناعية تالفة ، مفاتيح ومقصات ، محركات صواريخ مستهلكة ، ناهيك بأجزاء وقطع الأقمار الصناعية التي انفجرت لسبب أو لآخر ، وعددها يزيد على ٩٠ قمرا واستطاع العلماء التأكد من أن بين تلك النفايات ما لا يقل عن (٧٠٠٠) قطعة بحجم كرة التنس أو يزيد

ولا يخفى ما تنطوي عليه (مزبلة الفضاء) هذه من مخاطر ، فهي لا تهدد الأقمار الصناعية فحسب ، ولكنها تشكل خطرا كبيرا أيضا على تلسكوب الفضاء الضخم الذي ستطلقه (ناسا) عما قريب ، وعلى مختبر الفضاء وكذلك على أسلحة حرب النجوم ، فهذه منشآت هامة بالغة التكاليف وذات قيمة علمية كبيرة ، ولا يجوز تعريضها لأي خطر ، ناهيك بخطر النفايات . وحسبك أن قطعة صغيرة من تلك النفايات بحجم حبة البازيلا كفيلة بتحطيم قمر صناعي بكامله اذا اصطدمت به ، وقد تبلغ كلفة هذا القمر ١٠٠ مليون دولار ، وهي على كل حال تعتبر تافهة لو قورنت بتكاليف تلسكوب الفضاء أو المختبر الفضائي أو أسلحة حرب النجوم

والرسم المرافق لهذا الكلام رسم واقعي وقد وضعه جهاز « الكمبيوتر » ، بناء على المعلومات التي غذّوه بها ، وهي تمثل النفايات التي تدور حول الأرض على ارتفاع منخفض نسبيا .

حــذار مــن السمــن البـلدي

● نشرت مجلة لانست الطبية العلمية البريطانية تقريرا هاما للدكتور « جاكوبسون » ، أحد كبار الاختصاصيين في مستشفى شنايدر للأطفال في بلدة نيوهايدبارك في ولاية نيويورك .

ويؤكد العالم المذكور أن تناول السمن أو الزبد الحيواني (Ghee) باستمرار يعرّض المرء للإصابة بمرض القلب ، ذلك أن الدهن المذكور يحتوي على أكاسيد الكولسترول ، وهي الأكاسيد التي تتكون في الأطعمة التي تحتوي على الكولسترول فيما إذا حفظت هذه الأطعمة لمدة من الزمن بعد اعدادها ، وهي قادرة على التسبب بانسداد الشرايين .

وتدل التجارب والفحوص التي أجراها الدكتور « جاكوبسون » على جماعات من الهنود المهاجرين المقيمين في لندن وفي جزر الهند الغربية على ارتفاع نسبة الذين يصابون بتصلب الشرايين بين اولئك المهاجرين ، وارتفاع نسبة الذين يموتون بسبب مرض التصلب .

ويشير الدكتور « جاكوبسون » الى أن الزبد الحيواني يدخل في صناعة كثير من المأكولات الهندية ، نذكر منها على سبيل المثال الكاري وهي مأكولات لا غنى للهنود عنها حيثما كانوا .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

استنشـــــاق الانســــولين

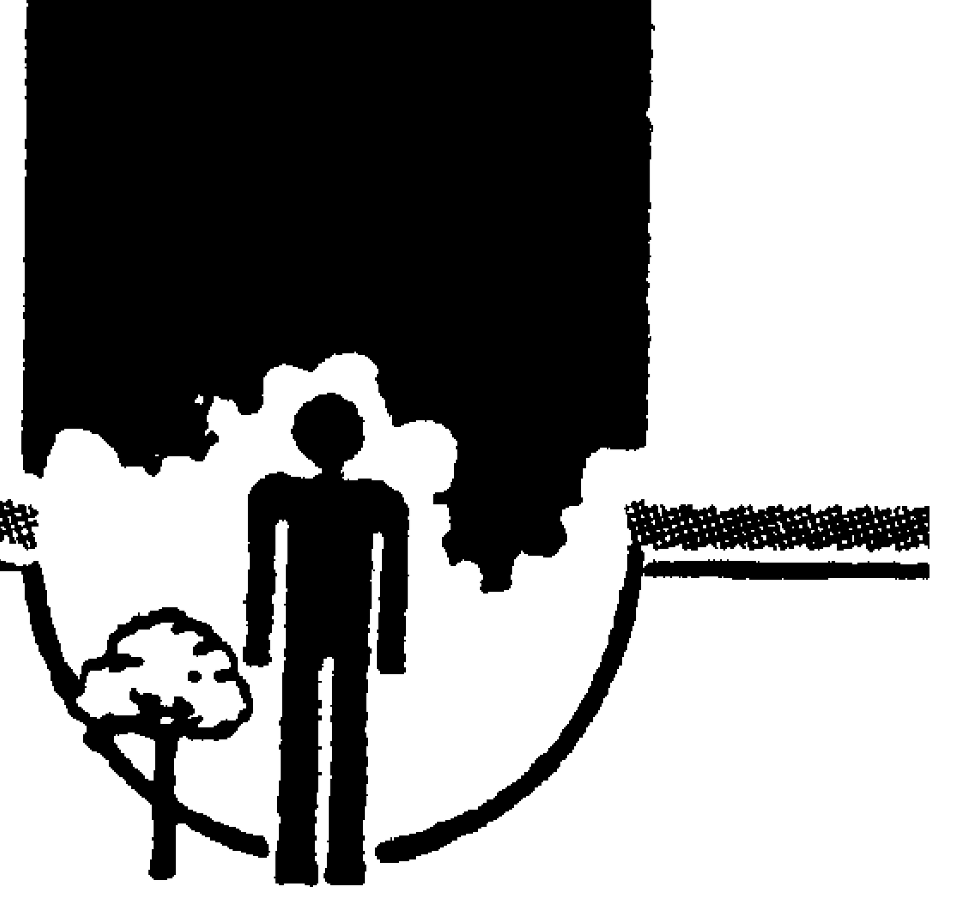
نجحت مؤسسة الأبحاث الطبية في بوسطن في تطوير أداة تمكن مرضى السكر من تناول الانسولين استنشاقا بالأنف ، لا حقناً في العضلات . وقد استغرقت أعمال التطوير هذه خمس سنوات ، لكنها تكللت بالانجاز الذي طالما تطلع إليه العلماء ، وسعى إلى تحقيقه التقنيون ، منذ العشرينيات من هذا القرن

ذلك أن الكثيرين يتذمرون من حقن الانسولين في أجسامهم ، حتى لو كانوا هم الذين يجرون هذا الحقن بأنفسهم .

فالأسلوب الجديد لا يتطلب أكثر من استنشاق الانسولين من الانبوب الصغير الذي يحتوي على عدد محدود من الجرعات ، ويسمح باستنشاق الانسولين بضع مرات في اليوم ، وذلك قبل تناول الوجبات لو أمكن . وهو يضمن وصول الانسولين إلى الدم بسرعة لا تقل عن السرعة التي يصل بها إلى مجراه في حالة الحقن في العضلات ، ويضمن كذلك تنظيم مقاديره في الدم بمثل الاحكام الذي تضمنه حقن الانسولين في العضلات .

والسر في هذا الأسلوب الجديد يعود إلى المادة التي تضاف إلى الانسولين عند تعبئته في الأنابيب الصغيرة ، فهي التي تسمح للانسولين بالتغلغل إلى مجرى الدم ، عقب استنشاقه بالأنف .

وتتحفظ مؤسسة الأبحاث الطبية ، وتقول بأن هذا الأسلوب الجديد قد لا يفي بحاجة بعض مرضى السكر الذين قد يضطرون إلى حقن الانسولين مرة واحدة في الصباح ، بالاضافة إلى استنشاقه . هذا وقد تقدمت المؤسسة بطلب ترخيص الأسلوب الجديد من وكالة الغذاء والدواء . ■



سلامة البشرية في سلامة البيئة

أول اتفاقية بيئة شاملة

● أيقن العلماء لأول مرة في الصيف الماضي (٨٧) أن مظلة الأوزون الواقية آخذة بالتلف ، وأيقنوا أنّ تلفها يعزى ـ دون أدنى شك ـ إلى عدد من المواد الكيماوية التي اكتشفت عام ١٩٧٢ ، ثم دخلت في صناعة الثلاجات والمكيفات وصناعات أخرى عديدة . نذكر من هذه المواد الرغوة البلاستيكية والفلور وهايدر وكربونات ومواد التنظيف ، ونذكر عن طبقة الأوزون التي اخذت تتلف أنها مظلة ممتدة في الجو على ارتفاع (٦ ـ ٣٠) ميلا ، وأنها تقي الكائنات الحية التي تعيش على سطح الأرض من فائض الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء ، وهو فائض فتاك دون أدنى ريب .

ذلك أن ١٢٠ عالما أتوا من شتى بلدان العالم الى جنوب شيلي ، وأقاموا في بلدة « بونتا اريناس » في أقصى الجنوب ، خلال شهري أغسطس وسبتمبر الماضيين ١٩٨٧ م ، وذلك للقيام بدراسات مستفيضة لظاهرة تلف الأوزون التي ذكرنا ، وللتأكد من الأسباب التي أدت الى تلف مظلة الأوزون الواقية . وقد قام هؤلاء العلماء برحلات جوية علمية (٢٥ رحلة بالتحديد) في أجواء القطب الجنوبي ، وعلى ارتفاع ٤٠,٠٠٠ (على متن طائرة دي سي ٨) وعلى ارتفاع ٧٠,٠٠٠ قدم (على متن طائرة من صنع لوكهيد) شقيقة طائرة التجسس (u — 2) . ويذكر أن تكاليف هذه الرحلات والدراسات بلغت نحو ١٠ ملايين دولار ، دفعتها كلها الولايات المتحدة .

وقد أثبتت دراسات العلماء وأبحاثهم أن طبقة الأوزون آخذة في التناقص ، وأن متوسط نقص كثافتها قد بلغ ٧ ٪ ، وأن هذا التلف شامل لحزام الأوزون الذي يلف الكرة الأرضية كلها ولا يقتصر على منطقة القطب الجنوبي وحدها ، وأن تلف طبقة الاوزون في القطب الجنوبي يفوق تلفها في غيرها .

وغني عن البيان أن ثمة أخطارا جسيمة تترتب على هذا التلف اذا لم يوضع له حد، ومن هذه الأخطار انتشار سرطان الجلد. ومرض العيون (السد) cataracto وإضعاف جهاز المناعة ، وقد يؤدي تفاقم التلف إلى القضاء على الحياة بكل صورها وأشكالها .

إذن لا عجب إذا تم التوقيع على اتفاقية الأوزون الدولية (في مونتريال في شهر سبتمبر ٨٧) ، تلك الاتفاقية التي كانت موضع نقاش وجدل طوال السنوات الخمس الماضية والتي وقعتها ٢٣ دولة ، بالاضافة الى الولايات المتحدة ودول السوق الأوروبية المشتركة ، دون أي تردد ، بعد ظهور النتائج العلمية التقنية التي تمخضت عنها أبحاث العلماء الميدانية سالفة الذكر .

الأوزون واتفاقيته الأخيرة



تنص هذه الاتفاقية على الحد من انتاج الفلوروهيدروكربونات وأمثالها ، بمقدار النصف تدريجيا حتى نهاية القرن العشرين (١٩٩٩) .

بيد أن الاتفاقية استثنت الدول النامية ، فسمحت لها بالمضي في انتاج المواد المذكورة دون قيد أو شرط مدة عشر سنوات ، وذلك حرصا على مشاريع التنمية فيها ، كما سمحت للاتحاد السوفياتي بمواصلة إنتاجها حتى عام ١٩٩٠

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

بادرة طيبة لكنها لا تعفي من المسؤولية

تعتبر مادة بولي كلوريتتد بايفنل (P C B) من أخطر المواد الكيماوية الملوثة ، وقد أثبتت الدراسات أنها مادة مسرطنة ، اي تسبب السرطان ، وذلك قبل نحو عشر سنوات ، فعمدت وكالة البيئة في الولايات المتحدة الى حظرها .

ويبدو أن الرقابة المحكمة التي يتطلبها هذا الحظر لم تكن متوفرة في السنوات الماضية ، ذلك أن أحواضا كثيرة من مادة (P C B) قد ظهرت في ١٤ ولاية ، دون أن تدري سلطات البيئة عنها شيئا . والغريب أن الذي أخطرها بوجود هذه الأحواض لم يكن سوى الشركة المتهمة نفسها .

والشركة المذكورة هي شركة خطوط أنابيب الغاز الشرقية (تكساس) فهي التي تملك خطوط أنابيب الغاز التي تمتد من آبار تكساس الى نيوجرسي والتي يبلغ طولها نحو ١٠,٠٠٠ ميل ، وهي المسؤولة بالتالي عن تسرب مادة (P C B) من تلك الأنابيب ، وعن تجمعها في أحواض ، بعضها بمساحة مقدارها فدانان ، وبعمق مقداره ١٧ قدما ، وقد بلغ مجموعها ٨٩ حوضا .

حطوط أنابيب الغاز والتلوث الذي أحدثه

وقد أثبتت الفحوص والدراسات التي أجرتها وكالة البيئة أن تلوث التربة حول الأحواض المذكورة قد بلغ ٢٤٠ ضعف الحد الذي تسمح به الوكالة ، وان المادة المسرطنة تغلغلت في باطن الأرض ، وانتشرت حتى أصبحت قاب قوسين من مياه بعض الآبار المخصصة للشرب (٢٠٠ قدم فقط) . من هنا كان قرار الوكالة بتغريم الشركة مبلغ (١٥) مليون دولار ، وبإلزامها بالقيام بأعمال تنظيف شاملة للمواقع التسعة والثمانين التي ظهرت فيها الأحواض وهي أعمال تقدر تكاليفها بأكثر من ٤٠٠ مليون دولار . وستعمد الشركة الى التخلص من مادة (P C B) إما بحرقها في أفران خاصة عالية الحرارة ، أو بدفنها في المواقع التي تحددها لها الوكالة .

الخضرة
تغسل
قدميها
في
مياه
الخليج

الواجهة البحرية

إطلالة
جديدة
على
مياه
الخليج
العربي

استطلاع ريم الكيلاني



ارتفعت الجدران الاسمنتية على شاطىء الخليج وامتدت الطرق المرصوفة ، ووقفت اشجار النخيل وسط جزيرة خضراء وأصبح مشروع الواجهة البحرية حقيقة ملموسة تراها العين ، بل غدا معلما سياحيا يجتذب الناس اليه على مدار الساعة لقضاء أحلى الاوقات وأمتعها .

الراحة بين خضرة الاشجار وزرقة المياه حق لاينازع لكل من يقضي يومه بين العمل والمسئوليات ومشاغل الحياة المتعددة ، ولاشك ان وجود مكان مناسب للعائلة يروح فيه افرادها عن انفسهم يعني متنفسا تقضي فيه الاسرة يوم اجازتها بعيدا عن المنزل وخارج جدرانه . . هكذا كانت البداية فكان مشروع الواجهة البحرية .

لمشروع الواجهة البحرية في الكويت قصة بدأت في عام ١٩٧٥ ، حين وضعت بلدية الكويت المخطط الهيكلي للبلاد نصب عينيها ، في محاولة جادة لتجميل شاطىء الكويت على مسافة تمتد ٢١ كم تبدأ من منطقة الشويخ غربا وتنتهي برأس الارض شرقا ، حيث كان الشاطىء على امتداد هذه المسافة مجرد اكوام من الاتربة والصخور المختلطة بماء الشاطيء المكدر .

ضد الطرد السياحي

يقول السيد محمد السنعوسي رئيس مجلس ادارة شركة المشروعات السياحية : « كان مشروع الواجهة محاولة من بلدية الكويت ومن شركة المشروعات السياحية للحد من ظاهرة الطرد السياحي الى الخارج ، حيث ان معظم الناس يغادرون الكويت صيفا بسبب شدة الحرارة وطول فصل الصيف ، ونحن بالطبع لن نوقف هذه الظاهرة ، وخاصة أن الاحصائيات تؤكد ان ٧٠ ٪ من المواطنين والمقيمين الذين يغادرون الكويت في فصل الصيف يتجهون لقضاء اجازاتهم السنوية في اقطار عربية ، وان ٣٠ ٪ منهم يتجهون الى اوروبا وامريكا . »

ويضيف رئيس مجلس ادارة شركة المشروعات السياحية الكويتية .

« كنا نعلم تماما أننا نضع انفسنا امام تحد كبير ، لكن الواقع اثبت نجاحنا ، ولن اقول ان انجازنا قد حد من عملية السفر ، لكنني اقول انه قد وضع حدا لتفاقم ظاهرة الطرد السياحي ، فأصبح عدد المغادرين في فصل الصيف اقل مما كان عليه في السنوات الماضية » وبعرضه لهذه الفكرة كان محمد السنعوسي يقدم لنا دعوة ضمنية للقيام بجولة ميدانية في ارجاء المشروع الكبير نتعرف من خلالها على الواجهة البحرية واهم معالمها .

ومنذ البداية ادهشني هذا الجهد الكبير الذى بذل في التصميم والتنفيذ ، فلم يكن من السهل انشاء مشروع ضخم ، كالواجهه البحرية على شاطىء البحر برماله وصخوره دون تجهيز قدرات هائلة تحول ركامات الصخور والرمال إلى متنفس سياحي بهذا الحجم ، وكان لابد من عمل مضاعف ، حتى بدا لى ان ضخامة العمل كانت تمثل تحديا رئيسيا لاصحاب الفكرة . فقد كان هناك مايقرب من ٨٠٠ فنى يعملون في وقت واحد بالمشروع ، الى جانب جهاز اشراف كبير في عدده ومعداته ، وكان هذا يثير الفضول والرغبة في معرفة الكثير عن عمليات البناء خاصة اننا نرى المسافة الممتدة الى داخل البحر وقد اتسعت وازدادت جمالا . وقد احضرت كميات كبيرة من الرمال والصخور من امارة الفجيرة في دولة

الامارات العربية المتحدة لان تلك الصخور تتميز بالصفة البازلتية المقاومة للامواج والتاكل ، كما تم حفر نحو ٦٠٠ الف متر مكعب في البر والبحر وشملت عمليات الردم مليونين و ٣٥٠ الف متر مكعب ، حيث تم ردم مايتراوح بين ١٠ ـ ٣٥ مترا في المناطق الممتدة على طول الشاطىء اما الجزيرة الخضراء فقد كان واضحا انها حظيت بأكبر عملية ردم ، فهي تبعد عن اليابسة بمسافة ٣٥٠ مترا وتم ربطها بالشاطىء عن طريق ممر بري ردم بكامله الى جانب ٥٠٠ متر اخرى هي قطر الجزيرة

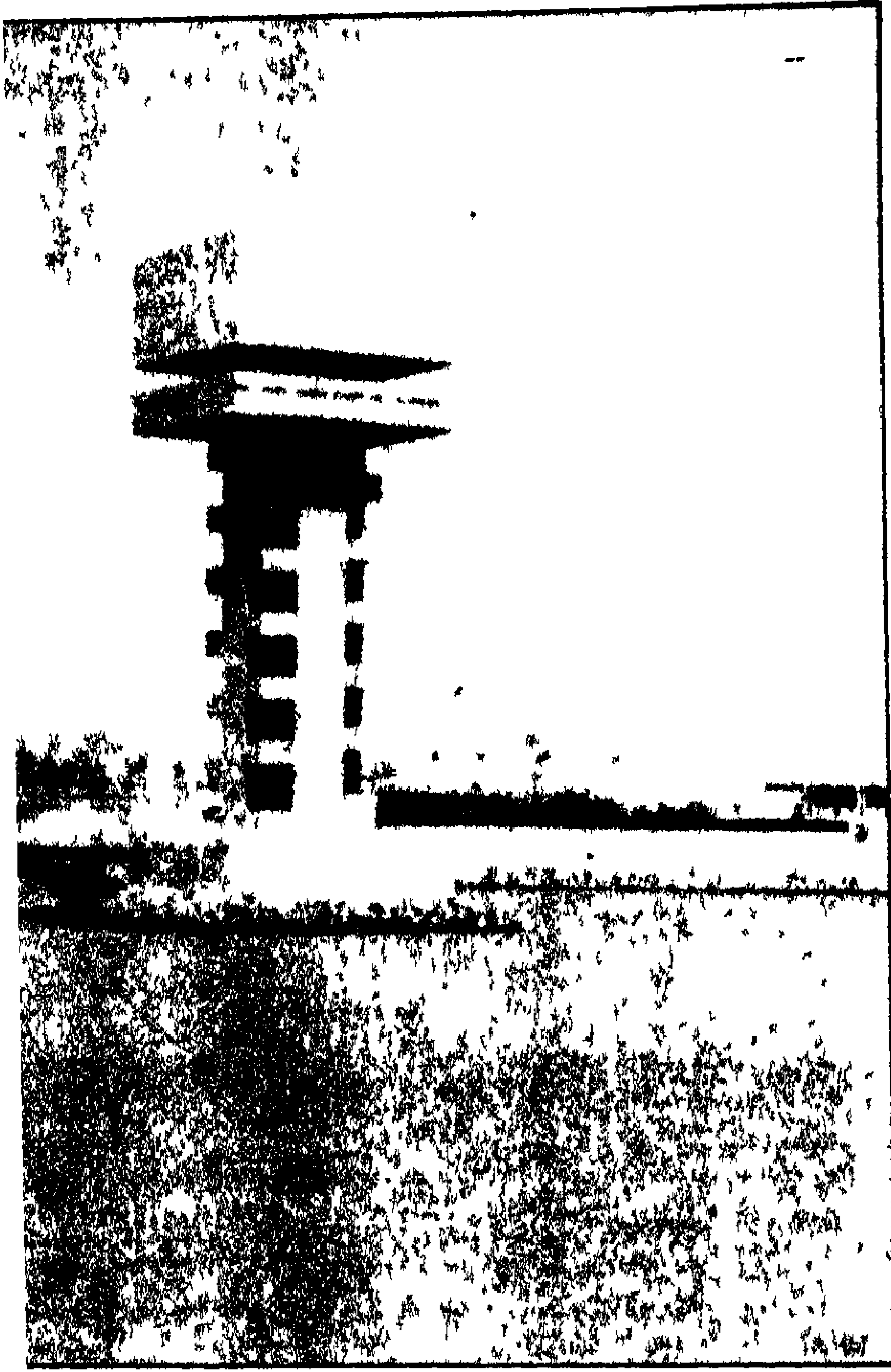
اصلاح ما أفسدته الرياح

كان الجو حارا والعجاج يملأ المكان ، وبالاضافة إلى التأثير الذي يخلقه هذا على سير العمل ونشاط المهندسين والفنيين فقد كانت الرياح الشديدة في بعض الاحيان تهدم مايقومون به من انجازات ، وقد اضطرت جماعة كانت تقف معنا لمغادرة المكان الى موقع اخر لاصلاح ما افسدته الرياح وقد لفتت انتباهي تلك الآلة الضخمة التي كانت تدق الصخور الموجودة في البحر حيث تشكل طبقة صخرية يتراوح سمكها بين مترين ومترين ونصف ، وقد جلبت هذه الالة خصيصا لاختراق هذه الطبقة الصلبة

وراودني شعور يتراوح بين الاعجاب والدهشة وأنا اتابع سير العمل في ذلك النفق الذي شق تحت شارع الخليج العربي لمد انابيب المياه وخطوط الكهرباء، حرصا من العاملين على حركة المرور ولصعوبة اغلاقه باعتباره شارعا رئيسيا في الكويت

وقد قامت بلدية الكويت المشرفة على عمليات بناء الواجهة البحرية ببناء مختبرات مزودة بأحدث المعدات لفحص الصخور البحرية والرمال وترددات المياه وكانت تلك المختبرات خير معين للمقاولين الذين كانوا يعملون في بناء الواجهة البحرية وقد وصلت تكاليف المشروع الى (٥١) مليون دينار كويتي اقتضاها التصميم والتنفيذ والاشراف

كانت تلك هي الزيارة الاولى للواجهة وهي



● برج المراقبة في الواجهة من اعلى سطح الصاعد ان ترى كل اجزاء هذا المشروع ، كما انه يستخدم عادة لرصد حركة السفن.

ماتزال مشروعا ، وكان لابد لنا من زيارة أخرى لنرى عن كثب ما أسفرت عنه كل هذه الجهود المبذولة

رائعا كان ذلك الشاطىء بحلته الجديدة ، وجميلا برماله ومياهه واضوائه واناسه الذين اجتذبهم اليه ليقضوا فيه وقتا ممتعا مع البحر الهادىء والرمال الناعمة

ينقسم المشروع الى خمس مراحل افتتح منها حتى الأن المرحلتان الاولى والثانية وتمتد المرحلة الاولى مسافة ستة كيلو مترات ، وتحتوي على الجزيرة الخضراء التي تبلغ مساحتها ١٦ هكتارا ويمكن الوصول اليها عن طريق ممر طوله ٢٥٠ مترا ،









الأسفل اسد
بعه بالساحه في
مياه الواجهه
البحريه



● مرسى اليخوت يتسع لحوالي ٣٦ قاربا طولها ٣٠ مترا تقريبا والمرسى مزود بكاسرات الأمواج للمحافظة على سلامة اليخوت ، وسهولة عملية الابحار والرسو

وتحتوي على مسرح مكشوف تقام عليه العروض المسرحية والاستعراضات ، كما سيتم استغلال المسرح كذلك لتقديم المحاضرات والندوات.

ويتسع المسرح لأربعمائة شخص ، وقد شعرنا بمدى المتعة التي يحس بها الزائرون مثلنا ونحن نجلس على هذا المسرح بالخليج العربي والبحيرة الصناعية الموجودة هناك وهما يشكلان خلفية رائعة تضفي على المكان جمالا فريدا.

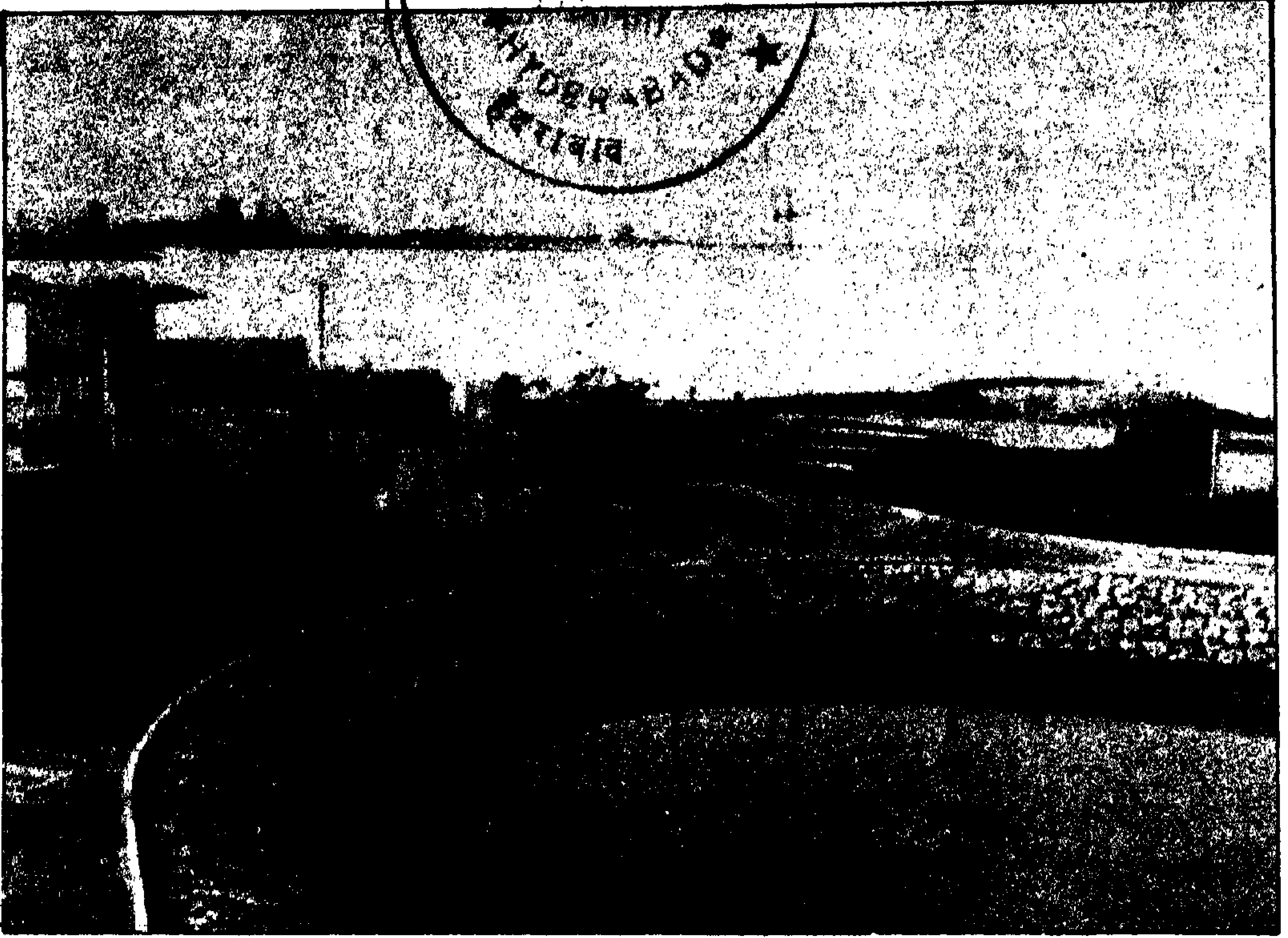
يوجد في الجزيرة الخضراء كذلك بحيرة صناعية ، وهي الى جانب ما تضفيه من منظر بديع على المكان ، فهي توفر امكانية ممارسة ركوب العجلة المائية ، وهي رياضة ممتعة ومحببة لقلوب الكبار والصغار ، وهناك ايضا القلعة التي خصصت للأطفال والعاب اخرى متنوعة الاشكال والاحجام.

كانت ضحكات الاطفال تتردد مع امواج البحر وهم يلهون ويمرحون ، وتبدو سعادة الامهات على ملامحهن وهن يراقبن اطفالهن وهم يلعبون بأمان تام. من اهم المرافق التي اقيمت في المرحلة الاولى كذلك مرسى اليخوت الذي يتسع لـ ٢٦٥ قاربا بطول ٣٠ مترا. كانت المياه في المرسى ساكنة هادئة ، وحين عبرت عن استغرابي لاختلاف حركة المياه عن الشاطىء بادر احد مهندسي المشروع الى القول « لقد وضعنا كاسرات للامواج في المرسى محافظة على سلامة اليخوت ، وسلامة عملية الابحار والرسو ، وتتكون هذه الكاسرات من صخور وقطع خرسانية ذات مواصفات خاصة من حيث الوزن والبعد والكثافة لابقاء المنطقة هادئة نسبيا. وبجانب المرسى يوجد ناد لليخوت ، خصص لاصحاب القوارب ، يضم مطعما ومركزا للتزود بالوقود للقوارب ، ومواقف خاصة للسيارات. لكن هذا ليس كل شيء فيما يتعلق بالتسهيلات الخاصة بالزوار.

فهناك ايضا مراكز خدمة ممتدة على طول الشاطىء ، تقدم المرطبات السريعة الى جانب غرف تبديل الملابس وغرف للاسعافات الاولية بالاضافة الى الهواتف والمرافق العامة الاخرى ، وتنتشر على طول الشاطىء خمسة احواض مكشوفة للسباحة ،

مقسمة الى حوض رئيسي واثنين للاطفال ، وواحد للمبتدئين ، وحوض خامس للغطس. وقد خصص مهبط لطائرات « الهليوكبتر » ليستعمل في الحالات الاضطرارية ، ومن المناظر الجميلة التي راقت لنا تلك الالسنة الصخرية الممتدة داخل البحر والتي تقف عليها جموع من الناس يقومون بصيد الاسماك ، ويشبعون هذه الهواية التي كانت ومازالت حبا يسري في عروقهم ، فالصيد كان يوما ما احد اسباب العيش في الكويت قديما.

وأتساءل عن سبب اختيار هذا المكان على الاخص لاقامة المشروع فيقول السيد محمد الفلاح نائب مدير شركة المشروعات السياحية. البحر هو المتنفس الوحيد والأهم لأهل الكويت ، وقد شمل التطور



● البحيرة الصناعية في الجزيرة الخضراء توفر للرواد إمكانية ممارسة ركوب العجلات المائية وهي رياضة محببة للصغار والكبار .

العمراني والنهضة الواسعة مناطق سكنية مختلفة وظل الساحل مهجوراً، وحين فكرنا بالمشروع حددنا هذه المساحة لتصبح منطقة جذب سياحي تسمح بارتياد المواطنين للتنزه والترويح عن النفس .

من أجلهم

قد يفاجأ كل من يسير في شارع الخليج العربي بالكثافة الزراعية الممتدة على طول الساحل ، وقد يدهش لنجاح الزراعة في هذه البلاد الصحراوية شديدة الحرارة . لكن الحقيقة انه قد تم اجراء عدد من الاختبارات والتجارب لانتقاء الصالح من الشتلات والنباتات والاشجار التي تتلاءم مع حرارة الصيف الملتهبة ، والتربة البحرية ، وقد اضفت الزراعة على المكان جمالا وجاذبية لاتقاوم .

ونعود لنتساءل : هل سيمنع هذا المشروع وغيره من المشاريع الترويحية عملية الطرد السياحي الى الخارج ؟

يقول السيد السنعوسي : « مشروع الواجهة البحرية لن يوقف السفر، لكنه سيقلل منه خاصة، وان هناك عروضا كثيرة متوافرة ومتنوعة للناس للتنزة تفي بالغرض وتحد من تكاليف السفر الباهظة ، ومن مخاوف المواطنين الامنية والاقتصادية التي قد يتعرضون لها في الخارج ، ولاشك ان النشاط الخليجي المشترك بين دول الخليج العربي سيعزز مشاريعنا الاستثمارية لما لها من مردود جيد على كل الاصعدة ، كما ان تعدد العروض وكثرتها سيزيد من الطلب بالتأكيد ، وان امالنا كبيرة واحلامنا حية ، ونحن لانريد ان نقلد احدا ، لكننا نسعى دائما الى الافضل .

مانزال نسير على الرمال الناعمة ومايزال نسيم البحر يداعب اوراق الاشجار وهناك عند الشاطىء



● إلى اليمين : المشي رياضة محببة ، والرصيف المشجر فوق الشاطىء يتيح الفرصة لكثير من الناس أشباع رغبتهم بالتنزه سيرا على الأقدام . وقد يفضل الأطفال ملازمة ذويهم وهم يركبون العجلات .



بعيدا عن عيون الناس يسبحون مختبئين في ظلال الصخور البازلتية المقاومة للأمواج والتآكل التي أحضرت خصيصا من إمارة الفجيرة .



أسفل : منظر عام للجزيرة الخضراء التي تضفي على المكان منظرا بديعا .



في ساعات الصباح الاولى يبدو الشاطىء هادئا ، فيرتاده بعض الناس الذين يحبون البحر هادئا دون صخب

الذهبي (المرحلة الاولى) كانت تلتف مجموعة من الناس حول بائعي الزهور المتجولين على احد الأرصفة ومجموعة اخرى حول لوحات فنية عرضت على رصيف خاص ، وخصص رصيف ثالث لعرض وبيع المصنوعات والحرف اليدوية الكويتية .

وفوق هذه الأرصفة الثلاثة توزع الناس ليحصل كل منهم على اكثر من متعة ، فهم يستمتعون بالبحر وبالرمال ، ويلهو الاطفال بالعابهم ويبحث آخرون عن شيء جديد يمتع كل من جاء للتنزه

لقد بذلت في المشروع جهود ضخمة واستمرت سنوات عديدة بين اقتراح واستشارة وتصميم وتنفيذ واشراف وهو بلاشك يحتاج جهدا اضخم للادارة والصيانة ليظل أفضل متنفس للناس وليكون صرحا شامخا ومظهر جمال دائم .

ماذا يقولون ؟

كان الشاطىء يضج بالناس الذين جاءوا للاستمتاع بالطبيعة وبالشاطىء والرمال .

قالت لنا احدى السيدات : انه مكان جميل أستمتع به مع اطفالي يوم الاجازة ، فالشاطىء يمتد على مسافة طويلة ويتسع لعدد كبير من الناس ، فلا نجد بذلك ضيقا في المكان ، بل متنفسا جيدا ، يوفر علينا الكثير من نفقات السفر الباهظة فماذا يهم الاطفال سوى اللعب على الشواطىء وبناء قصور من رمال ؟! نحن لم نعتد السفر كل عام ، وبذلك فاننا من رواد مرافق شركة المشروعات ، وان كنا نجد في هذا المكان رحابة اكثر ، ويقول احد الشباب : اجمل مافي هذا المكان انه يترك الناس على راحتهم ، فلا ضغوط تقيدهم او تحد من استمتاعهم بالشاطىء ، وقد انشأت شركة المشروعات السياحية مطاعم ضخمة ، وتركت لمن لايناسبهم ارتياد هذه المطاعم الحرية في اختيار ما يناسبهم من طعام ، ولكن المكان يفتقر الى المقاهي الخفيفة التي تقدم المرطبات والمشروبات الساخنة ، بحيث يتمكن الفرد من ان يرتاح قليلا في هذه المقاهي ويستمتع بالمكان دون ان يضطر للجلوس على الرمال او جلب ما يحتاجه من طعام وشراب من البيت .

لقد زرت كثيرا من الواجهات البحرية في اكثر من دولة اوروبية ، حيث كانت المقاهي تمتد على طول الشاطىء تغص بالناس الذين جاءوا للراحة والاستجمام .

يقول السيد فؤاد الشريف مدير احدى الشركات : يعجبني في هذا المكان بعده عن الشارع العام ، فلا يصلنا ما تنفثه عوادم السيارات الملوثة للهواء ويضمن بقاء اولادنا بعيدا عن الخطر .

كانت رحلة ممتعة ، غادرنا بعدها المكان ومايزال الناس جالسين فيه وكأن يومهم مازال في بدايته . □



عند الفنان محمد رزق

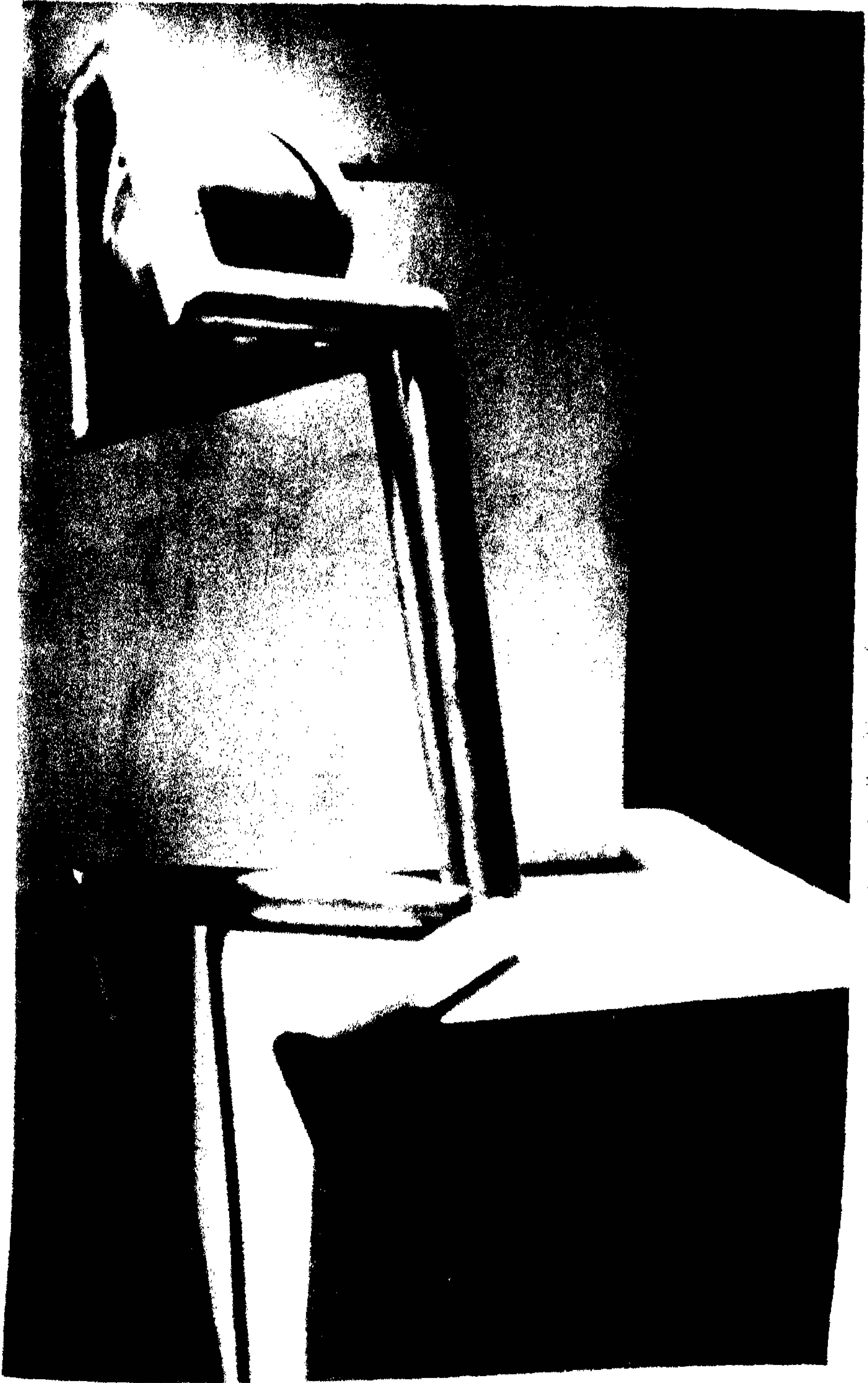
بقلم : محمود بقشيش

إن التعبير عن هموم الانسان ومعاناته ـ هزيمة وانتصارا ـ بالكلمة ، والحركة ، والنغمة والريشة قديم ، وللعرب فيه تراث عريق .
أما تجسيم هذه المعاناة بدقائق خلجاتها ، وانفعالاتها ، على النحاس فتجربة حديثة ، برع فيها قلة من الفنانين ، يتصدرهم الفنان محمد رزق بتجربته الثرية .

بدأ محمد رزق « حياته الإبداعية محاولا كتابة الشعر ، والقصة ، والعزف على الناي . كان ذلك في قريته « سيف الدين » بمحافظة دمياط التي يتحدث عنها حديث العاشق قائلا : « إن اللون الأخضر ، وسلاسة العلاقات البشرية ، كانا يفعمان حياتي بأحلام مستقبلي الوردي في « القاهرة » كالالتحاق بالجامعة ، والنجومية الأدبية ، وفي « القاهرة » تبخرت الأحلام ، ولم التحق بالجامعة ، بل التحقت بمصنع الحديد والصلب عام ١٩٥٧ ، وتعطلت محاولاتي الأدبية تماما ، وارتبكت خططي حتى عام ١٩٦١ » .

الصدمة والتحول

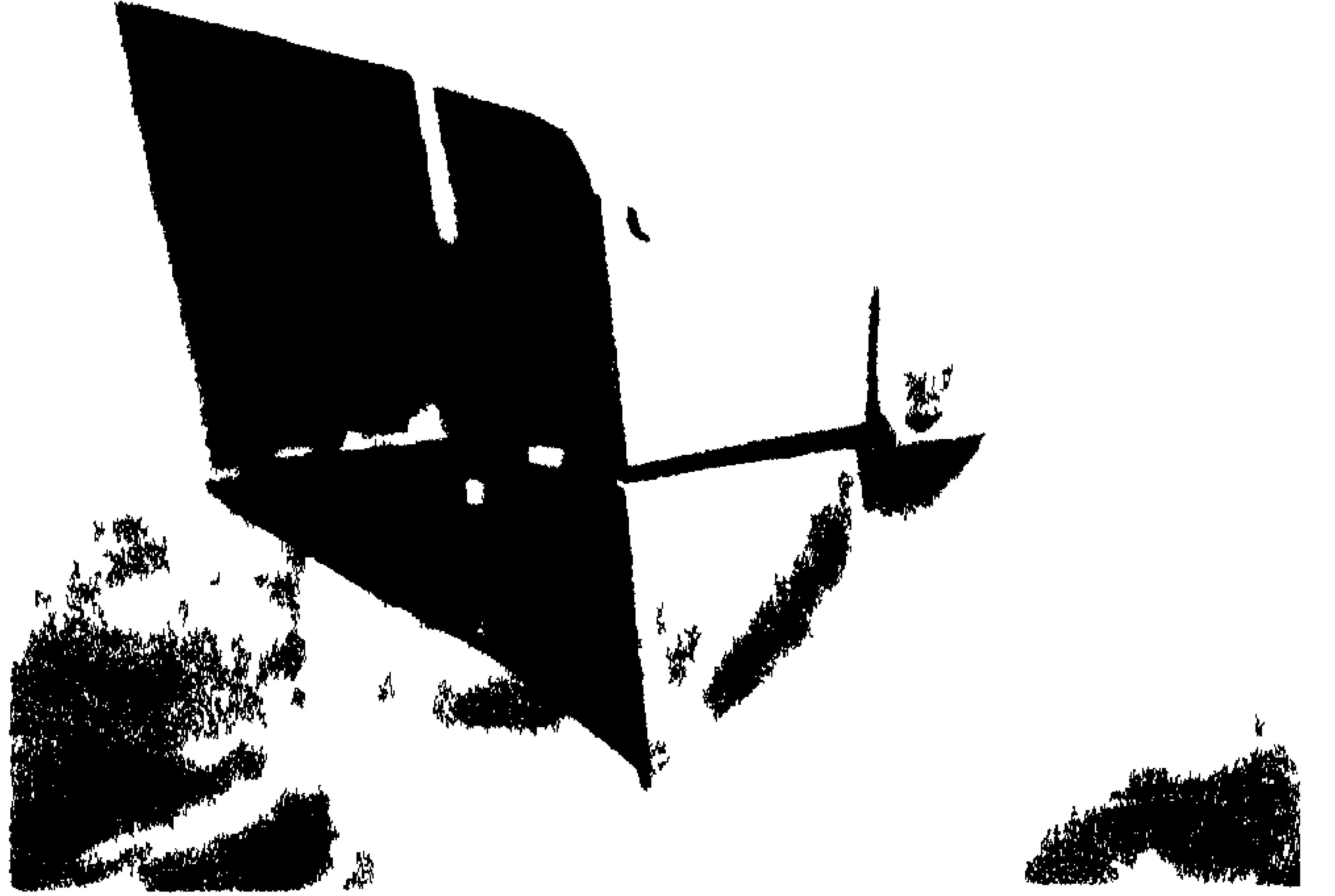
كانت صدمة « القاهرة » كبيرة ، فقد حوصر بكل ما هو مناقض لمرحلة القرية ، فالقاهرة مدينة عدوانية ، وإن مارست العدوان بطريقتها الخاصة . غير أن الشاعر يقول : « وداوني بالتي كانت هي الداء » كان نافعا له ، فتخفف من النفور الى نوع من التعايش ، ومع الاعتياد استخرج من ظروفه الجديدة ممكنات جديدة للابتكار ، فاستبدل اللون الأحمر ـ لون النار ـ باللون الأخضر ، واستبدل « ديناميــة » التحولات الصناعية بالاستسلام « السكوني » للحياة في القرية ، وشغف بشرائح النحاس الرقيقة ،



المهزوم .. مواسير نحاسية مع كرة (عام ١٩٧٨)

والصلبة ، وأغرته بالاقتراب منها فعلا . ومنذ ذلك الحين ظل وفيا لها ، وما أن يُذكر أحدهما حتى يتداعى الآخر الى الذاكرة . وجاء عام ١٩٦٢ ، وكان عاما محوريا بالنسبة له ، ففيه قرر الالتحاق بكلية الفنون الجميلة (القسم الحر) ، وهناك التقى بفنان النحاس الرائد (جمال السجيني) . يقول رزق عن تلك المرحلة : « توجهت الى السجيني ، كي أتعلم منه تقنية النحاس . غير أنه نصحني بأن أتعلم هذا وحدي ، فالفن لا يلقن ، فتركت الكلية ، ولم أمض بها أكثر من ثلاثة شهور ، وتوجهت الى شارع خان الخليلي لمتابعة الصناع مهرة ، والتعلم منهم . وأستطيع التوكيد بأن هذا الشارع كان أستاذي الحقيقي » . والعجيب أنه حصل في نفس العام على جائزة الدولة التشجيعية في النحت . وكان هذا الاعتراف بموهبته دافعا قويا لمواصلة الانتاج الفني وتفرغه له فيما بعد تفرغا كليا .

ووجدت معارضه الخمسة التي أقامها باستحسان النقاد والجمهور ، ولم يحتف به نقاد الفن التشكيلي فقط ، بل نقاد الأدب أيضا . فكتب عنه محمود أمين العالم يقول : (محمد رزق يطرق النحاس طرقات من نوع آخر . نحس فيها بأنغام الآلات الموسيقية إحساسا بصريا ، ... نحس بالمطروقات دراما ، حية تعبر ، وتهمس بأعماق التجربة البشرية . ولهذا ففي مطروقاته قصة أحداث بشرية كبيرة ، قد تعبر عنها لمحة سريعة ، أو حركة مبتكرة ، أو إيماءه موحية . ومن حركة الأشياء ، ومن بناء الأشياء ، من موقف الانسان إزاء الأشياء يصنعها ويصوغها ويسيطر عليها ، ومن العمل ، والصناعة ، والإرادة الإنسانية ، يستخلص محمد رزق ألحانه ، ثم يروح يصبها ، بل يستخرجها بطرقاته الموهوبة على صفحة من نحاس) . وكتب الفنان الناقد « بيكار » : « إن ارتباط الفنان محمد رزق » ببيئته ، وأبناء بلده ارتباط جذري ، ينعكس في رشاقة الخطوط التي تتماوج ، وتتلوى في سيولة الموال ورقة الناي ، وتبرز آثار المطرقة فوق السطح كأنها إيقاع نقرات الدفوف والطبول ، ترف المشخصات الراقصة فوق



الحرية من ثلاثية الحرية .. طائر ممزق (عام ١٩٨٥)



وجه مبتسم

السطح المعدني اللامع » . وقال عنه الفنان « حلمي التوني » : « تلاحظ فرقا كبيرا ، شاسعا بين أوائل الأعمال التي تتسم بالخطابية والتزويق والتي يقل فيها العمق والاحساس الفني ، وبين أعماله الأخيرة التي بلغ فيها درجة كبيرة من البلاغة الفنية ، والتعبير الرقيق المرهف » . ومهما كانت الآراء التي أبداها نقاده ، ودرجة اختلافهم في التلقي والتفسير ، فقد اتفق الجميع على أهمية هذا الفنان . الذي لم يتلق -

ربما لحسن الحظ - أي تعليم منهجي . ولم يحصل على شهادات ، ولم يتسلح إلا بموهبته وإصراره ، فقدم إضافة في مجال المجسمات النحاسية ، التي بدأها الرائد ، جمال السجيني وأضيف اسمه الى قائمة موهوبي جيل الستينات ، الذين لم يحصلوا على شهادات عليا ، ولم يتوظف بعضهم في وظائف حكومية أمثال عبد الرحمن الأبنودي ، وسيد حجاب ، وأمل دنقل ، وإبراهيم فتحي ، وعبد الرحيم منصور ، ويحيى الطاهر عبد الله ، وجمال الغيطاني ، وابراهيم اصلان ، وخيري شلبي ، ويوسف القعيد

تنوع العطاء

إن فطرته ، وسماحته الريفية ، تنعكسان على مجمل رحلته الفنية ، فتطالعنا أعماله ذات الطابع التعبيري الرمزي الحريف (في مجملها) بانعكاس مايدور في الواقع الاجتماعي ، والسياسي المصري ، انعكاسا صادقا ، وتحفزنا في كثير من الأحوال الى الصمود والتحدي ، ويشترك مع « السجيني » في كونهما يعبران عن قضايا الواقع المصري ، ويختلفان في طريقة التناول ، ففي الحين الذي يتجه فيه « السجيني » - في مطروقاته النحاسية - الى « تجميل »

الشحنة التعبيرية ، والحرص على الأناقة ، مستعرضا قدراته الأكاديمية في بناء الشخوص ، يواجهنا « محمد رزق » مواجهة مباشرة بأشكال محمومة ، لا تتوقف بنا عند حلية مهذبة ، بل تتنوع في عطائها ، ودرجة بلاغتها ، كانت أعماله في مرحلة الشباب عالية النبرة ، ثم صارت في مرحلة الكهولة ترجمة لقول

« النفرى »

« إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة » . **وتحكي أعماله حكاية الآمال العريضة التي عاشها جيل الستينيات ، ثم سقوطها مع الأحلام الوردية .**

يختلف « رزق » عن كثير من الفنانين المصريين في رفضه الالتزام بقالب جامد متكرر ، فمراحله الفنية تزدحم بالتداخلات الأسلوبية ، ولا تحدد مراحله ملامح حاسمة ، بل تتعايش الأساليب في إطار واحد ، ففي معرض واحد نلتقي بأعمال تعكس تعبيرية حريفة ، الى جوار ستنسخة إسلامية أنجزها بقصد دراسة لون من ألوان الفن الاسلامي ، الى جوار أشكال تجنح الى التجريد ، وهكذا . وفي تقديري أن رفضه أن يوضع في قالب يعرف به يتفق مع حرصه على أن يكون صادقا مع نفسه .

الانسان هو الغاية

وربما كانت وجهة نظره أن الحياة أكثر تنوعا وخصوبة من أن توضع في تابوت شيء . وبالتالي فتنوع الأساليب يعني تنوع زوايا النظر للحقيقة الواحدة . وبالنسبة لمثال النحاس فإن الحرص على التكرار يضعه في إطار صانعي القدور . وعلى الرغم من التداخل الأسلوبي ، فإن موضوعاته ثابتة ،

محورها الانسان . شاعرا متألقا أو حزينا ، فلاحا صامدا أو ثائرا ، وريفية سعيدة ، أو وجها غاضبا ، أو نازفا أو مشوها . ومن موضوعاته الرئيسية الأخرى : الجياد الجامحة أحيانا ، المنكسرة أحيانا أخرى والصفة الثابتة في مجمل أعماله هي « الحركة »

التي تأتي تارة من الخطوط المتماوجة والمتصلة ، وتارة عن طريق التحليل التكعيبي ، حيث الانتقالات المفاجئة بين النور والظل ، وبين الانسان والجياد . وتظهر بعض الحيوانات الأخرى ظهورا غير متكرر ، مثل الديك ، والعنزة ، والثور .

من أهم أعماله المعبرة عن محنة الوطن مجسمات ثلاثة ، تحمل العناوين الآتية : « الصمود » : وهي تلخص الشعب في وجه ريفي صريح ، ممتلىء بالغضب والإصرار ، متحفز للمنازلة ، ويرتكز

« الوجه » على رقبة عملاقة ، غنية بالتضاريس ، يقع في مستويات خطية متداخلة . وتقوم الطرقات المتنوعة في إثراء السطح ، وتحفل اللوحة بتفاصيل دقيقة ، ومفاجات غير متوقعة في بناء الوجه بشكل حاص ، فهو لم يقم بتحليل شكل بنائي واقعي ، بلتزم النسب التشريحية للإنسان . لكنه أنشأ وجها ينتمي الى « العمارة » . وقد أعانه الأسلوب التكعيبي في الأبنية التجريبية الحادة ، كالتحليل المثير لمنطقة أسفل العم والذقن ، والحفرة على الجبهة والأسارير وتسع المجسمة لكثير من الايحاءات القصصية وقد أدرك الفنان ذلك الطابع . فقدم ما يشبه النقد الذاتي . تمثل في عمل اخر يحمل نفس الاسم . ويختلف في التاريخ ، وطريقة المعالجة ، فقد نفذ « الصمود الجديد » عام ١٩٨٥ بطريقة الطرق ، ونفذ العمل الثاني عن طريق السباكة

يرتبط العمل الاول بإيحاءات رمزية مثل الشعب المصري ، المزارع الشجاع السمح ، يحاكم « الهزيمة » ، ويدعونا الى التحدي بينما عبر « الوجه » الثاني تجسيدا لمحنة انسان عصر العنف

وتنتمي المجسّمة الأولى الى النحت البارز ، والثانية مسبوكة تنتمي الى « النحت الفراغي » ، بل هي أقرب الى العمارة ، بهندسيتها الصارمة ، ومسطحاتها الصريحة ، وملامسها المعمارية ، غير أنه يفاجيء هذا الرسوخ المعماري بزلازل يفصل المقطع الأعلى من الفم عن المقطع الأسفل منه ، ويمزق جزءا من الوجه بحدة (كأن يريد لهذا التمزيق أن يمتد ، عبر أن ساعده صاح قلبي لا يطاوعني لا أستطيع مواصلة التشويه !)

صمود ممزق

إذن فصمود الثمانينيات صمود ممزق ، مشكوك في أمره ، على النقيض من صمود الستينيات ، القائم على مواجهة الخسارة التي كان يظن أنها عارضة

ويحتل موضوع « الخيول » مركزا مرموقا في إنتاجه الفني ، ويأخذ نفس التوجهات الأسلوبية ، التي صاغ بها بقية موضوعاته ، كالتقلب بين شاعرية الأقواس ، والتموجات ، وبين صلابة الخطوط المستقيمة ، وصراحة المسطحات العريضة . وبعض خيوله تتسيدها الأقواس ، والمنحنيات ، والخطوط المنصلة ، والأشكال المقعرة ، والمحدبة الموسقة ، وبعضها الآخر تتسيده الخطوط المستقيمة الحادة

وإذا تأملنا خيوله الجديدة فإننا نكتشف أنها تسجل مايلم بالوطن من مصائب ، فشموخها القديم قد انكسر . وغزاها الجفاف وتتردد نفس الحالات الوجدانية في موضوعات أخرى كالشاعر الشعبي الجوال ، حيث تتراوح حالته بين الانطلاق . والانطواء ، كما نراوح بين الإغراق في التفاصيل والاكتفاء بما هو جوهري . غير ان كفة التلخيص الذي يقترب من التجريد قد رجحت في مراحله الاخيرة . وبشكل خاص في مجموعة اعمال نعتمد اعتمادا كليا على حوارية المواسير المستقيمة والكرات المعدنية ، وهي من الأعمال القليلة التي تجمع فيها الخطوط المستقيمة . والخطوط المنحنية

لقد أعطانا بمواسيره خطوطا صريحة ، وحوارا ذكيا بينها وبين الفراغ الناشيء عنها ، مع إعطاء الإيحاء في نفس الوقت ، ببعض الوحدات الزخرفية الإسلامية ، وقد نجح في استنطاق مواسيره تعبيرات متباينة . ففي مجسّمة بعنوان « المهزوم » يواجهنا بشكل إنساني يتلقى ضربات من مصدر مجهول ، وفي ثنائية « انسجام » نشعر أننا أمام رقصة « فالس » لعاشقين ، وهكذا ، تختفي الإشراقة القديمة في أفراحه الريفية ، والتفنن بالعمل ، والخيول الطليقة ، ومواويل المغني الشعبي يختفي كل هذا . مستسلما للحزن . وتنكسر الخيول . ويتمزق المغني ، وتغيب ليونة الجذوع النسائية ، ويغلب عليها الجفاف . والحدة ، وتتشبه رءوس حراب متقاتلة ، بعد أن تلاشى الوئام والمحبة ، وتاه الحلم الوردي ، ولم يبق غير الانطواء والإجادة في الأداء □

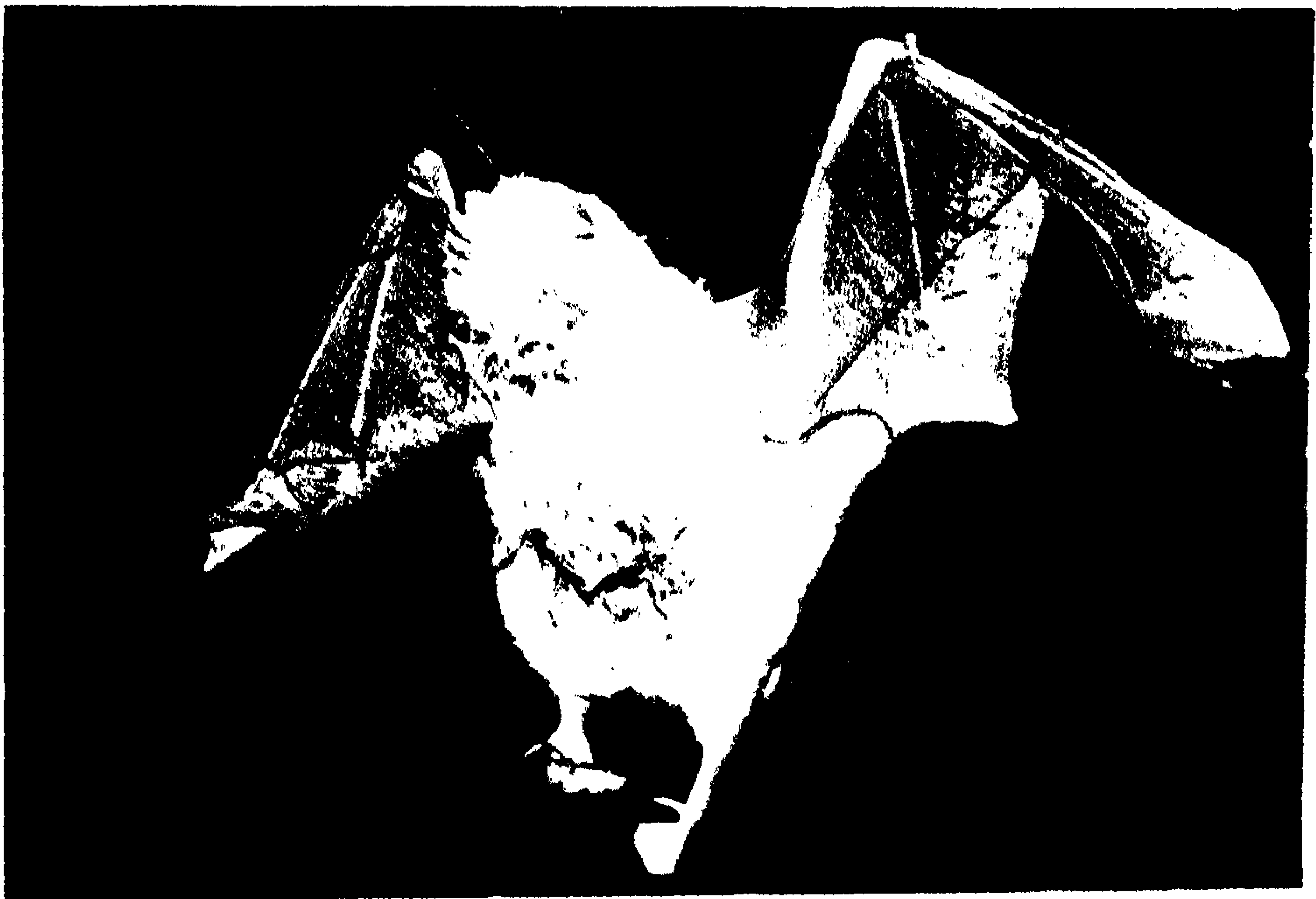
الوطواط

الرؤية سمعًا

[illegible] جميل الجهمي

يرتبط الليل حيًا في الكتب، وحيثما [illegible] من أسباب خوفنا منه، وبالليل الساكن الهادئ لا يسمعه [illegible] دون نسيان ما تركه المعتقدات القديمة من آثار في خيالنا تجاهه.

وعلماء الطبيعة في دراستهم له يؤكدون [illegible] للإنسان والطبيعة، وبعض الخلفاء منه قليل، لكنه موجود.





فم الوطواط وأنيابه كما تبدى في الصور المجاورة .



تعد قصة (الكونت دراكولا) قاطن بلاد ترنزسلفانيا التي كتبها الانجليزي « برام ستوكر » ملخصا لكل المعتقدات القديمة ، إذ يختلط في (دون جوان الليل) الدم بانعدام الأخلاق .

وحين عالجت افلام توم براوننغ ، ومورنو ، وترانس فيشر ، وبولانسكي موضوع دراكولا سينيمائيا كانت معظم تلك الأفلام تشبه دعاية سيئة الصنع للكنيسة ، إذ أن دراكولا يرتعد أمام الصليب ، وينتهي متبخرا بدق أخشاب في قلبه . لكن السينما على الرغم من ذلك جسدت بالصورة شكلا لدراكولا ، وأحاطته بالخفافيش من كل جانب بل وفي بعض الأفلام كان الكونت نفسه يتحول إلى خفاش .

لماذا اختارت السينما الخفاش ؟

حفظت الذاكرة الجماعية لشعوب وسط أوروبا عددا لا بأس به من الخرافات الدموية . حيث اختلطت عادات المسيحيين في القرون الوسطى بمعتقدات الشعوب القديمة . ففي تراث الإغريق ، والفراعنة وروما القديمة ، عدد من الخرافات التي تروي نهوض جثث الغيلان ليلا من قبورها لتأكل أجساد الأحياء وتشرب دماءهم . ومن الغريب أن هنود امريكا الجنوبية ـ في الطرف الآخر من الأرض ـ ينسبون إلى الإله هيكال ، ذي الرأس الخفاشي بعض الأفعال المشابهة .

وألصقت صفة (مصاص الدماء) للمرة الأولى بالخفافيش التي اكتشفت في أمريكا اللاتينية في كتاب التاريخ الطبيعي لبوفون ١٧٦١ م ، في حين تحدث فولتير عن (الأشباح التي تنهض من قبورها لتشرب دماء الأحياء) ـ القاموس الفلسفي ١٧٦٤ م .

كانت أجساد الخفافيش ، ولأزمنة طويلة ، تعلق على مداخل البيوت والمزارع لإبعاد (الأرواح الشريرة) . لكن ذلك لم يكن كافيا للقضاء على محاميع هذا الجنس . ومن الغريب أنه منذ أن خفت الحملات البشرية للقضاء عليه ، فإن الخفاش ـ أو بعضا من أنواعه ـ أصبح مهدداً بالانقراض ، على الرغم من أنه لم يكن قط فريسة مغرية لهواة الصيد ، فالإنسان الذي لا يستخدم البندقية لقتله ، يقوم بالقضاء عليه بطريقة اكثر فعالية ، وهي تغيير مجاله البيئي الطبيعي اللازم للحياة .

ويصل عدد أنواع الخفافيش المعروفة إلى ثمانمائة ، يقطن معظمها المناطق الحارة ، ويعيش ٩٠ نوعا منها في أوروبا ،لتشكل بهذا أكبر نسبة معروفة من الحيوانات (المتوحشة) التي تعيش على أرض العالم القديم . ويجهل سكان المدن الكبرى في معظم مدن العالم أن الخفاش يشاركهم الحياة ، حيث تعيش أسرابه تحت الجسور ، وفي كهوف المنازل أو ثنايا الأسقف . ولا شك أن زائر بعض بلدان آسيا قد لاحظ طيران بعض أنواعه الضخمة وقت الغروب ، في حين لم يفت زائر افريقيا رؤية (عناقيده) الكثيرة المعلقة على أشجار المدن . أما في أمريكا اللاتينية فكثيرا ما تضم أسرابه الطائرة مئات الآلاف ، كسحابة سوداء تعبر السماء

طائر الليل الراداري

على الرغم من العثور على كثير من بقايا الوطاويط المتحجرة ، ومن بينها تلك التي عثر عليها في كهوف (ميسل) بالمانيا الاتحادية ، والتي يعود تاريخ بعضها إلى خمسين مليون سنة ، فإن ما نعرفه عن أصل هذا الحيوان قليل جدا .

لقد ظهرت أوائل الوطاويط على سطح المحيط منذ ما يقرب من خمس وستين مليون سنة ، وهي تشبه كثيرا الوطاويط المعروفة حاليا . ويتفق معظم علماء الإحاثة* على انحدار الخفاش من آكلي الحشرات البدائية ، لكن لا أحد يعرف الاشكال الوسيطة التي تم خلالها ظهور وتطور بعض الاجهزة العضوية الجانبية التي سمحت لهذه الثدييات بالطيران (السباحي) الذي تمارسه ـ في عصرنا هذا ـ بعض أنواع السناجب المجنحة ما بين شجرة وأخرى ،

* علم الحفريات ـ المستحاثات

بالإضافة إلى تطور جهاز (راداري) عضوي متقدم قادر على بث الموجات فوق الصوتية (هو السونار) واستقبالها ، مما مكن هذه الليليات من الصيد في الظلام التام ، دون خشية منافسة صائدي الحشرات النهاريين كالطيور .

منذ حوالي قرنين لاحظ الايطالي (سبالانزاني) أن الخفافيش لا تصطدم أبدا بالخيوط المشدودة وسط غرفته رغم الظلام الدامس . لهذا قام بتغطية عيونها دون أن يغير ذلك من الأمر شيئا ، وانتهى به الأمر إلى سد آذانها ، ليكتشف أن الوطاويط لم تصب بالطرش فحسب بل بالعمي أيضا . وبعد مضي مائة وخمسين سنة - وفي سنة ١٩٣٠ - قام الهولندي (ديجكغراف) والأمريكي (غريفن) بحل اللغز نهائيا . وذلك ببث موجات فوق صوتية لا تدركها الأذن البشرية ، وقياس ردود الأفعال في دماغ الحيوان ، لتتضح لهما القدرة العالية للخفاش على استقبال الصدى بدرجة مقدارها عشرة مليمترات من القطر ، أي ما يعادل حجم الحشرات الصغيرة جدا .

وتتشابه التركيبة العضوية لكل الخفافيش مهما اختلفت أحجامها ، إذ تنبسط أطرافها فيما يشبه اليد الضخمة التي يوجد بين أصابعها غشاء رقيق ويشكل المجموع جناحا . أما الاطراف الخلفية التي تدخل في تركيبة الجناح ، فتنتهي بأقدام مخلبية طويلة تساعدها على التعلق مقلوبة على فروع الاشجار . إذ تنام الخفافيش متعلقة وقد تدلت رؤوسها أسفل أقدامها ، وهذا لا يخفى على أحد .

لكن شكل رأس الخفاش أو سحنته يختلفان من نوع لآخر . فمنها ما يشبه القردة أو الكلاب أو الفئران .. الخ . أما الزوائد الموجودة فوق أنوفها فذات تمددات عريضة ، يستخدمها كالهوائيات ، لاستقبال صدى الموجات الصوتية ، وهي جميعها ذات أنياب حادة جدا . فحذار أن تمسك بخفاش دون احتراس .

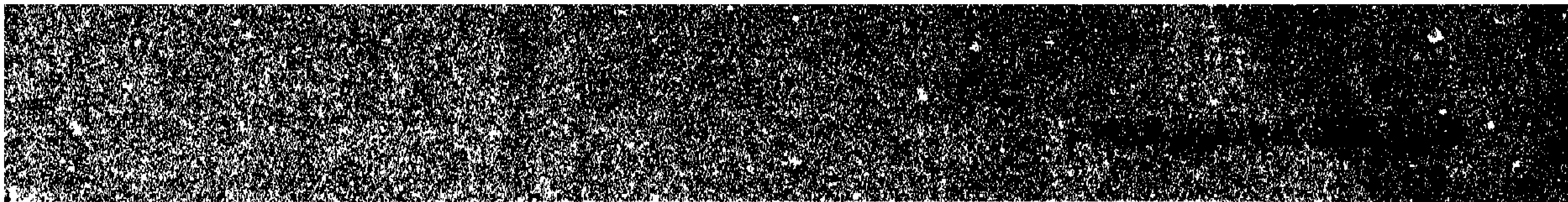
يبلغ وزن أكبرها حجما تسعمائة غرام ، ويبلغ وزن أصغر أحجامها غرامين - كالفارق ما بين قطة وثور - . وبقدر اختلاف أحجامها ، فإن طرق طيرانها تختلف . فأكبرها تلك التي تقطن أوروبا (وهي عريضة الأجنحة ، ويمكن مقارنتها بطيور القيقان التي تتراوح ضربات أجنحتها ما بين عشر ، واثنتي عشر ضربة في الثانية (١٥/ ١٦ كيلومترا في الساعة) . في حين تستطيع خفافيش أخرى (أصغر) الوصول إلى سرعة ٥٠ كيلومترا في نفس الفترة الزمنية .

بعض الأنواع - كما لحظنا - قادرة على الطيران السباحي (أو التحليق فترة دون تحريك أجنحتها) - كطائر القطرس وبعضها قادر على الطيران دون التحرك من مكانه فوق زهرة ما ، كخفافيش المناطق الحارة (الحارسة) . وعلى عكس ما يظنه كثيرون ، فإن الخفافيش قادرة على عمل ما تقوم به الطيور ، بل إنها كثيرا ما تتفوق عليها . فهي في الغالب أخف وأكثر رشاقة من العصافير . ومن الصعب جدا إمساك خفاش بشبكة صيد مثلا ، وهو قادر على التقلب بمقدار ١٨٠ درجة للتعلق على أغصان الأشجار بالأرجل بالاضافة إلى تسلق للاشجار كالقطط ، بل إن بعض الخفافيش قادر على السباحة قفزا على سطح الماء كالاسماك الطارة . والأدهى من كل هذا قدرة الوطواط على المشي على أطرافه الاربعة ، وعلى المناورة والمخادعة والكر والفر (أرضا) إذا ما استدعت ضرورة الصيد ذلك .

مصاص الدماء

معظم الثدييات البدائية ، تنجب الانثى واحدا في السنة ، فالخفافيش حيوانات تعمر طويلا ، - وقد عثر على واحد منها بمنطقة السارث بفرنسا عمره ثلاثون سنة ! - ويقرر علماء دراسة التصرف الحيواني أن الخفاش ذو ذكاء وذاكرة متطورين نسبيا ، فهو قادر على التأقلم داخل وسط إنساني ، والتعرف على اسمه إذا ما ناديناه ، بالإضافة إلى تنفيذ حركات معينة . وقد استطاع الباحث الالماني (مارتن برنشتروت) مثلا تعويد خفاش على التقاط الطعام الموجود في راحة يده .

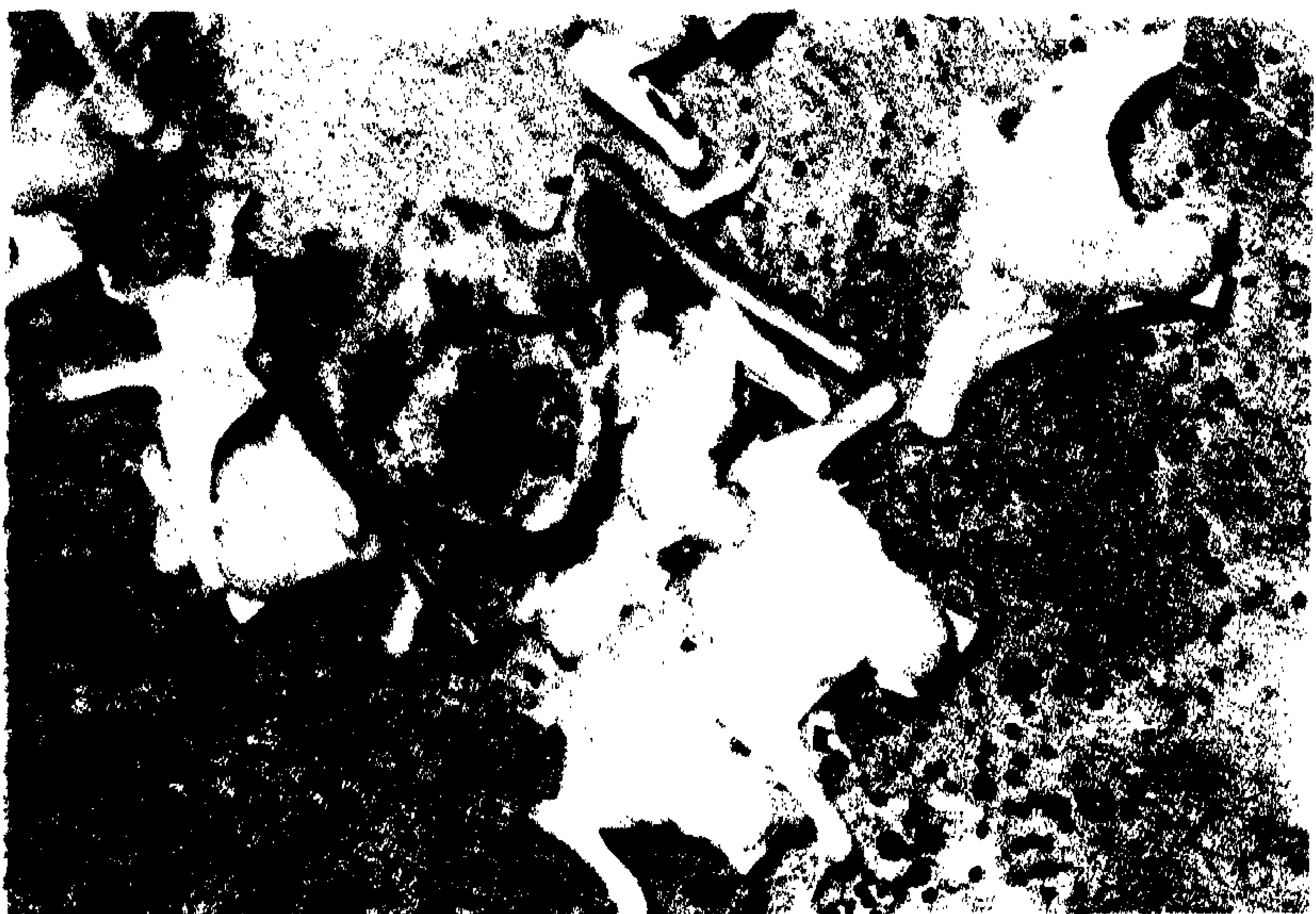
في المناطق معتدلة المناخ ، تمضي الخفافيش فترة بياتها الشتوي مقتاتة على الحشرات الصغيرة ، أما في















كان يرمز للشيطان في الأعمال المسرحية بالوطواط ، وهذا ما نراه في الصورة المجاورة - وإلى جانبها باحث يحاول تحليل دم الوطواط ، كما يظهر الوطواط بأشكال مختلفة .

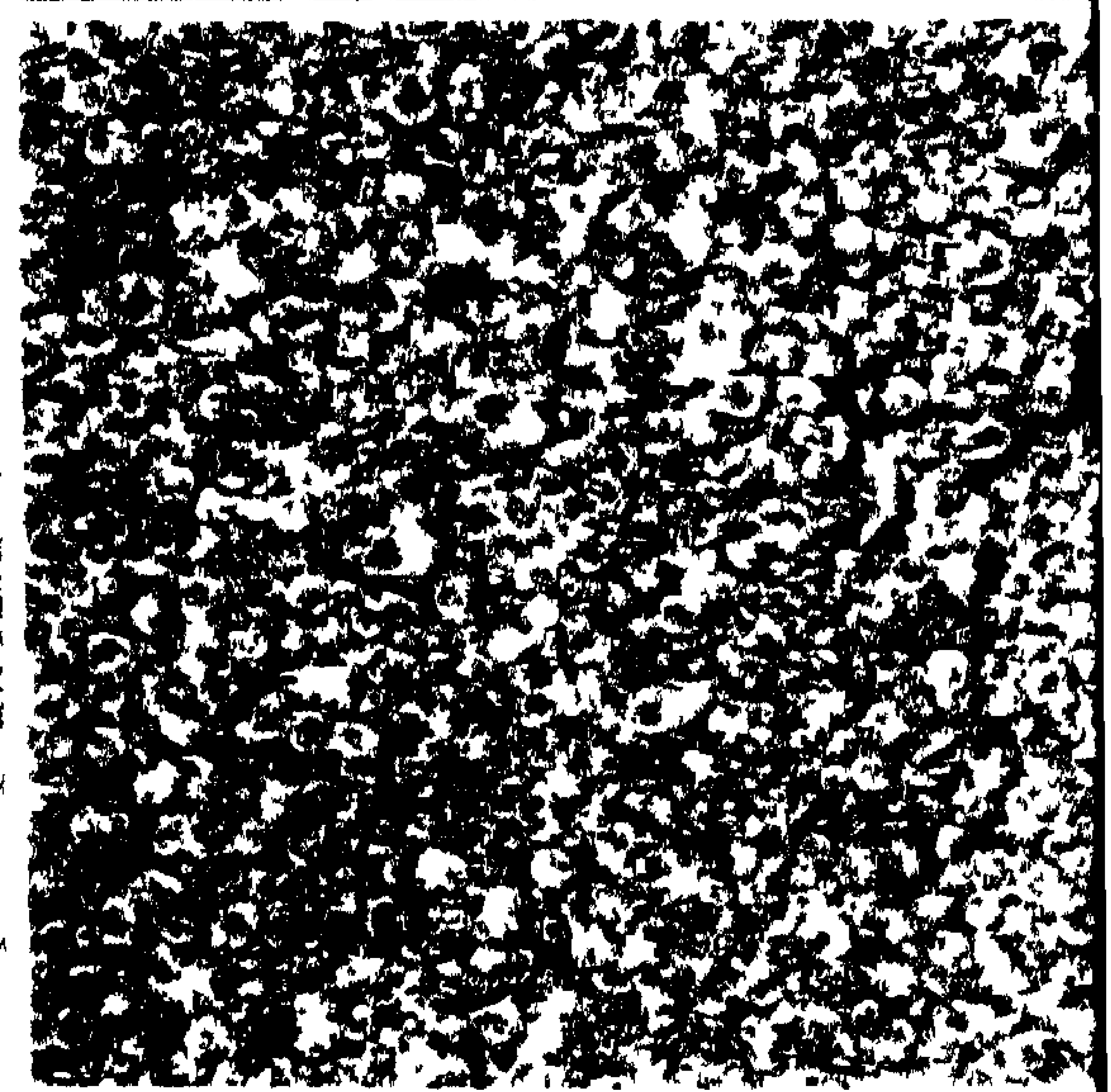
المناطق الاستوائية ، فتختلف وجباتها كثيرا ، حسب أنواعها ، فمنها ما يقتات بثمار الفاكهة أو الأزهار ورحيقهـا ، أو البـراعم والـديـدان والضفـادع والعصافير الصغيرة ، بل إن بعضها يأكل الخفافيش الصغيرة

تعيش في اسيا الاستوائية فصيلة من فصائل الخفافيش تسمى (الثعالب الطائرة) أو (اكلة الثمار) ، قد يبلغ حجم بعضها ـ وخاصة في ماليزيا ـ ١٨٠سم ولا تنام هذه داخل الكهوف متوارية عن الانظار ، بل إنها تبقى معلقة على الأشجار طوال النهار ،وعند حلول المساء ، تذهب باحثة عن أشجار الفاكهة ملحقة بها أضـرارا كبيـرة ، وبخـاصـة أشجـار المـانجـا

والخمصيات ، ولا تملك هذه الفصيلة سونارا يمكنها من كشف الحواجز ، لـذا يسهل اصـطيادهـا رغم حـذرها الشـديد   حيث يقـوم السكـان المحليـون بداياكا ، بمنطقة بورنيو بأكلها ، أما (اللحاسة) ـ وهي نوع اخر يعيش في مجموعات كبيرة بامريكا الجنوبية واستراليا ـ فمتخصصة في امتصاص رحيق الأزهار   واللحاسة خفافيش ضئيلة الحجم ، ذات لسان أطول من جسدها ، ينتهي بما يشبه الفرشاة ،

تلعق به الرحيق وهي طائرة متنقلة بسرعة كبيرة من زهرة لأخرى ، لاعبة بذلك دورا طبيعيا أساسيا في تلقيـح بعض أشجـار تلك المـناطق ، كشجـرة الخميرة ، ذات الازهار كريهة الرائحة التي تجذب إليها هذا النوع من الخفافيش   والخميـرة (بضم الخاء)   شجرة استوائية عريضة الجذع في ثمرتها لب يؤكل (المهل)   رغم ذلك فإن معظم خفافيش المناطق الاستوائية تتغذى على اللافقاريات التي تقوم باصطيادها مطاردة أو مباغتة ، حيث يقوم الخفاش بالترصد في مكان ما ، ثم بفصل سوناره يبدأ في بث موجاته فوق الصوتية بحثا عن فريسته في نطاق قطر الصدى ، وبمجرد عثوره على واحدة يقوم بـالهجوم عليها فجأة ، وابتلاعها بعد شلها تماما بفصل أنيابه ويتخصص بعض هذه الخفافيش في اصطياد العقارب السامة التي يهاجمها بسـرعة كبيـرة دون منحها أي







فرصة للسعه ، لكن يحدث أحيانا أن تقع (حرب رادارات) حقيقية بينه وبين بعض الفراشات ، فلقد اكتشف أن بعض أنواع الفراشات قادرة على رصد الموجات فوق الصوتية التي يبثها الصياد ، وأن بعضها قادرة على بث نفس الموجات التي يستعملها لتشويش موجات الخفاش ، والتمكن من الهرب منه

ويطرح المتخصصون تساؤلا عن مدى الخسائر التي يلحقها الخفاش بعالم الحشرات بالمناطق الحارة إذ تستحيل الاجابة علميا على وجه الدقة عن هذا السؤال ، لكن قدرت كمية الحشرات التي تستهلكها مستعمرة خفافيش واحدة (عدة الاف) بثلاثة أطنان من الحشرات في الليلة الواحدة

يوجد إلى جانب الخفاش اللحاس ، الخفاش (الصياد) الذي يتغذى عن سمكات البرك والأنهار الصغيرة ، إذ تسمح له مخالب أرجله بالتقاط الأسماك الصغيرة التي تقفز على سطح الماء بين الفينة والأخرى . ويحدث أحيانا أن تأكل الضفادع الخفافيش الصغيرة التي قد تسقط على سطح مياه البرك صدفة ، إلا أن الضفادع نفسها تشكل وجبة شهية لبعض أنواع خفافيش أمريكا الجنوبية والهند.

وهي قادرة على اكتشاف أماكنها عند قيام ذكور الضفادع في البحيرات بالنقيق لاجتذاب الإناث .

وكثيرا ما يحدث أن نجد بالهند كهوف خفافيش مليئة بجلود الضفادع وأفخادها ، إذ يبدو أن الخفاش لا يحب أكل الأفخاد التي يشتهر الفرنسيون بتذوقها وأكلها . إن خفافيش الهند اكلة لحوم شهيرة ، وهي تتغذى على الفئران ، بعد ان تقوم بقتلها عضا في رقبتها ، وتتركها مقلوبة الجلد بعد مصها ، كما أنها تأكل العصافير الصغيرة ، وبعض القواصم وعددا من الخفافيش . ويعيش على شواطىء نيوزيلندة نوع من الخفافيش الصبعية التي تفضل أن تقتات على الجثث ، إلا أن اغرب عادات الخفاش الغذائية ، بطبيعة الحال ، هي تلك التي يختص بها الخفاش (مصاص الدماء) ، وهو نوع يعيش في امريكا الاستوائية ويمتص دم الثدييات .

على خلاف ما يعتقده كثيرون ، فإن جسم مصاص الدماء ضئيل ، إذ يبلغ وزنه ـ في المتوسط ـ ٣٠ غراما ، وهو ذو شكل قبيح ، وفك ضخم ، وعلى قدر كبير من الذكاء ، يخرج ليلا باحثا عن الثدييات ، كالأبقار والخنازير على الأخص ، وعند عثوره على ضحيته يحط على ظهرها ، ويجرح جلدها بأنيابه التي تشبه موسى الحلاقة ، ثم يضع شواربه على الجرح ، ويبدأ في مص الدم كالمضخة . وتوجد بلعابة مادة ضد تجمد دم الحيوان ، فيبقى الجرح مفتوحا عدة ساعات ، بل عدة أيام في بعض الأحيان ، الأمر الذي يدفع بالخفاش إلى الرجوع تكرارا إلى ضحيته الجاهزة للاستهلاك وهو شره لا يشبع . فقد يمتص كميات هائلة من الدم ، وبالدرجة التي لا يستطيع معها الحركة بعد ذلك . ويتحتم عليه حينئذ أن يقضي فترة الهضم قرب ضحيته في دعة وسلام !

ان الخطر الحقيقي الذي يشكله هذا الخفاش على الثروة الحيوانية لبعض البلدان يكمن في أنه ناقل جيد لبعض الأمراض (الحمى) ، فقد مات عشرات الفنزويليين محمومين . لاستهلاكهم لحوم الأبقار المصابة ، كما مات لنفس السبب ما يقرب من ١٥ مليون بقرة . لهذا وجب التخلص منه ، إلا أن العثور عليه صعب لذكائه الشديد ، وكثيراً ما يصعب التمييز بين مصاص الدماء وخفافيش أخرى غير ضارة يتم قتلها اقتناعا بأنها مسببة الداء ، ولكن لا يوجد هذا الخفاش إلا بامريكا الاستوائية .

السلوك الاجتماعي للخفاش

لا يتجاوز عدد أنواع الخفافيش التي درس سلوكها بطريقة علمية جيدة اثنى عشر نوعاً .

والوطواط ذو حياة اجتماعية منظمة ، وهو حيوان لا يعيش إلا في مجموعة ، وإن كان يصطاد وحيداً ـ

أحيانا ـ وفي تكساس مثلا يمكن رؤية بعض أنواعه التي تتجمع بالملايين ، والتي تبدو للناظر عند خروجها من مكان إقامتها كبركان في حالة هيجان .

وفي مناطق معتدلة المناخ يعيش ذكر الخفاش منفصلا عن أنثاه ، حتى حلول موسم الإخصاب .

وتبدأ الإناث عند حلول فصل الربيع في تهيئة أماكن وضع الصغار ، وتربيتها وحمايتها ، ولا يحق للذكر البقاء في تلك الأماكن بمجرد انتهاء فترة الاتصال الجنسي في حين تعتنق خفافيش امريكا الاستوائية نظاما اجتماعيا غنيا عن التعريف ، هو نظام الحريم الذي يسيطر فيه ذكر واحد على ما يقرب من خمسين أنثى ، إلا أن فترة سيادة الذكر هشة لكثرة منافسيه ، وهي تنتهي عند اللحظة التي تبدو فيها إصابته بالضعف أو الإرهاق ، ليحل محله منافس جديد .

وككل الثدييات تلد أنثى الخفاش وترضع أطفالها ، وهي التي تقوم باختيار أب المستقبل لإخصابها ، عملا بقانون الطبيعة الأساسي « استمرارية حياة النوع الحيواني » وذلك بتحليقها بين مئات الذكور الذين يطلقون صرخاتهم الحادة ، لتختار فجأة واحدا من بينهم ، ويحق لنا أن نتساءل عن أسباب اختيارها لذلك الذكر بعينه من بين بقية المجموعة إن السبب يرجع ببساطة إلى قدرة الأنثى على معرفة الذكر الواصل ـ في تلك الفترة ـ إلى قمة الدورة الإنتاجية المؤهلة للإخصاب ، ففترة الإخصاب هي أهم مرحلة من مراحل حياة الحيوان ، لأنها تسمح له بأداء دوره الرئيسي في استمرارية وجود نوعه على سطح الأرض ، لكن الحيوان يمر بعدة مراحل أثناء دورته الحياتية ، إذ بمجرد ولادته يتعلق بجسم أمه التي ستصبح سريرا له ، وهو مزود منذ ولادته بأظافر حادة ، رغم أن جلده يخلو تماما من الشعر ، وبعد مرور عدة أيام تقوم أمه بتركه مع بقية صغار المستعمرة عند خروجها للصيد ، وهي قادرة على التعرف عليه عند عودتها بصرخاته الضعيفة التي تقوى شيئا فشيئا بمرور الأيام ، فنمو جهازه الصوتي يعني أيضا نمو سوناره وقدراته على استقبال الموجات فوق الصوتية وبثها ، وبعد ذلك يبدأ الصغير في الطيران متتبعا أمه التي تقوم بقيادته بتلك الموجات . حتى يتمكن الخفاش الصغير من الطيران والصيد وحيدا بعد مضي ثمانية أسابيع من يوم ولادته

الخفاش : حيوان مفيد !

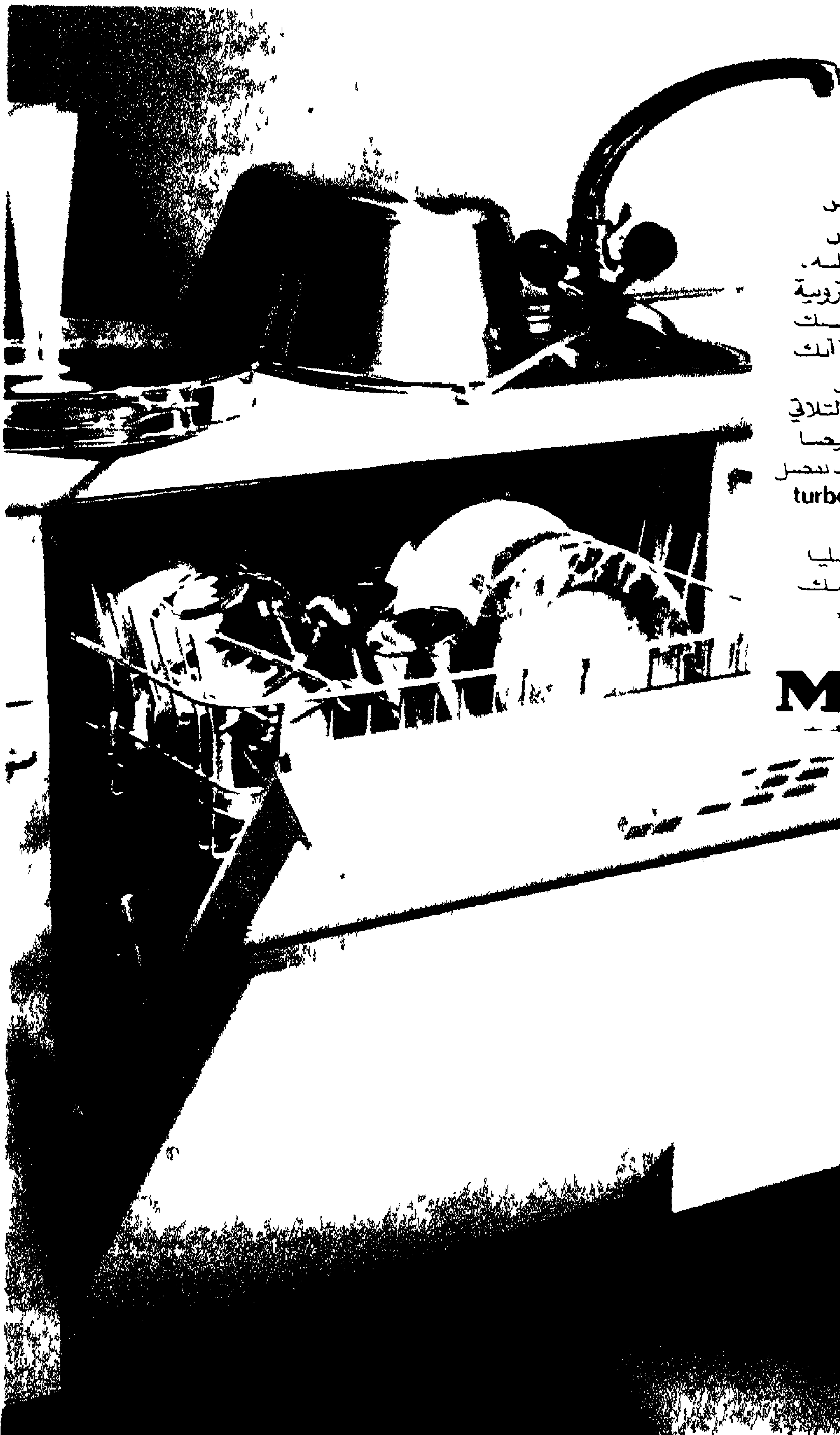
إن إدراك الإنسان العصري للفوائد الجمة التي تؤديها هذا الحيوان (المظلوم) للطبيعة لا يرجع في الواقع إلا إلى السنوات القليلة الماضية ، إذ عرف الباحثون دوره الرائع في استمرارية حياة غابات بأكملها ، فأنواعه من اكلة الثمار تحلق حاملة وجبتها في نفس الوقت الذي تقوم فيه بنثر حبوب اللقاح النباتية فوق أماكن طيرانها ، دون نسيان دورها الفاعل في القضاء على أعداد هائلة من الحشرات والديدان والعقارب الضارة ، ودون نسيان استفادة علم الفيزياء النظرية من التجارب والملاحظات التي أجريت على سونارها ، فقد أعطت دفعات علمية تقدمية رائعة في فهم ما فوق الصوت وتطبيقاته

ولربما حل اليوم الذي سيعتبر فيه الإنسان الوطواط حيوانا مفيدا ، ويكف عن وصمه بأسوأ الصفات ، ولينتهي كمصاص دماء يملأ ليالي الكثيرين بالكوابيس المزعجة

أيضا تعني كلمة خفاش في اللغة العربية ضعيف النظر ، في حين تعني كلمة وطواط الضعيف الجبان من الرجال ، لكن الخفاش ليس بسيىء السمعة في معظم الحالات ، فلقد جاء في (لسان العرب) للعلامة ابن منظور .

قال أبو عبيد : ويقال إنه الخطاف (بضم الخاء) ، قال وهو أشبه القولين عندي بالصواب لحديث عائشة ، رضي الله عنها ، قالت لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه بأفواهها ، وكانت الوطاويط تطفئه بأجنحتها □

بالهمس.. باللّمس.. ولكن بدون آهات.



صوتها مثل الهمس
وتعمل فقط باللمس
غسالة الصحون ميله.
لها سعة برامج اليكترونية
تختارين منها ما يناسبك
صوتها خافت لدرجة أنك
لن تسمعيها وهي تعمل
وذلك بفضل العازل الثلاثي
للصوت وهي تتمتع أيضا
بقوة حرارة للتجفيف بفضل
نظام turbo thermic
drying
غسالة الصحون ميليا
تزيل جميع همومك
فلا آهات بعد اليوم

Miele

شركة طهبوب أخوان
هاتف ٥٩٨١٦٥ تلكس ٢١٠٤
ص ب ٥٩٠ ٣ عمان الأردن

يوسف بن يوسف فخرو د م م
هاتف ٢٥٣٢٣٢ تلكس ٨١٥٤
ص ب ٢١٤ البحرين

مصطفى حسن بازرك
هاتف ٢١٦٨٩٥ تلكس ٣٣١٥٢٣
ص ب ٢٠١ حلب سورية

مؤسسة علي بن علي
هاتف ٤٢٦٢١ تلكس ٤٢٣٤
ص ب ٦٥ الدوحة قطر

معروضات بوكسات
هاتف ٦١١٢١ تلكس ٨٧٨٧
ص ب ٣٢٦ البحرين

عبد العزيز عبد المحسن الراشد
هاتف ٢٤٢٢٢ تلكس ٢٢٦٣
ص ب ٢٤١ صفاة ٣ ١٣ كويت

مؤسسة التجارية
هاتف ٧٩٤٩١٢ تلكس ٣٢٢
ص ب ٨٠ مسقط سلطنة عمان

مؤسسة واكيم
هاتف ١٩٩١٩ تلكس ٤٤٢٤
ص ب ٤٤ ٩ جديدة لبنان

البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع



البيت الكويتى القديم..

البيت الكويتي القديم

تعبير عن البيئة وظروف المجتمع

بقلم : الدكتور غانم سلطان

« كان المدى هو الصحراء من جهة ، والبحر من جهة ثانية ، وعلى شاطيء البحر استقرت الحياة وازدهرت ، وفرضت الصحراء والبحر شكلا للحياة ، فامتهن الناس مهنا بعينها ، وسادت تقاليد وعادات وأنماط حياة ، هي نتاج للبيئة وتأثيراتها وتفاعل الانسان معها . وهذه محاولة لقراءة أثر البيئة والمجتمع على مظهر من مظاهر العمران » .

تتحدد أنماط الحياة الاجتماعية في أي مجتمع بعدد من العوامل ، وتلعب البيئة بظروفها دورا مهما مؤثرا ، فالبيئة هي التي تحدد شكل النشاط الاقتصادي ، وهذا بدوره يسهم بشكل فعال في نوع العلاقات الاجتماعية ، وتحديد مكانة التقاليد والعادات السائدة في أي مجتمع وأنماطها .

ولا تنفصل هذه (الأسباب النتائج) عن أثر البيئة بمعناها الجغرافي (التضاريس والمناخ) ، فنشاط بلاد السهول الاقتصادي غيره في بلاد الجبال ، ومدن السواحل غير مدن الصحراء ، والبلاد الممطرة غير بلاد الجفاف ، وهكذا .

ولا يخرج المجتمع الكويتي عن هذه القواعد التي صاغها الاجتماعيون لفهم البلدان وتحليلها ، فقد أثرت البيئة ـ بشكلها الجغرافي المباشر (التضاريس المناخ) ـ في اختيار النشاط الاقتصادي وتحديده ، فكان لعناق البحر بالصحراء أكبر الأثر في اتجاه النشاط الاقتصادي الأغلب إلى الصيد والتجارة والرعي ، وكان للمناخ بقسوته الشديدة آثار محددة واضحة في عديد من مظاهر الحياة ، ولعل أوضح أمثلتها كان في العمران ، فبنفس القدر الذي أثر المناخ في تحديد ساعات العمل ومواسمه فحتم البدء مبكرا ، والراحة وقت الظهيرة والهجير ، فقد أثر

المناخ على شكل العمران ونمط البناء .

واذا كانت المدن والبلدان تقرأ من مبانيها ، ومن شكل البناء وتوظيف المساحات وتصميم المباني ، فإن بيوت الكويت القديمة تعد نموذجا حقيقيا لعلاقة البيئة بالحياة الاجتماعية ومظاهرها المختلفة .

المناخ وأثره على العمران

من المعروف أن العناصر المناخية المؤثرة على العمران هي الحرارة والرياح والأمطار ، فبالنسبة للحرارة التي تعتبر من أهم عناصر المناخ ، فقد أثرت على العمران في الكويت لارتفاع درجاتها معظم أيام السنة . وتبدو شدة الحرارة بصورة واضحة في الكويت إذا نظرنا إلى النهايات العظمى اليومية ومعدلاتها الشهرية ، حيث نجد أن هذه المعدلات ترتفع في معظم شهور الصيف ، وتصل إلى ٤٣م° ، وقد تزيد عن ذلك . وتجدر الاشارة إلى أنه حتى لو وصلت كتل هوائية من ناحية الخليج فإن مساهمتها في تلطيف الجو محدودة ، إذ أن درجة حرارة مياه الخليج نفسها مرتفعة ، ويزيد من الاحساس بحرارة الصيف أنها مقترنة بنسبة مرتفعة من الرطوبة .

أما في الشتاء فتعتدل الحرارة في الكويت بوجه عام ، حيث أن معدلات أشهر الشتاء لا تنخفض عن ١٠م° ، وذلك باستثناء موجات البرد القارص التي تحدث أحيانا ، والتي قد تنخفض درجة الحرارة أثناءها إلى الصفر المئوي أو ربما دونه . هذا ومن الملاحظ أن عدد الأيام التي يرتفع فيها متوسط الحرارة عن ٤٠م° على مدار السنة يصل الى نحو ١٢٤ يوما ، وأن متوسط عدد الأيام التي تنخفض فيها درجة الحرارة عن ١٠م° يصل إلى ٧١ يوما فقط .

من ذلك يتضح أن صيف الكويت طويل وحار ، إذ يمتد من منتصف ابريل وأوائل مايو إلى منتصف سبتمبر تقريبا ، أما شتاؤها فقصير بارد ، يمتد من منتصف نوفمبر إلى أوائل فبراير ، أما الربيع والخريف فلا يكاد يلاحظ وجودهما ، وإن كان الربيع أكثر وضوحا من الخريف . ولعل ما يساعد على ارتفاع حرارة الصيف في الكويت هو قلة السحب وطول النهار وارتفاع مقدار الاشعاع الشمسي بسبب ذلك . وتجدر الاشارة إلى أن للرياح وتغير اتجاهاتها أثره في اختلاف درجة الحرارة بين الصيف والشتاء ، فرياح الشمال تقلل من حرارة الصيف ، لكنها في الشتاء تعمل على جلب السحب والأمطار وخفض درجة الحرارة ، أما الرياح الجنوبية الشرقية التي تهب على البلاد صيفا فتؤدي إلى ارتفاع نسبة الرطوبة ، أما في الشتاء فهي رياح لطيفة تجلب الدفء .

أما الرياح وهي العنصر الثاني من العناصر المؤثرة في العمران - لا سيما في بيوت الكويت القديمة - فإن تأثيرها المباشر ملحوظ على العمران في مدينة الكويت القديمة ، والمراكز العمرانية خارج سورها . وتؤثر الرياح على عناصر المناخ الأخرى ، فهي على سبيل المثال تؤثر في اختلاف نسبة الرطوبة بين الجهات الساحلية والجهات الداخلية ، مما يؤثر على توزيع العمران .

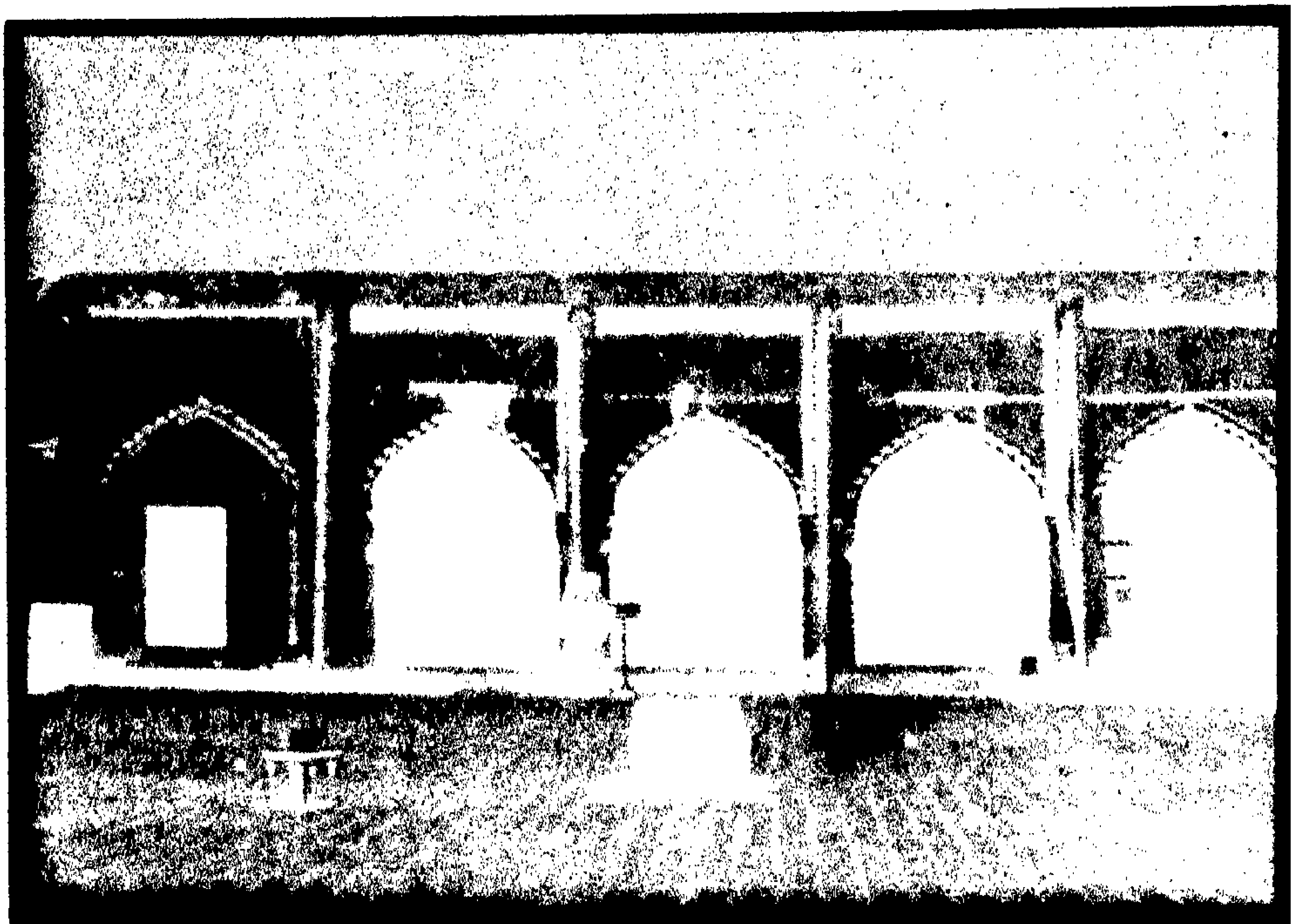
رياح وزوابع

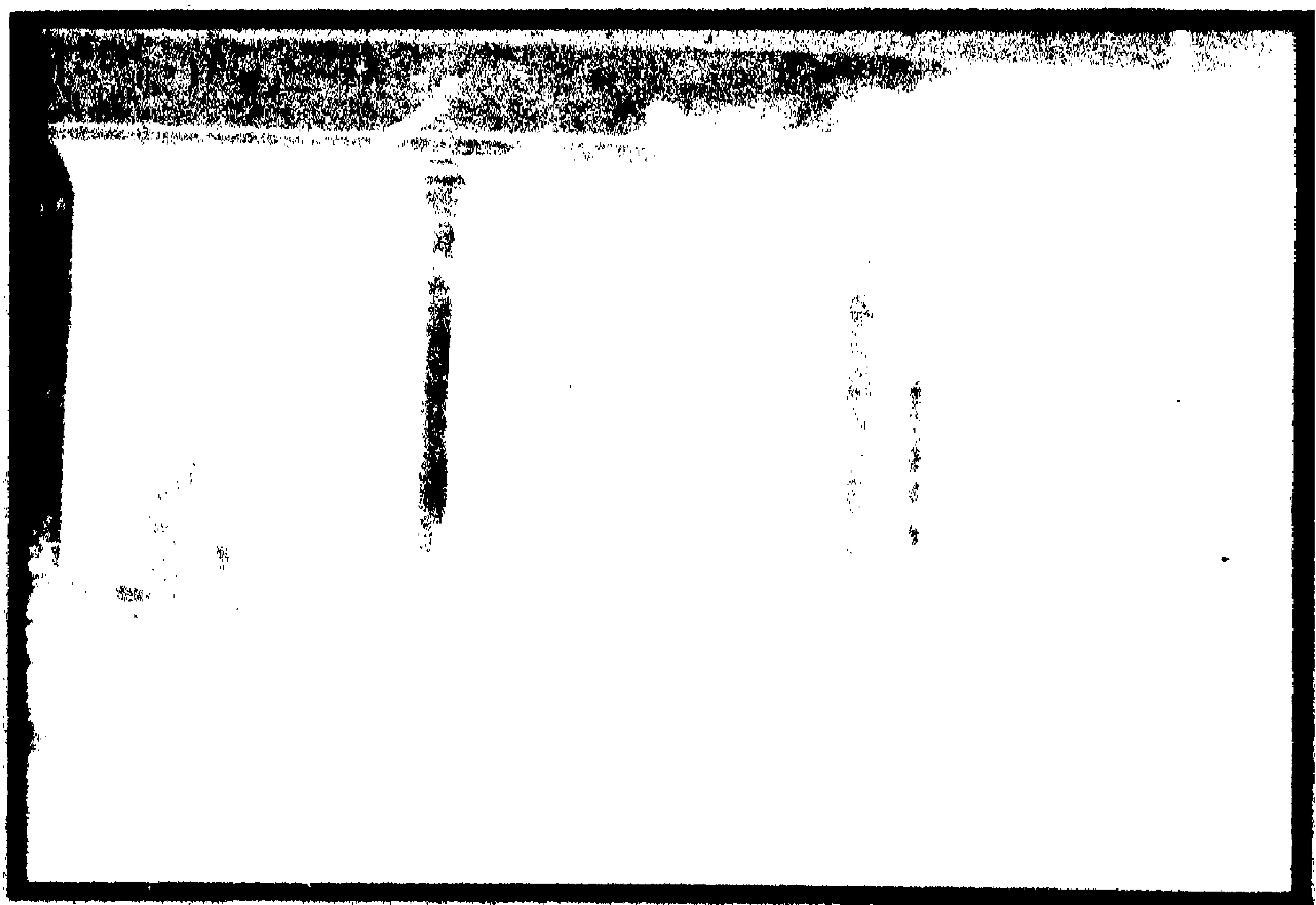
تسيطر على الكويت صيفا الرياح الشمالية الغربية ، وهي رياح صحراوية ناشطة شديدة الحرارة والجفاف ، ولا تنافسها في ذلك أية رياح أخرى ، ولشدة حرارتها سميت « السموم » . تستمر الرياح الشمالية الغربية مسيطرة على الكويت طوال فصل الشتاء ، بيد أنه قد يتغير اتجاهها بسبب الاضطرابات التي تصحب الانخفاضات الجوية التي تتكون على البحر المتوسط ، وتتحرك ناحية الخليج العربي ، عندما تهب رياح جنوبية شرقية أو جنوبية غربية ، لكن الرياح الأخرى دون نسبة الرياح الشمالية الغربية .

وتجدر الاشارة إلى أن متوسط السرعة السائدة للرياح الناشطة في الكويت يتراوح بين ١٣ و٣٢ ميلا في الساعة ، ولا يعني ذلك عدم هبوب الرياح بسرعة أكبر من هذا المعدل ، ففي بعض الأحيان تصل السرعة إلى أكثر من ٨٠ ميلا في الساعة . ومن آثارها المدمرة في هذه الحالة اقتلاع الأشجار وأعمدة









الكهرباء وتدمير بعض المنازل البسيطة .

أما الزوابع الرملية في الكويت فتحدث بسبب المنخفضات الجوية . وهي من الظواهر كثيرة التردد على الكويت ، إذ يبلغ المتوسط السنوي لحدوثها ٢٥٢١ ساعة في العام ، أي بواقع ٧ ساعات يوميا ، ويبلغ المتوسط الشهري لكمية الغبار المترسبة في مدينة الكويت ٦١,٢ طنا / كم^2 شهريا ، وهو ما يعادل» جرامين / م^2 يوميا ، وتبلغ أعلى كمية منه شهريا (١٠٢,٥) مائة وطنين ونصف خلال شهر ابريل ، أما أدنى كمية فتبلغ ، ٢٨,١ طنا خلال شهر يناير .

وتتعرض الكويت لهبوب الزوابع الرملية التي ترتفع معها ذرات الرمال إلى حوالي ٣٠٠٠ - ٦٠٠٠ قدم ، وتعتبر هذه الزوابع احد الملامح المميزة لمناخ الكويت ، ويطلق عليها محليا اسم (الطوز) ، وتسود هذه الظاهرة في الغالب خلال فصل الصيف ، خاصة في شهري يونيو ويوليو ويبلغ متوسط عدد أيام حدوثها خمسة أيام في يونيو وأربعة في يوليو ، وقد يصل عدد هذه الأيام إلى خمسة عشر يوما ، وقد يهبط عددها إلى يوم واحد خلال أي شهر من شهوز الصيف . والواقع أن هبوب الرياح قوية ومحملة بالغبار والرمال يتوقف إلى حد كبير على اتجاهها ، حيث يلاحظ الارتباط الواضح بين الزوابع الترابية الناشطة والرياح القادمة من الشمال الغربي خاصة في فصل الصيف وتبدأ الزوابع غالبا بهواء حار ، ثم تعقبه الزوبعة مع بلوغ الرياح سرعة مقدارها ٢٠ ميلا في الساعة أو أكثر ، حيث تصل أحيانا إلى ٤٠ و ٥٠ ميلا في الساعة ، وتتوقف كمية الرمال كذلك على عمق المنخفض الجوي فوق المنطقة . ويبلغ متوسط عدد الأيام التي تحدث فيها الزوابع الترابية في فصل الشتاء أربعة أيام ، وفي فصل الربيع عشرة .

أما العنصر الثالث من عناصر المناخ فهو المطر ، وقد كان له تأثيره على العمران في الكويت القديمة ، فالكويت تتميز بقلة أمطارها ، إذ يبلغ المتوسط السنوي لكمية المطر فيها حوالي ١٠٠ ملم ، ويتميز سقوط المطر بالتذبذب . ومن دراسة متوسطات كمية المطر الشهرية لفترة ١٩٧٨م - ١٩٨٢ في الكويت لوحظ أن متوسط كمية المطر في شهور ديسمبر ويناير وفبراير تعادل ٧٠٪ من مجموع ما يسقط في موسم المطر ، والسبب في تفاوت الأمطار في الكويت أنها أمطار إعصارية ، ترتبط بعمق الاعصار وموقعه وخط سيره ، وغالبا ما تصحبها العواصف الرعدية . أما عن موسم سقوط الأمطار فيرتبط بانخفاضات البحر المتوسط ، أي أنها تسقط غالبا في الشتاء والربيع بين شهري نوفمبر وابريل ، وإذا سقطت في أواخر الربيع عرفت باسم « السرّايات » ، وتكون مصحوبة بعواصف البرق والرعد ، أما في فصل الصيف فيندر سقوط المطر

التصميم ومواد البناء

كان المنزل الكويتي القديم يتألف من طابق واحد في أغلب الأحيان ، وتبنى حجراته على جانب أو جانبين أو أكثر ، ويبدو المنزل دائما بشكل مربع أو مستطيل ، تشغل جوانبه الحجرات والمرافق ، ويظل القسم الأوسط منه يمثل حوش المنزل الذي خصص لاستخدامات كثيرة

وتبنى جدران البيت الكويتي القديم عالية ، لمتطلبات بيئية واجتماعية ، سيأتي ذكرها فيما بعد ، أما باب المنزل فغالبا ما يكون على هيئة بابين ، الأول كبير والثاني صغير ، الأول صمم ليستوعب دخول الحيوانات كالأغنام والماعز وقطع الأثاث الكبيرة أما الباب الصغير فقد خصص لدخول أهل البيت وزائريهم .

والبيت يحتوي على عدد من الحجرات ، خصص بعضها للنوم وبعضها الآخر للتخزين ، علاوة على استقبال الضيوف ، لا سيما ضيوف ربة البيت ، وتتعدد الغرف في المنزل بحسب حجم البيت وعدد أفراد الأسرة والمستوى الاجتماعي لأصحابه . وعادة ما يكون متوسط مساحة الغرفة (٤×٦) أمتار ، أي ٢٤ مترا مربعا . وكان يراعى أن تكون النوافذ

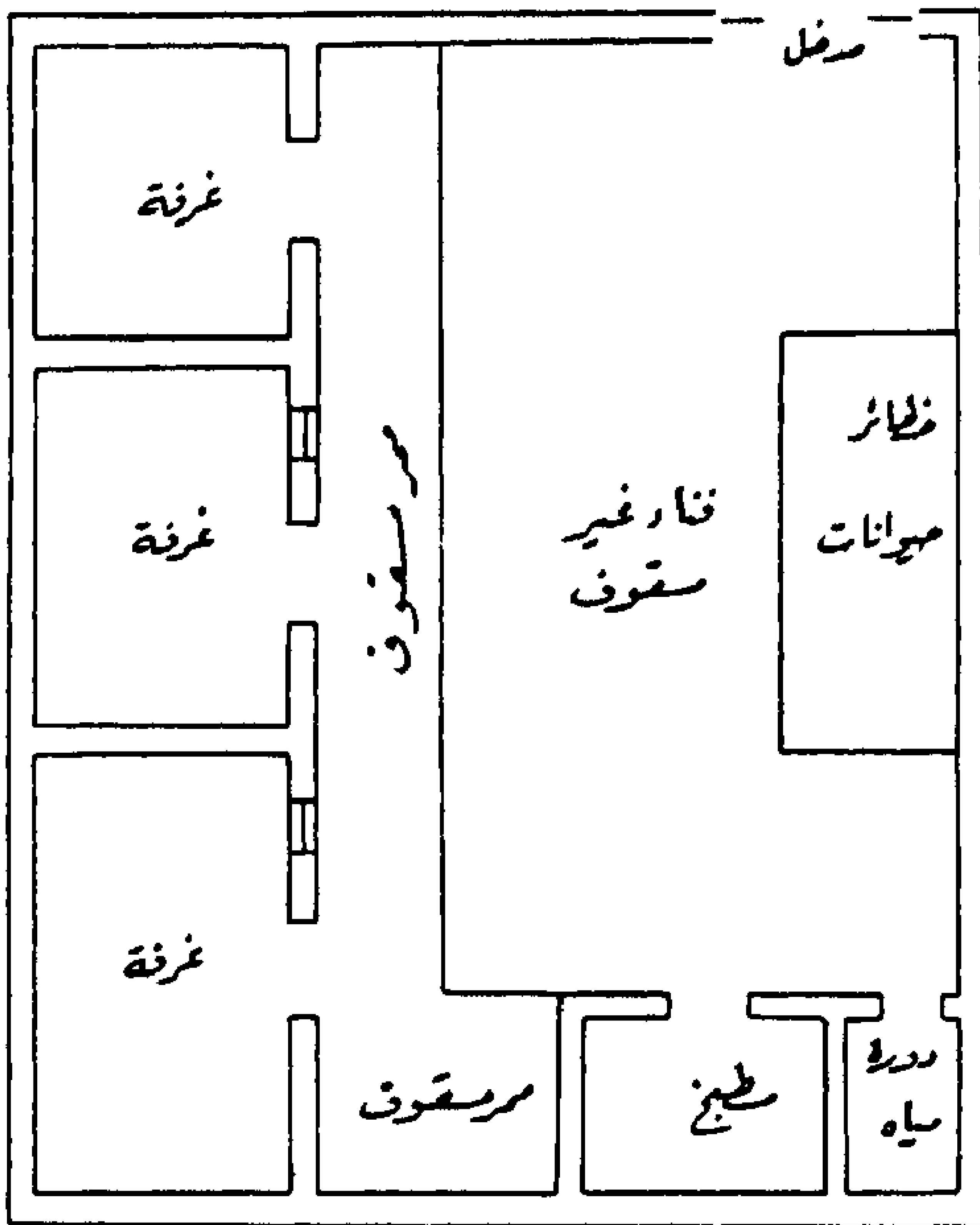
صغيرة عالية لمتطلبات بيئية ، والحجرات تضم تجويفات في جدرانها تمثل ما يسمى بالديكور في عالم اليوم ، لتوضع فيها التحف والأدوات التقليدية بقصد الزينة أو الانتفاع بها .

ولم يكن هناك بيت ـ لا سيما بيوت العائلات الموسرة ـ يخلو من الديوانية ، وهي حجرة استقبال ضيوف رب الأسرة ، وكان يراعى في تصميمها الاتساع وكثرة النوافذ الكبيرة الأقل ارتفاعا التي تطل على الشارع ، وكانت تحتوي على مكان مخصص لاعداد الشاي والقهوة . ويشتمل البيت على مكان مخصص للحيوانات على شكل حظيرة ، إما منفصلة عن البيت أو في نطاقه ، ويحدد ذلك حجم الثروة الحيوانية لدى الأسرة ، إذ أن العدد الكبير من الأغنام والماعز أو البقر يحتاج لمكان خاص منفصل عن بيت الأسرة ، بعيد عن أعين أهل البيت والزائرين ، إذ لا يخفى وجود القاذورات والروائح المنبعثة من مخلفات الحيوان التي تحتاج دائما للتنظيف .

أما دورات المياه فهي عبارة عن غرف صغيرة ، تزود بالمياه اللازمة . وتجدر الاشارة إلى أنه لم يكن هناك نظام صحي للصرف العام ، فقد كانت المخلفات تصرف بطريقة فردية . وقد تخصص عدد من الناس من الرجال بالقيام بأعمال التصريف والتنظيف ، حيث كانوا يستفيدون من بعض المخلفات الطبيعية في الأغراض الزراعية .

وهناك « الليوان » وهو امتداد للأسقف ناحية الحوش ، تسنده أعمدة تختلف في أحجامها وزخارفها حسب حالة اصحاب البيت المادية . وغالبا ما يكون « الليوان » مرتبطا بتصميم حجرات البيت ومرافقه ، فهو إما أن يكون امتداداً لجانب من سقف الحجرات أو امتداداً لجانبين أو ثلاثة أو أربعة ، فيصبح على شكل مستطيل ينقصه ضلع أو على شكل مربع . وسنتحدث عن استخدامات « الليوان » في الصفحات التالية .

أما سقف البيت فكان جذوع أشجار معينة تستورد من الهند ، وتمد فوقها شرائح طويلة من الخشب تكون على شكل شبك ، يوضع عليها نوع



مخطط للبيت الكويتي القديم

من الحصير مصنوع من البوص (يسمى بواري) . ثم توضع بعد ذلك طبقة من الطين .

أما الأسطح فتبنى جدرانها عالية . وسنذكر السبب في ذلك .

وتحتوي بعض بيوت أهل الكويت القديمة على غرفة ملحقة بالسطح ، كثيرا ما كانت تزود « بالباقدير » ، وهو عبارة عن برج يبنى فوق أسطح المنازل له أبواب لا تزيد على أربعة . ولم يكن هذا الباقدير يبنى لأغراض جمالية فوق الأسطح وإنما يشيد لأغراض وظيفية يظهر معها بجلاء تكيف الكويتيين قديما مع بيئتهم .

هذا وقد استفاد الكويتيون من إمكانات بيئتهم في مجال البناء والعمران ، فاستخدموا الرمال التي تزخر بها أرض الكويت ، كما استخدموا الطين المتواجد في مناطق الأودية القديمة حول مدينة الكويت ، هذا علاوة على استخدام صخور الشاطيء المتوفرة على جهة المدينة البحرية ، أما الأخشاب ولوازم البناء فقد جلبوها من الهند وشرق افريقيا .

نمط البناء وظروف البيئة

لو نظرنا إلى حوش المنزل أو فنائه في البيت الكويتي القديم لوجدناه متسعا ، وقد وظف هذا الحوش لأغراض شتى منها بناء بركة لتخزين المياه في وسطه ، يكشف غطاؤها أثناء مواسم المطر كي تستقبل كميات من المياه ذات الاستخدامات المتعددة ، كذلك أمكن تغذية هذه البركة من المياه المتجمعة على سطح المنزل عن طريق « المرزام » الذي يوصل به أنبوب مصنوع من قماش الأشرعة لينقل المياه منه إلى فوهة البركة . وقد جاء بناء البركة وسط الحوش نتيجة للحاجة الماسة لتخزين المياه ، سواء كانت من الأمطار أو تلك التي يتم شراؤها .

ويستخدم « الحوش » لمبيت أفراد الأسرة صيفا حيث تهب ليلا نسمات ريح الشمال ، كما تجلس نسوة البيت في أوقات الضحى في أطراف الفناء الظليلة ، فالجدران عالية ، وهذا العلو أو الارتفاع يوفر الظل سواء كان ذلك داخل المنزل أو خارجه . وقد يضم الفناء بئرا تحفر لتوفير المياه الباطنية لبعض الاستخدامات المنزلية ، ومياه الآبار إما مالحة أو مائلة إلى الملوحة .

استخدام « الليوان » ينحصر في الجلوس فيه ، لا سيما وقت الظهيرة لتناول وجبة الغداء صيفا ، كما يستخدم للنوم عند القيلولة لما يوفره من ظل وبرودة نسبية . كما كان يعلق في أركان « الليوان » الظليلة ما يسمى « الملّالة » ، وهي سلة يوضع فيها الطعام الزائد عن الحاجة ، وللمحافظة عليه من الفساد في هذا المكان الظليل البارد نسبيا . وفي ذلك يذكر السعيدان ما يلي :

« الملّالة »سلة تصنع من الخوص أو الأسلاك ، كانت تعلق في الماضي في حوش المنزل ، حيث تتدلى من العريش أو « الليوان » ، توضع فيها بقايا الأكل لليوم التالي ، كباقي الطعام أو البطيخ أو اللحم ونحوه ـ قبل وصول الثلاجات إلى الكويت ـ وذلك لتتعرض للهواء .

وبعض البيوت التي لا يتوفر فيها « ليوان » فإن بناء العريش فيها ضرورة لابد منها . يذكر السُعيدان أن العريش عبارة عن سقيفة من البواري أو الحصر ، ترتكز على أعمدة من خشب « الجندل » ونحوها ، وتصف فوق أعواد البردي أو « الباسجيل » (خشب مستورد من شرق افريقيا) وتغطى بنسيج من الحصر والخياش وتتخذ ظلا ، ويضيف بأنه لم يكن يخلو بيت في الكويت القديمة من العريش وقد يستعاض عنه بالليوان .

ومن فناء البيت تعرج على حظيرة الماشية أو حوش الغنم الذي يقتطع من فناء البيت . وقد فرضت الظروف البيئية على الكويتيين اقتناء الماشية والأغنام والماعز لتوفير المتطلبات الأسرية من الألبان ومنتجاتها ، ومن الدواجن والبيض ونحوه ، كما أن بعضهم كان يحتفظ بحيوانات النقل مثل الحمير والبغال لعدم توفر وسائل النقل المتطورة في الكويت قديما ، خاصة لنقل السلع والبضائع والمياه .

وتجدر الاشارة إلى أن بعض الأسر كانت تزرع في فناء المنزل بعض الأشجار المثمرة التي تتلاءم مع ظروف البيئة المحلية كالنخيل والسدر لتفي باحتياجات أهل المنزل . وكانت تروى من الآبار التي تحفر في أحد جوانب الفناء .

بحثاً عن الظل

وقد نتج عن بناء جدران البيوت التقليدية العالية وتلاصق البيوت وجود شوارع ضيقة أو أزقة بمعنى أدق ، والهدف من ذلك محاولة إيجاد الظل في تلك الشوارع ، بحيث تخفف من حدة أشعة شمس الصيف اللاهبة . وقد عرفنا مما سبق طول فترة الصيف وارتفاع مقدار الاشعاع الشمسي . وهذا النمط من البناء إنما يعالج هذه الظاهرة عن طريق توفير الظل .

وفي نمط بناء الحجرات رأينا أن النوافذ عالية صغيرة ، وهذا النمط من البناء يعالج ظاهرة بيئية هي شدة الحرارة ، ومن وظائف هذه النوافذ الصغيرة العالية التخفيف من شدة الاشعاع الشمسي

المنعكس إضافة إلى التقليل من كمية الغبار . أما « الباقدير » الذي سبقت الاشارة إليه ، والذي يبنى فوق الأسطح في المنازل القديمة فقد كان يمثل ما يعرف اليوم باسم أجهزة التكييف صيفا . يذكر السعيدان ـ أن الكويتيين قد استخدموا الباقدير للحصول على الهواء المنعش ، وذلك قبل أن يعرفوا المراوح وأجهزة التكييف الكهربائية ، وهو عبارة عن برج بارز ، يبنى فوق أسطح المنازل ، له عدة أبواب لا تزيد عن أربعة ، تصطدم بها الرياح من كل اتجاه ، فتدخل في تجويف البرج فتصل إلى داخل الغرفة فيلطف جوها . وكان يوضع بأسفل الباقدير قطعة من القماش المبلل ، حتى إذا ما هبت الرياح المتربة تقوم بتصفيتها من الرمال العالقة بها ، وكلمة باقدير كلمة فارسية الأصل ، معناها برج الهواء البارد ، وتلفظ قاف الكلمة كالجيم المصرية .

ومما سبق يتضح أن « الباقدير » صمم لمواجهة حرارة الصيف وأيامه المتربة ، وفي ذلك تحايل على قسوة البيئة ومعطياتها المناخية الصعبة .

هذا وعلى الرغم من أن للأمطار آثارها الايجابية على سكان الكويت قديما ، وتتمثل في توفير المياه وحفظها في البرك ، فإن لهذه الأمطار الاعصارية آثاراً سلبية ، تتمثل في احالة الشوارع غير المرصوفة آنذاك إلى أوحال يصعب السير عليها .

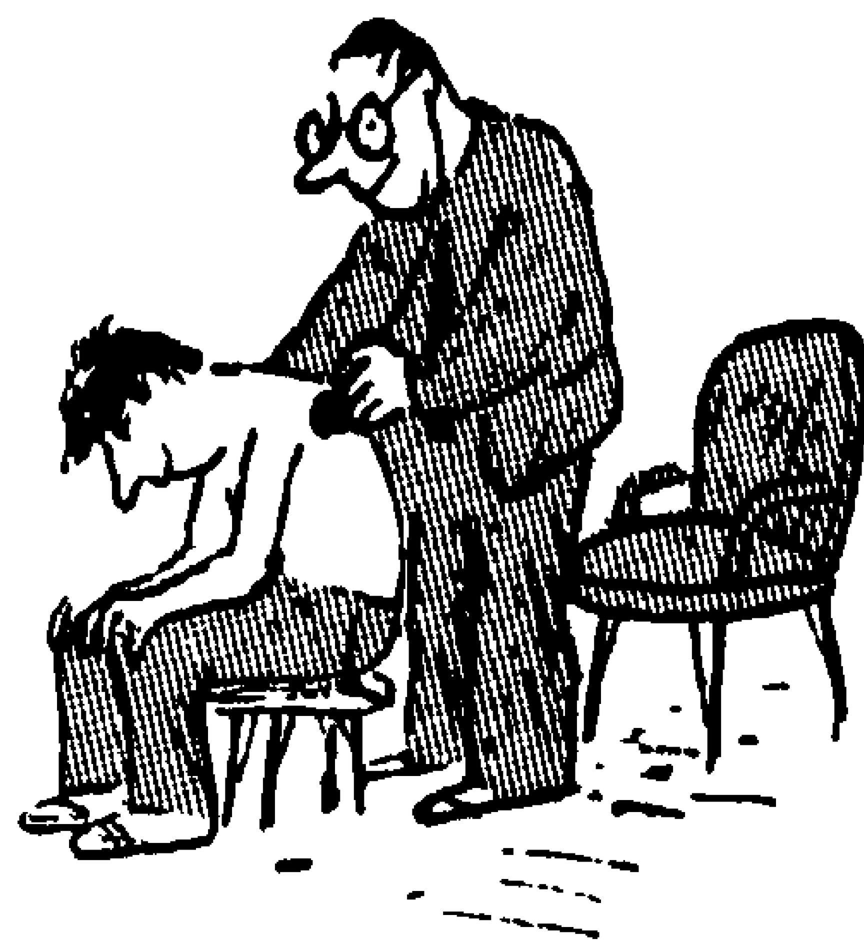
كما كانت مياه الأمطار تتجمع في بعض الشوارع الضيقة وتسدها ، وتحول دون المرور فيها ، إلا بعد أن يتعاون الأهالي في ايجاد طريقة لتصريفها . وكما تتجمع مياه الأمطار في الشوارع الضيقة فإنها تتجمع أيضا في أحواش وأفنية البيوت القديمة ، وتجعل التحرك داخلها أمرا صعبا . ولتصريف هذه المياه لجأ الكويتيون إلى حفر قنوات من الحوش إلى الشارع عبر أسفل الجدران ، مهمتها تصريف المياه إلى خارج البيوت ، وقد سميت هذه القنوات « المداعيب » ومفردها « مدعاب »

ومما سبق يتضح لنا أن الكويتيين قد تفاعلوا مع ظروف البيئة في مجال بناء بيوتهم ، فجاءت أنماط البناء كنوع من التكييف البيئي والتحايل البشري الذي أفرز صورة من التعايش والمواءمة بين الانسان والبيئة في الكويت قديما . □

كعكــة العـــرس

● يقال ان كعكة العرس نشأت من التقليد القديم الذي يجعل شراكة العريس والعروس في طعام واحد ، رمزا للوحدة ، ومع الوحدة الغبطة والهناء ، ويقال كذلك ان قدماء الاغريق كانوا يصنعون الكعكة من طحين السمسم بعد خلطه بعسل النحل ، ثم توزع الكعكة على الضيوف ، وفي روما القديمة كان من مراسم الزواج الأولى صنع فطيرة من القمح ، يهبها العريسان الى الآلهة ، ثم يأكلان منها معا .

وتوارثت أوروبا هذه الكعكة ، يصنعونها من عجين بلاخميرة ، فهي اشبه بالبسكوت ، ومع تطور فن الطهي زادت الكعكة حجما ، وزادت محتوى ، وتعقدت صناعتها ، فتفننوا في تزويقها ، وهي اليوم مرسم من مراسم العرس قائم دائم ، تبدأ العروس بقطع الكعكة بالسكين يعينها في ذلك عريسها ، وذلك في الحفل الذي يقوم بعد عقد الزواج ، وتوزع على الحاضرين والحاضرات ، وتستبقى للغائبات والغائبين قطع صغيرة منها ترسل اليهم تحية وذكرى .



الفحص الطبي الدوري

بقلم : الدكتور قاسم طه السـارة*

لا يخفى على من يعيش في عصرنا الحاضر كثرة حدوث أمراض القلب والشرايين ، مثل الجلطة والفالج ، وكثرة حدوث داء السكري ، والقصور الكلوي ، والسل الرئوي ، وغيرها . ومن المعروف أن مثل هذه الأمراض تأتي نتيجة تطور تدريجي وبطيء ، وقد يستغرق تكامل المرض سنوات أو حتى عشرات السنين .

ومن هنا كان للكشف المبكر لعلامات هذه الأمراض وأعراضها ، والمعالجة المبكرة دور هام في تجنب حدوث مضاعفات في مثل هذه الأمراض الوخيمة .

والفحص الطبي الدوري يشبه الفحص (الميكانيكي) للسيارات ، فكل من يمتلك سيارة عليه إجراء فحص (ميكانيكي) دوري لها ، وعليه أن يتفقد أجزاءها ، وأن يُغيِّر الزيت ويبدِّل الإطارات قبل أن تتلف تلفا تاما ، وذلك حرصاً على بقائها تعمل بحالة جيدة ، لأطول فترة ممكنة .

وبدن الإنسان هو أغلى ما يملك ، وهو أجدر أن تقدَّم له مثل هذه العناية ، وأحق أن يتعهد بالفحص الدوري لكل أعضائه وأجهزته من حينٍ لآخر .

إن الفحص الدوري هو قيام شخص سوي ، يتمتع بصحة جيدة ، سليم من الأمراض ، لا يشتكي من أيِّ علةٍ ظاهرة ، وليس في عائلته مريض بمرضٍ مزمن أو وراثي ، بمراجعة الطبيب أو المركز الطبي المختص ، في فترات زمنية منتظمة ، كل سنة ، أو كل ستة أشهر ، لتجرى له الفحوص الطبية السريرية ، والمخبرية ، والشعاعية .

أما إذا شكا الإنسان من علةٍ ما ، أو كان هناك أحد أفراد عائلته مصاباً بمرضٍ مزمن أو وراثي ، مثل ارتفاع ضغط الدم ، أو داء السكري ، فيجب مراجعة الطبيب في فترات متقاربة أكثر ، والتركيز عند إجراء الفحوص السريرية أو المخبرية أو الشعاعية على علامات ذلك المرض ، دون إهمال علامات الأمراض الأخرى .

أهداف الفحص الطبي الدوري :

١ ـ الكشف المبكر عن الامراض الخطيرة القابلة للشفاء بالمعالجة النوعية ، قبل أن تظهر أعراضها ، ويستفحل خطرها ، وقبل أن تصبح معالجتها قليلة الجدوى ، أو عديمة الفائدة ، ومن تلك الأمراض

* طبيب من القطر العربي السوري .

الخطيرة احتشاء القلب ، وجلطة الدماغ « الفالج » ، وانسداد الشرايين في الساقين ، والسرطان القصبي الرئوي عند الرجال ، وسرطان الثدي عند السيدات ، وارتفاع ضغط الدم ، وداء السكري ، وارتفاع شحوم الدم ، والتدرن الرئوي « السل » .

٢ ـ يؤدي التماس مع الطبيب أو مع عناصر المركز الطبي المختص إلى سماع الوصايا والارشادات الطبية التي تكفل للمرء العيش بصحة وعافية ، مثل :

أ ـ استعمال أحزمة الأمان في مقاعد السيارات .

ب ـ المحافظة على الوزن المناسب ، وتفادي البدانة .

جـ ـ ممارسة الرياضة بشكل صحي .

د ـ تنظيم ساعات النوم .

هـ ـ تناول الطعام الذي يحتوي على كمية قليلة من الشحوم ، ومن السكريات ، وكمية وافرة من الألياف النباتية .

و ـ الامتناع عن العادات الاجتماعية الضارة بالصحة : مثل التدخين ، وشرب الخمر ، وقضاء أوقات الفراغ في المقاهي أو الصالات المغلقة التي تحتوي على هواء ملوث .

ز ـ وصايا عامة تتعلق بالأمن الصحي في العمل ، والعناية بأجهزة الجسم المختلفة مثل جهاز القلب والدوران ، وجهاز التنفس ، وجهاز الهضم ، والجهاز البولي ، والجهاز العصبي . . . الخ .

ح ـ وصايا صحية تتعلق بتربية الأطفال ، وتقديم الرعاية الطبية الأولية لهم ، مثل التلقيح ، والتغذية المناسبة .

٣ ـ تحسين نوعية الحياة في المستقبل ، ومواصفاتها ، وبالتحديد في سن الشيخوخة ، إذ يهدف الفحص الدوري إلى المعالجة المبكرة ، فور كشف العلة أو الاضطراب السمعي أو البصري مثلا ، وبالتالي يؤدي إلى الوقاية من حدوث الصمم أو العمى في المستقبل .

كيفية الفحص الدوري :

١ ـ يقوم الطبيب بسؤال الزائر ، ولا أقول المريض ، لأن الزائر غالبا ما يكون صحيح البدن ، عن بعض الشكاوي التي قد يهملها بعضهم ، أو يعتبرونها « أموراً طبيعية » ، كالصداع ، وطنين الأذن ، وكثرة التبول ، ووجع الصدر .

٢ ـ يقوم الطبيب بإجراء فحص سريري كامل ، يشمل الوزن ، وقياس ضغط الدم ، وقياس النبض ، وقياس درجة حرارة الجسم ، وسماع دقات القلب ، وسماع الأصوات التنفسية للصدر ، وجس الشرايين في العنق والفخذين والإبطين والقدمين ، وجس البطن « للتحري عن وجود كتل ورمية » ، وجس العقد البلغمية ، والطحال والكبد ، للتحري عن وجود تضخمات مرضية ، وفحص الفم والبلعوم ، ومس الشرج ، وفحص الثدي عند السيدات .

٣ ـ بعد التأكد من سلامة أجهزة البدن يحول المريض إلى المختبر ، لدراسة مكونات الدم وعناصره ، والبول ، والتحري عن الطفيليات بالبراز .

٤ ـ يفضل بعد سن الثلاثين إجراء تخطيط كهربي للقلب ، وتصوير شعاعي للصدر .

٥ ـ بالنسبة لمن لديهم قصة عائلية للإصابة بداء السكري ، أو بفرط شحوم الدم ، أو فرط حمض البول ، يجب إجراء الفحوص المخبرية على فترات متقاربة ، لا تزيد عن ستة شهور .

٦ ـ الحوار أو المناقشة حول النتائج العامة للفحوص السريرية والمخبرية ، مع التأكيد على الحمية المطلوبة ، وتغيير العادات الاجتماعية السيئة ، وأحيانا التوصية باستشارة اختصاصي في موضوع معين ، أو دراسة جهاز من أجهزة البدن بطرق أكثر تعقيدا . □

هو.. هي

تدخل

● إنه شيء لا يطاق ، لقد أصبح البيت جحيما ، وحمدت الله أنني لم أر لزوجي أمّا ، وأنها توفيت وهو لم يزل طالبا في المرحلة الثانوية . كنت أسمع من شقيقاتي وصديقاتي عن تجربة التعامل مع أم الزوج ، لكن ما حمدت الله عليه اتقاء وخوفا ، من مخاطره كان أهون كثيرا مما عانيته من شقيقته .

فقد تولت شقيقته الكبرى تربية أشقائها بعد وفاة والدتهم ، فصارت هي الأم والأخت ، وكان عطاؤها لهم كبيرا وعظيما ، وبقدر عطائها تعاظم لديها إحساس بأنها تمتلكهم . وبعد زواجي بشهر واحد بدأ أنفها يتدخل في كل أمر في حياتي ، تتابعني بشكل يومي : هل أنهيت أعمال البيت ، وماذا أطهو ، وكيف أطهو ، بل وصل تدخلها إلى أكثر مما يحتمل ويطاق ، وصارت تسأل بشكل مباشر بعد أن كانت تسأل بطرق ملتوية ، لكنها مكشوفة : ماذا فعلتم بعد أن استيقظتم ؟ . هل استحم زوجك ؟



وحاولت كثيرا أن أوقف هذه التدخلات وهذه المشاجرات الدائمة ، لكنه كان يبتسم في وجهها ، ويهش لها ، ويقبل رأسها ، ويربت على كتفها ، ويجلسها بجواره منتظرا إشارة أو لفتة منها . طيلة سبع سنوات لم تتغير ولم تكف عن أسئلتها ، ولم تقلع عن صراخها في وجهي طالبة الرحمة للرجل ، لأن صحته لا تروق لها . ولم تتوقف عن مناقشتي في مصروف البيت وميزانيته ، وماذا أنفق ، وماذا أشتري ، وتفحصها الدائم لملابسي ، فهذا ضيق ، وهذا قصير ، وهذا .. وهذا .. وفي مساء أحد الأيام كنا نسهر معا ، ومعنا والدتي ، ويبدو أن زوجي قد داعبني ، وربت على كتفي مرتين وتجاهلها . وعندما جاءت خلفنا إلى المطبخ تساعدنا في حمل أطباق العشاء ضبطت زوجي وهو يقبلني في وجنتي قبلة مجاملة عادية ، وظلت بقية السهرة كأنها جالسة على موقد نار ، وعندما مضى وقت تلكأت في الانصراف ، فعرضنا عليها المبيت هي ووالدتي ، فقبلت فورا ، وعندما دخلت غرفتي وجدتها نائمة في سريري ، فقد اشتاقت للنوم بجانب شقيقها . وعبثا حاولت أمي أن تقنعها بأن هذا لا يليق ، وأن .. وأن .. ، لكنها ادعت المفكاهة والمداعبة ، وأصرت على البقاء في سريري ، فتركته لها ، وذهبت للغرفة الأخرى لأنام مع أمي وابنتي وقلبي يحترق غيظا من برودة زوجي وابتساماته المشجعة لها .

..هي



القوى العظمى

● قال حكيم قديما : إننا نرى القشة التي في عيون الآخرين ، لكننا لا نرى ما بأعيننا ، أعرف أن بيتي صار ساحة من ساحات المعارك الكبرى ، طرفاها القوتان العظميان في حياتي ، أمّ زوجتي وشقيقتي ، لقد حاولت كثيرا أن أفهم زوجتي وأشرح لها ، أن شقيقتي هذه بمثابة أمّ ، وأنها ربتنا وضحّت من أجلنا اكثر من كثير من الأمهات، وأنني أجلها وأحترم سنها وحياتها التي وهبتها لنا عن رضا تقديراً مني لأنها ضحّت ، والتضحية ليست فرضا ، ووهبت والهبة ليست سلوكا واجبا .

فسبحان الله وحده الذي يجعل في قلوب الأمهات محبة لأبنائهن . وعندما تحبنا واحدة - أياً كانت - حبا كالأمهات ، وتضحي من أجلنا كتضحية الأمهات فإن تقديرنا لها يجب أن يكون عظيما ، وغفراننا لكل ما تفعله يكون متسعا رحبا . وعندما عجزت زوجتي أن تفهم ، وبدأت ردودها على شقيقتي - أمي - تصبح أكثر حدة ، وبدأ صوتها يعلو عليها ، وصارت سخريتها من تعليمها المحدود تزداد بدأت أنقل لها الصورة الأخرى ، وأشكو ، وأصرخ عما بقيت صامتا عليه ، فقد كانت تدخلات أمها منذ اليوم الأول للزواج لا تطاق ، فإذا ناديت زوجتي بصوت عال تصرخ : لماذا ترفع صوتك على ابنتي هكذا ؟ وإذا ذهبت إلى لقاء أصدقاء في المساء .. تعاقب وتحاسب : لماذا تركت ابنتي وحدها في البيت ؟ وإذا اعترضت على طعام أو عدم وجود قميص نظيف أو وجود مقعد مقلوب تصرخ : مد يدك واعمل في البيت مثلها ، وساعدها . ولا تكف يوما عن الحديث عن الأقارب والصديقات والمعارف وأزواجهن ، وماذا فعلوا لزوجاتهم ، وماذا اشتروا لهن ، والنقود التي يتركونها لزوجاتهم لكي يبعثرنها ، وينفقن منها كيفما يشأن ، ولا تقلع عن الوصفات الشعبية (المقوية) التي أفاجأ بزوجتي تنفذها بإرادة مسلوبة . حتى علاقتي بأصدقائي لا تكف عن التدخل فيها ، وقد سمعت يوما أنني أقرضت صديقا ، فصرخت في وجهي قائلة : بدلا من أن تقرضه اشتر ذهبا لزوجتك . وفي مساء أحد الأيام أصرت شقيقتي أن تنام بجواري ، فثارت أمّ زوجتي تضامنا مع ابنتها ، وعندما تدهور مستوى كلماتهما أصررت أن أنحاز لشقيقتي ، فقد عز عليّ أن أهين مشاعرها ، ولم يهن عليّ أن أجرح الخمسين عاما من عمرها الذي وهبته لنا . وتركت الحرب دائرة ، فمن ذا الذي يجرؤ أن يوقف أو ينهي صراع القوى العظمى في عالمنا المجنون هذا ؟! □

.. هو

غدة البروستاتا تلتهب !

بقلم : الدكتور محمد عبدالله المشاري

تفيد بعض الدراسات أن ٢٢٪ من الرجال دون سن الأربعين في الولايات المتحدة الأمريكية مصابون بالتهاب البروستاتا ، وأن ٦٠٪ من الرجال الذين تجاوزوا سن الأربعين مصابون بهذا المرض أيضا .

إن هذه النسبة العالية ، التي يمكن أن تقابلها نسبة مشابهة على الصعيد العالمي تحتم محاولة تقصي أسباب هذه الظاهرة .

إن التركيبة التشريحية لغدة البروستاتا تأخذ شكلا مخروطيا مقلوبا ، تقع أسفل المثانة ، وتحيط بمجرى البول ، وتلامس المستقيم من جهة الخلف . وتتكون الغدة من عدة فصوص ، الفص الأوسط وفصين جانبيين ، وتغلف هذه الفصوص كبسولة عضلية ليفية . ونسيج الغدة ذو تكوين أنبوبي متعرج ، وتبطن هذه الأنابيب خلايا ظهارية عمودية . وتفتح قنوات الغدة في مجرى البول البروستاتي ، ونجد أن القناة الدافقة تخترق غدة البروستاتا لتفتح في مجرى البول البروستاتي .

وتقوم غدة البروستاتا بإفراز ٣٠٪ إلى ٤٠٪ من حجم السائل المنوي . ويتكون سائل البروستاتا من المواد التالية :ـ الزنك ، المغنيسيوم ، الكالسيوم ، الكوليسترول ، حامض الستريك ، السبرمين ، الليسوزيم ، حامض الفسفتيز ، ووجود هذه المواد في سائل البروستاتا دليل على سلامة عمل الغدة وسلامة نشاطها . وتعتمد غدة البروستاتا في عملها على تواجد هرمون « الدايهيدرو تستيستيرون ، وهو الهرمون المذكر .

أسباب المرض

قد لا تظهر أعراض المرض واضحة عند كثيرين من المرضى ، لكن الفحص المختبري لنسيج الغدة المريضة يبين وجود خلايا صديدية وبعض الميكروبات . ونجد أن الاصابة بالمرض تبدأ بعد سن البلوغ ، وتزداد امكانية الاصابة بالمرض بتقدم العمر ، وهناك العديد من الميكروبات التي كثيرا ما تكون سبباً للإصابة بالالتهابات الحادة أو المزمنة لغدة البروستاتا ، أما أهم هذه الميكروبات فهي :ـ اشيريشيا كولاى ، بروتيس ميرابيليس ، وعدة أنوع من الكلبسيلا ، البسودومونس ، كلاميديا ، نايسيريا جونوريا ، مايكوبلازما هومينس . وقد تصاب الغدة بأكثر من ميكروب في نفس الوقت .

ونسبة إمكانية الاصابة بالناسيريا جونوريا والكلاميديا والميكوبلازما لا تتعدى ١٠٪ من الحالات ، مع ملاحظة أن استزراع سائل البروستاتا غالباً ما يظهر سالباً ، أي خاليا من هذه الميكروبات .

هذا وتصل الميكروبات المسببة للمرض إلى غدة

البروستاتا نتيجة لالتهابات في مجرى البول ، أو المثانة ، أو الحالب أو الكلى ، أو قد تصل إليها عن طريق الأوعية الدموية عند إصابة الجسم ببؤرة صديدية ، كالتهاب اللوزتين مثلا ، أو قد تمتد الالتهابات من أعضاء قريبة من غدة البروستاتا مثل المستقيم ، حيث تصل الميكروبات من خلال الأوعية الليمفاوية ، وقد ينتج الالتهاب من استعمال أدوات جراحية أو عند استعمال القسطرة .

وتوجد بعض العوامل التي تساعد على تفاقم الحالة مثل احتقان البروستاتا ، والتضخم الحميد ، أو الأورام السرطانية في البروستاتا ، أو ضيق مجرى البول ، أو تقلص عنق المثانة ، الخ .

أعراض المرض

تبدو أعراض المرض غالبا على هيئة : حمى ، صداع ، خمول عام ، آلام متفاوتة الشدة في منطقة العانة والقضيب ، والخصيتين ، ومنطقة العجان ـ وهي المنطقة الممتدة من الخصيتين الى فتحة الشرج ـ ، وقد تمتد الآلام إلى أسفل البطن والظهر والجزء الداخلي من أعلى الفخذ ، وقد تصاحب الحالة آلام أو حرقة عند القذف ، مع خروج قطرات سائل ذي لون أبيض من القضيب وذلك عند التبرز ، خاصة عند الإصابة بالإمساك .

وهذا وكثيرا ما يشتكي المرضى المصابون بالتهاب البروستاتا المزمن من مشاكل في التبول ، ككثرة التبول ، والحرقة في البول ، أو خروج قطرات من البول بعد الانتهاء من عملية التبول ، أو قد تصاحب بخروج إفرازات صديدية من القضيب على هيئة قطرة في الصباح .

ويجب أن أذكر بأنه قد لا تصاحب الحالة أي أعراض مرضية ، إنما يتم اكتشاف الحالة بعد فحص سائل البروستاتا أو السائل المنوي .

وعند فحص الغدة بإدخال الأصبع الوسطى في القناة الشرجية ، نلاحظ تضخماً في حجم الغدة مع إحساس المريض بالألم ، خاصة عند الضغط عليها بواسطة الأصبع ، وقد يصاب أحد الفصوص الجانبية أو كلاهما .

ونتيجة لوجود الميكروبات في غدة البروستاتا ، قد تحدث تفاعلات مناعية ، مما ينتج عنها قلة عدد الحيوانات المنوية وضعف حركتها ، فلقد تبين من احدى الدراسات أن وجود ميكروبات مثل : اشيريشيا كولاى ، البروتيس ، ترايكوموناس فاجاينالس ، الكانديدا ألبيكنس ، يؤدي إلى ضعف الحيوانات المنوية أو عدم حركتها ، بينما ميكروبا الاشيريشيا كولاى والكانديرا البيكنس يؤديان إلى تلازن الحيوانات المنوية .

ومما يلاحظ أن تركز مادة الزنك في سائل البروستاتا يقل عند إصابة الغدة بالالتهاب ، مما ينتج عنه ضعف في حركة الحيوانات المنوية .

توجد بعض الأمراض التي قد تشبه في أعراضها مرض التهاب البروستاتا ، مثل التضخم الحميد لغدة البروستاتا ، عند الرجال المتقدمين بالعمر غالبا . وكذلك مرض تصلب المثانة ، وانسداد عنقها ، وضيق مجرى البول الذي كثيرا ما يصاحب بالتهاب البروستاتا . ويظهر ضيق مجرى البول غالبا كمضاعفات لمرض التهاب مجرى البول المتعدد الأسباب ومرض السيلان ، لكن نظرا لنجاح علاج هذين المرضين باستعمال المضادات الحيوية ، نجد أن نسبة الإصابة بضيق مجرى البول كمضاعفات لهذين المرضين لا تتعدى ١٪ من الحالات .

وقد يشبه التهاب البروستاتا في أعراضه مرض اضطراب عنق المثانة ، حيث عند المصابين من الشباب غالباً ، ومن أعراض المرض كثرة التبول ، ونزول عدة قطرات من البول بعد الانتهاء من عملية التبول ، وقد تصاحبه في بعض الأحيان التهابات البروستاتا . ولا نستطيع أن نشخص مرض اضطراب عنق المثانة إلا عن طريق تصوير المبال والمثانة وقياس كمية البول . □



طبيب الأسرة

قضايا منزلية

قضية الصداع

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

لو سئل الناس عن معنى الألم لعجزوا جميعا عن الاتفاق على الاجابة السليمة ، ومع هذا فالألم هو الحادي الأول الذي يدفع الناس إلى عيادات الأطباء في كل مكان وزمان ، وعندما طلبوا من المتخصصين تعريف الألم لم يجدوا جوابا لديهم سوى أنه إحساس غير مرغوب فيه ، لا يحب الناس تكراره .

ولعل أبرز أشكال الألم الذي ينتاب كل الناس في بعض أيام حياتهم هو الصداع .

فالصداع هو أكثر أعراض الألم شيوعا بين كافة البشر . تقدر الاحصائيات نسبة المرضى الذين يشكون للأطباء من الصداع بما يتراوح بين ١٠ ـ ١٥٪ ، بل ربما تصل المعدلات في بلد متقدم كالولايات المتحدة الأميركية إلى أعلى من هذه النسبة بكثير ، إذ يقدر عدد مرضى الصداع ممن يراجعون الأطباء كل عام بحوالي ٤٢ مليون إنسان تقريبا .

والصداع معاناة شخصية تتمثل في عرض متميز لا يدركه إلا صاحبه فقط ، قد تصاحبه علامات تعين الطبيب على التشخيص ، أو يكون منفردا ليس للطبيب حيلة في تحديده إلا بما يروي المريض ويصف ، ومن هنا كانت أهم درجة في سلم التشخيص هي التاريخ المرضي الذي يقصه المريض على طبيبه . وأهم دعائمه هي :

أ ـ وصف الألم إذا ما كان نابضا أو ساكنا أو حارقا أو واخزا

ب ـ موضع الألم من الدماغ وجهته ، فبعضه ألم شامل للرأس ، وبعضه في نصفه فقط . وبعضه الآخر يتركز في موضع محدد دون غيره ، كأن يكون في مقدمة الرأس أو مؤخرتها أو أحد جانبيها .

ج ـ موعد الألم : حيث تتميز بعض الأمراض بمواعيد محددة تلتزم بها ، إذ منها ما يداهم ليلا ، ومنها ما يداهم نهارا ، وقد يكون الألم عند الاستيقاظ ، أو قد يكون قبيل النوم ، وهكذا .

د ـ مدة الشكوى من الصداع : بعض أنواع الصداع يمر مرورا خاطفا يستغرق مدة دقائق ، أو يبقى ساعات معدودة ، وبعض أنواعه يستقر ساعات طوالا أو أياما

هـ ـ العلامات المصاحبة المتميزة لبعض أنواع الصداع حيث إن هناك صداعا قد يداهم أعزل دون علامة مصاحبة له ، بينها يداهم صداع آخر مصحوبا بعلامات تعين على تشخيصه ، كاحمرار العينين مثلا أو ادمائهما .

و ـ المؤثرات والمثيرات : هناك عوامل معينة قد تثير نوبة الصداع ، وهناك عوامل أخرى قد تهدئها .

ز ـ الأعراض التي تسبق الصداع أو تلحق بها وهذا ما اصطلح عليه في عرف الطب باسم الباورة (أو الاورا Aura) كما هي حال الصداع النصفي التقليدي الذي يسبقه اضطراب بصر ، وزغللة في العين مع هلوسات ضوئية وحسية وهكذا .

ولهذا فالأسئلة التي يطرحها الطبيب لابد لها من إجابات دقيقة ، تعين على التشخيص الصادق لمعاناة المريض وسببها ومن ثم تحديد علاجها .

من الجدير بالاشارة إليه هنا لفهم طبيعة الصداع أن نذكر أن خلايا المخ التي يقدر عددها بحوالي ثلاثة عشر ألف خلية لا تحس بأي ألم إطلاقا ، فهي إذن ليست موضع المعاناة ، وإنما السر في ألم الصداع يعود إلى إثارة ما يعرف بمستقبلات الألم التي تتركز في جدران الأوعية الدموية الكبرى وفي نسيج السحايا ، وهي الأغشية المغلفة للمخ والنخاع الشوكي ، ومن هنا كان سر المعاناة أحد ثلاثة أسباب هي :

(١) احتقان في الأوعية الدموية الكبرى للدماغ (بينما لا دور للأوعية الصغرى داخل المخ) مما يؤدي لانتفاخ جدرانها وبالتالي إثارة مستقبلات الألم فيها .

(٢) ضغط على الدماغ كما يحدث في أحوال نزيف المخ أو أورامه أو مع زيادة ارتشاح سائل المخ النخاعي داخل الجمجمة وأنسجة المخ .

(٣) الشد على أنسجة المخ أو أغلفته ، ولعل أبرز أمثلته ذلك الصداع الذي يداهم المرضى عقب إجراء عملية بزل للسائل المخي النخاعي ، وهو صداع يزداد حدة عند الجلوس أو الوقوف ، ويخفت مع تخفيض الرأس أو النوم . إن فهم هذه الحقيقة يعين على التعامل الصحيح مع قضية الصداع وعلاجها على الوجه الأسلم .

لقد تعددت أنواع الصداع كما تعددت أسبابه ، ومن هنا ذهب الأطباء إلى تصانيف شتى للصداع ، يهمنا أن نعرض هنا لأهمها وأكثرها شيوعا ، وهي :

١ ـ الصداع العرضي الذي يعاني منه الجميع من وقت لآخر دون مقدمات ، ويتغلبون عليه بوسائل سهلة ، وعقاقير بسيطة ، والأغلب أن يستغنوا عن الطبيب معتمدين في الخلاص منه على أقراص مسكنة ، ومن أهمها الاسبرين والبارسيتامول ، وهؤلاء ننصحهم بالآتي :

أ ـ تناول أقراص المسكنات مع الحذر من تعاطيها والمعدة خاوية ، لأن الأسبرين يهيج بطانة المعدة ، ويتلف الأوعية الدموية ، ويؤدي إلى نزيف لا تحمد عقباه .

ب ـ عدم الاسراف في تعاطي المسكنات التي قد لا تنفع، فالطبيب أولى بالمشورة وأقدر على النصح .

جـ ـ استعمال الكمادات الباردة على الرأس وتدفئة بقية الجسم بالأغطية والبطانيات .

د ـ النوم والراحة مفيدان لعلاج الصداع والخلاص منه .

هـ ـ الراحة النفسية والبعد عن القلق والمثيرات النفسية علاج للصداع الطاريء ، فأغلب الأسباب تعود إلى معاناة نفسية .

٢ ـ الصداع الأولي ويشمل كل صداع ليس له مرض يبرره ، بل هو الأساس الأول في معاناة المريض ، ومن أهم أنواعه :

أ ـ الصداع النصفي الذي ينتمي إلى مجموعة تعرف بالصداع الوعائي ، لأن المعاناة بسبب اختلال في أوعية الدم الكبرى المغذية للدماغ من انقباض أو احتقان .

والصداع النصفي صورتان ، الأولى تعرف بالصداع النصفي التقليدي ، وهي تتميز بحدوث ما يعرف بالباورة ، حيث يعاني المصاب من اضطرابات بصرية وزغللة في العينين أو هلوسات حسية سببها ضيق في أوعية الدم الدماغية ، ثم يعقبها الصداع الذي يتميز بالمعاناة في نصف الدماغ فقط ، وهذا

الصداع سببه توسع في أوعية الدم عقب انقباضها ، ومن ثم احتقانها بالدم . ويدوم هذا الصداع وقتا قد يقصر فيكون في ساعات معدودات ، أو يطول فيبقى أياما متلاحقة ، وغالبا ما يداهم الصداع مريضه في فترات متعاقبة متكررة كل بضعة أيام أو ربما كل بضعة شهور .

أما الصورة الثانية للصداع النصفي فهي ما تعرف باسم الصداع النصفي الشائع ، ويختلف عن صورة الصداع التقليدي بعدم حدوث الفاورة وباحتمال أكبر أن تتملك الدماغ كله لا نصفه فقط .

وهذا الصداع يتميز بعدم حدوث انقباض في أوعية مما لا يبيح فرصة لحدوث الفاورة الأولية أو الهلوسات الحسية .

هناك علاجات شتى للصداع النصفي المعروف باسم الشقيقة (أو الميجرين Migraine) في لغة الطب العلمية الأجنبية ، ولعل من أهم هذه العلاجات مشتقات الأرجوت .

ومن الجدير بالذكر هنا أن نسبة الاصابة بالصداع النصفي التقليدي لا تزيد عن ١٠٪ ، بينما نسبة الصداع النصفي الشائع هي النسبة العالية التي قد تصل إلى ٨٠٪ تقريبا ، ولكن العلاج متشابه تقريبا لكليهما .

ب ـ الصداع العنقودي وهو أشد أنواع الصداع شدة وحدة وقسوة ، وقد أطلقوا عليه اسم صداع الرجال لأنه يتميز باستئثاره بالرجال المترمسين والملترمين دون النساء ، أما تسميته بإسم العنقودي فلأنه يهاجم صحيته في نوبات متلاحقة ، تدوم النوبة الواحدة منها ما بين عشرين إلى ثلاثين دقيقة ، حيث يعاني المصاب من ألم حاد شديد يداهم صاحبه فجأة دون إنذار على صورة ألم خلف العينين أو جانب الوجه ، مع احمرار في العين وسيولة لدمعها ، وتدلي جفنها مع سيولة الأنف واحتقان الوجه ، مع عرق غزير .

إن شدة الألم تدفع بعضهم إلى ضرب الرأس في الحائط أو ربما قد تدفع بالمريض إلى الانتحار ، فلا غرابة إذن أن يسميه بعضهم الصداع الانتحاري .

جـ ـ صداع توتر العضلات .

وهذا شكل من أشكال الصداع التي لا دخل فيها للمخ ولا لأنسجته ، وإنما سببها انقباض شديد يصيب عضلات الرأس ، وغالبا ما يستأثر بالاناث ، ويعقب غالبا حالات الانقباض النفسي والقلق والاكتئاب ، أو يصاحب دورة الطمث .

ويتميز هذا الصداع بصورة تشابه الشد على الجمجمة مع حساسية وألم عند اللمس أو الضغط عليها ، وغالبا ما تداهم النوبة صحيتها ليلا أثناء النوم .

٣ ـ الصداع الثانوي وهو أنواع شتى لا مجال لحصرها في مقالنا هذا حيث إن الصداع يكون عرضا مصاحبا لأمراض عدة ، منها أورام المخ ، ومنها نزيف المخ ، ومنها التهاب السحايا أو الحميات الانفلونزا مثلا او الزكام أو التهاب الأنف والأذن والأسنان ، وهذه كلها تعرف مما يصاحبها من أعراض أخرى ، وبعلامات يميزها الأطباء ويتعرفون عليها من خلال أبحاثهم وفحوصهم ومختبراتهم ، ولكل منها علاج للسبب لا للعرض ، ولهذا كان الصداع ثانويا .

ردود سريعة

● الناصور ـ المملكة المغربية

من الأفضل أن تجرى تحليلا للدم ، لاستطلاع طبيعة المرض . وما خلق الله من داء إلا وجعل له دواء .

● السيد س . ص ـ سوريا

ألا ترى معنا أن الأمر بحاجة إلى العرض على متخصص في جراحة الدماغ للفحص أولا ، وقبل الاجابة الصادقة على سؤالك ؟! □

مساحة ود..

قتـــــل

كنت شاهدا على جريمة قتل ، وللأسف أنها جريمة لا يعاقب عليها القانون ، ولا يستطيع أحد أن يقدم الجاني فيها إلى القضاء . كنت في زيارة لأسرة صديقة ، الأب في نهاية الأربعينيات موظف مرموق ، له مكانة اجتماعية بارزة ، وله في هذه الدنيا ولد وحيد ، طالب جامعي ، ما يزال في السنة الثانية من دراسته ، يتعثر عاما ويجتاز - بنجاح ضئيل - عاما آخر .

ويبدو أنني وصلت في موعد غير مناسب ، فقد كان الحوار ساخنا بينهما قبل وصولي ، فالابن له طلب وحيد ، يتلخص في عدم إكماله دراسته الجامعية ، ويطرح بديلا مذهلا ، سيذهب إلى ورشة إصلاح سيارات ، ويمكث بها عاما أو عامين ، ثم سيفتتح هو ورشة لحسابه . وعندما وصلت أصروا أن يشاركوني في الحديث ، فأخذت أسمع الابن ، وهو يسرد مبرراته ، ردا على قيمة العلم وأهمية التعليم ، وأخذ يصرخ في وجهي · ماذا فعل العلم لكم جميعا أبي وأنت وعمي وبقية أقاربنا وأهلنا الذين تمسكوا بالعلم ، واحترموا قيمته ؟ كلكم متسولون ، وماذا تفعل لكم القيمة الاجتماعية ؟ لا قيمة في أي مجتمع إلا للقوة ، والقوة مصدرها مال أو سلطة ، فماذا منحكم علمكم ؟ ثم ما هي القيمة الاجتماعية ، ياقات بيضاء وجيوب فارغة ، واستدانات سرية ، وتوتر ، وخوفٌ من المرض أو الحاجة ، وحرمان من بعض -بل من كثير من أشكال الرفاهية ؟ طيلة حديث الابن كان لون وجه الأب يتغير ، ثم فجأة وقع من مقعده فاقد النطق ، فقد أصيب بشلل نتيجة انفجار في المخ .

وظلت متابعتي وعلاقتي بالأسرة طيلة الشهور الماضية ، وظل ضميري مؤرقا من هذه الجريمة البشعة . ترك الابن الجامعة ، وذهب لينفذ إرادته دون احترام حتى لرغبة الأب الذي خسر صحته غيظا منه . وعندما عاتبته قال بصفاقة : إنه قد سقط مريضا عندما رأى صورة حياته على حقيقتها . وكلما ذهبت لزيارة صديقي ، دارت الأسئلة برأسي : كم من أبناء الجيل الذي يعيش ويكبر تحت سمعنا وبصرنا تتغير أخلاقه وتتبدل قيمه ؟ وماذا نفعل نحن جميعا - تربويين وساسة وإعلاميين - لننقذ مجتمعاتنا من أن تتحول إلى بضع ورش ومحلات أطعمة ؟

وماذا نفعل كي نزرع في عقول هذا الجيل فكرة بسيطة ، مفادها أن العلم في حد ذاته قيمة وغاية ومنهج لتدريب العقل ، وليس مهما بعد ذلك أن تعمل وتمتهن ما تعلمت ؟

ماذا نفعل جميعا كي نحمي أنفسنا من زحف الجهلة الذي يهاجمنا تحت أسماعنا وأبصارنا ؟ .

محمود عبدالوهاب



كيف مات صخر ؟

بقلم : غسان حتاحت

تعتبر دراسة أسباب الوفيات من الأمور الهامة في الطب ، حتى أن كثيرا من الدول لا تقبل باعتماد مستشفى تعليمي أو كلية طب ما لم تقم هذه المستشفى أو تلك الكلية بتشريح نسبة معينة على الأقل من جثث المتوفين فيها ، وما لم تجر جلسات دورية لدراسة أسباب الوفيات الحاصلة .

ولقد توسع هذا الاهتمام حتى شمل دراسة المومياء ، وما يعثر عليه من رسم ، أو حتى من شظايا عظام ، وهكذا نشأ علم (الباليو باثولوجي) أو دراسة الأمراض في الرمم القديمة .

وفي كتب الأدب العربي قل أن نجد روايات عن أسباب وفيات المشاهير إلا فيما ندر ، فامرؤ القيس مثلا مات بالجدري كما تروي مراجع المستشرقين ، أو مات بعد أن أهداه القيصر حلة مسمومة ، لأنه عشق ابنته - حسب ما تصوره الخيال العربي - وأيا كان السبب فإن الروايات تحكي أنه ظهرت عليه قروح أدت الى وفاته ، ولهذا سمي بذي القروح .

والحجاج بن يوسف عندما مات بالأَكَلَة ، أسهبت الكتب في وصف فرح الناس بموته أكثر مما روته عن مرضه ، والجاحظ أصيب بالنقرس والفالج في آن ، ثم مات بعد أن وقعت عليه بعض كتبه ، وثقل الكتب القديمة معروف ، ناهيك عن ثقل بعضها من حيث موضوعاتها

وثمة حالات أخرى من مشاهير الخلفاء والأمراء والأعيان قضوا اغتيالا بطعنة رمح ، أو ضربة سيف ، أو ماتوا بالسم ، أو السكتة ، كما يروي الرواة .

وبما أننا لا نستطيع دراسة أسباب وفاتهم مما تبقى من جثثهم - إن بقي منها شيء - فلا بد لنا من الاكتفاء بما تذكره كتب الأدب والتاريخ ، وذلك نزر يسير .

وهنا نتناول وفاة فارس مشهور ، بل هو أشهر من رثي في الشعر العربي قاطبة ، صخر بن عمرو بن الشريد ، أخو الخنساء . ففي قصة وفاته عبر وطرائف ، ونافذة على الطب أيام الجاهلية إن صدقت روايات الرواة،ورواية وفاته - في أحسن الظروف - تضم أكثر من اختلاف وتباين ، لكن كيف مات صخر ؟

مما يروى أن صخرا هذا شارك-وهوفارس-قومه ومدره وعشيرته في أكثر من يوم من أيام العرب . وفي يوم « ذات الأثل » طعنه ربيعة بن ثور الأسدي ،

فأدخل بعض حلقات الدرع في جنبه ، وبقي مدة حول في أشد ما يكون من المرض ، وقد نتأت قطعة مثل اليد في موضع الطعنة ، ثم استرخت ، وطال على صخر البلاء ، وكانت أمه وزوجته سليمى تمرضانه ، فضجرت زوجته منه ، وعندما كانت تُسأل عن حاله كانت تجيب : لقد لقينا منه الأمرين ، لا هو حي فيرجى ولا ميت فينسى ، وكانوا إذا سألوا أمه قالت : أرجو له العافية ، وسمع صخر ذلك فقال بعض أبيات من الشعر ، نلمح فيها خفقة القلب الجريح ، وأسى النفس اليائسة ، إذ يقول :

أرى أمَّ صَخْرٍ لا تَمَلُّ عِيادتي
وَمَلَّتْ سُلَيْمى مضجعي ومكاني
وما كنتُ أخشى أنْ أكُونَ جنازةً
عليك ، ومن يَغْتَرُّ بالحدثانِ
لَعَمْري لقد نَبَّهْتِ من كان نائما
وأسْمَعْتِ من كانتْ له أُذُنَانِ
وأيُّ امرِيءٍ ساوَى بأُمٍّ حليلةً
فلا عاشَ إلا في أذًى وهَوانِ
أهمّ بأمرِ الحَزْمِ لو أستطيعُه
وقد حِيلَ بين العيرِ والنزوانِ .

ولما طال البلاء على صخر قيل له : لو قطعت ذلك البروز لرجونا أن تبرأ ، فقال : شأنكم ، الموت أهون علي مما أنا فيه . فقطعوها وقد يئس من نفسه ، فمات .

مما تذكره كتب الأدب يتبين لنا أن بعض حلقات الدرع قد دخلت في جنبه إثر الطعنة ، وبقيت فيه . وهذه الحلقات تعتبر جسما غريبا لا بد للجسم أن يتخذ رد فعل ضدها ، ويعتمد مدى رد فعل الجسم على موقعها منه ، فإذا كان ذلك في منطقة عضلية مثلا ، يحصل تكلس حولها وتبقى مكانها دون كبير عناء ، أما إذا كانت متسخة فمن الممكن أن تسبب التهابات وخراجات ، وفي هذه الحالة لا يتوقع أن يعيش المصاب عاما كاملا خاصة في وقت لم تكن فيه المضادات الحيوية مستخدمة في العلاج .

أما النتوء الذي تصفه الكتب بأنه بحجم اليد ، فتختلف الروايات حوله ، بعضها ذكرت أن الأمعاء قد برزت ، وهذا أمر يصعب قبوله طبيا ، لأن بروز الأمعاء لفترة طويلة وهي عارية سيؤدي إلى جفافها والتهابها وموتها ، أما إذا غطيت بكمادات رطبة فانها - حتما - تصاب بتتن يقضي على المريض خلال ساعات أو أيام . وليس ثمة شك في أن ما برز هو دحاق أي فتق حصل في موضع الطعنة ، وأن الأحشاء التي يحويها البروز كانت مغطاة بالجلد بعد أن شفيت الطعنة ، ويتضح من بعض كتب الأدب أن هذا النتوء قد برز لاحقا ، مما يؤيد أنه دحاق وليس أمعاء عارية خرجت إثر الطعنة مباشرة .

ونأتي الى اختلاف آراء الأطباء في العلاج ، فمعظمهم نصح بأن يترك النتوء وشأنه ، لأن قطعه سيؤدي إلى الموت لا محالة . وهو رأي صواب ، فقطع الأمعاء - حتى في عصرنا الحاضر - على جانب من الخطورة غير قليل . لكن عصر « صخر » لم يخل - كما لم يخل أي عصر آخر - من أطباء مغرمين باستعمال المشرط ، مولعين بإجراء الجراحة ، مهما كانت الظروف . وعملية كهذه تقتضي موافقة المريض وأهله . وكما هو واضح من كتب الأدب فإن المريض وافق على ذلك بملء إرادته . وهنا لنا وقفة ، فحالة صخر النفسية - كما تصفها الكتب - كانت مزيجا من الاكتئاب والهمود واليأس ، وهذه تدفع إلى الانتحار ، لذلك فإن موافقة المريض على إجراء عملية خطيرة في مثل هذه الحالة النفسية موافقة مرفوضة طبيا .

مما تقدم نرى أن صخرا كان مصابا بالاكتئاب النفسي واليأس ، وقد أجريت له عملية جراحية هي في حد ذاتها خطأ طبي . وهكذا فإن وفاته كانت ناجمة عن حالة نفسية سيئة ، وعن خطأ طبي ، استنكره أطباء ذلك الزمن ، ويستنكره الأطباء الآن .

لقد مات صخر لكن ما قيل فيه من أبيات رثاء عصماء ستبقى خالدة ما بقيت لغة الضاد .

أعَيْنَيَّ جُودَا ولا تَجْمُدَا
ألا تبكيان لصخرِ النّدَى
ألا تبكيان الجريءَ الجوادَ
ألا تبكيان الفَتَى السَّيِّدَا
طويل النجاد رفيع العماد
وساد عشيرتَهُ أمْرَدَا

أسئلة وأجوبة

بقلم : محمد خليفة التونسي

١) « أكو، وماكو »

في رسالة من السيد احمد محمد عبدالفضيل محمود (الشويخ الجنوبي - الكويت) سؤال عن هاتين الكلمتين اللتين تستعملان في الكويت وبعض البلاد الخليجية ، هل هما عربيتان أم خليجيتان ، واذا كانتا أجنبيتين فمن أي البلاد ؟ .

سمعنا كثيرا هاتين الكلمتين في البلاد التي وردت في السؤال ، ومنها العراق ، وقد استغربناهما في البداية ، ومعنى الكلمتين في الاستعمال « يوجد » و « لا يوجد » او « يكون » و « لا يكون » وهما ليستا عربيتين ولكن يبدو أنهما من أصل عروبي (سامي) او لهما أصل في واحدة او اكثر من اللغات العروبية (السامية) ، ومن هذه اللغات اللغة المنداعية آو المنداثية[1] وهي متفرعة من اللغة الآرامية التي كانت منتشرة بين كل شعوب الشرق الاوسط مالم تنتشر فيه لغة عروبية اخرى الا اللغة العربية التي غلبت بعدها مع انتشار الاسلام فقضت عليها . واللغة المنداعية احدى اللغات الآرمية الشرقية ، وكانت مستعملة في العراق من حران شمالا حتى البطائح في جنوبه ، وربما كان استعمالها قد امتد جنوبا الى بقية بلاد الخليج العربي .

في هذه اللغة المنداعية نجد لفظ « كا » و « اكا » بمعنى يوجد او يكون ، ويقابلها في النفي و« لكا » أي لايكون « لكا » مكونة من كلمتين : اللام وهي بمعنى حرف الجر إلى و« كا » بمعنى موجود التي تقابلها في اللهجة الخليجية « اكو » ، ولسنا نعرف لها كلمة تضارعها وزنا في عربيتنا ، فهي ليست منها .

ويحسن بنا ان نلاحظ في عربيتنا الفعل « يكون » وهو أجوف بالواو ، فاذا جزم قيل « لم يكن » و « لم اكن » وقد تحذف نونه كما في قوله تعالى « ولم أكُ بغيا » وقوله « وان تك حسنة يضاعفها » وقوله « قالوا لم نكُ من المصلين » وقوله « فان يتوبوا يَكُ خيرا لهم » فهل الكاف هي جذر الكلمة الدال على الوجود أو الكينونة ؟

هذا مالا سبيل فيه الى القول الفصل في لغة هى اعرق اللغات الحية وهي العربية ، وهل « اكو » المنداعية التي تفيد الوجود ادخلت عليها « ما » التي تفيد النفي في العربية فصارت « ماكو » ؟ كما ان الصابئين كانوا يعيشون في شمال العراق من حران الى جنوبه (البطائح) منذ القرن الاول للميلاد وامتدت معرفتهم حتى مكة في الجاهلية ، ومنهم اليوم قلة تعيش في العراق شمالا وجنوبا ويتوخون ان

يعيشوا بجوار المياه لان دينهم يقتضي الطهارة بالماء والانغماس فيه لاداء شعائر كثيرة[2] .

٢) بيت شعر وقصيدته وقائله

في رسالة من السيد / داود عاني الماضي (القورية / دير الزور / سورية) يسأل عن معنى بيت ، والقصيدة التي هو منها وقائله ، والبيت هو :

اذا شاب الغراب رجوت أهلي
وعاد القير كاللبن الحليب

ـ ولسنا نعرف قائله ولا القصيدة ، وقد سألنا عنها بعض زملائنا هنا فلم نظفر بجواب ، وننشر السؤال هنا لعل بعض القراء يعرف الجواب ومرجعه ، واما معنى البيت فهو الاستحالة ، لأن الغراب لا يظهر عليه بياض الشيب والقير « القار » بطبيعته أسود ، فيستحيل ان يكون أبيض كالحليب .

٣) مبارزة أسد

كنا قد نشرنا في العربي العدد ٣٢٨ في باب جمال العربية ـ قصيدة عنوانها « مبارزة أسد » ونسبناها الى « بديع الزمان الهمذاني » وقد ورد إلينا تعقيبان .

أحدهما من الدكتور سيمون الحائك (الاستاذ بجامعة السوربون / فرنسا) يذكر ان القصيدة لبشر ابن عوانة . الثاني من السيد حسن عبود الحمادي (شارع الوحدة / الميادين / سورية) يذكر مثل ذلك ، وان الشيخ كمال الدين الدميري في كتابه « حياة الحيوان الكبرى » قد ذكر ذلك ايضا عند كلامه عن « الهزبر » نقلا عن الجوهري .

ـ ونشير الى ان القصيدة وردت مع قصة طويلة في آخر مقامة من مقامات بديع الزمان ، وهي اطول مقاماته ، ومعروف أنه أسند رواياته كلها الى عيسى ابن هشام ومنها هذه المقامة البشْرية ومحورها هو : « بشر بن عوانة العبدي » وكلا الرجلين من خيال بديع الزمان وكذلك القصيدة .

٤) بالكاد

في رسالة من السيد / محمد المصطفى بن محمد سيديا (بوتلميت / موريتانيا) يسأل عن كلمة « بالكاد » ويقول انه تحير في معناها لا لأنها نادرة ، بل لأنها استعملت من أشهر الأدباء الذين يؤتمنون على لغتنا ، وانها استعملت في مجلة « العربي » خلال استطلاع عن الجامع الأزهر .

ـ لم نقرأ هذه الكلمة في أية مقالة لأديب متمكن ، ولم تمر بنا في كتاب أو صحيفة الا احسسنا منها بنفرة ، والبلغاء لا يستعملونها فيما يكتبون ، بل يستعملها صغار الصحفيين أو الناشئة لانتشارها في الحديث بالدارجة ، وهم ينقلونها عنها بحكم العادة حين يكتبون .

و « بالكاد » كلمتان : باء الجر و « الكاد » وأصلها الفصيح (بالهمز) وهو مصدر ذو معان كثيرة منها الشدة والمشقة وتكلفها ، وفعله كأد « كثأر » يكأد كأدا ، يقال : كأدني الأمر ، وتكأدني وتَكَاءَدَني ، أي شقَّ علي . ويقال : مسألة كأداء وكؤود ، أي شاقة صعبة او شديدة ، والدارجة لاتهمز المصدر « كأد » بل تقول « كاد » مثل : فار وراس وفاس بلا همز ، والبلغاء لا يستعملون « بالكاد » ويميلون الى مترادفاتها او نحو منها فيقولون مثلا « عبرنا النهر بصعوبة او مشقة » ولا يقال كما في الدارجة : « بالكاد عبرنا النهر » ، ولم يمر بنا الفعل كأديكأدكأدا » في كلام بليغ ، ولو استعمل لكان فصيحا مع غرابته . □

---

(١) المندائية هي المنداعية ، وقد سقط صوت العين فيها وان كان محتفظا بمكانه في ترتيب أبجديتها التي تشبه الأبجدية العربية ترتيبا في حروفها الاثنين والعشرين الاولى .

(٢) تراجع الكتب الآتية « الصابئة المندائيون » للسيدة دراور ترجمة نعيم وغضبان ، طبع ببغداد سنة ١٩٦٩ ، و« مفاهيم صابئية مندائية » للسيدة ناجية غافل مراني .

وكتاب الصلاة القانونية للسيدة دراور . E.S. Drower . The Canonical Praybook of the Mendaeans.

في الصداقة

لأبي تمام

أبو تمام (حبيب بن أوس) الطائي نسبة الى قبيلة طيء العربية لأنه كان منها دماً ، أو وَلاء ، أو ادِّعاء ، ولد في احدى قرى دمشق نحو سنة ١٨٨هـ في أسرة مسيحية فقيرة ، انتقلت في طفولته الى دمشق ، وفيها فتح أبوه حانة ، وعمل هو عند حائك ، ولما بلغ رشده دخل الاسلام وغيَّر اسم أبيه « تدوس » الى « أوس » ثم انتقل الى حمص ، واتصل بشاعرها « ديك الجن » فتأثر به وبشعره ، ثم انتقل الى مصر ، واخذ يتكسب بسقي الناس الماء في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، ويستمع الى حلقات العلماء فيه ، وحفظ كثيرا من القرآن والأشعار ، ومضى ينظم الشعر متكسبا ، فيمدح من يطمع في عطائه ، فإن حرمه هجاه ، ثم عاد الى الشام يطوف بربوعها ، وحاول التقرب الى المأمون العباسي في بغداد ، فخاب أمله فيه ، فمضى يتنقل بين ربوع المشرق كالعراق والشام وارمينية وخراسان ، متصلا بكثير من ولاة الدولة وقوادها حتى ذاع صيته فيها ، فاستدعاه المعتصم العباسي وقدمه على سائر شعراء عصره حتى أخمل كثيرا منهم ، وأجزل له العطاء ، ومن أشهر قصائده في مدحه قصيدته في فتح عمورية من بلاد الروم ومطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

وقد امتلأت يده بالمال ، وكان جوادا ، مسرفا في طلب اللذات ، شديد الاهتمام بزيه وزينته . وكان اسمر طويلا فصيحا ذا صوت أجش مع تَمْتَمة يسيرة ، ولهذا اتخذ له غلاما فصيحا ينشد قصائده امام ممدوحيه . وكان متوقد الذكاء قوى الحافظة حتى قيل انه كان يحفظ مئات الأراجيز والقصائد وفي شعره إشارات كثيرة الى آيات القرآن والسيرة النبوية واخبار تاريخ العرب . وتشهد على اطلاعه الواسع على الشعر قبله اختياراته الكثيرة منه جاهليا واسلاميا ، واشهرها « ديوان الحماسة » وهو مطبوع وله عدة شروح طبع بعضها ، وفي ديوانه ـ وهو مطبوع ـ كثير من التكلف في محاولة تحسين شعره ، فقد ملأه بالمطابقة والجناس مما أفقده كثيرا من السهولة والبهجة .

وكان سمح الخلق لطيف العشرة وفيا لأصدقائه يشاركهم في ماله وجاهه ، ومع كثرة الاخوانيات في دواوين شعرائنا ، قلَّ ان نجد خلالها في الصداقة ما لأبي تمام فيها ، كما في هذه الأقباس ، ومنها في فراق الأصدقاء ويسميهم الأحباء :

في فرقة الاحباب شغل شاغل .
والثُّكل صرفا فرقة الاخوان

في طلب الصديق

مَن لي بإنسانٍ اذا أغضبتُه ... وجهلت، كان الحلمُ ردَّ جوابه
واذا طربتُ الى المُدامِ شربتُ من ... اخلاقه، وسكِرتُ من آدابه
وتراه يصغي للحديث بقلبه ... وبسمعه، ولعله أدرى به

في وداع صديق

هي فرقة من صاحب لك ماجد ... فغداً إذابة كل دمع جامد
فافزع الى ذُخْر الشئون وغربه ... فالدمع يذهب بعض جهد الجاهد
واذا فقدت أخاً ولم تفقد له ... دمعاً ولا صبراً فلست بفاقد
أعلى يا ابن الجهم انك زُفت لي ... سماً وجمراً في الزلال البارد
لا نبعُدَنْ ابدا، ولا تَبْعَد، فما ... اخلاقُك الخضرُ الرُّبا بأباعد
إن يُكْدِ مطَّرِف الاخاء فإننا ... نغدوُ ونسْرى فى إخاء تالد
او يختلفْ ماء الوصال فماؤنا ... عذبٌ تحدَّر من غمام واحدْ
أو يفترق نسبٌ يُؤلِّفْ بيننا ... أدبٌ أقمناه مقام الوالد

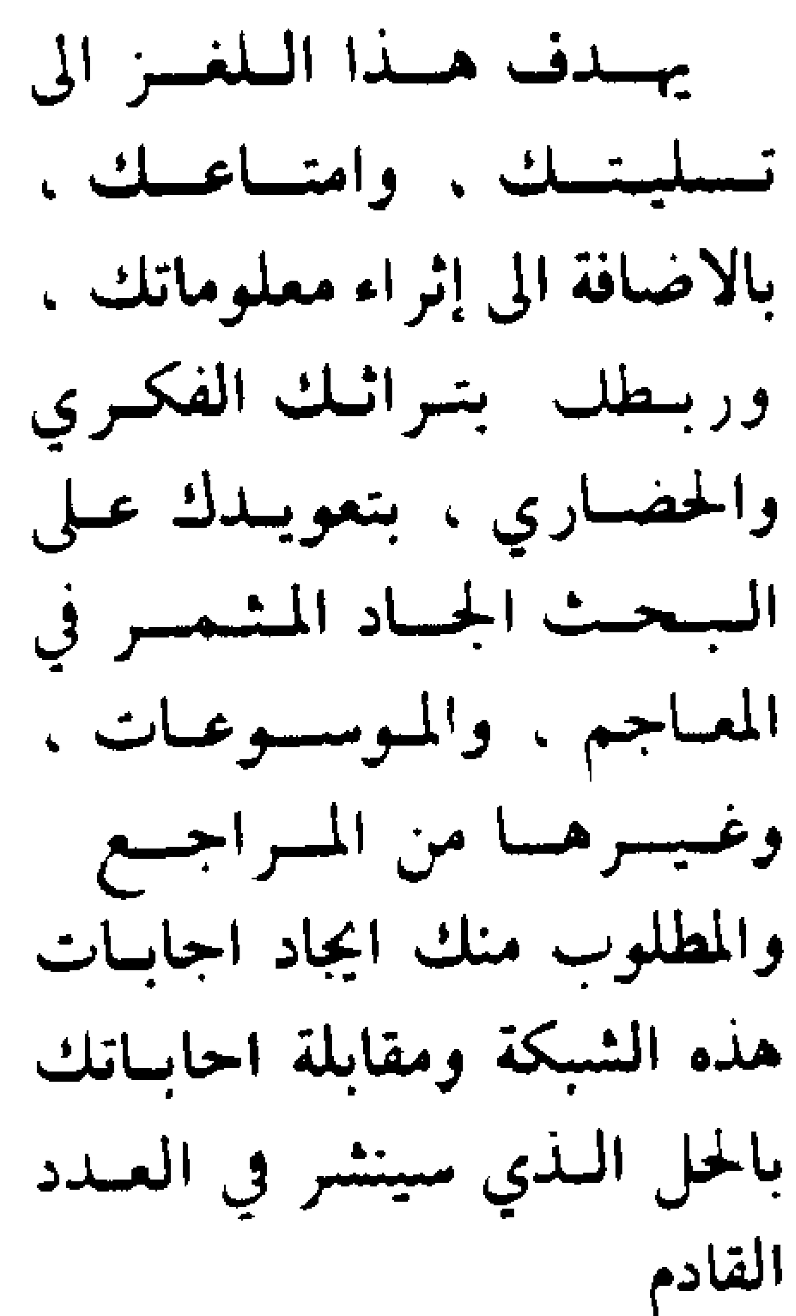
في رثاء صديق

وقلتُ: «أخي» قالوا «أخ من قرابة؟» ... فقلتُ: نعَم، ان الشكول أقاربُ
نسيبي في عزمي ورأيي ومذهبي ... وان باعدتنا في الأصول المناسبُ
مضى صاحبي واستخلف البثَّ والأسى ... عليَّ، فلي من ذا وهذاك صاحبُ
عجبت لصبري بعده، وهْوَميِّت ... وقد كنت أبكيه دما وهو غائب
على أنها الايام قد صرن كلُّها ... عجائبَ، حتى ليس فيها عجائب

في الحنين الى صديقين

طوتني المنايا يوم الهُو بلذة ... وقد غاب عني أحمدُومحمدُ
جزى الله ايام الفراق مَلامةً ... كما ليس يوم في التفرُّق يُحمَدُ
اذا ما انقضى يومٌ بشوقٍ مبرِّح ... أتى باشتياق فادحٍ بعده غدُ
فلم يُبقِ مني طولُ شوقي إليهمُ ... سوى حسراتٍ في الحشا تتردَّد
خليليَّ ما أُرتعت طرفي ببهجة ... أوانبسطت مني الى لذة يدُ
ولا حُلتُ عن عهدي الذي قد عهدتما ... فدوما على العهد الذي كنت أعهَد
وان تخلُواَ دوني بأُنسٍ ولذة ... فإني بطول الشوق والبثِّ مُفرَدُ

الكلمات المتقاطعة



يهدف هذا اللغز الى تسليتك ، وامتاعك ، بالاضافة الى إثراء معلوماتك ، وربطك بتراثك الفكري والحضاري ، بتعويدك على البحث الجاد المثمر في المعاجم ، والموسوعات ، وغيرها من المراجع والمطلوب منك ايجاد اجابات هذه الشبكة ومقابلة اجاباتك بالحل الذي سينشر في العدد القادم

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١										■
٢								■		
٣					■					
٤			■					■		
٥					■			■		
٦	■					■				
٧					■					
٨					■				■	
٩				■					■	
١٠			■					■		

كلمات أفقية

١ ـ من المعاجم العربية الكبرى للعلامة الزبيدي

٢ ـ أقدم ملحمة هندية تروي أعمال « راما »الى معكوسة

٣ ـ عكسها يعلن ، انبجس مبعثرة

٤ ـ حرف مكرر ، ولد الظبية ، للاستفهام عن غير العاقل .

٥ ـ أخذت أبعادها ، اشتد في الخصومة ، ضعف

٦ ـ قبطان ، بلد عربي شقيق مبعثرة

٧ ـ خاص بالنساء ، جمع صندل مبعثرة

٨ ـ ضعفت همّتهن ، رمح

٩ ـ كلمة إغراء وتحريض ، فصاحة وحسن تعبير .

١٠ ـ رئيس القوم جمعها رتوت ، بدأت ، حيوان من الزحافيات شبيه بالحرذون .

كلمات رأسية

١ ـ بلسم شاف للأمراض ، كراهية

٢ ـ من كبريات ناطحات السحاب في العالم .

٣ ـ طبق كبير ، لوح أسود من حجر عادة .

٤ ـ عالِم رياضي فذ وصاحب نظرية النسبية

٥ ـ كلّا ، معروف .

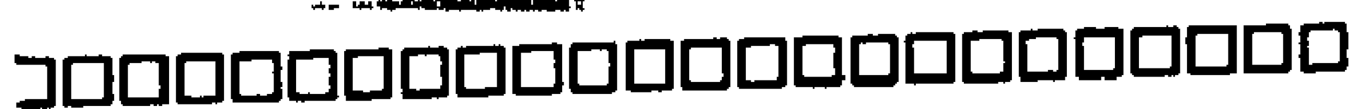
٦ ـ مفردها عندليب ، جليد أو ثلج

٧ ـ الاسم الأول لفيلسوف الهند العظيم طاغور

٨ ـ جمع دن

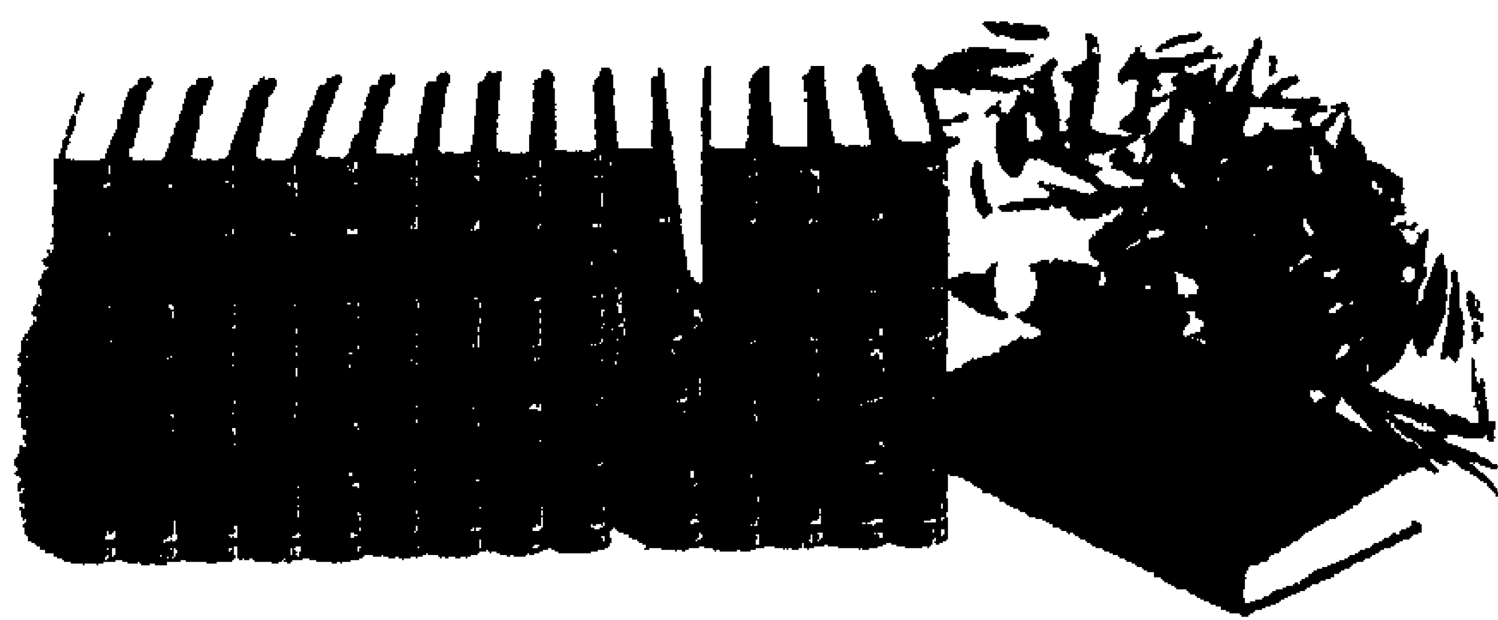
٩ ـ الاسم الأول لمؤسس علم التحليل النفسي فرويد

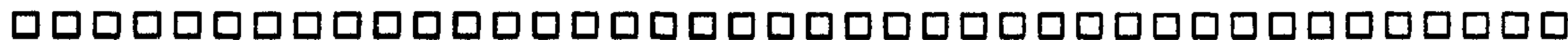
١٠ ـ من أمهات المعاجم العربية لابن منظور .



حل مسابقة العدد الماضي يناير ١٩٨٨

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ج	ا	ن	ج	ا	ك	ر	و	س	و
٢	ر	س	■	ن	ب	ا	■	ع	ت	ص
٣	ا	ل	ع	ا	ن	س	■	و	ا	و
٤	ر	ا	د	■	س	ت	■	د	ل	ل
٥	■	م	ا	د	ي	ر	ا	■	ي	ي
٦	ب	ا	■	س	ر	و	■	م	ن	ه
٧	و	ب	ل	■	ي	■	م	ر	ح	■
٨	ب	ا	■	و	ن	د	س	و	ر	■
٩	ق	د	س	ى	■	ر	ي	■	ا	م
١٠	ه	■	ا	ل	ا	ح	ر	و	د	ى

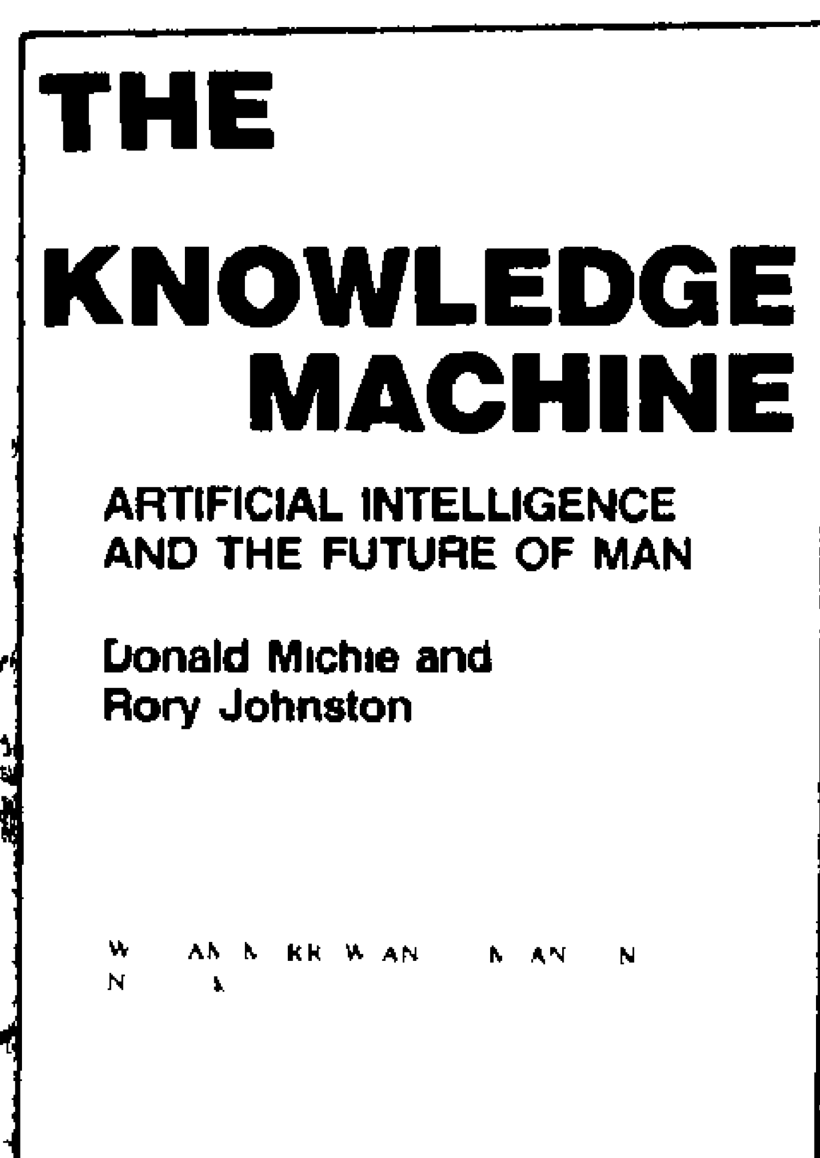




مكتبة العربي

كتاب الشهر

تأليف : دونالد ميتشي و روري جونستون/عرض : بهاء الدين محمود


THE KNOWLEDGE MACHINE

ARTIFICIAL INTELLIGENCE AND THE FUTURE OF MAN

Donald Michie and Rory Johnston

آلة المعرفة

الذكاء الاصطناعي ومستقبل الإنسان





يبدأ المؤلف بالباب الأول من الكتاب بعنوان : (القوة غير العاقلة والجهل) ، فيتحدث عن الشعور بالزهو والدهشة اللذين تملكا إنسان هذا العصر في شهر يوليو عام ١٩٦٩ ، حينما استطاع أول إنسان في التاريخ الهبوط على سطح القمر . لقد تناولت وكالات الأنباء في جميع أنحاء العالم هذا الخبر المثير ، وقد أيقن الإنسان ـ لأول مرة ـ أن العقول الألكترونية التي ساعدته على إنجاز مثل هذا العمل الخارق لم تُصَمَّمْ للقضاء على المشكلات الاقتصادية والحسابية فحسب وإنما تستطيع أن تفعل أكثر من ذلك بكثير .

ثم مرت الأيام والسنون ، وتجادل الباحثون حول موضوعات شتى ، وكان لديهم الإحساس الكامل بقضية سبب الوجود ، ثم حاولوا الخوض في هذه القضية بابتداعهم (كمبيوتر الذكاء) ، ومما يجدر ذكره أن بعض الناس قد اعترض على وسم هذه الآلات بصفة (الذكاء) ، مؤكداً أن الذكاء ماهو إلا ميزة يمتاز بها البشر ، وربما يكون مصطلح الذكاء مُضَلِّلاً في بادىء الأمر ، لكن ما يحدث في واقع الأمر هو أن آلة (الذكاء الاصطناعي) إنما تقوم بمهمتها في حدود ما يُعْطَى لها من معلومات ، ومن خلال البرنامج الذي صُمِمَتْ على نَهْجِه ، فتُبْرِزُ النتائج تَبَعاً لهذه المعلومات المعطاة لها ، وكذلك على ضوء البرنامج الذي صُمِمَتْ على نَمَطِهِ .

ثم يتحدث المؤلف في موضع آخر عن (التجوال في كوكب المريخ) ، فيذكر أن من المجالات التي يحتاج الإنسان فيها إلى جهود (آلة الذكاء) مجال غزو كوكب المريخ ، وقد أولت الولايات المتحدة الأمريكية هذا الموضوع كثيراً من الأهمية تحت ما سمي « مشروع التجول فوق المريخ » ، وتكمن فكرة هذا المشروع في الاستعانة بإنسان آلي (روبوت) للتجول فوق هذا الكوكب الغامض . ويتم التحكم في هذا (الروبوت) بواسطة آلات التحكم عن بُعْدٍ (الريموت كنترول) ، كما يتم تجهيز هذا الروبوت بعدد من آلات التصوير ، وآلات لأخذ العينات من تُربة هذا الكوكب ، وكذلك آلات لارسال المعلومات الى الأرض من على سطح هذا الكوكب الذي ظل الإنسان يحلم منذ أمَدٍ بعيد بارتياده .

النظام الخبير

ثم يتحدث المؤلف في فصل آخر عن (الحاسب الآلي ومساعدته للخبراء) ، تحت عنوان (الكمبيوتر ينضم للخبراء) ويذكر المؤلف أنه خلال الأربعينيات من هذا القرن استطاع العلماء تصميم أول جيل من أجيال الكمبيوتر التي كان يطلق عليها آنذاك ولفترة طويلة اسم العقول الألكترونية . ثم أخذت هذه الآلات بعد فترة وجيزة اسم الآلات الحاسبة (الكمبيوتر) ، إذْ كانت أكثر استخداماتها شيوعاً هي عمليات حسابات الأرقام ، وقد تخطت هذه الآلات في الوقت الحاضر مجالات الحسابات العددية إلى ماهو أكثر من ذلك ، فأضحت تساعد الإنسان في كثير من مجالات الحياة العملية ، إذ لم يعد الإنسان بحاجة إلى أن يسأل الكمبيوتر : ما هو الجذر التربيعي للعدد ٣٥,٧٦٩ على سبيل المثال ؟ لكن إنسان هذا العصر يريد أن يسأل الكمبيوتر : ما هو الخلل الوظيفي الحادث في جسم هذا المريض ؟ أو : ما هو التركيب الجزيئي لهذا المركب الكيميائي ؟ أو ما هي الطريقة المثلى لتصنيع مادة الأنسولين ؟

وغير ذلك من المجالات التي يبحث الإنسان فيها عن كل ماهو جديد وفريد .

ثم يبدأ المؤلف حديثه عما يسمى (النظام الخبير)

في الكمبيوتر ، ذلك النظام الذي يستخدم فيه الكمبيوتر على نطاق واسع للبَتِّ في كثير من الأمور والمشكلات في مجالات الطب والكيمياء والزراعة وغير ذلك .

ويتكون هذا (النظام الخبير) من قاعدة معرفة ، وآلة استنتاجية ، ويعمل هذا النظام طبقا لقواعد معطاة له مسبقاً تَبعاً لكل مجال يعمل فيه مثل ذلك النظام ، ومن المجالات المهمة التي استخدم فيها ذلك (النظام الخبير) مجال البحث عن النفط في منطقة (بحر الشمال) ببريطانيا ، فقد اسْتُخْدِمَ في هذه الاكتشافات النفطية نِظَامٌ خبير تَمَّ استحداثه في جامعة ادنبرة البريطانية ، وذلك لاكتشاف الخلل والأخطاء التي ربما تَعْتَري خطط البحث عن النفط في هذه المنطقة المهمة من العالم ، وقد حقق هذا النظام الخبير كفاءة قصوى ، فتحققت تبعا لذلك أكبر معدلات في تاج النفط في منطقة بحر الشمال ، كما يُسْتَخْدَم نظام خبير آخر في الكشف عن الكنوز الدفينة في باطن الأرض ، وذلك في مجال التعدين ، ويستطيع العلماء باستخدام هذا النظام الكشف عن المخبوء الاستراتيجي من المعادن المختلفة في منطقة معينة من الأرض ، كما يستخدم (نظام خبير) آخر في مجالات الكيمياء العضوية للكشف عن التركيب الكيميائي لعديد من المركبات الكيميائية المعقدة ، وذلك بإعطاء معلومات أولية لهذا النظام الخبير عن هذه المركبات ، باستخدام تحليل « مقياس الطيف » . ويساعد هذا النظام العلماء والباحثين في معرفة كيفية ترتيب الذرات في كل جزيء من جزيئات مادة كيميائية بعينها ، كما يستخدم (نظام خبير) آخر في المجال العسكري ، وذلك للتعرف على السفن أو الطائرات المعادية بسهولة على شاشات الرادار ، كما يستخدم (نظام خبير) آخر في مجال علم الوراثة ، فيتم التحكم في الحمض النووي الديوكسي ريبوزي (D.N.A) ، وهو الحمض النووي المسئول عن نقل الصفات الوراثية في الكائنات الحية ، وقد ساعدت هذه التجارب على نشوء ما يسمى تقنية إعادة اتحاد الحمض النووي الديوكسي ريبوزي .

وقد فتحت هذه التقنية آفاقاً جديدة في مجال علم الهندسة الوراثية ، فتمخض عنها كثير من الإنجازات ، مثل تخليق هرمون الأنسولين وهرمون النمو ، وذلك للمساهمة في إنهاء آلام كثير من المرضى .

ثم يتحدث المؤلف في موضع آخر عن علاقة هذا (النظام الخبير) للكمبيوتر بالمجتمع وأفراده ، فيعطي مثالا على هذا باستعانة الأطباء (بالنظام الخبير) في معالجة كثير من المرضى ، ويتساءل : هل سيؤدي ذلك إلى نشوء نوع من البطالة بين الأطباء ؟ ويردف المؤلف قائلا : إن الكثيرين قد عارضوا مثل هذا النظام المسمى (الكمبيوتر المُشَخِّص) .

ولا يستطيع المؤلف أن يجيب على تساؤله هذا ، لكنه يعتقد أن هذا النظام الخبير ربما يكون ذا أهمية قصوى لتدريب الكثيرين من الشباب الأطباء ذوي الخبرة المحدودة . ومما يجدر ذكره في هذا المضمار أن إحدى الجامعات البريطانية قد أَوْعَزَتْ إلى إحدى الشركات المُبَرمِجَة لمثل هذه الأنظمة الخبيرة لتنجز لها (نظاماً طبياً خبيراً) ، لمساعدة الجراحين الشباب في تشخيص حالات (آلام البطن الحادة) ، لتنمية قدراتهم وخبراتهم في التشخيص والعلاج .

نافذة الإنسان

ثم يتحدث المؤلف عن (نافذة الإنسان على العالم) ، فيسرد حادثة تسرب بعض فقاقيع غاز الهيدروجين داخل المفاعل النووي في جزيرة ثري مايل بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة في ٢٨ مارس سنة ١٩٧٩ ، ذلك الحادث الذي أثار القلق والذعر في كثير من الأوساط العلمية في الولايات المتحدة وخارجها ، ثم يتحدث المؤلف كذلك عن ثلاثة إنذارات خرجت من المركز الأمريكي لقيادة الدفاع الجوي الأمريكية بين عامي ٧٩ ـ ١٩٨٠ التي أعلنت أن السوفيت على وشك الهجوم على القوات المسلحة الأمريكية .

وقد اتضح فيما بعد أن الإنذار الأول جاء نتيجة لخطأٍ في تشغيل كمبيوتر هذا المركز ، والثاني جاء

نتيجة لخطأ في الدائرة المتكاملة لنفس الكمبيوتر ، أما الإنذار الثالث فكان يبدو مُتَعَمّداً ، وذلك كمحاولة لقياس مدى استعدادات القوات المسلحة الأمريكية إذا ما حدث ذلك الهجوم في الواقع .

والغرض كما يقول المؤلف من سرد هذه القصص هو التدليل على أن أنظمة الحاسبات الآلية في هذه المراكز قد أضحت أكثر تعقيدا ، بل أكثر صعوبة على الفهم ، وبالتالي أكثر صعوبة في التحكم فيها ، أما في الوقت الحاضر فقد استطاع العلماء بناء هذه الآلات المُعَقّدَة ، لتؤدي أغراضاً أكثر من المطلوب منها ، ولذا تُبنى هذه الآلات على مستوى التفكير البشري ، لتنجز كثيراً من الأعمال في وقت واحد .

ثم يتحدث المؤلف في موضع آخر عن التجارب المستقبلية التي تجريها (اليابان) في مجال تقنية آلات الذكاء ، فيذكر أن الحكومة اليابانية لم تُخْفِ خططها في هذا المضمار ، فقد أعلنت عن برنامج طموح لبناء الجيل الخامس من هذه الآلات خلال فترة التسعينيات من هذا القرن ، ومن المُزْمع أن يكون هذا الجيل الجديد من آلات الذكاء قادراً على فهم لغات وأحاديث البَشَر المعتادة ، وكذلك إدراك هذا العالم المرئي ، وبالتالي حل العديد من المشكلات التي تعجز آلات الذكاء الحالية عن حلها . ولا يلبث المؤلف أن يذكر مدى ما يعانيه اليابانيون من جَرَّاء الجدال والمناقشات العديدة حول التأثير المستقبلي لهذه الآلات على المجتمع الياباني بأسْره ، ويزيد ذلك تعقيداً إذا ما علمنا أن الديانة اليابانية « الشنتو » تُولي الكائنات المُدْركة الواعية وبخاصة الإنسان كثيراً من التبجيل والتقديس .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن العقل البشري وقدراته تحت عنوان (التفكير في التفكير) ، فيذكر أن للعقل البشري قدرة هائلة على أداء العمليات الحسابية المعقدة . ويحتوي المخ البشري على العديد من المناطق المنوط بها القيام بوظيفة من الوظائف . ولقد وقع الباحثون والأطباء - في الماضي - في حيرة من أمرهم لتلك الأشياء التي تَكْتَنِفُ المصابين بإصابات الدماغ ، فتفقدهم القدرة على الكلام .

وقد اكتشف العلماء بعد ذلك أن جزءاً من النصف الأيسر للمخ هو المسئول عن التحدث والقدرة على الكلام ، ثم اكتشف العلماء بعد ذلك ماهو أكثر من ذلك ، وهو أن هذه المنطقة نفسها تنقسم إلى عدد من المناطق المسئولة عن التعامل مع المفردات اللغوية ، وتركيب الجمل الكلامية ، وحركة اللسان ، وكذلك حركة الشفاه عند الكلام ، وحركة الحبال الصوتية ، وغيرها من الوظائف المعقدة .

الأساطير تملأ الفراغ

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن رؤية الألوان ، ومقدرة المخ على ترجمة هذه الرؤية بعد سقوط هذه الألوان على مُسْتقبلات الرؤية فوق شبكية العين ، ثم يتحدث في موضع آخر عن الأساطير ، وهل ستستطيع أن تملأ الفراغات ، فيذكر أن للأساطير وظيفة مهمة في المجتمع ، وعادة ما تنتمي هذه الوظيفة إلى نوع من الأكاذيب ، وإذا كانت الأديان تستطيع أن تملأ هذه الفراغات العقلية لأبناء عديد من المجتمعات البشرية ، فإن الإنسان يشعر في بعض الأحيان أن الأديان يجب أن تفسر وتشرح له بعض الأشياء المبهمة الصعبة على الفهم ، ويضرب المؤلف مثالا على ذلك بقوله : فإذا ما سألنا متى ستمطر السماء ؟

فإننا نشعر بالارتياح إذا ما ملأنا الفراغات التي تكتنف مثل هذا التساؤل ، كَأَنْ نقول : إن السماء سوف تمطر إذا ما شاء الله لها أن تمطر . وتقوم بعض المجتمعات البشرية بأعمال إيجابية لاستنزال مثل هذا المطر ، كَأَنْ يرقصوا رقصة المطر ، ليستجيب

الرب لهم .

ثم يضرب المؤلف مَثَلاً آخر وهو التساؤل العجيب الذي يسأله بعض الناس :

أين تذهب الشمس عندما تغرب ؟ ولماذا تسقط في مياه البحر عند آخر كُل نهار ؟

وتجيب الأساطير على ذلك بقولهم : إنها طائر أحمر كبير يعود إلى عُشِهِ كُلَّ غروب ، وهناك آخرون يتساءلون وإذا كانت الشمس طائراً كبيراً أحمر يعود لعُشِهِ كل مساء ، فلماذا لا تستقر هناك ؟

وما الذي يجعلها تعود من الجانب الآخر في صباح اليوم التالي ؟

وهكذا يمضي المؤلف في سرد الأساطير والخرافات معلنا أن أنظمة (آلات الذكاء) يجب أن تستخدم الأساطير مثلما يستخدمها الإنسان ، حتى يتسنى لها التعامل مع الخرافات والأكاذيب ، وهذا ما يُشَكِّلُ في الوقت الحاضر مشكلةً كبيرةً لعلماء تقنية الحاسبات الآلية ، وكذلك علماء الاجتماع ، وربما لم تأخذ هذه المشكلة أبعاداً كبيرة خلال هذه الأيام ، لكنها ربما تتشعب وتتداخل في السنوات القليلة القادمة .

ثم يتحدث المؤلف عن الأصوات التي تعالت في الآونة الأخيرة حينما بنى العلماء أجهزة الحاسبات الآلية ، تلك الأصوات التي ظلت تَنْدب وتَنُوحُ على مَوْتِ الحِسَاب والرياضيات ، إذ لم يَعُدْ أطفال المدارس يبذلون جهداً جهيداً للبحث عن الجذر التربيعي لرقم معين ، مثلما كنا نفعل نحن وآباؤنا وأجدادنا منذ عهد ليس ببعيد . إن أبناء الجيل الحالي لا يفعلون أكثر من الضغط على أزرار الحاسبات الألكترونية للحصول على ما يريدونه من قيم وأرقام . ثم يتحدث المؤلف عن التَعَلُّم بالخبرة ، فيذكر عديداً من أنظمة الذكاء التي ابتدعها علماء الكمبيوتر في شَتّى أنحاء العالم لتنمية قُدُرات الأطفال والكبار وذكائهم ، حتى لا يكون الكمبيوتر مِعْولاً لهدم الذكاء لدى بني البشر ، ثم يتحدث المؤلف عن الاستخدامات الاستقرائية للكمبيوتر . ومن هذه الاستخدامات مجال مقاومة أمراض النبات والآفات الزراعية ، فقد اسْتُخْدِمَ (نظام خبير) لوقاية نبات (فول الصويا) من بعض الأمراض ، ويستطيع هذا النظام الخبير إكتشاف هذه الأمراض وعلاجها ، فقد استطاع هذا النظام الخبير علاج ٣٧٤ حالة من بين ٣٧٦ إصابة تَمَّ رَصْدُهَا ، مما يُثبت نجاح هذا النظام نجاحاً منقطع النظير في مقاومة آفات النباتات وعلاجها . كما تحدث المؤلف كذلك عن استخدام نظام (الكمبيوتر الخبير) في مجال الكيمياء الجزيئية الذي تَمَكَّنَ العلماءُ عن طريقه استنباط عديد من المركبات الجديدة التي لم توجد من قبل ، وأمكن تخليق عديد من هذه المواد على ضوء هذه الاستنتاجات والاستنباطات باستخدام هذا النظام الخبير .

لحن عباد الشمس

ثم يتحدث المؤلف عن استخدامات (آلة المعرفة) في مجال الأدب والفن ، فيسأل المؤلف سؤالاً مهماً : هل من الممكن أن تُبْدِعَ آلات المعرفة والكمبيوتر أعمالاً فنيةً مبتكرةً في مجالات الرسم والنحت والشعر والموسيقا ؟ ويجيب المؤلف على سؤاله هذا ، فيذكر نجاح العلماء في الحصول على عدد من اللوحات المرسومة بواسطة الكمبيوتر ، وذلك بعد إمداده بالبرنامج المراد اتباعه خلال عملية الرسم ، أما في مجال النحت فقد أمكن كذلك للعلماء الحصول على عدد من النماذج في فن النحت باستخدام الميكروكمبيوتر ، بعد توصيله بعديد من الآلات الرافعة والبرنامج المراد اتباعه خلال هذه العملية ، وكذلك في فن الموسيقا الذي استطاع فيه العلماء الحصول على عديد من الأعمال الموسيقية بمساعدة الكمبيوتر . أما أغرب ما في هذا المضمار فهو إنجاز القصائد الشعرية بواسطة آلة المعرفة أو الكمبيوتر ، وفي هذا المجال تم إمداد الكمبيوتر بنظام للمفردات اللغوية ، وكذلك ببرنامج للهيكل العام للقصائد الشعرية (THE POETRY FRAMEWORK) الذي عن طريقه يقوم الكمبيوتر بترتيب الجمل أو الكلمات المعطاة له ، بحيث يُشَكِّلُ في النهاية القَصَائِدَ الشِعْرية ، وقد تَمَكَّنَ العلماءُ من

الحصول على عدد من النماذج الشعرية ، مثل المجموعة الشعرية المُسَمَّاة : (لحن عباد الشمس) .

ومن هذه المجموعة نقتطف هذه القصيدة :

موسيقا قديمة لأطفالِ الفضاءِ العميق
(العوالم الثلجية
تسبح في هذه الكواكب الأسطورية ،
إنها تضيع في هذا الغُبَارِ النَجْميِّ خلال الأزمنة البلورية ،
إن بذورك قدْ انتشرتْ ،
لقد أُضيئتْ بوَمَضاتٍ سَرْمَديّة ،
ثم ضاعتْ في هذا المحيط الفارغ .
إنني طفْلُ الأبدية ،
أسقط في هذه الحياة
في كل الاتجاهات والزوايا) .

ولا يستطيع العلماء حتى الآن التنبؤ بما سوف يكون عليه هذا المجال من مشاركة الكمبيوتر في العملية الفنية الإبداعية ، إنها لم تتعدّ حتى الآن مرحلة المحاولات والتجريب ، ومَنْ يدري ، فلَعَلّ الغد يحمل أكثر من ذلك في هذا المجال .

ويتحدث المؤلف في الباب الأخير عن آلات المعرفة بوصفها اختراعا لكل البشرية ، فيذكر أن التحدي الحقيقي للولايات المتحدة وأوروبا في مجال تقنية هذه الآلات إنما يكمن في السباق الياباني في هذا المضمار . إن هذا التحدي لا يعود بأي حال إلى قلة المواهب في الولايات المتحدة ، وإنما يعود في حقيقة الأمر إلى نَقْصٍ في عملية الابتكار ، ثم يؤكد المؤلف تحت عنوان « الخطَرُ الأصْفَرُ » . أن هذا السباق والتنافس القائمين الآن بين أمريكا واليابان في مجال تقنية الذكاء الاصطناعي سوف يحسمان ذلك الصراع الصناعي والاقتصادي الحادث الآن بين هاتين الدولتين ، ويُنهي المؤلف حديثه في هذا الكتاب بدعوته إلى إنشاء معهدٍ عالمي ، وليكُنْ مقره في (جنيف) ، حيث يبدأ فيه العلماء جهوداً جادة للارتقاء بتقنية (آلات الذكاء) على نطاق واسع ، ويدعو المؤلف إلى وجوب استقلال هذا المعهد عن التأثيرات السياسية والضغوطِ المالية ، وإلى حَشْدِ الكثير من المواهب والخبرات والعلماء المتخصصين في هذا العلم المستقبلي .

يستطيع العلماء في وقتٍ وجيز أن يحققوا الكثير من الإنجازات في هذا المضمار الجديد الذي تُعَلَّقُ عليه كثير من الآمال ، لتحقيق الخير والسعادة لبني البشر في شتى مجالات الحياة والفن . □

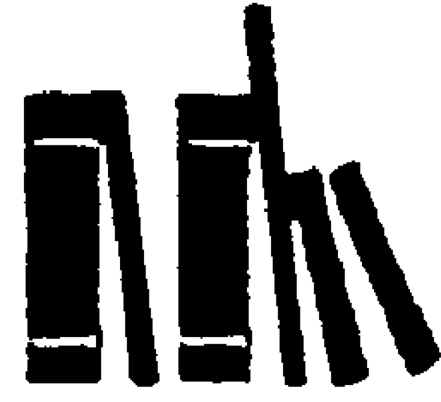


الديـــوك زعيمهـــا أكثر صياحا

● يظهر أن الزعامة شيء لا بد منه ، حتى بين الحيوانات ، والزعامة هذه تظهر جلية بين الديوك ، وقد تساءل بعض العلماء عن الديكة ، أيها أكثر صياحا ، وأيها أكثر زعامة ، وهل الزعامة هي التي تخلق الصياح ، أم أن الصياح هو الذي يخلق الزعامة وقاموا بالتجربة .

جاءوا بعدد من الديوك ، وجعلوا كل واحد منها في بيت ، وأحصوا صياحها ، فلم يجدوا بينها فرقا ذا بال ، ثم جاءوا بدجاجات ، وأدخلوا الديكة عليها ، فقامت بين الديكة المعارك ، كل واحد منها ينقر صاحبه ، وانجلت المعارك عن ديك أقر له الآخرون بالزعامة ، ومنذ أن حمل هذا الديك أعباءها ظل يصيح ويصيح عشرين مثلا مما يصيح الآخرون ثم أخرجوا هذا الديك من مملكته وأبعدوه عن الدجاجات ، فقامت المعركة بين الديكة الباقية ، وتغلب أحدها ، وتزعم ، وزاد صياحه أضعافا عن صياح سائر الديكة .

الصياح إذن هو شارة الزعامة ، والزعامة هي التي تخلق الصياح . يا ترى ماذا تكون نتيجة هذه التجربة لو طبقناها على الناس في أركان الأرض جميعا ؟





فكر الأزمة

دراسة في أزمة علم الاقتصاد الرأسمالي والفكر التنموي الغربي

تأليف : الدكتور رمزي زكي /عرض : رافع البرغوثي

الأزمة المعاصرة في علم الاقتصاد الرأسمالي ، الأزمة الراهنة في الفكر التنموي ، أزمة الديون العالمية في ثلاث قضايا يتناولها كتابنا لهذا الشهر ، ويعالجها المؤلف في سياقها التاريخي ، في إطار قوانين الأزمة العامة للرأسمالية ، ويقدم للقاريء ثروة معرفية في كتاب يجمع بين العمق والبساطة .

يرى المؤلف أن الأزمة التي تشهدها الدول الرأسمالية منذ مطلع العقد الماضي ، والتي امتدت فشملت مجمل النظام الاجتماعي الرأسمالي بأبعاده المحلية والعالمية ، ليست أزمة دورية عادية ، بل إنها تمثل نقطة تحول حاسمة في تاريخ الرأسمالية ، وأن إمكانات التغلب عليها تتجاوز كل ما هو مألوف في مملكة الفكر الاقتصادي البرجوازي المعاصر .

الأزمة في ثلاثة محاور

ويطرح المؤلف « السؤال الجوهري الذي تسعى هذه الدراسة للاجابة عنه : ما هي البدائل المطروحة على ساحة الفكر الاقتصادي البرجوازي المعاصر للخروج من هذه الأزمة ؟ وهل هذه البدائل تقدم حلا شافيا لأزمة الرأسمالية في مرحلتها الراهنة ؟ »

وللوصول إلى الاجابة يتناول الدكتور رمزي زكي

ثلاثة محاور : المحور الأول : هو إفلاس الكينزية التي أصيبت بفشل ذريع منذ دخلت الرأسمالية العقد السابع من هذا القرن ، وتمثل الفشل في « العجز النظري » للكينزية في فهم ما جرى في الواقع الراهن للرأسمالية العالمية ، وفي عدم فاعلية أدوات السياسة الكينزية في مواجهة الأزمة الحالية ، ويلخص المؤلف أبرز الضربات التي تلقتها الكينزية في خضم الهجوم الشرس عليها من مختلف المدارس والاتجاهات ، ويخلص إلى القول بأن تجربة « العصر الكينزي » برهنت أن فلسفة التدخل الحكومي في النشاط الاقتصادي تتضاءل قدرتها على مر السنين على تلافي الأزمات الدورية ، وأن تحقيق التوظف الكامل أصبح أمرا مستحيلا ، وبخاصة في ظل التغيرات الهيكلية التي طرأت على الرأسمالية على النطاق المحلي ، وعلى النطاق العالمي » .

والمحور الثاني هو « مواجهة الأزمة على النطاق العالمي » وتحت هذا العنوان يتناول المؤلف تيارين رئيسيين ، برزا في الفكر الاقتصادي الغربي ، يستهدفان تجاوز الأزمة ، والحفاظ على البنية الاجتماعية السياسية للرأسمالية ، الأول هو التيار الذي ينادي بوقف النمو الاقتصادي ، والثاني هو الداعي إلى ضرورة تنمية « الجنوب المتخلف » .

ويلاحظ أن تقرير نادي روما « التيار الأول » لم يأخذ في الحسبان الاختلافات الجوهرية القائمة بين النظم الاقتصادية في العالم ، بل اكتفى بإلقاء مسئولية ما حدث على العالم أجمع دون تمييز ، كما أنه افترض بقاء النمط الحالي لتقسيم العمل الدولي دون أي تغيير . كما يلاحظ أن تقرير « الشمال والجنوب - برنامج من أجل البقاء » وكذلك التقرير الثاني الذي وضعته لجنة (برانت) مؤخرا يمثلان ما يمكن أن نسميه الكينزية العالمية ، فليست هناك مشكلة اختلال جوهري في بنية النظام ، بقدر ما هي مشكلة نقص في الطلب الفعال على النطاق العالمي ، وأن زيادة الانفاق - أي الموارد المنقولة من الشمال إلى الجنوب - يمكن أن تتكفل بزيادة هذا الطلب .

ويتوقع المؤلف أن تطبق الكينزية العالمية هذه على الرغم من أن الغرب الرأسمالى قد نبذ تطبيقها على الصعيد الداخلي ، ويؤكد أن الكينزية العالمية لن تفلح في علاج الاختلال الجوهري الذي ينطوي عليه تشغيل الرأسمالية على المستوى العالمي ، وإن كان من المتوقع أن تحدث تلطيفا مؤقتا لحدة الاختلال ، كما يؤكد أيضا أنها لن تقدم علاجا لمشاكل التخلف والتبعية التي تعانيها البلاد المتخلفة ، لأن علاج تلك المشاكل ذات الطبيعة الهيكلية تكمن في تغيير بنية هذا النظام .

أما المحور الثالث ، فهو مواجهة الأزمة على الصعيد المحلي ، وفي هذا المحور يناقش المؤلف التيارات الاقتصادية التي برزت في الخمس عشرة سنة الماضية في ساحة الفكر الاقتصادي الرأسمالى ، وحاولت أن تقدم رؤاها الخاصة في مواجهة الأزمة الراهنة في الاقتصاد الرأسمالي ، ويرسم المؤلف صورة لفكر التيار الليبرالى المتطرف (مدرسة النقديين) ، ثم يقرر « أن الكينزية والمدرسة النقدية هما في حقيقة الأمر رافدان ينبعان من ايديولوجية واحدة ، هي ايديولوجية الفكر الاقتصادي الرأسمالي ، والخلاف الوحيد بينهما يتمثل في ذلك الحد (من وجهة نظر كل منها) ، لتدخل الدولة في الحياة الاقتصادية « وبينما رأى كينز ضرورة التدخل الحكومي على نطاق واسع نسبيا ، يرى النقديون حصر التدخل الحكومي في أضيق نطاق ممكن .

ويبين أن الانتصار الذي حققته المدرسة النقدية في الآونة الراهنة يعود إلى ردود الفعل التي نجمت عن التناقضات الأساسية التي انطوت عليها سياسة التدخل الحكومي أيام العصر الكينزي ، فبينما أدى هذا التدخل إلى تدعيم النظام الرأسمالي ، ووفر له شروطا أفضل ، إلا أنه يناقض مصلحة رأس المال الاحتكاري ، لأنه ألغى مساحات مهمة من طرق الاستثمارات الرأسمالية على الأخص ، كما أنه يوفر - عبر الزمن - بعض الشروط المادية لنمو الاتجاهات الاشتراكية ، وقد وفر إمكانية استخدام جهاز الدولة من قبل بعض القوى الديمقراطية ضد مصلحة الاحتكارات .

ويـنتـقــل المؤلـف بعــد ذلــك إلى « التـيــار الاصلاحي » ، ويستعرض ملامح فكر خير ممثـل للتيار ، وهو جون كنث جالبريت ، الذي يدعو إلى أن تلعب الدولة دورها كوسيط محايد لحل الخلافات بين المؤسسات الكبيرة ونقابات العمال ، وإلى تطبيق نـوع من التخـطيط ، وإبقـاء إعـانــات الضمـان الاجتمـاعي ، بالاضـافـة إلى التنسيق بـين الـدول الرأسمالية .

ويؤكد المؤلف أن هذا التيار ينطلق من الأرضية الكينزية ، وإن كان يعلن نقده لها .

ويتناول بعد ذلك « التيار الراديكالي » مشيراً إلى أن فكره يتفق ـ إلى حد كبير ـ مع آراء جالبريت ، لكنـه يتجـاوزه في بعض الاقتــراحـات والمـواقف المميزة ، وأهمها تبنيه لكثير من المقولات والنظريات التي يزخر بها علم الاقتصاد الماركسي ، كما يلاحظ صعوبة الوصول إلى الخطوط العريضة لرؤية مشتركة بـين فرق هـذا التيـار لكيفيـة الخـروج من الأزمـة الراهنة .

وفي خاتمة هذا البحث يقرر الدكتور رمزي زكي أن عـلاج الأزمـة التي يمـر بهـا النـظام الـرأسمـالي « سيحتاج لأساليب غير عادية ، يكون من شـأنها التوصل إلى وضع تاريخي جديد ومـلائم لاستئناف التوسع السريع في الانتاج والتراكم الرأسمالي » .

اقتصاديات التخلف

ويشير المؤلف إلى أن أزمة التنمية التي تعيشها الآن مجموعة الـدول المتخلفة تعـود ـ إلى حد كبـير ـ إلى طغيـان نوع معـين من الفكر التنمـوي الذي ثبت افتقـاده للصدق حينـما يواجـه بالـواقع الاقتصـادي الاجتماعي . .

ويرى أن الفكر التنموي يعيش أزمته الراهنة بين فقـد القديم ومحـاكمته ومحـاولـة اكتشـاف البـديـل الجديد ، مؤكدا أن أزمة الفكر التنموي ليست إلا انعاكسا أصيلا لأزمة علم الاقتصاد الغربي .

ويتناول المؤلف أهم الأخطاء والثغرات التي تطبع اقتصــاديـات التخلف والنمـو ، وهي : العجــز الواضح في تفسـير التخلف ، والتضخم في حجم المشكلة السكانية ، وإهمال الطبيعـة الخاصـة للبلاد المتخلفة ، والصياغات الخاطئة لدينـاميات عمليـة التنمية ، والصياغات غير الصحيحة لمقاييس التنمية وأهدافها . ويشير إلى أن هذه الحيثيات يمكن بلورتها في نقيصتين في الفكر التنموي التقليدي ، هما افتقاده للكفـاءة النظريـة ، وافتقاده للكفـاءة التـطبيقيـة . ويرجع افتقاده للكفاءة النظرية إلى المنهج التجريدي الذي اعتمد عليـه في تفسير التخلف ، وهـو منهج عجـز عن الاحاطـة الشاملة التـاريخية والمعـاصـرة بظاهرة التخلف ، ويرجع افتقاده للكفاءة التطبيقية إلى افتقاده للكفاءة النظرية . يقول المؤلف:« فبينما أن منطق الأمور كان يتطلب من هذا الفكر أن يبحث في قوانين النمو للمجتمعات المتخلفـة من داخل هـذه المجتمعات ، رأيناه يلجأ إلى تطبيق قوانين النمو التي حكمت تجارب الدول المتقدمة ، بشكل آلي على هذه المجتمعات » .

ويضيف بأن تجارب التنمية في الدول المتخلفة قد أشارت بأصبع اتهام ثابتة إلى مشاركة هذا الفكر في مسئولية الفشل الذي منيت به معظم هذه التجارب في ربع القرن الماضي .

وفي الجـزء الثاني من هـذا البحث يحلل المؤلـف العلاقة بـين أزمة التنميـة في الدول المتخلفة وتبني الفكـر التنموي التقليـدي ، وذلك في ضـوء أربع نتائج ، ترتبت على تبني هذا الفكر ، وهي :

عدم تحقق الأهداف المباشرة المنشودة ، وقد تمثلت في تعاظم معدل نمـو النـاتـج القومي في أقصـر فترة ممكنة .

نماذج فاشلة للتصنيـع : حيث تم اختيار نمـاذج للتصنيع لاتتناسب إطـلاقا مـع موارد هـذه الدول وواقعها الاقتصادي ، مما أدى إلى تشويه نمط الانتاج والاستهلاك لصالح أصحاب الدخول العالية وسكان المدن والتبعية للخارج .

الآثــار السلبيـة لتضخيم دور الاستـثمــار في التنمية : وقد ترتب على النظر إلى التنمية الاقتصادية أنها دالة على معدل التراكم ، وإهمال جوانب أخرى

من عملية التنمية ، وإغفال إمكانات أخرى لزيادة الناتج القومي ، واتساع فجوة الموارد المحلية .

عدم الثقة بالنفس وتزايد الاعتماد على الغير : وقد أدى تأثير مقولة « نقص المدخرات المحلية وعدم كفايتها لتمويل التنمية » إلى الإفراط في الاعتماد على التمويل الأجنبي ، وما تبع ذلك من آثار سلبية ، وحصاد مر .

نحو فكر تنموي جديد

يرسم الدكتور رمزي زكي في الجزء الثالث من هذا البحث أهم ملامح الفكر التنموي الجديد الذي تمخض عن المراجعات الانتقادية للفكر التنموي التقليدي ، وتتمثل تلك الملامح في :

تغيير منهج التحليل : ففهم المعاني الحقيقية لمصطلحي « التخلف » « والتنمية » يتطلب منهجا جديدا قادرا على الاحاطة الشاملة والتاريخية والمعاصرة بالظاهرتين اللتين يشير إليهما ، وتزايد الادراك بأن التنمية حدث حضاري شامل ، وليست مجرد نمو اقتصادي .

الرؤية الجديدة في تفسير التخلف : فهو ظاهرة نسبية تاريخية ، يجب البحث عن القوانين التي حكمت نشأتها وتطورها من منظور تاريخي اجتماعي والعلة الأساسية للتخلف الراهن هي التبعية للعالم الخارجي ، ويجب تحطيم طوق التبعية بكل مكوناته .

عودة الاهتمام ببحث العلاقة بين التوزيع والتنمية ، واعتماد نمط التوزيع على نمط التنمية .

الرؤية الجديدة للتنمية : كتنمية هدفها الجوهري تحقيق التنمية الاقتصادية المستقلة التي تستهدف رفاهية إنسان العالم الثالث ، ويكون توجهها الأساسي نحو الداخل ، وتتحقق بالاعتماد على الذات أساسا ، وتتم بالمشاركة الشعبية ، وترفع مستوى معيشة أغلب السكان ، وتتضمن الوصول إلى التقنية الملائمة للواقع الاقتصادي الاجتماعي ، ذات الكفاءة الاقتصادية .

الاهتمام بالاطار العالمي الملائم للتنمية : وقد بدأت الدول المتخلفة تعي أهمية استثمار المواقع التي تملكها في العلاقات الاقتصادية الدولية ، وتدرك ضرورة تعاونها وتضامنها لمواجهة الأوضاع غير المتكافئة في النظام الاقتصادي العالمي .

أزمة الديون العالمية

تحت عنوان « أزمة الديون العالمية والامبريالية الجديدة ، الآليات الحديثة لاعادة احتواء العالم الثالث » يناقش الدكتور رمزي زكي الجذور الحقيقية لأزمة الديون العالمية ، وآثار النمو الانفجاري لديون البلاد المتخلفة ، وإعادة جدولة الديون ، والرضوخ للامبريالية الجديدة .

وهو يستعرض تطور مشكلة الديون تاريخيا ، ثم يشير إلى أن نهاية الستينيات وبداية السبعينيات تمثل نقطة تغير نوعي في منحى المديونية الخارجية ، وفي خطورة ما تمثل بالنسبة للبلاد المدينة ، وهي تشكل أهم آلية من آليات الامبريالية الجديدة المعاصرة ، لاستعادة هيمنتها المباشرة على البلاد المتخلفة .

ويلقي الضوء على أهم آثار النمو الأخطبوطي للديون الخارجية للبلاد المتخلفة التي تمثلت في النقل العكسي للموارد ، وإضعاف القدرة على الاستيراد ، والانزلاق في طريق انكماشي خطير ، وهرب الأموال إلى الخارج ، والتورط في فخ إعادة جدولة الديون .

ويسلط المؤلف الضوء الكاشف على قضية إعادة جدولة الديون ، والرضوخ للامبريالية الجديدة ، موضحا أن على البلاد المدينة التي تلجأ إلى هذه العملية أن تقبل بالادارة الخارجية المباشرة لاقتصادياتها ، وينبه إلى الدور الخطير الذي يلعبه صندوق النقد الدولي في تكييف البلاد المتخلفة المدينة مع متطلبات مواجهة الرأسمالية العالمية لأزمتها .

وفي نهاية الكتاب ملحق للبحث الثالث عن صندوق النقد الدولي والأموال المهربة للخارج « يعرض فيه المؤلف أشكال تهريب الأموال ، وأسباب اهتمام المنظمات الدولية بهذه الظاهرة ، ويؤكد استحالة عودة هذه الأموال إلى بلادها ،

ويدعو إلى مكافحة هـذه الظاهـرة ، بفرض سلطة الدولة في مجال الاستيراد والتصدير والنقد الأجنبي .

ملاحظات

الكتاب قيم بكل المقاييس العلمية ، فقد تناول الكاتب قضايا في منتهى الأهمية ، وعالجها بعمق في سياقها التاريخي ، وعرض ما توصل إليه ، بأسلوب بسيط ، لكن المؤلف ـ كما نرى ـ لم يعط التيـارات الثلاثة التي تناولها حقها من التحليل ، لتكون إجابته عن السؤال الجوهري الذي سعى إلى الإجابة عنه كاملة تامة .

فعند تناول الكينزية اكتفى بسرد الاتهامات التي وجهت إليها من قبل مدارس واتجاهات مختلفة ، ولم نجد تنـاولا لمسيـرة الكينـزيـة وأسبـاب فشلهـا ، وللأسباب التي تنفي إمكانية الرجوع إليها في صورة محدثة .

وإن كـان صحيحا مـايشيـر إليـه المؤلف من أن النقديين أعطوا الأهمية الارتكازية للنقود غير أنه لم يـلاحظ أنهم لم يعـطوا أهميــة لـدور العـلاقـات والسيـاسات النقـدية في التـأثير عـلى معـدل النمـو الاقتصادي في المدى البعيد ، وعجزوا عن توضيح كيفية تأثير النقود على أداء النظام الاقتصادي . وحين يقرر المؤلف أن الخلاف الوحيد بين الكينزية والنقدية يدور حول الحـد الأمثل لتـدخل الـدولة في الحيـاة الاقتصادية ، فإنه يجانب الدقة ، حيث أن أبرز قضية هي الخـلاف حول الأسـاليب التي يجب أن تتبع ، والـوسائـل التي يجب أن تستخدم لتـنظيم الـدولـة الاحتكارية للاقتصاد .

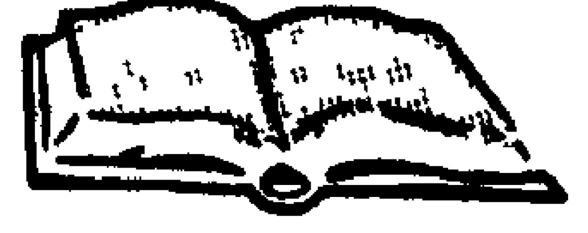
وأود في النهاية الاشارة إلى حقيقة أرى أنها فاتت المؤلف ، وهي مسـاهمة الانفـاق عـلى التسليـح في تضخم المديونية الخارجيـة لدول كثيـرة ، ففي عام ١٩٨٢ ـ عـلى سبيـل المثـال ـ أنفقت دول أمـريكـا اللاتينية وحدها أكثر من ٢١ مليار دولار في ميدان التسليح ، وأنفقت الكثير في بناء مصانع الأسلحة ، وما واكبها من إنفاق غير منتج ، وقد ساهم رفع سعر الفائدة في دول حلف الأطلسي في سحب أموال كثيرة من الدول المتخلفة ، ومنها دول أمريكا اللاتينية ، وكـانت الـولايـات المتحـدة التي زادت إنفـاقهـا العسكري بشكل كبير منذ عام ١٩٨١ قد طلبت من حلفائها أن يحـذوا حذوهـا ، وتطلب ذلـك أموالا كبيرة ، فلجأوا إلى الأسلوب المذكور (ورفع سعر الفائدة) لاجتذابها ، وتم فعلا تهريب الأمـوال إلى أمريكا وأوروبا الغربية . □

■ لاسفاهة في المهن ، إنما السفاهة في الأشخاص . (هوجر)

■ إذا اجتمـع المال الـرديء والمال الأصيـل في الأسواق اختفى المـال الأصيل . (مثل إغريقي)

■ إذا قُلْتُ المُحَالَ رَفَعْتُ صوتي . . وإنْ قُلْتُ اليقينَ أَطَلْتُ هَمْسي (شعر المعري)

■ عجبت لمن لايجد القوت في بيته كيف لايخرج على الناس شاهرا سيفه (أبو ذر الغفاري رضي الله عنه)



مكتبة العربي

مختارات

الكتاب / تاريخ السينما السورية .
١٩٢٨ ـ ١٩٨٨
المؤلف جان ألكسان .
الناشر / وزارة الثقافة السورية ـ دمشق .
عدد الصفحات / ٣٠٠ من القطع الكبير .
سنة النشر / ١٩٨٧ .

جان ألكسان ، صاحب كتاب « السينما السورية خلال خمسين عاماً » « والسينما في الوطن العربي » ، يقدم هذا الكتاب الجديد تعريفا بالسينما السورية . ويتابع مسيرتها خلال ستين عاما .

والقيمة الاساسية في الكتاب هي القيمة المرجعية والتوثيقية .

فهو مرجع للسينما السورية منذ بدايتها وتتبع لفروعها المختلفة ، كالسينما الوثائقية والتسجيلية والروائية .

وبالاضافة الى هذه المتابعة الجيدة لصناعة السينما في سوريا يتعرض المؤلف لنشاط النادي السينمائي في سوريا وكذلك لاوضاع دور السينما والجمهور المتردد عليها ، مما يجعله مرجعا مهما لأي مهتم بشؤون السينما في سوريا .



الكتاب / نحو تنمية عربية تعتمد على الذات .
المؤلف / د . سعيد محمد ابوسعده .
الناشر : دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع ـ قبرص .
عدد الصفحات / ١٥٣ من القطع الكبير .
سنة النشر / ١٩٨٧ .

ينتمي هذا الكتاب الذي يحمل عنوانا فرعيا هو « تنمية وتعبئة مصادر المياه في الوطن العربي » الى مجموعة من الكتب يشير اليها في تصديره للكتاب الاستاذ عبدالله محمد علي . وهي كتب ستصدر في الكويت عن المعهد العربي للتخطيط يجمع بينها موضوع واحد هو «الاعتماد على الذات» الذي يظهر في الكتب المذكورة من جوانبه المختلفة ، الثقافية والتقنية والاقتصادية والتنموية .. الخ .

وبذلك فإن الكتاب يأخذ اهمية مزدوجة باعتباره دراسة قائمة بذاتها ، وكذلك باعتباره حلقة في سلسلة من الكتب التي تقدم جديدا للقارىء العربي .



الكتاب / البئر الأولى ـ فصول من سيرة ذاتية .
المؤلف / جبرا ابراهيم جبرا .
الناشر / رياض الريس للكتب والنشر ـ لندن .
عدد الصفحات / ١٩٣ من القطع الكبير .
سنة النشر / ١٩٨٧ .

يختار جبرا ابراهيم جبرا البئر رمزا ومدخلا لكتابة سيرته الذاتية ، فهو يذكر أول ما يذكر ان البئر كانت اول ماتسأل عنه عائلته عند انتقالها من دار قديمة الى اخرى جديدة .

والبئر الأولى ايضا هي رمز الحياة الاولى التي كانت بئرا خالية جاهزة للامتلاء بالخبرة والمعرفة والحياة بكل ما فيها من تعقيدات ومفاجآت ومدهشات .

وتمتد مرحلة البئر الأولى عند جبرا من ايام

الطفولة الاولى وحتى عام ١٩٣٢ ، عند انتقال عائلته من مسقط رأسه في بيت لحم الى القدس . ويروى جبرا القصص التي عاشها في تلك الأيام باعتبارها مزيجا من الذكرى والحلم والكشافة الوجودية والغيبوبة الشاعرية . . لكنه يؤكد حضوره ابدا في عمق ما من النفس .

■■

الكتاب / في الايقاع الروائي .
المؤلف / الدكتور احمد الزعبي .
الناشر / دار الأمل - عمان .
عدد الصفحات / ١٠٨ من القطع الكبير .
سنة النشر / ١٩٨٦ .

يقدم المؤلف كتابه باعتباره مساهمة « نحو منهج جديد في دراسة البنية الروائية » . ومنذ البداية يعتمد المؤلف على تعريف يوجين ارسكين للايقاع باعتباره التكرار المقصود الموظف لغايات فنية ونفسية وفكرية في العمل الفنى .

ومن هذه النقطة ينطلق الكاتب ليرصد « عالم الأمكنة والأزمنة والاحداث في حركتها وتغيرها وبنائها ومدلولاتها » التي تشكل بناء الرواية ومعمارها وهندستها .

وفيما عدا المقدمة فإن الكتاب مجموعة دراسات تطبيقية لهذه الفكرةعلى عدد من الروايات العربية المهمة وهى السفينة والمستنقعات الضوئية وموسم الهجرة الى الشمال واللص والكلاب وتلك الرائحة .

■■

الكتاب : الجنوبى .
المؤلفة : عبلة الروينى .
الناشر : مكتبة مدبولى - القاهرة .
عدد الصفحات : ٢١٦ من القطع الوسط .

الجنوبى ، هو امل دنقل الشاعر الكبير الذي رحل عن دنيانا عام ١٩٨٣ ، وهى عنوان لاحدى آخر القصائد التي كتبها أمل وهو نزيل المستشفى في مرضه الأخير . والكتاب هو قصة السنوات الأخيرة من حياة امل التى قضى معظمها مريضا في معهد السرطان ترويها زوجة أمل كاتبة القصة المصرية عبله الرويني .

والكتاب رغم قسوة موضوعه ، فهو يسرد أحداث موت شاعر كبير ، فإن به قدرا من العذوبة والجمال وكشفا لخبرة ابداعية وانسانية كبيرة .

■■

الكتاب : نظرية الحضارة .
المؤلف : ادوارد ماركاريان .
ترجمة : عبدالله حبه .
الناشر : دار ناؤ وكا - موسكو .
سنة النشر : ١٩٨٧ .

تقدم أكاديمية العلوم السوفيتية التى أشرفت على اصدار هذا الكتاب المؤلف باعتباره شخصية علمية متعددة الاوجه والاهتمامات وهو أمر يمكن اكتشافه بسهولة لحظة البدء بقراءة الكتاب .

يضع ماركاريان مفهوما خاصا للحضارة باعتبارها الوسيلة الخصوصية للنشاط الانسانى وآليتها في التكيف . ومن خلال بحثه في نشوء الحضارات الانسانية يستفيد المؤلف من شتى معارفه العامة واهتماماته الخاصة . وبشكل أو بآخر يعتبر هذا الكتاب استكمالا ونقدا في الوقت نفسه لمسألة علم الحضارة التى دأب على تناولها منذ الأربعينيات عالم الحضارة الامريكى المعروف ليزلى وايت . □

● اذا صادقت رجلا ذا أهلية ، فتدبر كيف يمكن ان تكون مثله ، واذا صادقت رجلا عديم الأهلية ، افحص نفسك .
(كونفوشيوس)

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٥١
فبـراير ١٩٨٨

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة . ترسل الاجابات على العنوان التالي .
مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 الكويت : مسابقة العربي العدد ٣٥١ » . وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ مارس ١٩٨٨ .

١ من المعروف أن أقصر سور القرآن الكريم هي سورة الكوثر (٣ آيات) فما هي أقصر آياته . . . ؟

٢ هل من المذاهب المسيحية ما يبيح تعدد الزوجات . وأي مذهب هذا . ؟

٣ ديانة السيخ تعتقد بتناسخ الأرواح . . ولكن هل تعتقد بوحدانية الله ؟

- نعم تعتقد . وقد جارت الدين الحنيف في هذه العقيدة .
- لا تعنيها الوحدانية ولا تبالي بها شأنها في ذلك شأن الكونفوشية .
- لا تعتقد فهي ديانة وثنية .

٤ من المعروف أن انتخاب البابا الجديد يجري في اجتماع سرّي يجمع بين كردينالات الكنيسة الكاثوليكية جميعا . . ويتم باقتراع سرّي وعلى أساس ثلثي الأصوات بزيادة صوت . . ويعرف أهل الفاتيكان أن عملية الانتخاب هذه قد تمت لدى تصاعد الدخان من احدى مداخن الفاتيكان . ترى ما لون هذا الدخان أبيض أم أسود ؟

٥ أيهما أكثر عددا في العالم : البوذيون أم الكونفوشيون ؟

٦ أيهما أكثر عددا في العالم : المسيحيون أم المسلمون . . ؟

- المسيحيون فهم يفوقون المسلمين عددا بحوالي ٣٠٠ مليون نسمة . .

- المسلمون،فهم يفوقون المسيحيين عددا بحوالي ٣٠٠ مليون نسمة .
- متساويان تقريبا .

٧ أي المذاهب الدينية قامت به ودعت إليه امرأة . . ؟ متى كان ذلك وأين ؟ وما اسم هذه المرأة ؟

٨ « عامل الناس بمثل ما تريدهم أن يعاملوك » هذا مبدأ سليم في السلوك الانساني دون أدنى ريب . . . ولكنه يرقى إلى مرتبة الركيزة الأساسية التي يقوم عليها أحد الأديان التالية :

- الكونفوشية
- الهندوسية
- الزرادشتية

فأي دين هذا ؟

٩ من المعروف أن أهل اليابان درجوا على تأليه امبراطورهم (الميكادو) وعبادته . . فبأي دافع فعلوا ذلك ؟

- انطلاقا من نعرة قومية عسكرية متطرفة اشتهرت بها اليابان في العصر الحديث .
- مجاراة لتقاليد قديمة .
- بدافع معتقداتهم الدينية .

١٠ فرقة (كراي ما) فرقة دينية هندية تقدس الفئران . . ولو تسنى لك زيارة معبد هذه الفرقة لرأيت حشود الفئران تسرح فيه وتمرح . . ترى أين يوجد هذا المعبد . . في أية مدينة وأية ولاية من مدن الهند وولاياتها .

١١ أتباع الديانة الزرادشتية لا يدفنون جثث موتاهم في التراب ولا يحرقونها في النار . . فماذا يصنعون بها ؟

- يلقون بها في أعماق البحر أو النهر لتأكلها الأسماك .
- يضعونها فوق أبراج عالية لتأكلها النسور .
- يحنطونها ويحتفظون بها في سراديب منازلهم .

١٢ ترجموا القرآن الكريم ، كما هو معروف الى كل اللغات تقريبا ، ولكن هل ترجموه إلى لغة الاسبرانتو ؟!

تعليمات هامة للمشتركين في المسابقات الثقافية

١- كوبون المسابقة : يجب أن يلصق ، من الآن فصاعدا ، على الغلاف الذي يتضمن ورقة الأجوبة . وكل غلاف لايحمل الكوبون ملصقا عليه بإحكام يهمل .

٢- الاسم والعنوان : يجب أن يكتبا على الغلاف بالاضافة إلى تسجيلهما على ورقة الأجوبة نفسها ، وذلك بخط واضح . وكل غلاف لايحمل اسم المرسل وعنوانه يهمل .

٣- ورقة الأجوبة : درج بعضهم على انتزاع صفحة الأسئلة من المجلة واستعمالها للاجابة عن تلك الأسئلة بحيث تصبح صفحة أسئلة و أجوبة في آن معا . فتصبح مشوشة ، وتصعب قراءتها . وهذا أسلوب غير مقبول يحكم على الرسائل التي تنتهجه بالاهمال .

حل مسابقة العدد ٣٤٨

نوفمبر ١٩٨٧

١ الشاعر العباسي المقصود هو : البحتري .

٢ الكتان هو أقدم الألياف النسيجية التي عرفها الانسان في تاريخه فقد عثروا على بقاياه ضمن آثار العصر الحجري في سويسرا . . وانتشرت زراعته وصناعة نسيجه في مصر القديمة . . أما القطن فلم يظهر ولم ينافس الكتان الا في القرن الثامن عشر . . وأما الخيش (الجوت) فلم تنتشر زراعته وصناعته خارج بلاد الهند لا في القرن الثامن عشر ولا بعده . .

٣ الشجر المقصود هو شجر جوز الهند . . في بعض فصائله . .

٤ السعوف ، ومفردها سعفة ، هي جريد النخيل . .
والخوص (بتسكين الواو وضم الخاء) هو ورق النخيل . . في عرف العرب ومفردها (خوصة) .

٥ نأكل القرنبيط . . وهو زهرة النبات .
نأكل السبانخ . . وهو ورق النبات .
نأكل الفجل . . وهو جذور النبات .

٦ شجرة الجاك فروت تنمو في الهند وسري لانكا .

٧ شجرة بروسيموم يوتيلي : تنمو في أمريكا الجنوبية وفي فنزويلا بصفة خاصة . . والطريف أن عصارة هذه الشجرة لا تشبه لبن البقر فحسب ـ وهي تشبهه لونا وطعما ـ بل وتشرب أيضا بقصد الغذاء على نحو مايشرب لبن البقر .

٨ استخرج الاسبرين أول ما استخرج من شجرة الصفصاف بل من لحائها بالتحديد وكان الأسقف ادوارد ستون الانكليزي من أوائل الذين اكتشفوا مزايا هذا اللحاء العلاجي سنة ١٧٥٨ .

٩ السيكويا هي شجرة كاليفورنيا العملاقة . . وهي أضخم شجرة في العالم

كله تبلغ ٨٠ مترا طولاً و ٢٤ مترا محيطا وتحتوي على ٢٠٠٠ طن من الخشب . . والسيكويا شجرة معمرة أيضا وقد تبلغ من العمر ٤٠٠٠ سنة ، أما شجرة بنيان التي تنمو في الهند وسري لانكا فتعزى ضخامتها الى كثرة جذوعها وفروعها . . وقد بلغ عدد الجذوع في بعض الأحيان ٣٠٠ جذع أو يزيد .

١٠ البونساي شجيرة أو شجرة قزمة . . أتقن اليابانيون تطويرها وزراعتها ضمن أوان صغيرة لتبدو للناظر وكأنها أشجار كبيرة مضغوطة .

١١ السعوف اذا جردت من خوصها أصبحت جريدا ومفرد الجريد جريدة .

١٢ هذا بيت شعر من خمرية أبي الحفص الفارضي . . وهو من المتصوفين . . والمدامة هي الخمرة ، كما هو معروف . . ولكن المعنى المقصود في الشعر الصوفي شراب المحبة الالهية .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٤٨ نوفمبر ١٩٨٧

● الجائزة الأولى : فواز عثمان آغا - الكويت

● الجائزة الثانية : الفراج سيد حسن محمود - الخرطوم - السودان

● الجائزة الثالثة : آني جوزيف اشجيان - المتن - لبنان

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - فاطمة جميل نجار - المدينة المنورة - السعودية

٢ - شريف حجاج - الاسكندرية - جمهورية مصر العربية

٣ - عبدالحليم اكر - حلب - سوريا

٤ - الشتيوي نصر بالنور - مدنين - تونس

٥ - عبدالغني عبدالهادي - عمان - الأردن

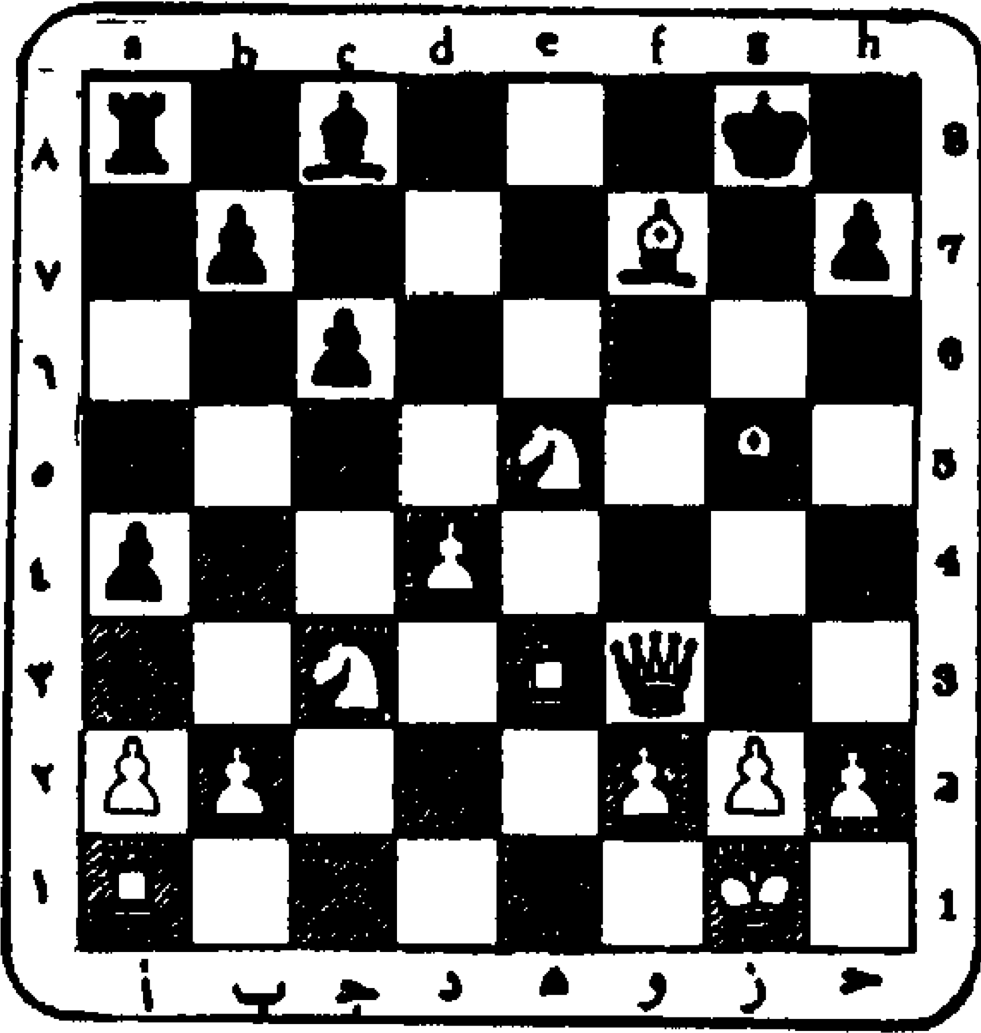
٦ - بهان عبدالله - زنقة الكويت - المغرب

٧ - زاهد طاهر سعيد - بابل - العراق

٨ - علي سعيد - [illegible]

معركة بلا سلاح





من الأسماء الخالدة في تاريخ اللعبة اللاعب الكبير « بيتروف » (١٨٠٠ - ١٨٦٧) وهو لاعب روسي فذ ، ينسب إليه الدفاع المشهور المعروف باسمه . والحق أن هذا الدفاع معروف منذ مطلع القرن الخامس عشر للميلاد ، وقد قام بدراسته وتحليله والتعليق عليه العديد من كبار اللاعبين والمحللين الشطرنجيين من أمثال لوبيز ودامیانو وبونزياني ولكنه ينسب الى بيتروف لأن الفضل يرجع إليه في إحيائه وممارسته ونشره .

وتعرف هذه الافتتاحية كما سبق ان ذكرنا بدفاع بيتروف ، ومع ذلك فهي أقرب الى الهجوم منها الى الدفاع ، لأن الأسود يواجه تهديد خصمه للبيدق « هـ ٥ » بتهديد مماثل للبيدق « هـ ٤ » ، ولهذا الهجوم العديد من المزايا أهمها حرمان الأبيض من الميزة التعبوية التي تمنحه إيّاها نقلة البدء والذي من شأنه أن يتسبب للأبيض بمضايقات جمة ويملأ طريقه بالمزالق والأفخاخ .

ولايزال دفاع بيتروف الذي يعرف أيضا بالدفاع الروسي يحظى بشعبية كبيرة لدى كبار اللاعبين والكثير منهم يدينون له بالعديد من الانتصارات الباهرة التي حققوها في ميادين الصراع الدولي . والتفريعان الأكثر شيوعا في الرد على هذا الدفاع يتمثل أولهما في أخذ « هـ ٥ » بالحصان ، أما ثانيهما فيتمثل في مضاعفة الهجوم على « هـ ٥ » بتقديم البيدق « د ٤ » وهو ما يعرف بتفريعه ستينتز Steinitz (نمساوي وبطل العالم بين ١٨٨٦ - ١٨٩٤) والدور التالي بين الاستاذين الكبيرين (شورت وتيمبون) يعتبر مثالا جيدا على هذه التفريعة من دفاع بيتروف .

□ شورت (بريطاني)	■ تيمبون (أرجنتيني)
١) هـ ٤	هـ ٥
٢) ح - و ٣	ح - و ٦
٣) د ٤ (مضاعفا الهجوم)	ح × هـ ٤
٤) ف - د ٣	د ٥
٥) ح × هـ ٥	ف - هـ ٧
٦) جـ ٤ (لابعاد الحصان)	ح - و ٦
٧) ت	ت
٨) ح - جـ ٣	د × جـ ٤
٩) ف × جـ ٤	ح (و) - د ٧
١٠) ف - و ٤	ح - ب ٦
١١) ف - ب ٣	ح (٨) - د ٧
١٢) و (وزير) - و ٣	ح - و ٦
١٣) ر (و) - هـ ١	جـ ٦

(للسيطره على العمود)

١٤) ف - ز ٥ — أ ٥

تمهيدا لطرد الفيل الذي أقضّ مضجعه

١٥) ر - هـ ٣ — أ ٤

١٦) ف × و ٧ + — ر × و ٧

(الشكل)

يضحى الأبيض بفيله لكشف الشاه الأسود وتحطيم تحصيناته ومن ثم الاستفادة من تفوقه التعبوي

١٧) ح × و ٧ — م × و ٧

١٨) ر (أ) - هـ ١ — ف - و ٨

١٩) ح - هـ ٤ — ر - أ ٥

٢٠) ح × و ٦ — ز × و ٦

ترى هل كان يستطيع أخذ الفيل بالرخ ؟

٢١) ر - هـ ٨ — و - د ٦

٢٢) و - حـ ٥ + — م - ز ٨

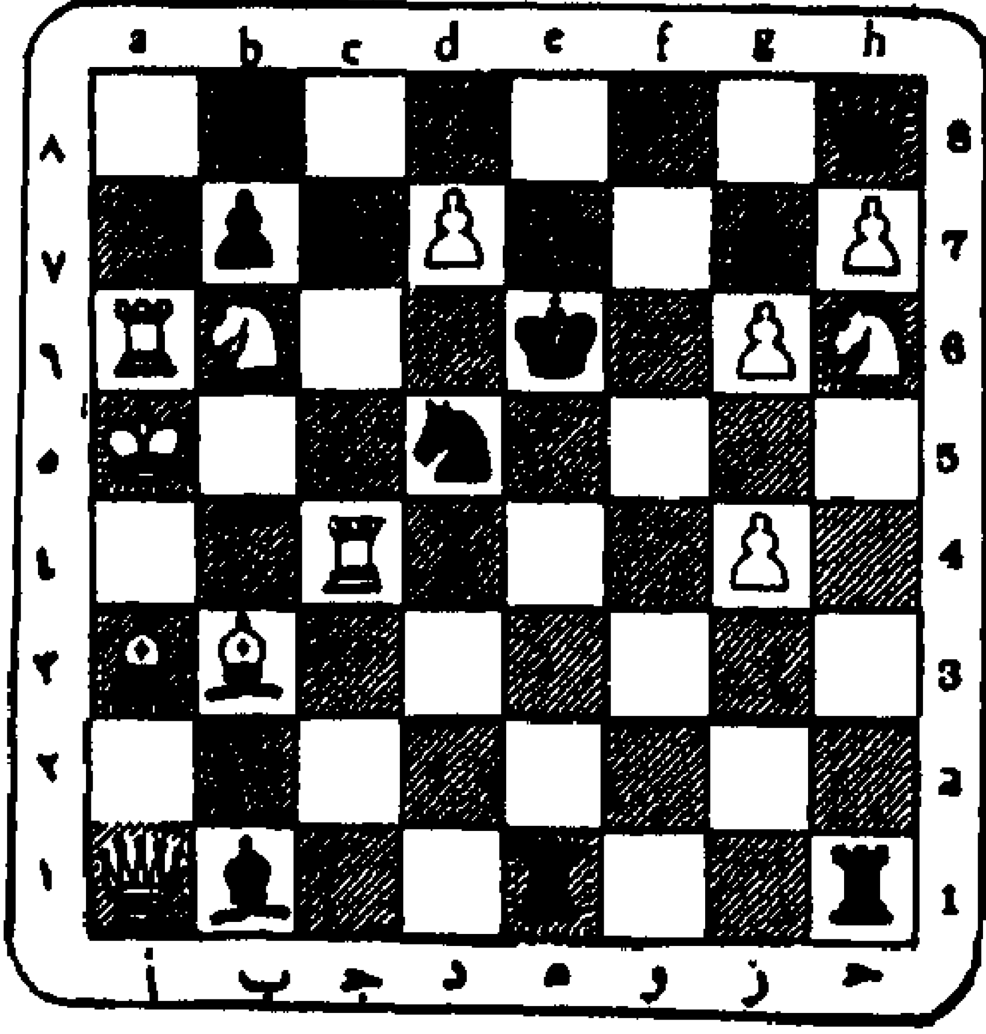
٢٣) ر - هـ ٧ ! (بديعة) و × هـ ٧ (مضطراً)

٢٤) ر × هـ ٧ — ف × هـ ٧

٢٥) و - هـ ٨ + — يستسلم (لماذا ؟)

أرسل الجواب مع حل المسألة فيضاعف فرصك في الفوز

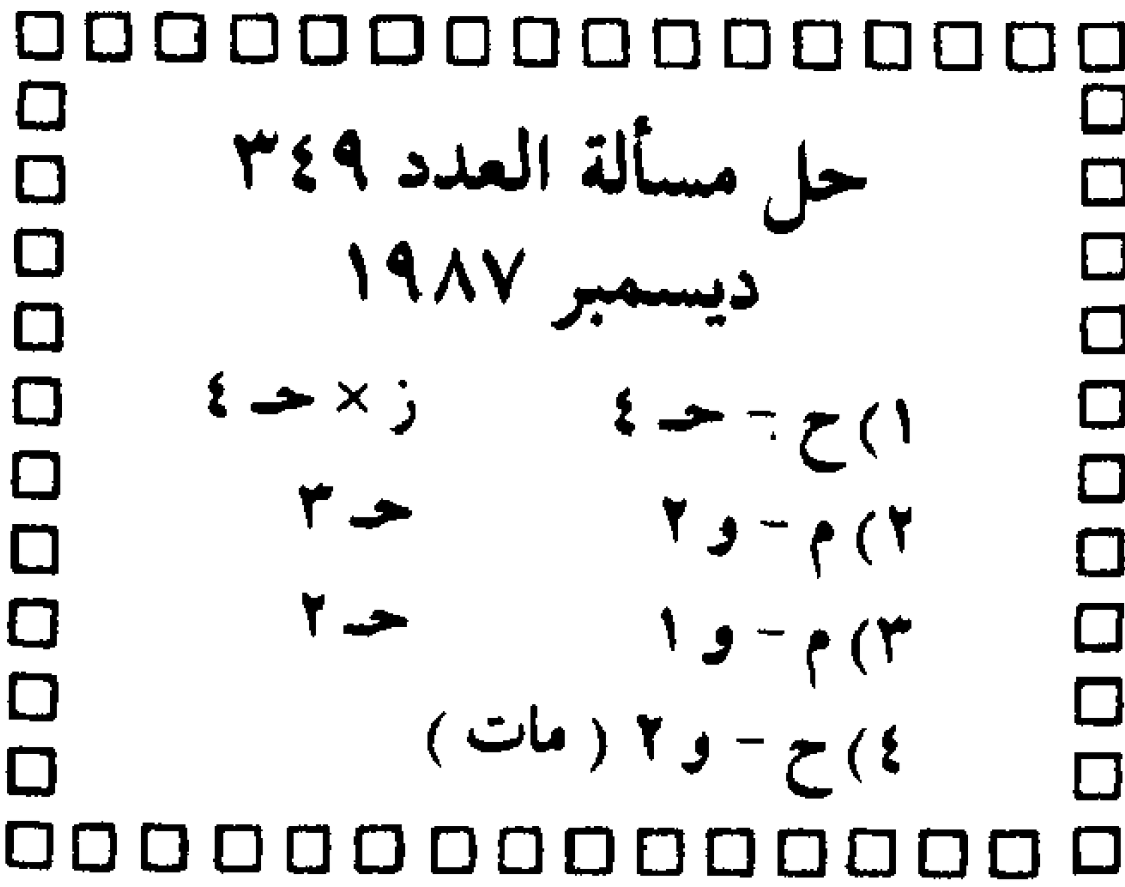
مسألة العدد ٣٥١ (فبراير ٨٨)



مات ٢

مهداة من القارىء خليل شموس

(دمشق)



حل مسألة العدد ٣٤٩
ديسمبر ١٩٨٧

١) ح - حـ ٤ — ز × حـ ٤

٢) م - و ٢ — حـ ٣

٣) م - و ١ — حـ ٢

٤) ح - و ٢ (مات)

الفائزون بحل مسابقة الشطرنج العدد ٣٤٨ ـ نوفمبر ١٩٨٧

الفائزون باشتراك نصف سنة

١) أحمد عبد المنعم ـ الجيزة/ ج م ع
٢) علي الجاويش ـ بيروت/ لبنان
٣) لحريشي فؤاد ـ فاس/ المغرب
٤) فضل المولى عبد الرضى ـ المناقد/ السودان
٥) د . عمرو الزيات ـ مصر الجديدة/ ج م ع

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١) عبد الله آدم بن سلام ـ طرابلس/ ليبيا
٢) عماد مصطفى دحبور ـ عمان/ الأردن
٣) أسامة علي قاسم ـ جدة/ السعودية
٤) منصور بن بركة ـ باريس/ فرنسا
٥) عبد الله أحمد علي ـ دبي/ الامارات

حوار القراء

العربي ـ ص.ب : ٧٤٨ الصفاة ـ الكويت

تقدم العلم وتلوث البيئة هل هما مترابطان ؟؟

● نشرتم في عدد تشرين الثاني ١٩٨٧ من مجلتكم (العدد ٣٤٨) مقال الدكتور سمير رضوان (تقدم العلم والبيئة) ، ولي ملاحظات على المقال أوجزها بما يلي :

١ ـ جاء في مطلع المقال قوله : « زماننا يركض بساقين أحدهما العلم وثانيهما التلوث ، وللتقدم العلمي ابهاره الذي قد يصرف الأنظار ـ ولو الى حين ـ عن التلوث المصاحب له كظله ، والعارف ببواطن الأمور يضع يده على قلبه إشفاقا من كل إنجاز علمي جديد ، فهو يدرك أن هناك جانبا مظلما لهذا الانجاز غالبا » .

وجاء في عنوان فرعي بارز قوله « التلوث إفراز التقدم العلمي » ، وحمل عنوان فرعي آخر قوله : « حتى التقدم الزراعي قد أفرز تلوثا » . . الخ .

الواقع أن ما يوحي به الكلام السابق الى قاريء أو سامع ليس من مسلمات الأمور ، وإنما هو مسألة فيها نظر .

صحيح أن الإنسان يعمد الى الافادة من انجازات العلم وابتكاراته بالتطبيق التقني ، وصحيح أن خطي سير العلم و التقنية متوازيان ، لكن هذا لا يعني أن أوزار أحدهما تقع بالضرورة على كاهل الآخر .

ويبقى النشاط الانساني في مختلف صوره وأشكاله أساس التلوث الكبير ، فالإنسان يستطيع أن يلوث بيئته حتى بأبسط أنواع نشاطه ، كالصرف الصحي للإنسان وحيواناته مثلا .

والتقنية نشاط من أرقى أنواع النشاط الإنساني ، ومع ذلك فليس من سبيل الى الحد مما تفرزه بعض فروعها من ملوثات خطيرة إلا سبيل التقدم العلمي ، فالتطور العلمي في صالح الإنسان ورفاهيته وسعادته وتزويد عقله بأذرع طويلة يدرك بها غوامض الطبيعة وأسرارها واحدا بعد آخر . وإنني أقول ذلك على الرغم من أن الدكتور رضوان قد أشار في ثنايا مقاله الى أن على العلم أن يخوض معركة كبرى ، هي معركة الحد من آثار التلوث .

وفي هذا السياق لابد من ذكر مقولة من المقولات التي تثيرها مشكلة التلوث في هذه الأيام ، وهي مقولة (الانحراف التجاري بالعلوم) ، وهذا التعبير المهذب ينطوي على معان كبيرة ، تعكس الضوء على الأسباب الحقيقية للتلوث ، وعلى أسباب اتساع حجمه .

٢ ـ وتحت عنوان « التلوث بالنترات » جاء قوله : إن من الضروري أن تكون كميات الأسمدة النتروجينية محسوبة بدقة ، بحيث لا تزيد عن حاجات النبات أبدا

على هذه الصفحات .. ترحب «العربي» بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

وإلا تحولت الزيادة الى تلوث ، كما هو واقع الحال الآن . ويسعى الباحثون بدأب لكي يتوصلوا الى طريقة لتحقيق ذلك ، والى أن يتوصل العلم الى تلك الطريقة يتحتم على البشرية أن تتعرض لآثار التلوث الناجمة عن سوء استخدام الأسمدة النتروجينية .

لكن واقع الأمر هو أن الأبحاث العلمية قد توصلت حتى الآن الى مستحضرات أطلق عليها اسم مثبطات النترجة ، وهي مركبات عضوية من زمرة (كلور البريدين) ، تحول دون عملية إزالة النترجة البيولوجية التي تقوم بها مجموعات من البكتريا ، وتؤدي الى تحول النترات الى النتروجين وأكاسيده التي تنطلق من التربة الى الجو ، وتحول المثبطات كذلك دون غسل النترات في التربة ، ومن ثم تحول دون تلوث مصادر المياه بها ، وهي كذلك تقلل من كميات النترات في المنتجات الزراعية نفسها .

فالمثبطات تبطيء عملية النترجة وتعرقلها مدة شهرين من الزمن تقريبا ، وتحافظ على النتروجين في التربة وفي السماد النتروجيني نفسه على صورة أمونيوم . وقد دلت تجارب (سميرنوف وموارفين) في الاتحاد السوفياتي على أن استخدم مثبطات النترجة يؤدي الى زيادة المحاصيل زيادة كبيرة ، ويرفع من فاعلية الأسمدة النتروجينية .

٣ ـ وجاء تحت العنوان الفرعي السابق نفسه : إن تلوث التربة بالنترات يؤدى الى انطلاق أكاسيد النتروجين الى الجو ، وهي تأكل طبقة الاوزون التي تغلف الكرة الأرضية ، ولولاها لهلكت الحياة الراقية برمتها .

والحقيقة هي أن الأشعة الخطرة هي الأشعة فوق البنفسجية ، لاسيما ذات الموجة القصيرة منها ، وحزام الاوزون يحمي الأرض وأحياءها من تلك الأشعة التي إذا ما وصلت الى الأرض دون أن يعوقها الاوزون فإنها كثيرا ما تؤدي الى انتشار سرطان الجلد في الناس ، والى نقصان التركيب الضوئي في البلانكتون ، وهو غذاء الأسماك الأول في المحيطات ، والى إحداث تغيرات وراثية في النباتات . . الخ .

رياض كلاليب

مدرس الفيزياء في كلية الهندسة الكيميائية والبترولية بحمص ـ سوريا

رد على تعليق

● وقد تلقت « العربي » ردا على تعقيب القارىء الكريم من الدكتور سمير رضوان جاء فيه :

لم يرد فيما كتبت ما يمكن أن يعتبر دعوة الى نبذ العلم أو مجافاة التقدم التقني ، كما لا يستقيم مثل ذلك مع كوني أحد المشتغلين بالبحث العلمي منذ ثلاثة عقود ، إلا أنني

حوار القراء

لست ممن يفتنهم التقدم التقني الذي أوشك أن يصبح لكثير من غير المشتغلين بالعلم « إله القرن العشرين » . فأنا من المتحمسين للبحث العلمي والتقدم التقني لكن مع التبصر الواعي بنواقصها ، وهي عديدة . وحينها يحذرك أحد من أخطار تحدق بك في طريق مهم تسلكه ، فهو حينئذ لا يحول بينك وبين غايتك ، بقدر ما يسعى لكي تبلغها سالما آمنا .

أما ما جاء في تعليق القاريء عن استخدام مواد مثبطة لإنتاج النترات في التربة فلابد أنه يعلم أن قائمة هذه الكيماويات لا تقتصر على ماذكر ، بل هي أطول من ذلك بمراحل ، إذ منها أيضا الأزيد ، والثيويوريا ، والايزثيوسيانات ، والبيروزولات والتراي كلورو أسيتايدات ، وغيرها كثير . لكن ألا يرى القاريء أنه يقر هنا في مضمون تعليقه أن العلم يلجأ في معالجة التلوث بالنترات الى مواد كيميائية ، معظمها له سمية ، وهي أيضا ملوثات غير مأمونة العواقب ؟ أليس في ذلك مايؤيد ماذهبت اليه من أن التقدم العلمي لايفتأ يفرز تلوثا مع معظم الخطوات التي يخطوها ؟ .

أما الملاحظة الخاصة بأن طبقة الأوزون تمتص الأشعة فوق البنفسجية فهى صحيحة ، وأنا غالبا ما أحرص في كتابتي على تجنب الألفاظ التي لا يعرفها إلا المتخصصون ، مما دفعني الى استخدام لفظ « الأشعة الكونية » ، قاصدا ما يصل الأرض من الكون الخارجي من إشعاع ، فانزلقت بذلك ـ سهوا ـ الى تسمية نوع من الأشعة موجاتها أقصر من فوق البنفسجية . وجل من لا يسهو . للقاريء شكري على هذا التصويب وعلى اهتمامه عامة .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

الصندوق الكويتي للتنمية

● متى أنشىء الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ؟ وما هي مصادر تمويله ؟ وما هو دوره في عمليات التنمية على المستوى العربي والدولي ؟ وكيف تتم الرقابة عليه ؟ وما هي المشاريع التي ساهم فيها الصندوق ؟

أحمد محمد كمال الشال

محافظة المنوفية ـ جمهورية مصر العربية

العربي

ـ أنشىء الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية في ديسمبر ١٩٦١ ، بهدف تقديم الدعم والمعونة والقروض الميسرة للأقطار العربية الشقيقة لتمويل مشروعاتها ، ولعدد من الدول غير العربية ، إضافة الى تقديم المعونة الفنية .

يبلغ رأس ماله ٢٠٠٠ مليون دينار كويتي ، مصدرها الميزانية العامة للدولة . والصندوق مؤسسة عامة مستقلة إداريا وماليا وفنيا . والمقر الرئيسي للصندوق دولة الكويت .

ولقد سبق لمجلة « العربي » أن قامت باستطلاع موسع عن الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية في العدد رقم ٣٣٩ - فبراير ١٩٨٧ . يمكن للقاريء الكريم الاطلاع عليه للاستفادة الكاملة .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

مـــــاذا نقـــــرأ ؟

● قرأت كعادتي بعض الوقت وإذا بي أشعر فجأة بضيق واكتئاب ، فدعتني رغبة ملحة للخروج من غرفتي . رجعت الى نفسي أفتش في حناياها عن سبب هذا العارض الذي لا مبرر له ، وبعد أن أعياني البحث والتفكير عدت الى حالتي ، وفجأة وضعت يدي دون مقدمات على العلة التي استغربت أيما استغراب بأنها لم تخطر لي على بال .

• إن علة اكتئابي ليست شخصية أو فردية ، فنحن نولد وأعناقنا مطوقة بلائحة لا نهاية لها من المحرمات والممنوعات التي تخدرنا ، وتشل فينا كل قدرة على الإبداع . عدت الى حالتي ومآلت إليه بعد قراءة ما بين يدي ، فوجدت أن ما قرأته كان عدة مقالات صغيرة ، حملت العناوين المرعبة التالية : (تلوث البيئة وخطر الموت ، عودة الى الانحطاط ، هجرة العقول ، المستقبل النووي ، خطر السرطان أم خطر الايدز . . الخ) ، وهنا ضحكت بصمت ، واطمأنت نفسي ، لأن حالتي ليست آفة أو مرضا عضويا ، وإنما هي نتيجة حتمية لما قرأته من هذه المقالات لأولئك الكتاب الذين يلملمون من مجلات العالم ما يدعو الى القنوط واليأس ، ليتسرب الى بيوتنا عن طريق صاحبة العصمة التي تدخل دون استئذان ، وليصيبنا ما أصابني من ضيق ووهن ويأس واكتئاب .

يركن المرء الى كتاب يفرغ فيه عناء يومه ، ويهرب ولو الى حين من عالمه الصاخب المضني ، وإذا به يمسي أتعس وأسوأ حالا .

هاني خليل
سوريا - اللاذقية

العربي

- يبدو أنك تبحث عن نوع من القراءة ، يسليك وينسيك متاعبك ، مع أنك في بداية الرسالة تتحدث عن الخوف والممنوعات التي تشل القدرة على الإبداع والانطلاق .

إن الإنسان السوي هو القادر على أن يحتفظ بتوازنه وتفاؤله ، مع إدراكه الحقيقي لحجم التحديات والأخطار التي تواجهه وأنواعها ، ويجد السعادة الحقة في مواجهه هذه المشكلات والعمل على تذليلها وحلها .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

شــــرح للوحــــات الفنيــــة

● عندما تقومون بنشر لوحة فنية دون تعليق أو شرح يجد بعض القراء صعوبة في تذوقها ، فحبذا لو قدمت المجلة شرحا مفصلا للوحات الفنية المنشورة ، لإفادة الهواة ، وياحبذا لو أصبحت هناك إرشادات من رسام محترف ، فالمجلة هي همزة الوصل بين القاريء والثقافة .

عدنان الجبروت
سوريا

حوار القراء

قـــــاريء يـــــرد

● لقد اطلعت على عدد نوفمبر سنة ١٩٨٧ من مجلة « العربي » في باب حوار القراء حول تساؤل القاريء فارس شاكر من سوريا ، حول (لماذا لم تقم مجلة العربي باستطلاعات عن الأكراد) ، وأود أن أبين للقاريء العزيز أن المجلة قد تحدثت عن الأكراد في عدد أغسطس ١٩٦١م ، حيث بينت بالتفصيل نشأتهم وعاداتهم وتقاليدهم في العراق .

خالد عبد الله عيسى نصار
القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

طباعـــــة « العـــــربي » باللغــــات الأجنبيـــــة

● أصبحت « العربي » مجلة ذات مستوى عالمي ، ووسيلة قيمة يعتمد عليها للمعرفة ، ولدراسة كل ما يتعلق بالقضايا العربية والإسلامية ، ولذلك وجب العمل بجدية على انتشارها في القارات الخمس ، إلا أنه لا يمكن الوصول الى هذه الغاية مادامت المجلة تصدر باللغة العربية فقط ، وتوجه للقاريء باللغة العربية ، مما يدفعني الى الطلب بأن يتم إصدارها باللغات العالمية (الانجليزية ـ الاسبانية ـ الفرنسية) ، ليكون الرأي العام العالمي على بيّنة من القضايا العادلة .

الحاج بوزيدي محمد
وجدة ـ المغرب

العربي

ـ هدف المجلة الأساسي خدمة القاريء باللغة العربية ، وهذا ما نعمل على تحقيقه ضمن الإمكانيات المتاحة ، أما ما تقترحه فهو طموح نرجو أن نتمكن من تحقيقه في المستقبل .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

الأدب العالمي

● أنا طالب أدرس الأدب الانجليزي ، وبهذه المناسبة أهيب بمجلس تحرير المجلة أن يقوم بدراسة إمكانية وضع باب ـ ولو غير منتظم ـ بعنوان « ملامح من الأدب العالمي » ، يقدم فيه مسرحية أو رواية من الأدب العالمي ، لتعريف القراء بالجديد في اتجاهات الآداب العالمية .

أشرف فوزي ذياب
دمياط ـ جمهورية مصر العربية

العربي

ـ تعنى مجلة العربي بنشر مقالات عن شخصية عامة لها أهمية في مجال تخصصها ، وأحيانا تكون هذه الشخصية من كبار الأدباء العالميين ، كما تعنى بنشر مقالات عن الاتجاهات الأدبية الجديدة في العالم ، آخرها كان مقالا عن أدب أمريكا الجنوبية ، بالإضافة الى القصة العالمية المترجمة ، وابتداء من شهر يناير سنة ١٩٨٨م تقدم المجلة بابا

جديدا بعنوان « قراءة نقدية لكتاب » . وسيكون الكتاب أساسا في الأدب العربي ، أو الثقافة العربية ، لكن يمكن أن يكون عن القصص العالمية . ولعل في هذا كله ما يحقق شيئا من اقتراح القارىء العزيز .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

مقترحات باستطلاعات جديدة

● القارىء عزوز سمرا من الدار البيضاء بالمغرب يقترح استطلاعا حول السلاسل الثلاث الأطلسية في المغرب الأقصى .

● صلاح الدين محمد - الاسكندرية - جمهورية مصر العربية يقترح استطلاعا عن الصومال وجيبوتي وموريتانيا والصحراء المغربية

● رضوان كرامة محمد ودعان - جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية - يقترح استطلاعا عن مدينتي تريم وشبام في اليمن الجنوبي .

● القراء : علي حسن محمد - محمد المجبري - عبد الله أحمد حويل . يرغبون في أن تقوم المجلة باستطلاع عن ليبيا .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

رد خاص

السيد طارق محمد جبر - دمشق - سوريا . يرجى إرسال عنوانك الكامل للمجلة بأسرع وقت ، وذلك للأهمية .

أدب أمريكا اللاتينية

قضايا ومشكلات

القسم الثاني

تنسيق وتقديم : فرناندث مورينو

ترجمة : أحمد حسان عبد الواحد

مراجعة : د. شاكر مصطفى

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

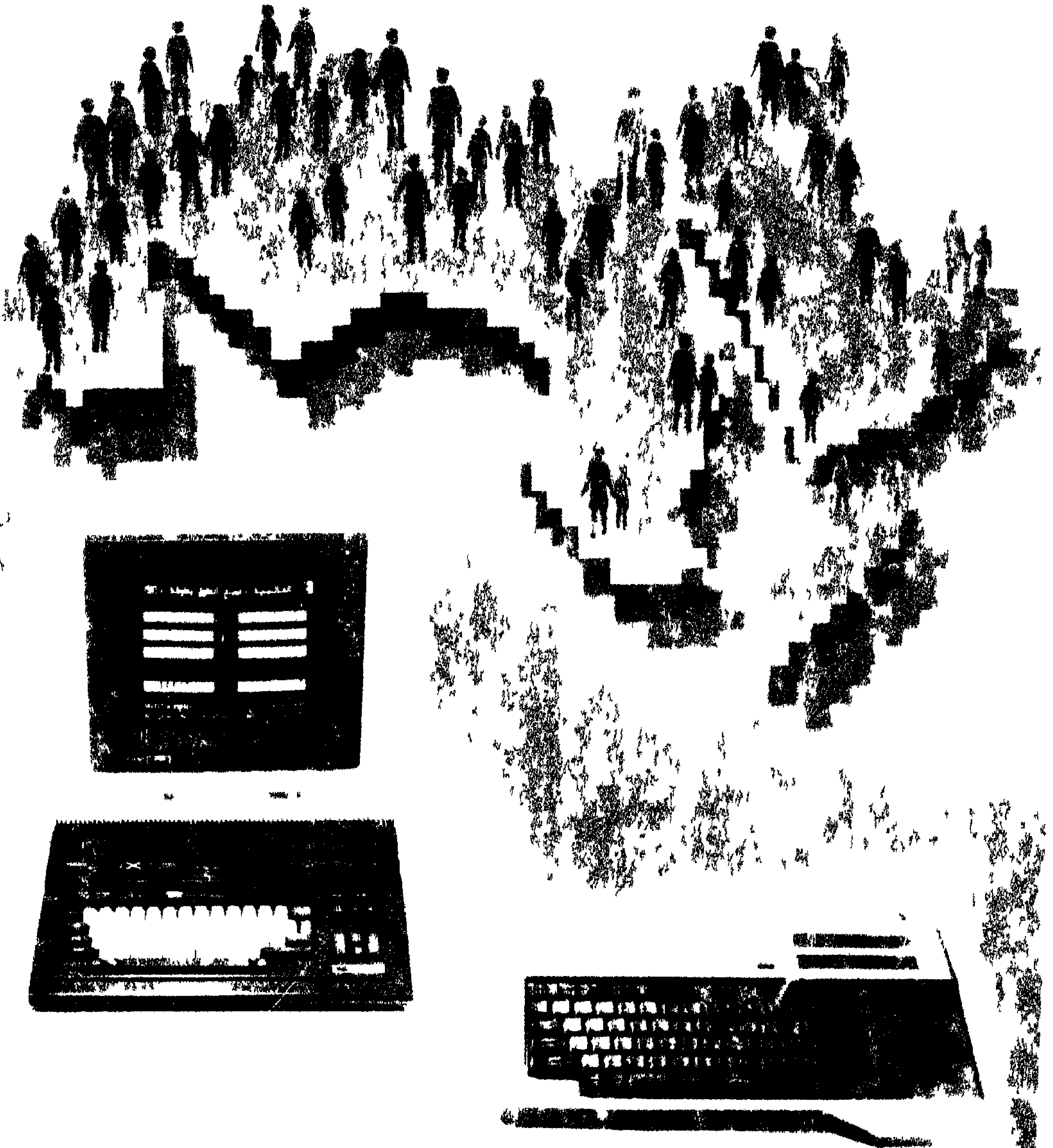
العدد ٢٢١ أول فبراير ١٩٨٨

السيدة دي ساد

تأليف: يوكيو ميشيما
ترجمة وتقديم: كامل يوسف حسين
مراجعة: د. أكرم سعد الدين

صخر

للتعليم العربي في كل مكان



العلم في الصغر كالنقش في الحجر

al Alamiah العالمية